المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة طيبة
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم الدراسات الإسلامية



المباحث العقدية في حديثي : أبي هريرة وأبي سعيد الخدري - رضي اللّه عنهما - في الرؤية

(جمعاً ودراسة)

رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة

إعداد :
خلود بنت فؤاد بن جميل كتوعة

إشراف :
د. سامي بن علي القليطي
أستاذ مشارك بقسم الدراسات الإسلامية
كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة طيبة

١٤٣٢هـ / ٢٠١١م

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة طيبة
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم الدراسات الإسلامية



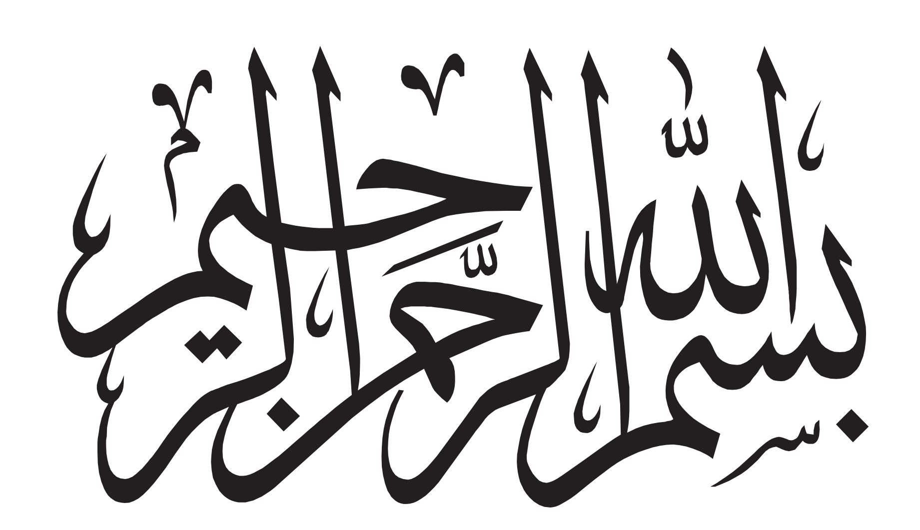
المباحث العقدية في حديثي : أبي هريرة وأبي سعيد الخدري - رضي الله عنهما - في الرؤية
(جمعاً ودراسة)

رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة

إعداد :
خلود بنت فؤاد بن جميل كتوعة

إشراف :
د. سامي بن علي القليطي
أستاذ مشارك بقسم الدراسات الإسلامية
كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة طيبة

١٤٣٢هـ / ٢٠١١م


بسم الله الرحمن الرحيم

قرار توصية اللجنة

☐ قبول الرسالة والتوصية بمنح الدرجة .

☐ قبول الرسالة مع إجراء بعض التعديلات ، دون مناقشتها مرة أخرى [(١)] .

☐ استكمال أوجه النقص في الرسالة ، وإعادة مناقشتها [(٢)] .

☐ عدم قبول الرسالة .

تعقيبات أخرى :

....

....

....

التوقيعات [(٣)]

	مقرّر اللجنة	عضو	عضو	عضو	عضو
الاسم :	....	....	....	....	....
التوقيع :	....	....	....	....	....

(١) في حال الأخذ بهذه التوصية ، يفوض أحد أعضاء لجنة المناقشة بالتوصية بمنح الدرجة بعد التأكد من الأخذ بهذه التعديلات ، في مدة لا تتجاوز ثلاثة أشهر من تاريخ المناقشة ، ولمجلس الجامعة الاستثناء من ذلك بناءً على توصية لجنة الحكم ومجلس عمادة الدراسات العليا .

(٢) في حال الأخذ بهذه التوصية ، يحدد مجلس عمادة الدراسات العليا بناءً على توصية مجلس القسم المختص موعد إعادة المناقشة ، على أن لا يزيد ذلك على سنة واحدة من تاريخ المناقشة الأولى .

(٣) في حال الاختلاف في الرأي ، لكل عضو من أعضاء لجنة الحكم على الرسالة حق تقديم ما له من مرئيات مغايرة أو تحفظات ، في تقرير مفصل إلى كلٍ من : رئيس القسم وعميد الدراسات العليا ، في مدة لا تتجاوز أسبوعين من تاريخ المناقشة .

شكر وتقدير

الحمد لله العلي القدير ، والشكر له على ما منّ علي مما لا أحصيه من النعم ، وما منحني من الهداية والتوفيق لإتمام هذا البحث على الصورة التي هو عليها منّةً منه وفضلاً ، معترفةً بكل ما فيه من التقصير ، راجيةً منه ﷻ العفو عن ذلك كله .

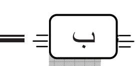
واعترافاً بالفضل لأهله ؛ فإني أتقدم بالثناء العاطر والشكر الجزيل إلى عائلتي الفاضلة ، وعلى رأسها والديّ الكريمين ؛ لحرصهما على تشجيعي على طلب العلم ، وحفزهما المستمر لي على مواصلة الدراسة ، والذي كان له الفضل – بعد الله تعالى – في بلوغ هذه المرحلة المتقدمة من السلّم التعليمي ؛ فالله تعالى أسأل أن يضاعف لهما الثواب ، وأن يرحمهما كما ربياني صغيرة .

كما أن من الواجب المحتّم علي ؛ توجيه مزيد الشكر والتقدير والامتنان لجامعة طيبة ، ممثلةً في كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، قسم الدراسات الإسلامية ، على الجهود المباركة التي يقدمها أساتذة الجامعة في خدمة العلم وأهله ، والتي كان من ثمراتها منحي الفرصة لمتابعة الدراسات العليا .

ثم إني أخص بالذكر والثناء والإشادة والتقدير من كانت له اليد الطولى في مساعدتي – أعني : المشرف على هذه الرسالة – أستاذي الفاضل سعادة الدكتور : سامي بن علي القليطي –حفظه الله – الذي ضحّى بكثير من وقته في تعهدي ومتابعة عملي ، ووسعني بحلمه وصبره ، والذي كان لتوجيهاته الكريمة ، وملاحظاته النافعة ، واستدراكاته القيّمة أكبر الأثر في إنجاز هذا البحث ؛ فجزاه الله تعالى عني خيراً ، وبارك له في علمه وعمله ، وفتح علينا وعليه من معين فضله وإحسانه .

ولا يفوتني في هذا المقام أن أتوجّه بخالص الشكر والتقدير لكلٍ من : فضيلة الدكتور : صالح بن محمد العقيل ، وفضيلة الدكتور : أحمد بن عبد الله الغنيمان – حفظهما الله – على ما قدّماه لي من نصح وإرشاد ، ابتداءً باقتراح هذا الموضوع للكتابة فيه ، ومروراً بتفضّلهما بقراءة الخطة وسد ما فيها من الخلل والنقص ؛ فأحسن الله ﷻ إليهما ، وأعظم لهما المثوبة والأجر .

كما أقدّم أصدق الشكر وأخلصه للأستاذين الكريمين عضوي لجنة المناقشة اللذين تفضّلا بقبول مناقشة هذه الرسالة ، وتحمّلا عناء قراءتها وتقويمها رغم ما لديهما من أعمال



وواجبات ؛ وفقهما الله تعالى ، وسدّد على طريق الخير خطاهما .

والشكر موصول كذلك لكل من مدّ لي يد العون : بدعاء ، أو كتاب ، أو توجيه ، أو غير ذلك؛داعيةً الله تعالى أن يتولى جزاء الجميع عني بما يكافئهم ؛ إزاء ما بذلوه من جهود ، إنه سميع مجيب ، وصلّى الله وسلّم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم .



فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

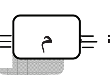
الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة



الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

مستخلص

المباحث العقدية في حديثي : أبي هريرة وأبي سعيد الخدري – رضي الله عنهما – في الرؤية

خلود بنت فؤاد كتوعة

بدأت البحث بتمهيد مناسب ، جعلته في تخريج ألفاظ حديثي أبي هريرة وأبي سعيد الخدري – رضي الله عنهما – الواردين في الرؤية ، في كلٍ من : الصحيحين وبقية الكتب التسعة .

ثم قسّمت البحث إلى ثلاثة أبواب ، **وكان الباب الأول بعنوان** : المباحث المتعلّقة بالإيمان بالله تعالى ، وقد ضم ثلاثة فصول على النحو التالي :

الفصل الأول : في دلالة الحديثين على توحيد الربوبية ، وقمت فيه بالتعريف بتوحيد الربوبية ، ثم انتقلت إلى دراسة بعض خصائص الربوبية الواردة في الحديثين .

أمّا الفصل الثاني:ففي دلالة الحديثين على توحيد الألوهية ، وقد وضّحت فيه المقصود : بتوحيد الألوهية ، ثم ذكرت معنى كلمة التوحيد وفضلها ، وانتقلت بعد ذلك إلى عرض أنواع العبادة ، ونواقض التوحيد التي اشتمل عليها الحديثان .

أمّا الفصل الثالث : ففي دلالة الحديثين على توحيد الأسماء والصفات ، وقد عرّفت فيه هذا النوع من التوحيد ، ثم ذكرت منهج أهل السنة والجماعة الذي ساروا عليه في أسماء الله تعالى وصفاته ، واختتمت هذا الفصل بعرض بعض صفات الله تعالى التي دل عليها الحديثان .

أمّا الباب الثاني فكان بعنوان : المباحث المتعلّقة بالإيمان بالملائكة واليوم الآخر ، وقد ضم خمسة فصول على النحو التالي :

الفصل الأول: في دلالة الحديثين على الإيمان بالملائكة ، وقمت فيه بالتعريف بالملائكة ، ثم انتقلت إلى بيان كيفية الإيمان بالملائكة .

أمّا الفصل الثاني : ففي دلالة الحديثين على الحشر والحساب ، وقد وضّحت فيه المقصود بكلٍ من : الحشر والحساب ، ثم تطرقت لبعض المسائل الواردة فيه : كحشر كل أمة مع ما كانت تعبد ، وحساب الخلائق يوم الحشر ، والشهود يوم الحساب .

أمّا الفصل الثالث : ففي دلالة الحديثين على الصراط ، وقد عرّفت فيه الصراط ، ثم بيّنت بعض مسائله : كصفته ، وأول وآخر من يجوزه ، ودعاء الأنبياء – عليهم السلام – والمؤمنين عليه ، وكيفية المرور فوقه .

أمّا الفصل الرابع : ففي دلالة الحديثين على الشفاعة ، وقد وضّحت فيه المقصود : بالشفاعة ، ثم ذكرت شروطها ، وعدّدت أنواعها ، وتحدثت عن المخالفين فيها ، ثم انتقلت إلى عرض أقسام الشفعاء الذين تكرّم الله تعالى بقبول شفاعتهم .

أمّا الفصل الخامس : ففي دلالة الحديثين على الجنة والنار ، وقمت فيه بالتعريف بكلٍ من : الجنة والنار ، ثم تحدثت عن صفة نعيم الجنة ، وأتبعت ذلك بالحديث عن صفة عذاب النار ، وختمت هذا الفصل بتقرير مسألة أبدية الجنة والنار .

أمّا الباب الثالث فكان بعنوان : المباحث المتعلّقة ببقية مسائل الإيمان ، وقد ضم ثلاثة فصول على النحو التالي :

الفصل الأول : في دلالة الحديثين على الإيمان وحقيقته ، وقد عرّفت فيه الإيمان ، ثم قرّرت بعض مسائله :كدخول الأعمال في مسمّاه مع الرد على المرجئة ، وزيادته ونقصانه وتفاضل أهله فيه .

أمّا الفصل الثاني : ففي دلالة الحديثين على فضل النبي ﷺ وأمته ، وقد وضّحت فيه المقصود بكلٍ من : النبي وأمة محمد ﷺ ، ثم انتقلت بعد ذلك إلى عرض بعض ما يدل على فضل النبي ﷺ ومكانته ، وفضل أمته على سائر الأمم .

أمّا الفصل الثالث : ففي دلالة الحديثين على حكم مرتكب الكبيرة ، وقد عرّفت فيه الكبيرة ، ثم بيّنت حكم مرتكب الكبيرة عند أهل السنة والفرق المخالفة لهم .

وكان من أبرز النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث :

أن حديثي أبي هريرة وأبي سعيد الخدري – رضي الله عنهما – الواردين عن النبي ﷺ في الرؤية من أعظم الأحاديث المشتملة على أمهات المسائل العقدية ، وأن رؤية المؤمنين لله تعالى في الآخرة من مسائل الاعتقاد التي تضافرت على إثباتها دلائل : الكتاب ، والسنة ، والإجماع ، والعقل ، وأن مسألة التكذيب بالشفاعة لأهل الكبائر مسألة قديمة ، تصدّى لها الصحابة – رضوان الله عليهم – وبيّنوا زيفها وبطلانها ، وأن القول بفناء النار دون الجنة قول لم يثبت عن أحد من السلف ؛ بل هم في الحقيقة منه براء .



وفي ضوء ما توصلت إليه الدراسة من نتائج فقد أوصيت بما يلي :

توجيه أنظار الباحثين والباحثات إلى دراسة أحاديث السنة النبوية ، واستخراج ما حوته من مباحث ومسائل عقدية ، مع ضرورة الاستفادة أثناء البحث من الكتب المؤلفة في جمع أحاديث العقائد .

وأخيراً تم تذييل البحث بفهارس متنوعة ؛ لتيسير الاستفادة منه .



المقدمــة

إن الحمــد لله نحمده ونستعينه ونستغفــره، ونعــوذ بالله من شــرور أنفسنــا ومــن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضــلل فلا هــادي له ، وأشهــد أن لا إلــه إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ (١) .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءًۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا ﴾ (٢) .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلًا سَدِيدًا ۝ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ (٣) (٤) .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٠٢ .

(٢) سورة النساء ، الآية : ١ .

(٣) سورة الأحزاب ، الآيات : ٧٠ – ٧١ .

(٤) هذه خطبة الحاجة التي علمها رسول الله ﷺ لأصحابه ، وهي سنة يبتدأ بها في النكاح وغيره ، أخرجها من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ : سليمان بن الأشعث السجستاني في سننه (سنن أبي داود) ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، د.ط (بيروت : دار الفكر ، د.ت) ، كتاب النكاح ، باب فــي خطبــة النكــاح (٢ / ٢٣٨ ، رقم ٢١١٨) . ومحمد بن عيسى الترمذي في الجامع الصحيح (سنن الترمذي) ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، د.ط (بيروت : دار إحياء التراث العربي ، د.ت) ، كتاب النكاح ، باب ما جاء في خطبة النكاح (٣ / ٤١٣ ، رقم ١١٠٥) ، وقال : " حديث حسن " .وأحمد بن شعيب النسائي في السنن الكبرى ، تحقيق : د.عبد الغفار سليمان البنداري ؛ وسيد كسروي حسن ، ط١ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١١هـ = ١٩٩١م) ، كتاب النكاح ، بــاب ما يستحب من الكــلام عنــد النكــاح (٣ / ٣٢١ ، رقم ٥٥٢٨) . ومحمد بن ماجه القزويني في سننه (سنن ابن ماجه) ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، د.ط (بيروت : دار الفكر ، د.ت) ، كتاب النكاح ، باب خطبة النكاح (١ / ٦٠٩ ، رقم ١٨٩٢)،واللفظ له . وأحمد بن حنبل الشيباني في مسنده (مسند الإمام أحمد بن حنبل) ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط وآخرون ، ط١ (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤١٦هـ = ١٩٩٦م) ، (٦ / ٢٦٢ – ٢٦٣ ، رقم ٣٧٢٠) . وصــححها محمد بن ناصر الدين الألباني في صحيح سنن أبي داود ، ط١ (الرياض : مكتبــة المعــارف ، ١٤١٩هــ = ١٩٩٨م) ، (١ / ٥٩١ ، رقم ٢١١٨) ، وصحيح سنن الترمذي ، ط١ (الريــاض : مكتبــة المعــارف ، ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م) ، (١ / ٥٦١ ، رقم ١١٠٥) ، وصحيح سنن ابن ماجه ، ط١ (الرياض : مكتبــة المعارف ، ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م) ، (٢ / ١٣٤ ، رقم ١٥٤٧) .

أمّا بعد :

فإن الله تعالى أرسل رسوله ﷺ بالهدى ودين الحق ؛ ليظهره على الدين كله ، وأنزل عليه كتابه الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وأمره بتبليغه للناس وبيانه ، فقال ﷻ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾ (١).

وقال تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٢) .

وقال سبحانه : ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٣) .

ووصف الله تعالى ما جاء عن نبيه ﷺ بأنه وحي ، فقال جل شأنه : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ (٤) .

وقال ﷺ في الحديث الذي رواه المقدام بن معدي كَرِب رضي الله عنه : " أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ ، أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ القُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ " (٥) .

ثم أوجب الله ﷻ علينا طاعة رسوله ﷺ ، وامتثال أوامره ، والانتهاء عن نواهيه ، فقال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾ (٦) .

---

(١) سورة المائدة ، من الآية : ٦٧ .

(٢) سورة النحل ، من الآية : ٤٤ .

(٣) سورة النحل ، الآية : ٦٤ .

(٤) سورة النجم ، الآيات : ٣ – ٤ .

(٥) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب السنة ، باب في لزوم السنة (٤ /٢٠٠ ، رقم ٤٦٠٤) .وابن ماجه في سننه ، المقدمة ، باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ (١ / ٦ ، رقم ١٢) . وأحمد في مسنده – ط١٤١٩هـ = ١٩٩٩م – (٢٨ / ٤١٠ ، رقم ١٧١٧٤) ، واللفظ له . وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣ / ١١٨ ، رقم ٤٦٠٤) ، وصحيح سنن ابن ماجه (١ / ٢١ ، رقم ١٢) .

(٦) سورة الأنفال ، الآية : ٢٠ .

وقال سبحانه : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ (١) .

ولقد بيّن النبي ﷺ لأمته في سنته المطهرة كل ما تحتاج إليه في دينها ودنياها ، وما سيكون في أخراها .

قال أبو ذر الغِفاري رضي الله عنه : " تركَنا رسول الله ﷺ ، وما طائر يقلّب جناحيه في الهواء ، إلا وهو يذكّرنا منه علماً " (٢) .

وبيان مسائل الاعتقاد في نصوص السنة من أول وأولى ما علّمه النبي ﷺ للأمة ؛ فهو ﷺ أنصح الأمة وأفصحها ، وأحرصها على أمانة البلاغ والرسالة ؛ ولهذا كانت نصوص السنة هي المعوّل عليه عند السلف بعد كتاب الله تعالى في الاستدلال على مسائل العقيدة .

وسنة النبي ﷺ – بشرط القبول – يحتج بها مطلقاً ، لا فرق في ذلك – على الصحيح – بين العقائد والأحكام ، ولا بين المتواتر والآحاد (٣) .

ونظراً لكون العقيدة ركن الدين وأساسه ؛ فقد جاء في السنة المطهرة الكثير من أحاديث العقائد ، ومن تلك الأحاديث العظيمة المشتملة على أمهات المسائل العقدية :

ما رواه الصحابيان الجليلان : أبو هريرة الدوسي وأبو سعيد الخدري – رضي الله عنهما – عن النبي ﷺ في الرؤية .

ومن هنا عزمت على أن يكون موضوع رسالتي في مرحلة الماجستير (دراسة المباحث العقدية في حديثي أبي هريرة وأبي سعيد الخدري – رضي الله عنهما – في رؤية الله تعالى) .

---

(١) سورة الحشر ، من الآية : ٧ .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده – ط١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م – (٣٥ / ٢٩٠ ، رقم ٢١٣٦١) . وسليمان بن أحمد الطبراني في المعجم الكبير ، تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي ، ط٢ (القاهرة : مكتبة ابن تيمية ، د.ت) ، (٢ / ١٥٦ ، رقم ١٦٤٧) ، واللفظ له . وقال علي بن أبي بكر الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، د.ط (القاهرة : دار الريان للتراث ، ١٤٠٧هـ) ، (٨ / ٢٦٤) : " ورجال الطبراني رجال الصحيح ".وقال محمد بن ناصر الدين الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها ، د.ط (الرياض : مكتبة المعارف ، ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م) ، (٤ / ٤١٦ ، رقم ١٨٠٣) : " وهذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات " .

(٣) انظر : كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (مجموع الفتاوى) ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، تحقيق : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، ط٢(القاهرة : مكتبة ابن تيمية ، د.ت) ، (١٨ / ١٦) . والمسودة في أصول الفقه ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد ، د.ط (القاهرة : مطبعة المدني ، د.ت) ، (ص ٢٢٣ – ٢٢٤) .

وقد وقع اختياري للعنوان التالي ليكون عنواناً لهذه الأطروحة :

" المباحث العقدية في حديثي : أبي هريرة وأبي سعيد الخدري – رضي الله عنهما – في الرؤية (جمعاً ودراسة) " .

أهمية الموضوع :

تظهر أهمية الموضوع وقيمته العلمية من خلال ما يلي :

١- أن في دراسة هذين الحديثين خدمة لسنة رسول الله ﷺ ، ولا شك بأن الاشتغال بدراسة حديث رسول الله ﷺ من أجلّ الأعمال وأفضلها .

٢- تعلّق الحديثين بالعقيدة التي هي أوجب الواجبات وأهم المهمات ، والتي عليها مدار الفوز والنجاة في الدنيا والآخرة .

٣- أن في الحديثين تقريراً لكثير من مسائل الاعتقاد التي اشتد فيها النزاع بين أهل السنة والمخالفين لهم من أهل البدع ؛ مما يؤكد الحاجة الضرورية لدراستهما .

٤- أن مباحث هذين الحديثين وما يتعلّق بهما مفرّقة في بطون الكتب وفي ثنايا كلام أهل العلم ؛ فكان من الأهمية بمكان جمع ذلك في موضع واحد ؛ مما يسهّل على طلبة العلم دراسة ما يتعلّق بمباحث الحديثين بأيسر السبل وأقل الأوقات .

٥- أن في هذا الموضوع وأمثاله من الموضوعات التي اعتنت بدراسة مسائل الاعتقاد من كتاب الله تعالى أو سنة رسوله ﷺ تأصيلاً لمسألة مهمة ، وهي : أن من أهم مصادر عقيدة أهل السنة والجماعة : كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله ﷺ ، وأن منبع عقيدة أهل السنة ومعينه ما جاء في كتاب الله سبحانه وسنة رسوله ﷺ .

٦- أن الأمة – ولا سيّما في هذا العصر – بحاجة ماسة لاستخراج واستنباط ما اشتملت عليه أحاديث رسول الله ﷺ من الفوائد والدرر ؛ لتكون نبراساً لهم في حياتهم : سواء أكان ذلك في جانب الاعتقاد أم في جوانب الدين الأخرى .

أسباب اختيار الموضوع :

إن مما دعاني إلى اختيار هذا الموضوع ، ورغّبني في الكتابة فيه عدة أسباب ، من أهمها ما يلي :

١- أن الحديثين اشتملا على الكثير من المسائل المتعلّقة بأصول الدين ؛ مما يجعلهما أهلاً

للدراسة في رسالة علمية مستفيضة .

٢- أن هذين الحديثين اشتملا على مسائل عقدية مهمة ؛ تحتاج إلى مزيد بسط من الكتابة ، والدراسة ، والبحث ، والتمحيص ؛ فأحببت أن أسهم بجهدي المتواضع في بيان تلك المسائل وتجليتها .

٣- أن هذا الموضوع على الرغم من أهميته لم تكتب فيه رسالة علمية مستقلة – على حد علمي – فأردت بعملي هذا أن أفرده في بحث مستقلّ ؛ يسهل الرجوع إليه عند الطلب .

٤- الرغبة الملحّة في تحقيق الفائدة العلمية من خلال دراسة المسائل العقدية الواردة في الحديثين .

٥- تشجيع أهل الاختصاص ممن لهم تمكن في هذا الباب ، واستحسانهم للموضوع .

٦- المشاركة في إثراء المكتبة الإسلامية بمثل هذه الموضوعات المهمة من وجهة نظري .

الدراسات السابقة :

أشرت آنفاً إلى أنني لم أقف – من خلال بحثي واطلاعي – على رسالة علمية مستقلّة في هذا الموضوع ، حيث تبيّن لي من خلال الاتصال بالأقسام العلمية المتخصصة ومراسلتها، والبحث في قوائم الرسائل ، وفهارس الجامعات أن هذا الموضوع لم يتم تسجيله بعد .

وهذا لا يعني : أن الموضوع لم يطرق بوجه ما ، فإن هناك دراسات سابقة لها تعلّق ببعض الجزئيات والمباحث الواردة في الحديثين ، وأذكر منها هنا ما اطلعت ووقفت عليه ، وهي على النحو التالي :

أولاً : دراسات تحدثت عن أجزاء من الحديثين :

وهي :

دراسة حديث الجهنميين / للدكتور : عبد الرحيم بن صمايل السلمي ، عضو هيئة التدريس بقسم العقيدة في كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى .

وهذه الدراسة عبارة عن بحث علمي منشور في موقع الإسلام اليوم عام ١٤٢٣هـ ، ولعله أقرب الدراسات – التي سأذكرها بعد قليل – صلةً بموضوع بحثي .

فحديث الجهنميين – كما لا يخفى – جزء من الحديثين موضع الدراسة ، وذلك في الفقرة التي ذكر فيها خروج عصاة الموحدين من النار .

ولقد أشار الباحث في مقدمته إلى أن دراسته معنية فقط بحديث الجهنميين ، وذلك من حيث : تخريجه ، وبيان معانيه اللغوية ، وتوجيه الرواية المشكلة فيه ، ومعرفة القول الحق الوارد فيها .

ثانياً : دراسات لها تعلّق ببعض مباحث الحديثين :

وهي كثيرة ، ومنها :

١- رؤية الله تعالى وتحقيق الكلام فيها / للباحث : أحمد بن ناصر الحمد .

وهي رسالة علمية تقدم بها الباحث إلى قسم العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين في جامعة أم القرى ؛ لنيل درجة الماجستير عام ١٣٩٧هـ .

٢- رؤية الله بين السلف والاعتزال / للباحثة : مريم بنت عبد الرحمن زامل .

وهي رسالة علمية تقدمت بها الباحثة إلى قسم العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين في جامعة أم القرى ؛ لنيل درجة الماجستير عام ١٣٩٩هـ .

٣- الجنة والنار والآراء فيهما / للباحث : فيصل بن عبد الله .

وهي رسالة علمية تقدم بها الباحث إلى قسم العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين في جامعة أم القرى ؛ لنيل درجة الماجستير عام ١٤٠٠هـ .

٤- الشفاعة في الإسلام / للباحث : عائش بن عياش الحبيشي .

وهي رسالة علمية تقدم بها الباحث إلى قسم العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين في جامعة أم القرى ؛ لنيل درجة الماجستير عام ١٤٠٠هـ .

٥- الشفاعة عند المثبتين والنافين (دراسة مقارنة في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة) / للباحثة : عفاف بنت محمد الونيس .

وهي رسالة علمية تقدمت بها الباحثة إلى قسم الثقافة الإسلامية بكلية التربية في جامعة الملك سعود ؛ لنيل درجة الماجستير عام ١٤١٩هـ .

٦- معتقد أهل السنة والجماعة في الشفاعة / للأستاذ الدكتور : عبد الله بن سليمان الغفيلي ، عضو هيئة التدريس بقسم العقيدة في كلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية .

وهذه الدراسة عبارة عن بحث منشور في مجلة البحوث الإسلامية ضمن العدد : ٦٤ عام ١٤٢٢هـ .

ومما يلاحظ على جميع الدراسات والأبحاث السابقة :

أنها قامت بالتركيز إمّا على دراسة جزئيات محددة من الموضوع : كحديث الجهنميين ، أو تناول بعض الجوانب المتعلّقة بمباحث الحديثين : كمسألة الرؤية ، أو الشفاعة ، أو صفة الجنة ، والنار .

وتلك الجزئيات والمسائل لا تمثل إلا جزءاً يسيراً من الموضوع الذي تناولته في رسالتي ؛ مما يعني : أن تلك الدراسات والأبحاث لا تتفق مع ما قمت به ؛ حيث إن دراستي شاملة لهذين الحديثين ، وما احتويا عليه من المباحث العقدية والمسائل العظيمة في موضع واحد ، وهي كثيرة جداً : سواء أكانت في باب الإيمان بالله تعالى ، أم في باب الإيمان بالملائكة ، أم في باب الإيمان باليوم الآخر ، وما اشتمل عليه من : الحشر ، والحساب ، والصراط ، والشفاعة ، والجنة ، والنار ، أم في بقية مسائل الإيمان .

منهج البحث :

يتضح منهج عملي الذي سرت عليه في بناء هذه الرسالة وإعدادها في النقاط التالية :

١- تخريج ألفاظ الحديثين من الكتب التسعة .

٢- حصر المباحث العقدية الواردة في الحديثين على حد سواء .

٣- ترتيب المباحث العقدية والأصول الإيمانية الواردة في الحديثين على حسب ترتيبها في حديث جبريل عليه السلام المشهور[1] .

٤- العناية في دراسة المباحث العقدية الواردة في الحديثين بالجانب التأصيلي ؛ بحيث تدرس أصول المباحث بأدلتها دراسة علمية مبنية على الأسس الثابتة من : كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ ، وفق فهم سلف الأمة وأئمتها .

٥- ذكر أقوال المخالفين في أهم المسائل العقدية مع الرد عليها .

٦- تصدير المباحث بتعريفات لغوية واصطلاحية ؛ لتوقف فهم المراد عليها .

٧- ذكر الشاهد من الحديثين أو أحدهما عند كل مسألة عقدية تتم دراستها .

٨- عزو الآيات إلى مواضعها في القرآن الكريم ، بذكر اسم السورة ورقم الآية ، مع

---

(١) أخرجه مسلم بن الحجاج القشيري في صحيحه (صحيح مسلم) ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، د.ط (بيروت : دار إحياء التراث العربي ، د.ت)، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، كتاب الإيمان ، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان (١ / ٣٧ ، رقم ٨) .

كتابتها بالرسم العثماني .

٩- تخريج الأحاديث الواردة في البحث من كتب السنة ؛ فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بالعزو إلى موضعه منهما ، وإذا لم يكن في الصحيحين اجتهدت في عزوه إلى كتب السنة الأخرى ، مع نقل كلام العلماء في الحكم عليه .

١٠- تخريج الآثار الواردة في البحث ، مع نقل كلام العلماء في الحكم عليها إن تيسّر .

١١- توثيق النقول وعزوها إلى مصادرها .

١٢- ترجمة الأعلام الأموات الواردة أسماؤهم في نص البحث ، عدا المشهورين منهم : كالصحابة – رضوان الله عليهم – والأئمة الأربعة ، وأصحاب الكتب الستة رحمهم الله .

١٣- التعريف بالفرق والطوائف .

١٤- بيان معاني المصطلحات العلمية والكلمات الغريبة التي تحتاج إلى ذلك .

١٥- التعريف بالبلدان والأماكن – غير المشهورة – من الكتب المؤلفة في ذلك .

١٦- وضع خاتمة تحتوي على أهم النتائج التي توصّل إليها في البحث ، وأهم التوصيات .

١٧- تذييل البحث بعدة فهارس ؛ لتيسير الاستفادة منه ، وهي كالتالي :

- فهرس الآيات القرآنية .
- فهرس الأحاديث النبوية .
- فهرس الآثار .
- فهرس الأعلام المترجم لهم .
- فهرس الفرق والطوائف .
- فهرس المصطلحات العلمية والكلمات الغريبة المعرّف بها .
- فهرس البلدان والأماكن المعرّف بها .
- فهرس الأبيات الشعرية .
- قائمة المصادر والمراجع .

خطة البحث :

تتكون خطة البحث من : مقدمة ، وتمهيد ، وثلاثة أبواب ، وخاتمة ، وفهارس فنية ، وتفصيلها فيما يلي :

المقدمة ، وتتضمن :

- أهمية الموضوع .
- أسباب اختيار الموضوع .
- الدراسات السابقة .
- منهج البحث .
- خطة البحث .

التمهيد : تخريج ألفاظ حديثي : أبي هريرة وأبي سعيد الخدري – رضي الله عنهما – في الرؤية ، وفيه مبحثان :

المبحث الأول : تخريج ألفاظ الحديثين في الصحيحين ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول :حديث أبي هريرة ﵁ .

المطلب الثاني : حديث أبي سعيد الخدري ﵁ .

المبحث الثاني : تخريج ألفاظ الحديثين في بقية الكتب التسعة ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : حديث أبي هريرة ﵁ .

المطلب الثاني : حديث أبي سعيد الخدري ﵁ .

الباب الأول : **المباحث المتعلّقة بالإيمان بالله تعالى** ، وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : **دلالة الحديثين على توحيد الربوبية** ، وفيه مبحثان :

المبحث الأول : تعريف توحيد الربوبية ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : تعريف التوحيد .

المطلب الثاني : تعريف الربوبية .

المبحث الثاني : دلالة الحديثين على بعض خصائص الربوبية ، وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : الملك .

المطلب الثاني : الخلق .

المطلب الثالث : التدبير .

المطلب الرابع : العطاء .

الفصل الثاني : **دلالة الحديثين على توحيد الألوهية** ، وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : تعريف توحيد الألوهية .

المبحث الثاني : معنى كلمة التوحيد وفضلها ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : معنى كلمة التوحيد .

المطلب الثاني : فضل كلمة التوحيد .

المبحث الثالث : دلالة الحديثين على بعض أنواع العبادة ، وفيه تمهيد وأربعة مطالب :

المطلب الأول : العبادات القلبية .

المطلب الثاني : العبادات القولية .

المطلب الثالث : العبادات البدنية .

المطلب الرابع : العبادات المالية .

المبحث الرابع : دلالة الحديثين على نواقض التوحيد ، وفيه تمهيد ومطلبان :

المطلب الأول : الشرك وعقوبته .

المطلب الثاني : النفاق وعقوبته .

الفصل الثالث : دلالة الحديثين على توحيد الأسماء والصفات ، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تعريف توحيد الأسماء والصفات .

المبحث الثاني : منهج أهل السنة والجماعة في أسماء الله تعالى وصفاته .

المبحث الثالث : دلالة الحديثين على بعض صفات الله تعالى ، وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : الصفات الذاتية .

المطلب الثاني : الصفات الفعلية .

المطلب الثالث : الصفات الذاتية الفعلية .

المطلب الرابع : الصفات التي تطلق من باب المقابلة .

الباب الثاني : المباحث المتعلّقة بالإيمان بالملائكة واليوم الآخر ، وفيه خمسة فصول :

الفصل الأول : دلالة الحديثين على الإيمان بالملائكة ، وفيه مبحثان :

المبحث الأول : تعريف الملائكة .

المبحث الثاني : كيفية الإيمان بالملائكة ، وفيه تمهيد ومطلبان :

المطلب الأول : الإيمان بوجود الملائكة .

المطلب الثاني : الإيمان بأعمال الملائكة .

الفصل الثاني : دلالة الحديثين على الحشر والحساب ، وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : تعريف الحشر والحساب ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : تعريف الحشر .

المطلب الثاني : تعريف الحساب .

المبحث الثاني : حشر كل أمة مع ما كانت تعبد .

المبحث الثالث : حساب الخلائق يوم الحشر .

المبحث الرابع : الشهود يوم الحساب .

الفصل الثالث : دلالة الحديثين على الصراط ، وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : تعريف الصراط .

المبحث الثاني : صفة الصراط .

المبحث الثالث : أول وآخر من يجوز الصراط .

المبحث الرابع : الدعاء على الصراط .

المبحث الخامس : المرور على الصراط .

الفصل الرابع : دلالة الحديثين على الشفاعة ، وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : تعريف الشفاعة .

المبحث الثاني : شروط الشفاعة .

المبحث الثالث : أنواع الشفاعة والمخالفون فيها ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أنواع الشفاعة .

المطلب الثاني : المخالفون في الشفاعة .

المبحث الرابع : أقسام الشفعاء .

الفصل الخامس : دلالة الحديثين على الجنة والنار ، وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : تعريف الجنة والنار ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : تعريف الجنة .

المطلب الثاني : تعريف النار .

المبحث الثاني : صفة نعيم الجنة ، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : أبواب الجنة .

المطلب الثاني : أنهار الجنة .

المطلب الثالث : آخر أهل الجنة دخولاً لها .

الخاتمة :

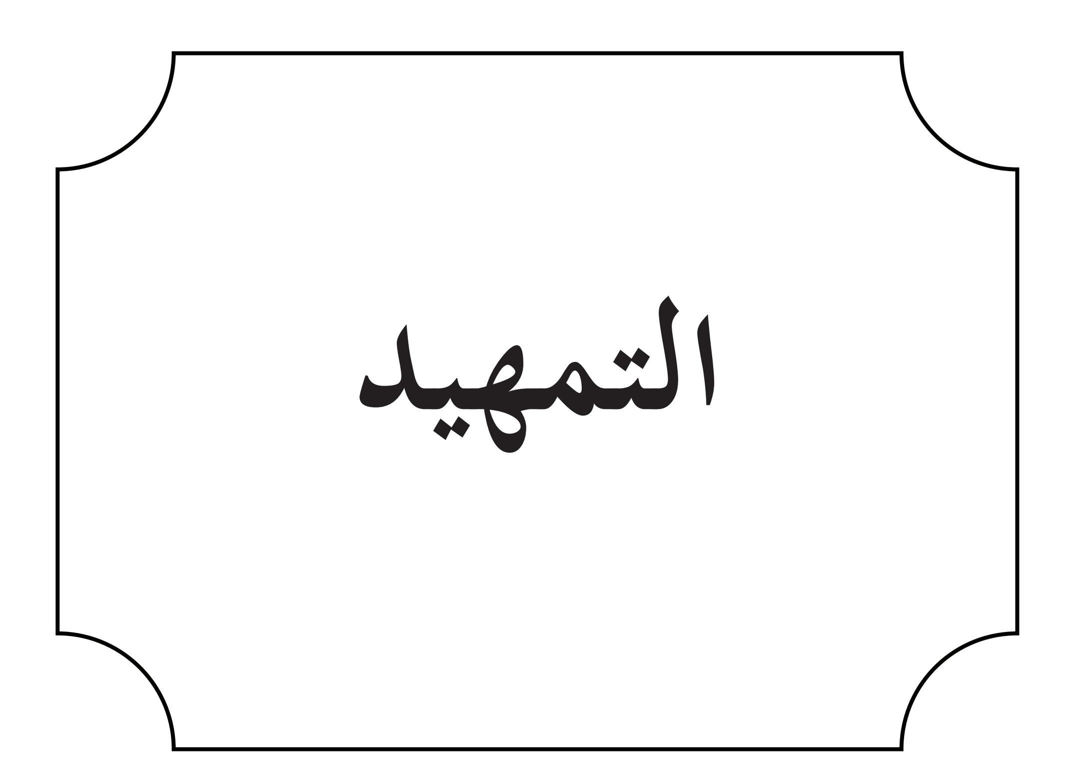
وفيها أهم النتائج والتوصيات التي توصّل إليها البحث .

الفهارس :

وتشتمل على :

- فهرس الآيات القرآنية .
- فهرس الأحاديث النبوية .
- فهرس الآثار .
- فهرس الأعلام المترجم لهم .
- فهرس الفرق والطوائف .
- فهرس المصطلحات العلمية والكلمات الغريبة المعرّف بها .
- فهرس البلدان والأماكن المعرّف بها .
- فهرس الأبيات الشعرية .
- قائمة المصادر والمراجع .





التمهيد

التمهيد

تخريج ألفاظ حديثي : أبي هريرة وأبي سعيد الخدري – رضي الله عنهما – في الرؤية

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : تخريج ألفاظ الحديثين في الصحيحين

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : حديث أبي هريرة رضي الله عنه

المطلب الثاني : حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

المبحث الثاني : تخريج ألفاظ الحديثين في بقية الكتب التسعة

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : حديث أبي هريرة رضي الله عنه

المطلب الثاني : حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

المبحث الأول

تخريج ألفاظ الحديثين في الصحيحين

المطلب الأول : حديث أبي هريرة رضي الله عنه

المسألة الأولى : إيراد لفظ الحديث :

عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن ناساً قالوا لرسول الله ﷺ : يا رسول الله ، هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله ﷺ : " هَلْ تُضَارُّونَ (١) فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ؟ "،قالوا : لا ، يا رسول الله ، قال : " هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ ؟ " ، قالوا : لا ، يا رسول الله ، قال : " فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ ، كَذَلِكَ يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيَقُولُ : مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئاً فَلْيَتَّبِعْهُ : فَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ (٢) الطَّوَاغِيتَ ، وَتَبْقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا ، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ ، فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ ، فَيَقُولُونَ : نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا ؛ فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ ؛ فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ ، فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ ، فَيَقُولُونَ : أَنْتَ رَبُّنَا ؛ فَيَتَّبِعُونَهُ ، وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ (٣) جَهَنَّمَ ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ ، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ ، وَدَعْوَى

---

(١) تضارون : يروى بالتشديد والتخفيف ، وهو بالتشديد من الضر ، بمعنى : لا تتخالفون ولا تتجادلون في صحة النظر إليه ؛ لوضوحه وظهوره ؛ وأما بالتخفيف فهو من الضير ، والمعنى فيه : كالأول . انظر : تهذيب اللغة ، محمد بن أحمد الأزهري ، تحقيق : محمد عوض مرعب ، ط١ (بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ٢٠٠١م) ، مادة (ضر) ، (١١ / ٣١٥) . والنهاية في غريب الحديث والأثر ، المبارك بن محمد الجزري (ابن الأثير)، تحقيق : طاهر أحمد الزاوى ؛ ومحمود محمد الطناحي ، د.ط (بيروت : المكتبة العلمية ، ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م) ، مادة (ضرر) ، (٣ / ٨٢) .

(٢) الطواغيت :جمع طاغوت ، والطاغوت في اللغة : مأخوذ من الطغيان ، وهو مجاوزة القدر والارتفاع ، والغلو في الكفر .

وفي الاصطلاح : فسره السلف ببعض أفراده ، فقيل : الشيطان ، وقيل : الكهان ، وقيل : كل ما عبد من دون الله تعالى .

وعرفه ابن القيم بأنه : كل ما تجاوز به الحد من معبود ، أو متبوع ، أو مطاع . انظر : لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور ، ط١ (بيروت : دار صادر ، د.ت) ، مادة (طغي) ، (١٥ / ٧) . وإعلام الموقعين عن رب العالمين ، محمد بن أبي بكر الزرعي (ابن القيم) ، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد ، د.ط (بيروت : دار الجيل ، ١٩٧٣م) ، (١ / ٥٠) .

(٣) ظهري : أي وسط ، وكذلك يقال للشيء إذا كان وسط شيء :بين ظهريه وظهرانيه.انظر : تهذيب اللغة ، مادة (ظهر) ، (٦ / ١٣٧) . ولسان العرب ، مادة (ظهر) ، (٤ / ٥٢٤) .

الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ : اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ ، وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ [١] مِثْلُ : شَوْكِ السَّعْدَانِ [٢] ، هَلْ رَأَيْتُمُ السَّعْدَانَ ؟ " ، قالوا : نعم ، يا رسول الله ، قال : " فَإِنَّهَا مِثْلُ : شَوْكِ السَّعْدَانِ ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا قَدْرُ عِظَمِهَا إِلَّا اللَّهُ ؛ تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ : فَمِنْهُمُ الْمُؤْمِنُ بَقِيَ بِعَمَلِهِ ، وَمِنْهُمُ الْمُجَازَى حَتَّى يُنَجَّى ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ؛ أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً ، مِمَّنْ أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَرْحَمَهُ ، مِمَّنْ يَقُولُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَيَعْرِفُونَهُمْ فِي النَّارِ ، يَعْرِفُونَهُمْ بِأَثَرِ السُّجُودِ ، تَأْكُلُ النَّارُ مِنَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ ؛ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ ؛ فَيُخْرَجُونَ مِنَ النَّارِ ؛ وَقَدِ امْتَحَشُوا [٣] ؛ فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ ؛ فَيَنْبُتُونَ مِنْهُ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ [٤] فِي حَمِيلِ [٥] السَّيْلِ ، ثُمَّ يَفْرُغُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ ، وَيَبْقَى رَجُلٌ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ ؛ وَهُوَ آخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولاً الْجَنَّةَ ، فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ ، اصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ ؛ فَإِنَّهُ قَدْ قَشَبَنِي[٦] رِيحُهَا ، وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُهَا [٧] ، فَيَدْعُو اللَّهَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُوَهُ ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : هَلْ عَسَيْتَ إِنْ فَعَلْتُ ذَلِكَ بِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ ؟ فَيَقُولُ : لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ ، وَيُعْطِي رَبَّهُ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ مَا شَاءَ اللَّهُ ؛ فَيَصْرِفُ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ ، فَإِذَا أَقْبَلَ عَلَى الْجَنَّةِ وَرَآهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ ،

---

(١) كلاليب : جمع كلوب ، وهي حديدة معوجة الرأس ، ذات شعب ؛ يعلق بها اللحم . انظر : النهاية في غريب الحديث ، مادة (كلب) ، (٤ / ١٩٥) . وتاج العروس من جواهر القاموس ، محمد مرتضى الزبيدي ، تحقيق : مجموعة من المحققين ، د.ط (مصر : دار الهداية ، د.ت) ، مادة (كلب) ، (٤ / ١٦٩) .

(٢) السعدان : بقل له ثمر مستدير ، مشوك الوجه ، إذا يبس سقط على الأرض مستلقياً ، وهو من أطيب مراعي الإبل ما دام رطباً . انظر : تهذيب اللغة ، مادة (سعد) ، (٢ / ٤٥) . ولسان العرب ، مادة (سعد) ، (٣ / ٢١٦) .

(٣) امتحشوا : أي احترقوا ، والمحش : احتراق الجلد وظهور العظم . انظر : النهاية في غريب الحديث ، مادة (محش) ، (٤ / ٣٠٢) . وغريب الحديث ، القاسم بن سلام الهروي ، تحقيق : د. محمد عبد المعيد خان ، ط١ (بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٣٩٦هـ) ، (١ / ٧٣) .

(٤) الحبة بكسر الحاء : كل نبت له حب ، وقيل : بزور البقل ، وقيل أيضاً : حب الرياحين . انظر : غريب الحديث لابن سلام (١ / ٧١) . وتهذيب اللغة ، مادة (حب) ، (٤ / ٧) .

(٥) حميل : ما حمله السيل من كل شيء ، وكل محمول فهو حميل . انظر : غريب الحديث لابن سلام (١ / ٧١) . ولسان العرب ، مادة (حمل) ، (١١ / ١٨٠) .

(٦) قشبني : أي سمني ، يقال : قشّبتني الريح وقشبتني ، وكل مسموم قشيب ومقشب . انظر : تهذيب اللغة ، مادة (قشب) ، (٨ / ٢٦٣) . والنهاية في غريب الحديث ، مادة (قشب) ، (٤ / ٦٤) .

(٧) ذكاؤها : شدة وهج النار ، يقال : ذكيت النار إذا أتممت إشعالها ورفعتها . انظر : النهاية في غريب الحديث ، مادة (ذكا) ، (٢ / ١٦٥) . ولسان العرب ، مادة (ذكا) ، (١٤ / ٢٨٧) .

ثُمَّ يَقُولُ : أَيْ رَبِّ ، قَدِّمْنِي إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ : أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ عُهُودَكَ وَمَوَاثِيقَكَ لَا تَسْأَلُنِي غَيْرَ الَّذِي أَعْطَيْتُكَ ؟ وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ ،مَا أَغْدَرَكَ ، فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ ، يَدْعُو اللَّهَ حَتَّى يَقُولَ لَهُ : فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ أَعْطَيْتُكَ ذَلِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ ؟ فَيَقُولُ : لَا ، وَعِزَّتِكَ ، فَيُعْطِي رَبَّهُ مَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ ؛ فَيُقَدِّمُهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ ، فَإِذَا قَامَ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ ؛ انْفَهَقَتْ [١] لَهُ الْجَنَّةُ ؛ فَرَأَى مَا فِيهَا مِنَ الْخَيْرِ وَالسُّرُورِ ، فَيَسْكُتُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ ، ثُمَّ يَقُولُ : أَيْ رَبِّ ، أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ : أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ عُهُودَكَ وَمَوَاثِيقَكَ أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَ مَا أُعْطِيتَ ؟ وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ ، مَا أَغْدَرَكَ ، فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ ، لَا أَكُونُ أَشْقَى خَلْقِكَ ؛ فَلَا يَزَالُ يَدْعُو اللَّهَ حَتَّى يَضْحَكَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْهُ ، فَإِذَا ضَحِكَ اللَّهُ مِنْهُ قَالَ : ادْخُلْ الْجَنَّةَ ؛ فَإِذَا دَخَلَهَا ، قَالَ اللَّهُ لَهُ : تَمَنَّهْ ؛ فَيَسْأَلُ رَبَّهُ وَيَتَمَنَّى حَتَّى إِنَّ اللَّهَ لَيُذَكِّرُهُ مِنْ كَذَا وَكَذَا ، حَتَّى إِذَا انْقَطَعَتْ بِهِ الْأَمَانِيُّ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ذَلِكَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ " .

قال عطاء بن يزيد [٢] : وأبو سعيد الخدري مع أبي هريرة لا يردّ عليه من حديثه شيئاً ، حتى إذا حدّث أبو هريرة : أن الله قال لذلك الرجل : " وَمِثْلُهُ مَعَهُ " .

قال أبو سعيد : " وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ مَعَهُ " ، يا أبا هريرة .

قال أبو هريرة : ما حفظت إلا قوله : " ذَلِكَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ " .

قال أبو سعيد : أشهد أني حفظت من رسول الله ﷺ قوله:" ذَلِكَ لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ " .

قال أبو هريرة : وذلك الرجل آخر أهل الجنة دخولاً الجنة .

المسألة الثانية : تخريج ألفاظ الحديث :

هذا الحديث العظيم أخرجه الشيخان بسنديهما عن أبي هريرة ؓ ، في غير موضع من صحيحيهما بألفاظ متقاربة .

---

(١) انفهقت : أي اتسعت ، والفهق :اتساع كل شيء ينبع منه ماء أو دم . انظر : تهذيب اللغة، مادة (فهق) ، (٥ / ٢٦٢) . وتاج العروس ، مادة (فهق) ، (٢٦ / ٣٣٣) .

(٢) هو : عطاء بن يزيد الليثي المدني ، أبو محمد ، وقيل : أبو يزيد ، ثقة ، روى له الجماعة ، توفي سنة ١٠٧هـ . انظر : تهذيب التهذيب ، أحمد بن علي العسقلاني (ابن حجر) ، ط١(بيروت : دار الفكر ، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م) ، (٧ / ١٩٣) . وتقريب التهذيب ، أحمد بن علي العسقلاني (ابن حجر) ، تحقيق : محمد عوامة ، ط١ (سوريا : دار الرشيد ، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م) ، (ص ٣٩٢) .

فقد رواه الإمام البخاري – رحمه الله – بطوله ، من طريق : ابن شهاب الزُهري [١] عن سعيد بن المسيّب [٢] وعطاء بن يزيد الليثي عن أبي هريرة ﷺ ، في كتاب صفة الصلاة ، باب فضل السجود (١/ ٢٧٧- ٢٧٨، رقم ٧٧٣) ، بلفظ :" هَلْ تُمَارُونَ " ، وفي كتاب الرّقاق ، باب الصراط جسر جهنم (٥ / ٢٤٠٣ ، رقم ٦٢٠٤) .

وأخرج الحديث بطوله كذلك ، من طريق : ابن شهاب الزُهري عن عطاء بن يزيد الليثي عن أبي هريرة ﷺ ، في كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [٣] (٦/ ٢٧٠٤- ٢٧٠٥، رقم ٧٠٠٠) .

أمّا الإمام مسلم – رحمه الله – فقد روى هذا الحديث بطوله ، من طريق : ابن شهاب الزُهري عن سعيد بن المسيّب وعطاء بن يزيد الليثي عن أبي هريرة ﷺ ، في كتاب الإيمان ، باب معرفة طريق الرؤية (١/ ١٦٣- ١٦٦، رقم ١٨٢) ، واللفظ له .

كما أخرجه من طريق : سهيل بن أبي صالح [٤] عن أبيه [٥] عن أبي هريرة ﷺ ، في كتاب الزهد والرّقائق (٤ / ٢٢٧٩ ، رقم ٢٩٦٨) ، وزاد فيه :" فَيَلْقَى الْعَبْدَ ، فَيَقُولُ : أَيْ فُلْ [٦] ،أَلَمْ أُكْرِمْكَ ، وَأُسَوِّدْكَ ، وَأُزَوِّجْكَ ، وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ [٧] ؟ فَيَقُولُ : بَلَى " ، قال : " فَيَقُولُ : أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ ؟ فَيَقُولُ : لَا ، فَيَقُولُ :

---

(١) هو : محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، أبو بكر ، الفقيه الحافظ ، متفق على جلالته وإتقانه ، روى له الجماعة ، توفي سنة ١٢٥هـ . انظر : تهذيب الكمال ، يوسف بن عبد الرحمن المزي ، تحقيق : د. بشار عواد معروف ، ط١ (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م) ، (٢٦ / ٤١٩- ٤٤٣) . وتقريب التهذيب (ص ٥٠٦) .

(٢) هو : سعيد بن المسيب بن حزن القرشي ، أبو محمد ، أحد الأعلام وسيد التابعين ، ثقة حجة فقيه ، روى له الجماعة ، توفي بعد سنة ٩٠ هـ . انظر : الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة ، محمد بن أحمد الذهبي ، تحقيق :محمد عوامة ، ط١(جدة : دار القبلة للثقافة الإسلامية ، ١٤١٣هـ = ١٩٩٢م) ، (١ / ٤٤٤) . وتقريب التهذيب (ص ٢٤١) .

(٣) سورة القيامة ، الآيات : ٢٢- ٢٣ .

(٤) هو : سهيل بن ذكوان السمان المدني ، أبو يزيد ، صدوق تغير حفظه بآخره ، روى له الجماعة ، توفي في خلافة المنصور . انظر : تهذيب الكمال (١٢ / ٢٢٣- ٢٢٨) . وتقريب التهذيب (ص ٢٥٩) .

(٥) هو : ذكوان السمان المدني ، أبو صالح ، مولى جويرية بنت الأحمس الغطفاني ، من الأئمة الثقات ، روى له الجماعة ، توفي سنة ١٠١هـ . انظر : تهذيب الكمال(٨ / ٥١٣- ٥١٧).والكاشف(١ / ٣٨٦) .

(٦) فل معناه : يا فلان ، وهي صيغة ارتجلت في باب النداء ، وقد جاء في غير النداء . انظر : النهاية في غريب الحديث ، مادة (فلل) ، (٣ / ٤٧٣) . وتاج العروس ، مادة (فلن) ، (٣٥ / ٥١٤) .

(٧) تربع : تأخذ ربع الغنيمة ، يقال : ربعت القوم أربعهم إذا أخذت ربع أموالهم . انظر : النهاية في غريب الحديث ، مادة (ربع) ، (٢ / ١٨٦) . وتاج العروس ، مادة (ربع) ، (٢١ / ٢٩) .

فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي ، ثُمَّ يَلْقَى الثَّانِيَ ، فَيَقُولُ : أَيْ فُلْ ، أَلَمْ أُكْرِمْكَ ، وَأُسَوِّدْكَ ، وَأُزَوِّجْكَ ، وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ ، فَيَقُولُ : بَلَى ، أَيْ رَبِّ ، فَيَقُولُ : أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ ؟ فَيَقُولُ : لَا ، فَيَقُولُ : فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي ، ثُمَّ يَلْقَى الثَّالِثَ ، فَيَقُولُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ آمَنْتُ بِكَ ، وَبِكِتَابِكَ،وَبِرُسُلِكَ ، وَصَلَّيْتُ ، وَصُمْتُ ، وَتَصَدَّقْتُ ، وَيُثْنِي بِخَيْرٍ مَا اسْتَطَاعَ ، فَيَقُولُ : هَاهُنَا إِذن "، قال :" ثُمَّ يُقَالُ لَهُ : الْآنَ نَبْعَثُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ ، وَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ : مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ ؟ فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ ، وَيُقَالُ لِفَخِذِهِ ، وَلَحْمِهِ ، وَعِظَامِهِ : انْطِقِي ؛ فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ ، وَلَحْمُهُ ، وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ ؛ وَذَلِكَ لِيُعْذِرَ مِنْ نَفْسِهِ ، وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ ؛ وَذَلِكَ الَّذِي يَسْخَطُ اللَّهُ عَلَيْهِ " .

ثم ساق الإمام مسلم – رحمه الله – القطعة الأخيرة من الحديث ، من طريق : معمر بن راشد الأزدي [١] عن همّام بن منبّه[٢] عن أبي هريرة ﷺ ، في كتاب الإيمان ، باب معرفة طريق الرؤية (١ / ١٦٧، رقم ١٨٢) ، بلفظ : " إِنَّ أَدْنَى مَقْعَدِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ أَنْ يَقُولَ لَهُ : تَمَنَّ ؛ فَيَتَمَنَّى وَيَتَمَنَّى ، فَيَقُولُ لَهُ : هَلْ تَمَنَّيْتَ ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ ، فَيَقُولُ لَهُ : فَإِنَّ لَكَ مَا تَمَنَّيْتَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ " .

---

(١) هو : معمر بن راشد الأزدي البصري ، أبو عروة ، ثقة ثبت فاضل،روى له الجماعة ، توفي سنة ١٥٤هـ . انظر : تقريب التهذيب (ص٥٤١) . ولسان الميزان ، أحمد بن علي العسقلاني (ابن حجر) ، تحقيق : دائرة المعارف النظامية ، ط٣ (بيروت : مؤسسة الأعلمي ، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م) ، (٧ / ٣٩٤) .

(٢) هو : همام بن منبه بن كامل الصنعاني ، أبو عتبة ، أخو وهب بن منبه ، ثقة ، روى له الجماعة ، توفي على الصحيح سنة ١٣٢هـ . انظر :تهذيب الكمال(٣٠ / ٢٩٨– ٣٠٠) . وتقريب التهذيب (ص ٥٧٤) .

المطلب الثاني

حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

المسألة الأولى : إيراد لفظ الحديث :

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : أن ناساً في زمن رسول الله ﷺ قالوا : يا رسول الله ، هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال رسول الله ﷺ : " نَعَمْ " ، قال : " هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بالظَّهِيرَةِ صَحْواً لَيْسَ مَعَهَا سَحَابٌ ؟ وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ صَحْواً لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ ؟ " ، قالوا : لا ، يا رسول الله ، قال : " مَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا ، إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ : لِيَتَّبِعْ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ ؛ فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْصَابِ [(١)] إِلَّا يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ : مِنْ بَرٍّ ، وَفَاجِرٍ ، وَغُبَّرِ[(٢)] أَهْلِ الْكِتَابِ ، فَيُدْعَى الْيَهُودُ ، فَيُقَالُ لَهُمْ : مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ؟ قَالُوا : كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ بْنَ اللَّهِ ، فَيُقَالُ : كَذَبْتُمْ ؛ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ ، فَمَاذَا تَبْغُونَ؟قَالُوا : عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا ؛ فَاسْقِنَا ؛ فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلَا تَرِدُونَ ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضاً ؛ فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ ، ثُمَّ يُدْعَى النَّصَارَى ، فَيُقَالُ لَهُمْ : مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ؟ قَالُوا : كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ بْنَ اللَّهِ ، فَيُقَالُ لَهُمْ : كَذَبْتُمْ ؛ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ ، فَيُقَالُ لَهُمْ : مَاذَا تَبْغُونَ ؟ فَيَقُولُونَ : عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا ؛ فَاسْقِنَا،قَالَ : فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلَا تَرِدُونَ ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضاً ؛ فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ تَعَالَى : مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ ؛ أَتَاهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ سبحانه وتعالى فِي أَدْنَى صُورَةٍ مِنَ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا ، قَالَ : فَمَا تَنْتَظِرُونَ ؟ تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ ، قَالُوا : يَا رَبَّنَا ، فَارَقْنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا أَفْقَرَ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ ، فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ ، فَيَقُولُونَ : نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ لَا نُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثاً ؛ حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَكَادُ أَنْ يَنْقَلِبَ ، فَيَقُولُ : هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ ؛ فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ ؛ فَلَا يَبْقَى

---

(١) الأنصاب : جمع نصب ، وهو حجر كانوا ينصبونه في الجاهلية ويتخذونه صنماً فيعبدونه ، وقيل : حجر كانوا ينصبونه ويذبحون عليه ؛ فيحمر بالدم . انظر : تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم ، محمد بن فتوح الحميدي،تحقيق : د. زبيدة محمد عبد العزيز ، ط١ (القاهرة : مكتبة السنة ، ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م) ، (ص ١٩٨) . والنهاية في غريب الحديث ، مادة (نصب) ، (٥ / ٥٩) .

(٢) الغبر : جمع غابر ، أي البقايا . انظر : غريب الحديث لابن سلام (٤ / ١٦٢) . وتهذيب اللغة ، مادة (غبر) ، (٨ / ١٢٣) .

مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلَّا أَذِنَ اللَّهُ لَهُ بالسُّجُودِ ، وَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءً وَرِيَاءً إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً ؛ كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَى قَفَاهُ ، ثُمَّ يَرْفَعُونَ رُءُوسَهُمْ وَقَدْ تَحَوَّلَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ، فَقَالَ : أَنَا رَبُّكُمْ ، فَيَقُولُونَ : أَنْتَ رَبُّنَا ، ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ ، وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ ، وَيَقُولُونَ : اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ " قيل : يا رسول الله ، وما الجسر ؟ قال : " دَحْضٌ [١] مَزِلَّةٌ [٢] ،فِيهِ خَطَاطِيفُ ، وَكَلَالِيبُ ، وَحَسَكٌ تَكُونُ بنَجْدٍ فِيهَا شُوَيْكَةٌ ، يُقَالُ لَهَا : السَّعْدَانُ ؛ فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ : كَطَرْفِ الْعَيْنِ ، وَكَالْبَرْقِ ، وَكَالرِّيحِ ، وَكَالطَّيْرِ ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ ؛ فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ ، وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ ، وَمَكْدُوسٌ [٣] فِي نَارِ جَهَنَّمَ ، حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ ، يَقُولُونَ : رَبَّنَا ،كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا ، وَيُصَلُّونَ ، وَيَحُجُّونَ ، فَيُقَالُ لَهُمْ : أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ ، فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَى النَّارِ ؛ فَيُخْرِجُونَ خَلْقاً كَثِيراً قَدْ أَخَذَتِ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ ، وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ ، ثُمَّ يَقُولُونَ : رَبَّنَا ، مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بهِ ، فَيَقُولُ : ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَار مِنْ خَيْر فَأَخْرِجُوهُ ؛ فَيُخْرِجُونَ خَلْقاً كَثِيراً ، ثُمَّ يَقُولُونَ : رَبَّنَا ، لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَداً مِمَّنْ أَمَرْتَنَا ، ثُمَّ يَقُولُ : ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ ؛فَيُخْرِجُونَ خَلْقاً كَثِيراً ، ثُمَّ يَقُولُونَ : رَبَّنَا ، لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا أَحَداً ، ثُمَّ يَقُولُ : ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ ؛ فَيُخْرِجُونَ خَلْقاً كَثِيراً ، ثُمَّ يَقُولُونَ : رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْراً " .

وكان أبو سعيد الخدري يقول:إن لم تصدّقوني بهذا الحديث ، فاقرءوا إن شئتم : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [٤] .

" فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ : شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ ؛ فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْماً لَمْ يَعْمَلُوا خَيْراً قَطُّ ، قَدْ عَادُوا

---

(١) دحض : زلق ، يقال : دحض يدحض دحضاً إذا زلق . انظر : غريب الحديث ، عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، تحقيق : د. عبد الله الجبوري ، ط١ (بغداد : مطبعة العاني ، ١٣٩٧هـ) ، (١ / ٣٢١) . ولسان العرب ، مادة (دحض) ، (٧ / ١٤٨) .

(٢) مزلة : زلق ، يقال : زل يزل إذا زلق ، والمراد : أنه تزلق عليه الأقدام ولا تثبت . انظر : النهاية في غريب الحديث ، مادة (زلل) ، (٢ /٣١٠) . ولسان العرب ، مادة (زلل) ، (١١ / ٣٠٦) .

(٣) مكدوس : أي مدفوع ، وتكدس الإنسان إذا دفع من ورائه فسقط . انظر : النهاية في غريب الحديث (٤ / ١٥٥) ، مادة (كدس) . ولسان العرب ، مادة (كدس) ، (٦ / ١٩٢) .

(٤) سورة النساء ، الآية : ٤٠ .

حُمَماً ؛ فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ ، يُقَالُ لَهُ : نَهَرُ الْحَيَاةِ ؛ فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ ، أَلَا تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَى الْحَجَرِ أَوْ إِلَى الشَّجَرِ ، مَا يَكُونُ إِلَى الشَّمْسِ أُصَيْفِرُ وَأُخَيْضِرُ ، وَمَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ يَكُونُ أَبْيَضَ ؟ " ، فقالوا : يا رسول الله ، كأنك كنت ترعى بالبادية ، قال : " فَيَخْرُجُونَ : كَاللُّؤْلُؤِ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِمُ ، يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ ، هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ ، ثُمَّ يَقُولُ : ادْخُلُوا الْجَنَّةَ ، فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ ، فَيَقُولُونَ : رَبَّنَا ، أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ ، فَيَقُولُ : لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا ، فَيَقُولُونَ : يَا رَبَّنَا ، أَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا ؟ فَيَقُولُ : رِضَايَ ، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَداً " .

المسألة الثانية : تخريج ألفاظ الحديث :

حديث أبي سعيد الخدري بطوله ورد في معنى حديث أبي هريرة – رضي الله عنهما – وهو حديث متفق عليه أيضاً ، وقد روي من طرق متعددة : مطوّلاً ومختصراً .

فقد أخرجه الإمام البخاري – رحمه الله – في صحيحه ، من طريق : زيد بن أسلم [(١)] عن عطاء بن يسار [(٢)] عن أبي سعيد الخدري ﷺ بطوله ، في كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [(٣)](٦ / ٢٧٠٦– ٢٧٠٧،رقم ٧٠٠١)، وباختصار ، في كتاب التفسير ، باب : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ [(٤)] يعني : زنة ذرّة (٤ / ١٦٧١– ١٦٧٢، رقم ٤٣٠٥) .

وأورد من الطريق المتقدم طرفاً من الحديث ، في كتاب التفسير ، باب : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾ [(٥)](٤ / ١٨٧١، رقم ٤٦٣٥) ، وهو قوله ﷺ : " يَكْشِفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ ؛

(١) هو : زيد بن أسلم القرشي العدوي ، أبو أسامة ، وقيل : أبو عبد الله ، مولى عمر بن الخطاب ﷺ ، ثقة عالم وكان يرسل ، روى له الجماعة ، توفي سنة ١٣٦هـ . انظر : تهذيب الكمال (١٠ / ١٢– ١٨) . وتقريب التهذيب (ص ٢٢٢) .

(٢) هو : عطاء بن يسار الهلالي المدني ، أبو محمد ، مولى ميمونة زوج النبي ﷺ ، من كبار التابعين وعلمائهم ، ثقة فاضل وصاحب عبادة ، روى له الجماعة ، توفي سنة ١٠٣هـ . انظر : الكاشف (٢ / ٢٥) . وتقريب التهذيب (ص ٣٩٢) .

(٣) سورة القيامة ، الآيات : ٢٢– ٢٣ .

(٤) سورة النساء ، من الآية : ٤٠ .

(٥) سورة القلم ، من الآية : ٤٢ .

فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ ، فَيَبْقَى كُلُّ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنْيَا رِيَاءً وَسُمْعَةً ، فَيَذْهَبُ لِيَسْجُدَ ؛ فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقاً وَاحِداً " .

ثم ذكر الإمام البخاري – رحمه الله – من الطريق نفسه آخره، في كتاب الرّقاق ، باب صفة الجنة والنار (٥ / ٢٣٩٨ ، رقم ٦١٨٣) ، بلفظ : " إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الجَنَّةِ : يَا أَهْلَ الجَنَّةِ ؟ فَيَقُولُونَ : لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ ، فَيَقُولُ : هَلْ رَضِيتُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : وَمَا لَنَا لاَ نَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ ، فَيَقُولُ : أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ، قَالُوا : يَا رَبِّ ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ ؟ فَيَقُولُ : أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي ؛ فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَداً " .

كما روى من طريق : عمرو بن يحيى المازني [(١)] عن أبيه [(٢)] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه جزءاً منه ، وهو حديث الجهنميين ، وذلك في كتاب الإيمان ، باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال (١ / ١٦ ، رقم ٢٢) ، ولفظه عنده : " يَدْخُلُ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ ؛ فَيُخْرَجُونَ مِنْهَا قَدِ اسْوَدُّوا ؛ فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرِ الحَيَا أَوِ الحَيَاةِ – شك مالك [(٣)] – فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ فِي جَانِبِ السَّيْلِ ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهَا تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً " ، وكذلك في كتاب الرّقاق ، باب صفة الجنة والنار (٥ /٢٤٠٠ ، رقم ٦١٩٢) .

أمّا الإمام مسلم – رحمه الله – فقد أخرج هذا الحديث في صحيحه ، من طريق : زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه بتمامه ، في كتاب الإيمان ، باب معرفة طريق الرؤية (١ / ١٦٧-١٧٠، رقم ١٨٣) ، واللفظ له .

كما روى من طريق : عمرو بن يحيى المازني عن أبيه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه حديث الجهنميين ، في كتاب الإيمان ،باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار(١ / ١٧٢ ، رقم ١٨٤) .

ثم أورده الإمام مسلم – رحمه الله – من طريق : سعيد بن يزيد [(٤)] عن أبي

---

(١) هو : عمرو بن يحيى بن عمارة المازني ، ثقة ، روى له الجماعة ، توفي بعد سنة ١٣٠هـ . انظر : تهذيب التهذيب (٨ / ١٠٤) . وتقريب التهذيب (ص ٤٢٨) .

(٢) هو : يحيى بن عمارة المازني المدني ، ثقة ، روى له الجماعة.انظر : تهذيب الكمال (٣١ / ٤٧٤- ٤٧٥) . وتقريب التهذيب (ص ٥٩٤) .

(٣) يعني : الإمام مالك بن أنس .

(٤) هو : سعيد بن يزيد بن مسلمة الأزدي ، أبو مسلمة ، ثقة ، روى له الجماعة . انظر : التاريخ الكبير ، محمد بن إسماعيل البخاري ، تحقيق : السيد هاشم الندوي ، د.ط (بيروت : دار الفكر ، د.ت) ، (٣ / ٥٢٠) . وتقريب التهذيب (ص٢٤٢) .

نضرة [١] عن أبي سعيد الخدري ﷺ من وجه آخر،في الكتاب والباب السابقين(١/ ١٧٢ ، رقم ١٨٥) ، بلفظ : " أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ ، وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ – أو قال : بِخَطَايَاهُمْ – فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً ، حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْماً ؛ أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ ، فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ [٢] ضَبَائِرَ ، فَبُثُّوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ ، ثُمَّ قِيلَ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ، أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ ؛ فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ " ، فقال رجل من القوم : كأن رسول الله ﷺ قد كان بالبادية .

---

(١) هو : المنذر بن مالك بن قطعة العبدي ، أبو نضرة ، مشهور بكنيته ، فصيح بليغ مفوه ، ثقة ، روى له مسلم ، توفي سنة ١٠٨هـ . انظر : الكاشف (٢ / ٢٩٥) . وتقريب التهذيب (ص ٥٤٦) .

(٢) ضبائر : أي جماعات ، وكل شيء جمعته وضممت بعضه إلى بعض ضبرته . انظر : غريب الحديث لابن قتيبة (١ / ٣٩٥) . ولسان العرب ، مادة (ضبر) ، (٤ / ٤٨٠) .

المبحث الثاني

تخريج ألفاظ الحديثين في بقية الكتب التسعة

المطلب الأول : حديث أبي هريرة ﷺ

وممن روى حديث أبي هريرة ﷺ من أصحاب السنن والمسانيد :

أولاً – الإمام أبو داود رحمه الله :

وقد أخرج هذا الحديث في سننه ، مقتصراً على إيراد أوله ، من طريق : سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة ﷺ ، في كتاب السنة ، باب في الرؤية (٤ / ٢٣٣ ، رقم ٤٧٣٠) ، وصحّحه الألباني [١] [٢] رحمه الله .

ثانياً – الإمام الترمذي رحمه الله :

وقد أخرج هذا الحديث في جامعه ، من طريق : حسان بن عطية [٣] عن سعيد بن المسيّب عن أبي هريرة ﷺ ، في كتاب صفة الجنة،باب ما جاء في سوق الجنة (٤ / ٦٨٥ ، رقم ٢٥٤٩) ، وقال في أوله :" هَلْ تَتَمَارَوْنَ " ، وزاد : " وَلَا يَبْقَى فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ رَجُلٌ إِلَّا حَاضَرَهُ اللَّهُ مُحَاضَرَةً ، حَتَّى يَقُولَ لِلرَّجُلِ مِنْهُمْ : يَا فُلَانُ بْنَ فُلَانٍ ، أَتَذْكُرُ يَوْمَ قُلْتَ : كَذَا وَكَذَا ؟ فَيُذَكِّرُهُ بِبَعْضِ غَدَرَاتِهِ فِي الدُّنْيَا ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ، أَفَلَمْ تَغْفِرْ لِي ؟ فَيَقُولُ : بَلَى ، فَبِسَعَةِ مَغْفِرَتِي بَلَغْتَ مَنْزِلَتَكَ هَذِهِ ، فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ غَشِيَتْهُمْ سَحَابَةٌ مِنْ فَوْقِهِمْ ؛ فَأَمْطَرَتْ عَلَيْهِمْ طِيباً لَمْ يَجِدُوا مِثْلَ رِيحِهِ شَيْئاً قَطُّ ، وَيَقُولُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى :

---

(١) هو : محمد بن ناصر الدين الألباني ، أبو عبد الرحمن ، الشيخ المحدث ، اشتغل بطلب الحديث ؛ حتى صارت له دراية فائقة به ، وبعلومه ، ورجاله ، كما حمل راية التوحيد والسنة ، ثم أكب على التأليف ، ومن تحقيقاته ومؤلفاته العلمية : تحقيق (كتاب الإيمان) لابن أبي شيبة ، و (سلسلة الأحاديث الصحيحة) ، توفي سنة ١٤٢٠هـ . انظر : أحداث مثيرة في حياة الشيخ العلامة الألباني – رحمه الله – مع آخر ما نشر عن مرض الشيخ ووفاته ، محمد صالح المنجد ، ط١ (الإسكندرية : دار الإيمان ، د.ت) . وترجمة موجزة لفضيلة المحدث الشيخ محمد بن ناصر الدين الألباني وأضواء على حياته العلمية ،د. عاصم عبد الله القريوتي ، د.ط (جدة : دار المدني ، د.ت) .

(٢) انظر : صحيح سنن أبي داود (٣ / ١٥٧ ، رقم ٤٧٣٠) .

(٣) هو : حسان بن عطية المحاربي الدمشقي ، أبو بكر ، الفقيه ، من ثقات التابعين ، روى له الجماعة ، توفي بعد سنة ١٢٠هـ . انظر : تقريب التهذيب (ص ١٥٨) . ولسان الميزان (٧ / ١٩٦) .

قُومُوا إِلَى مَا أَعْدَدْتُ لَكُمْ مِنَ الكَرَامَةِ ، فَخُذُوا مَا اشْتَهَيْتُمْ ؛ فَنَأْتِي سُوقاً قَدْ حَفَّتْ بِهِ المَلَائِكَةُ ، فِيهِ مَا لَمْ تَنْظُرِ العُيُونُ إِلَى مِثْلِهِ ، وَلَمْ تَسْمَعِ الآذَانُ ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى القُلُوبِ ، فَيُحْمَلُ إِلَيْنَا مَا اشْتَهَيْنَا ، لَيْسَ يُبَاعُ فِيهَا وَلَا يُشْتَرَى ، وَفِي ذَلِكَ السُّوقِ يَلْقَى أَهْلُ الجَنَّةِ بَعْضُهُمْ بَعْضاً " ، قال : " فَيُقْبِلُ الرَّجُلُ ذُو المَنْزِلَةِ المُرْتَفِعَةِ فَيَلْقَى مَنْ هُوَ دُونَهُ ، وَمَا فِيهِمْ دَنِيٌّ ؛ فَيَرُوعُهُ مَا يَرَى عَلَيْهِ مِنَ اللِّبَاسِ ، فَمَا يَنْقَضِي آخِرُ حَدِيثِهِ حَتَّى يَتَخَيَّلَ عَلَيْهِ مَا هُوَ أَحْسَنُ مِنْهُ ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَحْزَنَ فِيهَا ، ثُمَّ نَنْصَرِفُ إِلَى مَنَازِلِنَا ، فَيَتَلَقَّانَا أَزْوَاجُنَا ، فَيَقُلْنَ : مَرْحَباً وَأَهْلاً ، لَقَدْ جِئْتَ وَإِنَّ بِكَ مِنَ الجَمَالِ أَفْضَلَ مِمَّا فَارَقْتَنَا عَلَيْهِ ، فَيَقُولُ : إِنَّا جَالَسْنَا اليَوْمَ رَبَّنَا الجَبَّارَ ؛ وَيَحِقُّنَا أَنْ نَنْقَلِبَ بِمِثْلِ مَا انْقَلَبْنَا " .

وقد حكم عليه بقوله : " هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه " ، وضعّفه الألباني [1] رحمه الله .

ثم رواه الإمام الترمذي – رحمه الله – من طريق : العلاء بن عبد الرحمن [2] عن أبيه [3] عن أبي هريرة ﷺ ، في الكتاب السابق ، باب ما جاء في خلود أهل الجنة وأهل النار (٤ / ٦٩١– ٦٩٢ ، رقم ٢٥٥٧) ، وزاد فيه : " وَيَبْقَى أَهْلُ النَّارِ ؛ فَيُطْرَحُ مِنْهُمْ فِيهَا فَوْجٌ ، ثُمَّ يُقَالُ : هَلْ امْتَلَأْتِ ؟ فَتَقُولُ : ﴿ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾[4] ، ثُمَّ يُطْرَحُ فِيهَا فَوْجٌ ، فَيُقَالُ : هَلْ امْتَلَأْتِ ؟ فَتقُولُ : ﴿ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾ [5] ، حَتَّى إِذَا أُوعِبُوا فِيهَا ؛ وَضَعَ

---

(١) انظر : ضعيف سنن الترمذي ، محمد بن ناصر الدين الألباني ، ط١(الرياض :مكتبة المعارف، ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م) ، (ص ٢٥٤ ، رقم ٢٥٤٩) .

وسبب التضعيف : هو وجود عبد الحميد بن حبيب بن أبي العشرين في إسناده . وقد قال البخاري عنه في التاريخ الكبير (٦ / ٤٥) : " ربما يخالف في حديثه " . كما ضعفه محمد بن عمر العقيلي في الضعفاء الكبير ، تحقيق : عبد المعطي أمين قلعجي ، ط١(بيروت :دار المكتبة العلمية ، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م) ، (٣ / ٤١) . وقال الذهبي في الكاشف (١ / ٦١٤) : " وضعفه دحيم " .

(٢) هو : العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب الحرقي ، أبو شبل ، صدوق ربما وهم ، روى له الأربعة ، توفي سنة ١٣٢هـ . انظر : التاريخ الكبير (٦ / ٥٠٨) . وتقريب التهذيب (ص ٤٣٥) .

(٣) هو : عبد الرحمن بن يعقوب الجهني ، مولى الحرقة ، ثقة ، روى له الأربعة . انظر : تهذيب الكمال (١٨ / ١٨– ٢٠) . وتقريب التهذيب (ص ٣٥٣) .

(٤) سورة ق ، من الآية : ٣٠ .

(٥) سورة ق ، من الآية : ٣٠ .

الرَّحْمَنُ قَدَمَهُ فِيهَا وَأَزْوَى بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ ، ثُمَّ قَالَ : قَــطْ [١] ، قَالَتْ : قَطْ قَطْ ، فَإِذَا أَدْخَلَ اللَّهُ أَهْلَ الجَنَّةِ الجَنَّةَ وَأَهْلَ النَّارِ النَّارَ ، قَالَ : أُتِيَ بِالمَوْتِ مُلَبَّباً [٢] ؛ فَيُوقَفُ عَلَى السُّورِ الَّذِي بَيْنَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ ، ثُمَّ يُقَالُ : يَا أَهْلَ الجَنَّةِ ، فَيَطَّلِعُونَ خَائِفِينَ ، ثُمَّ يُقَالُ : يَا أَهْلَ النَّارِ ، فَيَطَّلِعُونَ مُسْتَبْشِرِينَ يَرْجُونَ الشَّفَاعَةَ ، فَيُقَالُ لِأَهْلِ الجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ : هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا ؟ فَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ : قَدْ عَرَفْنَاهُ ، هُوَ المَوْتُ الَّذِي وُكِّلَ بِنَا ؛ فَيُضْجَعُ فَيُذْبَحُ ذَبْحاً عَلَى السُّورِ الَّذِي بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ ، ثُمَّ يُقَالُ : يَا أَهْلَ الجَنَّةِ ؛ خُلُودٌ لَا مَوْتَ ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ ؛ خُلُودٌ لَا مَوْتَ " .

وقال في الحكم عليه : " هذا حديث حسن صحيح " ،وصحّحه الألباني [٣] رحمه الله.

كما أخرج الإمام الترمذي – رحمه الله – أول الحديث ، من طريق : الأعمش [٤] وسهيل بن أبي صالح عن أبي صالح السمّان عن أبي هريرة ﷺ ، في الكتاب السابق ، باب منه (٤ / ٦٨٨ ، رقم ٢٥٥٤) ، بلفظ: " أَتُضَامُونَ [٥] " ، ثم قال عقب إخراجه : " هذا حديث حسن صحيح غريب " ، وصحّحه الألباني [٦] رحمه الله .

ثالثاً – الإمام النسائي رحمه الله :

وقد أخرج هذا الحديث في سننه الكبرى مختصراً ، من طريق : ابن شهاب الزُهري عن

---

(١) قط بمعنى : حسب ، تقول : قطك الشيء ، أي حسبك . انظر : تهذيب اللغة ، مادة (قط) ، (٨ / ٢١٥) . ولسان العرب ، مادة (قطط) ، (٧ / ٣٨١) .

(٢) ملبب : يقال : لببه تلبيباً إذا جمع ثيابه عند نحره في الخصومة ثم جره . انظر : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، إسماعيل بن حماد الجوهري،تحقيق :أحمد عبد الغفور عطار ، ط٤(بيروت :دار العلم للملايين ، ١٩٩٠م) ، مادة (لبب) ، (١ / ٢١٦) . والقاموس المحيط ، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، د.ط (بيروت : مؤسسة الرسالة ، د.ت) ، (ص ١٧١) .

(٣) انظر : صحيح سنن الترمذي (٣ / ١٨ ، رقم ٢٥٥٧) .

(٤) هو : سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي ، أبو محمد ، المعروف بالأعمش ، ثقة حافظ،عارف بالقراءات ، ورع لكنه يدلس ، روى له الجماعة ، توفي سنة ١٤٨هـ . انظر : الكاشف (١ / ٤٦٤) . وتقريب التهذيب (ص ٢٥٤) .

(٥) أتضامون : يروى بالتشديد وبالتخفيف ، فبالتشديد معناه : لا ينضم بعضكم إلى بعض ، وتزدحمون وقت النظر إليه ، ومعناه بالتخفيف : لا ينالكم ضيم في رؤيته ، فيراه بعضكم دون بعض . انظر : النهاية في غريب الحديث ، مادة (ضمم) ، (٣ / ١٠١) . ولسان العرب ، مادة (ضمم) ، (١٢ / ٣٥٨) .

(٦) انظر : صحيح سنن الترمذي (٣ / ١٦، رقم ٢٥٥٤) .

عطاء بن يزيد الليثي عن أبي هريرة ﷺ ، في كتاب التفسير ، باب قوله تعالى : ﴿ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ﴾ [(١)] (٦ / ٤٥٧ ، رقم ١١٤٨٨) .

ثم روى أوله من الطريق المتقدم ، في الكتاب ذاته ، باب قوله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [(٢)] (٦ / ٥٠٤ ، رقم ١١٦٣٧) .

كما أخرج الإمام النسائي – رحمه الله – هذا الحديث في سننه الصغرى ، من الطريق السابق نفسه ، في كتاب التطبيق ، باب موضع السجود (٢ / ٢٢٩ ، رقم ١١٤٠) ، وصحّحه الألباني [(٣)] رحمه الله .

رابعاً – الإمام ابن ماجه رحمه الله :

وقد أخرج هذا الحديث في سننه ، من طريق : حسان بن عطية عن سعيد بن المسيّب عن أبي هريرة ﷺ ، في كتاب الزهد ، باب صفة الجنة (٢ / ١٤٥١ ، رقم ٤٣٣٦) ، وساقه بلفظ الترمذي المتقدم ، في كتاب صفة الجنة ، باب ما جاء في سوق الجنة (رقم ٢٥٤٩) ، وحكم عليه الألباني – رحمه الله – بالضعف [(٤)] .

ثم أخرج أوله ، من طريق : الأعمش عن أبي صالح السمّان عن أبي هريرة ﷺ ، في مقدمة كتابه ، باب فيما أنكرت الجهمية [(٥)] (١ / ٦٣ ، رقم ١٧٨) ، بلفظ : "تُضَامُونَ" ، وصحّحه الألباني [(٦)] رحمه الله .

---

(١) سورة الجاثية ، من الآية : ٢٨ .

(٢) سورة القيامة ، الآيات : ٢٢– ٢٣ .

(٣) انظر : صحيح سنن النسائي ، محمد بن ناصر الدين الألباني ،ط١(الرياض : مكتبة المعارف ، ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م) ، (١ / ٣٧١ ، رقم ١١٣٩) .

(٤) انظر : ضعيف سنن ابن ماجه ، محمد بن ناصر الدين الألباني ، ط١ (الرياض : مكتبة المعارف ، ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م) ، (ص ٣٦٣ ، رقم ٥٠٠١) .
وسبب التضعيف هو : وجود عبد الحميد بن حبيب بن أبي العشرين في إسناده ، وقد تقدم الحديث عنه .

(٥) الجهمية : هم أتباع الجهم بن صفوان الذي قال بالإجبار والاضطرار إلى الأعمال ، وزعم أن الإيمان : هو المعرفة بالله تعالى فقط ، وأن الكفر : هو الجهل به فقط .
ومن ضلالاته الأخرى : القول بفناء الجنة والنار ، وأن كلام الله تعالى مخلوق . انظر : مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، علي بن إسماعيل الأشعري ، تحقيق : هلموت ريتر ، ط٣ (بيروت : دار إحياء التراث العربي ، د.ت) ، (ص ١٣٢) . والفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية ، عبد القاهر بن طاهر البغدادي ، ط٢ (بيروت : دار الآفاق الجديدة ، ١٩٧٧م) ، (ص ١٩٩– ٢٠٠) .

(٦) انظر : صحيح سنن ابن ماجه (١ / ٧٧ ، رقم ١٤٨) .

كما روى الإمام ابن ماجه – رحمه الله – حديث الجهنميين ، من طريق : ابن شهاب الزُهري عن عطاء بن يزيد الليثي عن أبي هريرة ﷺ ، في كتاب الزهد ، باب صفة النار (٢ / ١٤٤٦، رقم ٤٣٢٦) ، وصحّحه الألباني [١] رحمه الله .

خامساً – الإمام أحمد رحمه الله :

وقد أخرج هذا الحديث في مواطن عدة من مسنده .

فرواه مطوّلاً ، من طريق : ابن شهاب الزُهري عن عطاء بن يزيد الليثي عن أبي هريرة ﷺ ، كما في (١٣/ ١٤٣- ١٤٦ ، رقم ٧٧١٧) ، و (١٣ / ٣٠٣- ٣٠٧ ، رقم ٧٩٢٧) ، بأسانيد صحيحة [٢] .

ثم ساق الإمام أحمد – رحمه الله – الحديث مع زيادة أخرجها بلفظ الترمذي المتقدم ، في كتاب صفة الجنة ، باب ما جاء في خلود أهل الجنة وأهل النار (رقم ٢٥٥٧) ، من طريق : العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة ﷺ ، في (١٤ / ٤١٣- ٤١٥ ، رقم ٨٨١٧) ،وقد ذكر محققو المسند أن رجال إسنادي هذا الحديث رجال الصحيح [٣] .

كما روى أوله ، من طريق : مصعب بن محمد بن شُرحبيل [٤] عن أبي صالح السمّان عن أبي هريرة ﷺ ، في (١٥ / ٢٤- ٢٥ ، رقم ٩٠٥٨) ، ووصف محققو المسند إسناده بقولهم : " قوي رجاله ثقات " [٥] .

سادساً – الإمام الدارمي [٦] رحمه الله :

وقد أخرج هذا الحديث في سننه مختصراً ، من طريق : محمد بن

---

(١) انظر : صحيح سنن ابن ماجه (٣ / ٤٠٧ ، رقم ٣٥٠٨) .

(٢) انظر : مسند الإمام أحمد – ط ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م - (١٣ / ١٤٦ ، رقم ٧٧١٧ ، هامش ٤) ، و (١٣ / ٣٠٧ ، رقم ٧٩٢٧ ، هامش ١) .

(٣) انظر : المرجع السابق (١٤ / ٤١٥ ، رقم ٨٨١٧ ، هامش ١) .

(٤) هو : مصعب بن محمد بن شرحبيل القرشي ، لا بأس به . انظر : تهذيب الكمال (٢٨ / ٤٢- ٤٣) . وتقريب التهذيب (ص ٥٣٣) .

(٥) مسند الإمام أحمد – ط١٤١٧هـ = ١٩٩٧م - (١٥ / ٢٥ ، رقم ٩٠٥٨ ، هامش ١) .

(٦) هو : عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي ، أبو محمد ، الحافظ الإمام ، أحد الأعلام ، كان أحد الرحالين في الحديث والموصوفين بحفظه وجمعه ، مع الثقة ، والصدق ، والورع ،من تصانيفه : (الجامع) ، و (السنن) ، توفي سنة ٢٥٥هـ . انظر : تاريخ بغداد ، أحمد بن علي البغدادي ، د.ط (بيروت : دار الكتب العلمية ، د.ت) ، (١٠ / ٢٩- ٣١) . وسير أعلام النبلاء ، محمد بن أحمد الذهبي ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ؛ ومحمد نعيم عرقسوسي ، ط٩ (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤١٣هـ) ، (١٢ / ٢٢٤- ٢٣٢) .

إسحاق [(١)] عن سعيد بن يسار [(٢)] عن أبي هريرةﷺ، في كتاب الرّقاق ، بـــاب في سجود المؤمنين يوم القيامة (٣ / ١٨٤٨، رقم ٢٨٤٥) ، وقال الشيخ حسين ســـليم أســـد في تحقيقه لأحاديث الكتاب : " إسناده صحيح " [(٣)] .

كما ساق أوله ، من طريق : ابن شهاب الزُهري عن سعيد بن المسيّب وعطاء بن يزيد الليثي عـــن أبي هريرة ﷺ ، فـــي الكتـــاب السابـــق ، بـــاب النظـــر إلـــى الله تعـــالى (٣ / ١٨٤٦- ١٨٤٧، رقم ٢٨٤٣) ، بلفظ " هَلْ تُمَارُونَ " ، وقد حكم المحقق علـــى إسناده فقال : " صحيح " [(٤)] .

ثم أورد الإمام الدارمي – رحمه الله – آخر الحديث ، من طريق : محمد بن عمرو [(٥)] عن أبي سلمة [(٦)] عن أبي هريرة ﷺ ، في الكتاب السابق ، بـــاب أدنى أهل الجنة مـــترلاً (٣ / ١٨٦٩ ، رقم ٢٨٧١) ، " وإسناده حسن " كما قال محققه [(٧)] .



(١) هو : محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي ، أبو بكر ، وقيل : أبو عبد الله ، إمام المغازي ، كان صدوقاً ، من بحور العلم ، وحديثه حسن وقد صححه جماعة ، توفي سنة ١٥٠هـــ ، وقيل : بعدهـــا . انظر : الكـــاشـــف (٢ / ١٥٦) . وتقريب التهذيب (ص ٤٦٧) .

(٢) هو : سعيد بن يسار ، أبو الحباب ، من علماء المدينـــة ، ثقة متقن ، توفي سنة ١١٧هـــ . انظر : الكاشـــف (١ / ٤٤٧) . وتقريب التهذيب (ص٢٤٣) .

(٣) مسند الدارمي (سنن الدارمي) ، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، تحقيـــق : حـــسين ســـليم أســـد ، ط١ (الرياض : دار المغني ، ١٤٢١هـــ = ٢٠٠٠م) ، (٣ / ١٨٤٨ ، رقم ٢٨٤٥ ، هامش ٥) .

(٤) سنن الدارمي (٣ / ١٨٤٧ ، رقم ٢٨٤٣ ، هامش ١) .

(٥) هو : محمد بن عمرو بن علقمة الليثي ، أبو الحسن ، وقيل : أبو عبد الله ، صدوق له أوهـــام ، تـــوفي علـــى الصحيح سنة ١٤٥هـــ . انظر : تهذيب الكمال (٢٦/ ٢١٢- ٢١٨).وتقريب التهذيب (ص ٤٩٩) .

(٦) هو : إسماعيل ، وقيل : عبد الله بن عبد الرحمن بن عوف الزهري ، أبو سلمة ، ثقة مكثر ، توفي سنة ٩٤هـــ ، وقيل : غـــير ذلك . انظـــر : تهـــذيب التهـــذيب (١٢ / ١٢٧- ١٢٨) . وتقـــريب التهذيـــب (ص ٦٤٥) .

(٧) سنن الدارمي (٣ / ١٨٦٩ ، رقم ٢٨٧١ ، هامش ٣) .

المطلب الثاني

حديث أبي سعيد الخدري ﷺ

ومن الذين أخرجوا حديث أبي سعيد الخدري ﷺ في مصنّفاتهم :

أولاً – الإمام الترمذي رحمه الله :

وقد روى في جامعه أول هذا الحديث ، من طريق : الأعمش عن أبي صالح السمّان عن أبي سعيد الخدري ﷺ ، بلفظ : " أَتُضَامُونَ " ، في كتاب صفة الجنة ، باب منه (٤ / ٦٨٨ ، رقم ٢٥٥٤) ، ثم قال بإثره :" وحديث ابن إدريس [١] عن الأعمش غير محفوظ ، وحديث أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أصحّ ، وقد روي عن أبي سعيد عن النبي ﷺ من غير هذا الوجه مثل هذا الحديث ، وهو حديث صحيح " .

وذهب محققو مسند الإمام أحمد إلى عدم التسليم بإعلال الإمام الترمذي – رحمه الله – لحديث عبد الله بن إدريس بكونه غير محفوظ ؛ وذلك لمتابعة الثقة أبي بكر بن عيّاش [٢] له ، كما أنه لا يوجد ما يمنع من أن يكون أبو صالح السمّان قد سمعه من أبي هريرة ومن أبي سعيد – رضي الله عنهما – ثم روى الحديث عن كليهما من طرق أخرى [٣] .

كما أخرج الإمام الترمذي – رحمه الله – حديث الجهنميين ، من طريق : زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري ﷺ ، في كتاب صفة جهنم ، باب منه (٤ / ٧١٤ ، رقم ٢٥٩٨) ، وحكم عليه فقال : " هذا حديث حسن صحيح " ، وصحّحه الألباني [٤] رحمه الله .

ثم روى القطعة الأخيرة من الحديث ، من الطريق السابق ، في كتاب صفة الجنة ، باب (٤ / ٦٨٩ ، رقم ٢٥٥٥) ، وقال : " هذا حديث حسن صحيح " ، وصحّحه

---

(١) هو : عبد الله بن إدريس بن يزيد الأودي ، أبو محمد ، ثقة فقيه عابد ، روى له الجماعة ، توفي سنة ١٩٢هـ . انظر : التاريخ الكبير (٥ / ٤٧) . وتقريب التهذيب (ص ٢٩٥) .

(٢) هو : أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدي ، واسمه : كنيته ، مولى واصل الأحدب ، ثقة عابد ، روى له الجماعة ، توفي سنة ١٩٤هـ . انظر : تهذيب التهذيب (١٢ / ٣٧- ٣٩) . وتقريب التهذيب (ص ٦٢٤) .

(٣) انظر : مسند الإمام أحمد – ط١٤١٨هـ = ١٩٩٧م – (١٧ / ١٩٥ ، رقم ١١١٢٠ ، هامش ٢) .

(٤) انظر : صحيح سنن الترمذي (٣ / ٣١ ، رقم ٢٥٩٨) .

الألباني [(١)] رحمه الله .

ثانياً – الإمام النسائي رحمه الله :

وقد روى هذا الحديث في سننه الصغرى مختصراً ، من طريق : ابن شهاب الزُهري عن عطاء بن يزيد الليثي عن أبي سعيد الخدري ﷺ ، في كتاب التطبيق ، باب موضع السجود (٢ / ٢٢٩، رقم ١١٤٠) ، وصحّحه الألباني [(٢)] رحمه الله .

ثالثاً – الإمام ابن ماجه رحمه الله :

وقد روى في سننه أول هذا الحديث ، من طريق : الأعمش عن أبي صالح السمّان عن أبي سعيد الخدري ﷺ ، في المقدمة ، باب فيما أنكرت الجهمية (١ / ٦٣ ، رقم ١٧٩) ، بلفظ: " تُضَامُونَ " ، وصحّحه الألباني [(٣)] رحمه الله .

كما أخرج طرفاً منه ، من طريق : عبيد الله بن المغيرة [(٤)] عن سليمان بن عمرو العتواري [(٥)] عن أبي سعيد الخدري ﷺ ، في كتاب الزهد ، باب ذكر البعث (٢ / ١٤٣٠، رقم ٤٢٨٠) ، وهو قوله ﷺ :" يُوضَعُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ جَهَنَّمَ عَلَى حَسَكٍ : كَحَسَكِ السَّعْدَانِ ، ثُمَّ يَسْتَجِيزُ النَّاسُ : فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ ، وَمَخْدُوجٌ [(٦)] بِهِ ثُمَّ نَاجٍ ، وَمُحْتَبَسٌ بِهِ ، وَمَنْكُوسٌ فِيهَا " ، وصحّحه الألباني [(٧)] رحمه الله .

ثم روى الإمام ابن ماجه – رحمه الله – حديث الجهنميين ، من طريق : سعيد بن يزيد

---

(١) انظر : صحيح سنن الترمذي (٣ / ١٧، رقم ٢٥٥٥) .

(٢) انظر : صحيح سنن النسائي (١ / ٣٧١ ، رقم ١١٣٩) .

(٣) انظر : صحيح سنن ابن ماجه (١ / ٧٨ ، رقم ١٤٩) .

(٤) هو : عبيد الله بن المغيرة بن معيقيب السبئي ، أبو المغيرة ، من مهاجرة الحبشة ، صدوق ، روى له : الترمذي وابن ماجه ، توفي سنة ١٣١هـ . انظر : الجرح والتعديل ، عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي ، ط١ (بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٢٧١هـ = ١٩٥٢م) ، (٥ / ٣٣٣) . وتقريب التهذيب (ص ٣٧٤) .

(٥) هو : سليمان بن عمرو العتواري الليثي ، أبو الهيثم ،كان يتيماً في حجر أبي سعيد الخدري ﷺ ، ثقة ، روى له الأربعة . انظر : الثقات ، محمد بن حبان البستي ، تحقيق : السيد شرف الدين أحمد ، ط١ (بيروت : دار الفكر ، ١٣٩٥هـ = ١٩٧٥م) ، (٤ / ٣١٦) . وتقريب التهذيب (ص٢٥٣) .

(٦) مخدوج : الخداج : هو النقصان ، مثل : خداج الناقة إذا ولدت ولداً ناقص الخلق أو لغير تمام . انظر : غريب الحديث لابن سلام (١ / ٦٥) . وتفسير غريب ما في الصحيحين (ص ٣٧٠) .

(٧) انظر : صحيح سنن ابن ماجه (٣ / ٣٩٣ ، رقم ٣٤٧٢) .

عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري ﷺ ، في الكتاب السابق ، باب ذكر الشفاعة (٢ / ١٤٤١ ، رقم ٤٣٠٩) ، وقد حكم عليه الألباني – رحمه الله – بالصحة [(١)] .

رابعاً – الإمام أحمد رحمه الله :

وقد روى هذا الحديث في مسنده مطوّلاً ، من طريق : زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري ﷺ ، كما في (١٧ / ٢٠٢- ٢٠٤ ، رقم ١١١٢٧) ، بإسناد حسن [(٢)] .

ثم أورده مختصراً ، من طريق : عبيد الله بن المغيرة عن سليمان بن عمرو العتواري عن أبي سعيد الخدري ﷺ ، في(١٧ / ١٤١- ١٤٣ ، رقم ١١٠٨١)،وقد جاء عنده بلفظ : " يُوضَعُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ ، عَلَيْهِ حَسَكٌ : كَحَسَكِ السَّعْدَانِ ، ثُمَّ يَسْتَجِيزُ النَّاسُ : فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ ، وَمَجْدُوحٌ [(٣)] بِهِ ثُمَّ نَاجٍ ، وَمُحْتَبَسٌ بِهِ ؛ فَمَنْكُوسٌ فِيهَا ، فَإِذَا فَرَغَ اللَّهُ ﷻ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ ؛ يَفْقِدُ الْمُؤْمِنُونَ رِجَالاً كَانُوا مَعَهُمْ فِي الدُّنْيَا ، يُصَلُّونَ بِصَلَاتِهِمْ ، وَيُزَكُّونَ بِزَكَاتِهِمْ ، وَيَصُومُونَ صِيَامَهُمْ ، وَيَحُجُّونَ حَجَّهُمْ ، وَيَغْزُونَ غَزْوَهُمْ ، فَيَقُولُونَ : أَيْ رَبَّنَا ، عِبَادٌ مِنْ عِبَادِكَ كَانُوا مَعَنَا فِي الدُّنْيَا : يُصَلُّونَ صَلَاتَنَا ، وَيُزَكُّونَ زَكَاتَنَا ، وَيَصُومُونَ صِيَامَنَا ، وَيَحُجُّونَ حَجَّنَا ، وَيَغْزُونَ غَزْوَنَا لَا نَرَاهُمْ ، فَيَقُولُ : اذْهَبُوا إِلَى النَّارِ ؛ فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِيهَا مِنْهُمْ فَأَخْرِجُوهُ " ،قال:" فَيَجِدُونَهُمْ قَدْ أَخَذَتْهُمُ النَّارُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ : فَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَى قَدَمَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَزِرَتْهُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَى ثَدْيَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَى عُنُقِهِ ، وَلَمْ تَغْشَ الْوُجُوهَ ؛ فَيَسْتَخْرِجُونَهُمْ مِنْهَا ، فَيُطْرَحُونَ فِي مَاءِ الْحَيَاةِ " ، قيل : يا رسول الله ، وما الحياة ؟ قال : " غُسْلُ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؛ فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الزَّرْعَةِ " ، وقال مرةً : " فِيهِ كَمَا تَنْبُتُ الزَّرْعَةُ فِي غُثَاءِ السَّيْلِ ، ثُمَّ يَشْفَعُ الْأَنْبِيَاءُ فِي كُلِّ مَنْ كَانَ يَشْهَدُ : أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصاً ؛ فَيُخْرِجُونَهُمْ مِنْهَا " ، قال : " ثُمَّ يَتَحَنَّنُ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ عَلَى مَنْ فِيهَا ؛ فَمَا يَتْرُكُ فِيهَا عَبْداً فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ إِلَّا أَخْرَجَهُ مِنْهَا " .

---

(١) انظر : صحيح سنن ابن ماجه (٣ / ٤٠٢ ، رقم ٣٤٩٧) .

(٢) انظر : مسند الإمام أحمد – ط١٤١٨هـ = ١٩٩٧م – (١٧ / ٢٠٤ ، رقم ١١١٢٧، هامش ٦) .

(٣) مجدوح : الجدح : هو كل ما خلط . انظر : لسان العرب ، مادة (جدح) ، (٢ / ٤٢١) . وتاج العروس ، مادة (جدح) ، (٦ / ٣٣٤) .

وإسناده حسن [١] .

كما أخرج الإمام أحمد – رحمه الله – أول الحديث ، من طريق : الأعمش عن أبي صالح السمّان عن أبي سعيد الخدري ﷺ ، في (١٧ / ١٩١- ١٩٥، رقم ١١١٢٠) ، وإسناده صحيح على شرط البخاري [٢] .

ثم ساق حديث الجهنميين ، من طرق عديدة ، فيما يلي بيانها :

١- من طريق : سليمان التيمي [٣] عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري ﷺ ، كما في (١٧ / ٥٩- ٦٠ ، رقم ١١٠١٦) ، " بإسناد صحيح على شرط مسلم " [٤] .

٢- ومن طريق : سعيد بن يزيد عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري ﷺ ، في (١٧ / ١٣٤- ١٣٥ ، رقم ١١٠٧٧) ، و (١٨ / ٢٧١- ٢٧٢ ، رقم ١١٧٤٦) ، بإسنادين صحيحين على شرط مسلم [٥] .

٣- ومن طريق : إسماعيل بن مسلم [٦] عن أبي المتوكل[٧] عن أبي سعيد الخدري ﷺ ، كما في (١٨ / ٣٠- ٣١ ، رقم ١١٤٤١) ، وإسناده صحيح على شرط مسلم [٨] .

٤- ومن طريق : الأسود بن قيس [٩] عن نبيح العنزي [١٠] عن أبي سعيد الخدري ﷺ ، في (١٨ / ٣١ ، رقم ١١٤٤٢) ، وإسناده صحيح رجاله ثقات [١١] .

---

(١) انظر : مسند الإمام أحمد – ط١٤١٨هـ = ١٩٩٧م – (١٧ / ١٤٣ ، رقم ١١٠٨١ ، هامش ٢) .

(٢) انظر : المرجع السابق (١٧ / ١٩٥ ، رقم ١١١٢٠، هامش ٢) .

(٣) هو : سليمان بن طرخان التيمي البصري ، أبو المعتمر ، أحد سادة التابعين علماً وعملاً ، ثقة ، توفي سنة ١٤٣هـ . انظر : تقريب التهذيب (ص٢٥٢) . ولسان الميزان (٧ / ٢٣٧) .

(٤) مسند الإمام أحمد – ط١٤١٨هـ = ١٩٩٧م – (١٧ / ٦٠ ، رقم ١١٠١٦ ، هامش ٤) .

(٥) انظر : المرجع السابق (١٧ / ١٣٥، رقم ١١٠٧٧ ، هامش ٥) ، و (١٨ / ٢٧٢ ، رقم ١١٧٤٦ ، هامش ١) .

(٦) هو : إسماعيل بن مسلم العبدي البصري ، أبو محمد ، قاضي قيس ، ثقة . انظر : تهذيب الكمال (٣ / ١٩٦- ١٩٨) . والكاشف (١ /٢٥٠) .

(٧) هو : علي بن داود الناجي البصري ، أبو المتوكل ، مشهور بكنيته ، ثقة ، توفي سنة ١٠٨هـ . انظر : الكاشف (٢ / ٣٩) . وتقريب التهذيب (ص٤٠١) .

(٨) انظر : مسند الإمام أحمد – ط١٤١٨هـ = ١٩٩٧م – (١٨ / ٣١ ، رقم ١١٤٤١ ، هامش ٢) .

(٩) هو : الأسود بن قيس العبدي ، أبو قيس ، ثقة . انظر : تهذيب التهذيب (١ / ٢٩٨) . وتقريب التهذيب (ص١١١) .

(١٠) هو : نبيح بن عبد الله العنزي ، أبو عمرو ، ثقة . انظر : الجرح والتعديل (٨ / ٥٠٨) . والثقات (٥ / ٤٨٤- ٤٨٥) .

(١١) انظر : مسند الإمام أحمد – ط١٤١٨هـ = ١٩٩٧م – (١٨ / ٣١ ، رقم ١١٤٤٢، هامش ٣) .

٥- ومن طريق : عمرو بن يحيى المازني عن أبيه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، كما في (١٨ / ٩١- ٩٢ ، رقم ١١٥٣٣) ، " وإسناده صحيح على شرط الشيخين " [(١)] .

٦- ومن طريق : أبي الزبير [(٢)] عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، في (١٨ / ٢٥٩- ٢٦٠ ، رقم ١١٧٣٢) ، و (١٨ / ٣٦٣ ، رقم ١١٨٥٦) ، وإسناداهما ضعيفان ؛ لضعف ابن لهيعة [(٣)] [(٤)] .

٧- ومن طريق : ابن جريج [(٥)] عن أبي الزبير عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، كما في (١٨/ ٣٦٣ ، رقم ١١٨٥٥) ، وإسناده ضعيف ؛ لانقطاعه [(٦)] .

٨- ومن طريق : عوف بن رزينة [(٧)] عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، في (١٨/ ٣٦٤ ، رقم ١١٨٥٧) ، وإسناده صحيح على شرط مسلم [(٨)] .

٩- ومن طريق : زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، كما في (١٨/ ٣٩٤- ٣٩٦ ، رقم ١١٨٩٨) ، " وإسناده صحيح على شرط الشيخين " [(٩)] .

خامساً – الإمام الدارمي رحمه الله :

وقد روى في سننه حديث الجهنميين ، من طريق : سعيد بن يزيد عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، في كتاب الرّقاق ، باب ما يخرج الله من النار برحمته

---

(١) مسند الإمام أحمد – ط١٤١٨هـ = ١٩٩٧م – (١٨ / ٩٢ ، رقم ١١٥٣٣، هامش ١) .

(٢) هو : محمد بن مسلم بن تدرس الأسدي ، أبو الزبير ، مولى حكيم بن حزام ، حافظ ثقة ، توفي سنة ١٢٦هـ . انظر : الكاشف (٢ / ٢١٦) . وتقريب التهذيب (ص ٥٠٦) .

(٣) هو : عبد الله بن لهيعة بن عقبة الحضرمي ، أبو عبد الرحمن ، قاضي مصر ،ضعيف ، توفي سنة ١٧٤هـ . انظر : الضعفاء والمتروكين ، أحمد بن شعيب النسائي ، تحقيق : محمود إبراهيم زايد ، ط١ (حلب : دار الوعي ، ١٣٩٦هـ) ، (ص ٦٤) . والمجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين ، محمد بن حيان البستي ، تحقيق : محمود إبراهيم زايد ، ط١ (حلب : دار الوعي ، ١٣٩٦هـ) ، (٢ / ١١- ١٤) .

(٤) انظر : مسند الإمام أحمد – ط ١٤١٨هـ = ١٩٩٧م – (١٨/٢٦٠ ، رقم ١١٧٣٢ ، هامش ٤) ، و(١٨/ ٣٦٣ ، رقم ١١٨٥٦، هامش ٢) .

(٥) هو : عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموي ، أبو خالد ، وقيل : أبو الوليد ، ثقة فقيه فاضل ، وكان يدلس ويرسل ، توفي سنة ١٥٠هـ . انظر : تقريب التهذيب (ص٣٦٣).ولسان الميزان (٧ / ٢٩٢) .

(٦) انظر : مسند الإمام أحمد – ط١٤١٨هـ = ١٩٩٧م – (١٨/ ٣٦٣ ، رقم ١١٨٥٥، هامش ١) .

(٧) هو : عوف بن رزينة العبدي البصري ، أبو سهل ، ثقة ، توفي سنة ١٤٦هـ . انظر : تهذيب التهذيب (٨ / ١٤٨) . وتقريب التهذيب (ص٤٣٣) .

(٨) انظر : مسند الإمام أحمد – ط١٤١٨هـ = ١٩٩٧م – (١٨/ ٣٦٤ ، رقم ١١٨٥٧ ، هامش ١) .

(٩) سنن الدارمي (١٨/ ٣٩٦ ، رقم ١١٨٩٨ ، هامش ١) .

(٣ / ١٨٥٨– ١٨٥٩ ، رقم ٢٨٥٩) ، وحكم محققه على إسناده فقال : " صحيح " [١] .

ويظهر من خلال ما سبق :

أن حديثي أبي هريرة وأبي سعيد الخدري - رضي الله عنهما - من الأحاديث الصحيحة التي رواها جمع كثير من أئمة السنة في كثير من دواوين الإسلام ، وقد جاءا عنهم من طرق متعددة ، وبألفاظ متقاربة ومختلفة .

(١) سنن الدارمي (٣ / ١٨٥٩، رقم ٢٨٥٩ ، هامش ٣) .

الباب الأول

الباب الأول

المباحث المتعلّقة بالإيمان بالله تعالى

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : دلالة الحديثين على توحيد الربوبية

الفصل الثاني : دلالة الحديثين على توحيد الألوهية

الفصل الثالث: دلالة الحديثين على توحيد الأسماء والصفات



الفصل الأول

الفصل الأول

دلالة الحديثين على توحيد الربوبية

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : تعريف توحيد الربوبية

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : تعريف التوحيد

المطلب الثاني : تعريف الربوبية

المبحث الثاني : دلالة الحديثين على بعض خصائص الربوبية

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : الملك

المطلب الثاني : الخلق

المطلب الثالث : التدبير

المطلب الرابع : العطاء

المبحث الأول

تعريف توحيد الربوبية

المطلب الأول : تعريف التوحيد

التوحيد في اللغة :

مصدر من الفعل : وحّد يوحّد توحيداً ، وقد أورد أصحاب المعجمات العربية عدة تعريفات لغوية للفظة التوحيد ، منها :

قول ابن فارس [١] : " الواو ، والحاء ، والدال أصل واحد يدل على الانفراد ، من ذلك الوحدة ، وهو واحد قبيلته إذا لم يكن فيهم مثله .

قال بشار بن برد [٢] :

يَا وَاحِدَ العُرب الذي أَمْسَى ولَيْس له نَظِير [٣] " [٤] .

فمعنى التوحيد إذن :

الوحدة والانفراد ؛ وعدم وجود نظير أو مثيل للشيء فيما هو واحد فيه .

---

(١) هو : أحمد بن فارس بن زكريا الرازي ، أبو الحسين ، أحد رجال خراسان ، وعلمائها ، وأدبائها ، غلب عليه علم الفقه ولسان العرب ؛ فاشتهر به ، وكان ممن رزق حسن التصنيف ، له من المؤلفات : (مجمل اللغة) ، و (معجم مقاييس اللغة) ، توفي سنة ٣٩٥هـ . انظر : ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، عياض بن موسى اليحصبي ، تحقيق : محمد سالم هاشم ، ط١ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٨هـ = ١٩٩٨م) ، (٢ / ٢٢٠). إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (معجم الأدباء) ، ياقوت بن عبد الله الحموي ، ط١ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١١هـ = ١٩٩١م) ، (١ / ٥٣٣- ٥٤٥) .

(٢) هو : بشار بن برد بن يرجوخ العقيلي ، أبو معاذ ، من الشعراء المحدثين ، اتهم بالزندقة عند الخليفة المهدي ؛ فأمر به وقتل سنة ١٦٧هـ . انظر : تاريخ بغداد (٧ / ١١٢ – ١١٨) . ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، أحمد بن محمد بن خلكان ، تحقيق : إحسان عباس ، د.ط (لبنان : دار الثقافة ، د.ت) ، (١ / ٢٧٢ – ٢٧٤) .

(٣) ديوان بشار بن برد ، بشار بن برد العقيلي ، تحقيق : محمد الطاهر بن عاشور ، د.ط (القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، ١٣٨٦هـ = ١٩٦٦م) ، (٤ / ٧٠) .

(٤) معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، ط٢ (بيروت : دار الجيل ، ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م) ، مادة (وحد) ، (٦ /٩٠) .

والتوحيد على وزن تفعيل .

ويحسن أن أشير هنا إلى ما قرّره السّفّاريني [١] – رحمه الله – بقوله : " والتوحيد تفعيل للنسبة : كالتصديق والتكذيب لا للجعل ، فمعنى وحّدت الله : نسبت إليه الوحدانية لا جعلته واحداً ؛ فإن وحدانية الله ذاتية له ليست بجعل جاعل " [٢] .

والذي يظهر – والله تعالى أعلم – :

أنه لا إشكال في تعريف التوحيد : بأنه جعل الشيء واحداً ، وأن يقال : وحّدت الله تعالى ، أي جعلته واحداً ؛ لأن الجعل هاهنا بمعنى :الاعتقاد ، والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ﴾ [٣] .

قال الحافظ ابن كثير [٤] – رحمه الله – : " أي اعتقدوا فيهم ذلك " [٥] .

التوحيد في الاصطلاح :

أورد أهل العلم تعريفات عدة للتوحيد،وبتأملها يلحظ أنها تحمل أنواع التوحيد الثلاثة : الربوبية ، والألوهية ، والأسماء والصفات .

ومن هذه التعريفات :

---

(١) هو : محمد بن أحمد بن سالم السفاريني ، أبو العون ، محدث فقيه ، أصولي مؤرخ ،مشارك في بعض العلوم ، رحل إلى دمشق ؛ فأخذ عن علمائها ، من تصانيفه الكثيرة : (البحور الزاخرة) ، و (لوامع الأنوار) ، توفي سنة ١١٨٨هـ . انظر : الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، خير الدين الزركلي ، ط١٥ (بيروت : دار العلم للملايين ، ٢٠٠٢م) ، (٦ / ١٤) . ومعجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية ، عمر رضا كحالة ، د.ط (بيروت : مؤسسة الرسالة ، د.ت) ، (٣ / ٦٥) .

(٢) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية ، محمد بن أحمد السفاريني ، ط٢ (دمشق : مؤسسة الخافقين ومكتبتها ، ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م) ، (١ / ٥٦- ٥٧) .

(٣) سورة الزخرف ، من الآية : ١٩ .

(٤) هو : إسماعيل بن عمر بن كثير البصروي ، أبو الفداء ، فقيه متفنن ، ومحدث متقن ، ومفسر نقال ، له تصانيف مفيدة ، منها : (البداية والنهاية) ، و (تفسير القرآن العظيم) ، توفي سنة ٧٧٤هـ . انظر : المعجم المختص بالمحدثين ، محمد بن أحمد الذهبي ، تحقيق : د. محمد الحبيب الهيلة ، ط١ (الطائف : مكتبة الصديق ، ١٤٠٨هـ) ، (ص ٧٤- ٧٥) . والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، محمد بن علي الشوكاني ، د.ط (بيروت : دار المعرفة ، د.ت) ، (١ / ١٥٣) .

(٥) تفسير القرآن العظيم ، إسماعيل بن عمر بن كثير ، د.ط (بيروت : دار الفكر ، ١٤٠١هـ) ، (٤ / ١٢٦) .

١– قال السّفّاريني – رحمه الله – في تعريف التوحيد : " إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته : ذاتاً ، وصفاتاً ، وأفعالاً " [(١)] .

٢– وعرّفه الشيخ سليمان آل الشيخ [(٢)] – رحمه الله – بأنه اعتقاد : " أن الله واحد في ملكه وأفعاله ؛ لا شريك له ، وواحد في ذاته وصفاته ؛ لا نظير له ، وواحد في إلهيته وعبادته ؛ لا ندّ له " [(٣)] .

٣– وقال الشيخ السّعدي [(٤)] – رحمه الله – هو : " العلم والاعتراف بتفرد الرب بصفات الكمال ، والإقرار بتوحّده بصفات العظمة والجلال ؛وإفراده وحده بالعبادة " [(٥)] .

٤– وعرّفه الشيخ العثيمين [(٦)] – رحمه الله – تعريفاً عاماً ، فقال : " إفراد الله تعالى بما يختص به " [(٧)] .

---

(١) لوامع الأنوار (١ / ٥٧) .

(٢) هو: سليمان بن عبد الله بن عبد الوهاب آل الشيخ،من حفدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب،فقيه من أهل نجد، كان بارعاً في التفسير ، والحديث ، والفقه ، من مؤلفاته : (أوثق عرى الإيمان) ، و (تيسير العزيز الحميد) ، توفي مقتولاً على أيدي جنود إبراهيم باشا سنة ١٢٣٣هـ . انظر : الأعلام (٣ / ١٢٩) ، ومعجم المؤلفين (١ / ٧٩٣) .

(٣) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ، سليمان بن عبد الله آل الشيخ ،تحقيق :محمد أيمن الشبراوي ، ط١ (بيروت : عالم الكتب ، ١٩٩٩م) ، (ص ٢٦) .

(٤) هو : عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي ، أبو عبد الله ، نشأ يتيماً ، واسترعى الأنظار منذ حداثة سنه بذكائه ورغبته الشديدة في العلوم ؛ حتى نال الحظ الأوفر : في الأصول ، والتوحيد ، والتفسير،والفقه ، ثم جلس للتدريس ، من مؤلفاته : (تيسير الكريم الرحمن) ، و (القول السديد) ، توفي سنة ١٣٧٦هـ . انظر : الأعلام (٣ / ٣٤٠) . وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، تحقيق : محمد زهري النجار ، ط١ (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م) ، (١ / ٥– ٩) .

(٥) القول السديد شرح كتاب التوحيد ، عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، تحقيق : صبري بن سلامة شاهين ، ط١ (الرياض : دار الثبات ، ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٤م) ، (ص ٣٩) .

(٦) هو : محمد بن صالح بن محمد العثيمين ، أبو عبد الله ، حفظ القرآن الكريم صغيراً ، ثم اتجه إلى طلب العلم فتعلم : التفسير ، والحديث ، والتوحيد ، والفقه ، والفرائض ، وكان عضواً في هيئة كبار العلماء بالمملكة ، له مؤلفات ، منها : (شرح العقيدة الواسطية) ، و (القواعد المثلى) ، توفي سنة ١٤٢١هـ . انظر : شرح ثلاثة الأصول ، محمد بن صالح العثيمين ، ط٢ (الرياض : دار الثريا ، ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م) ، (ص ٧ – ٩) . وشرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد ، محمد بن صالح العثيمين ، تحقيق : أشرف بن عبد المقصود ، ط٣ (الرياض : مكتبة أضواء السلف ، ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م) ، (ص ١٣– ١٥) .

(٧) شرح ثلاثة الأصول (ص ٣٣) .

ويتبيّن مما سبق :

أن المعنى الاصطلاحي للتوحيد عند أهل السنة يتفق مع المعنى اللغوي العـــام ؛ فكـــل التعريفات كانت دالة على تفرد الله سبحانه بما لا يشابهه أو يشاركه فيه غيره .

المطلب الثاني

تعريف الربوبية

الربوبية في اللغة :

صفة ثابتة لله تعالى ؛ مشتقة من اسمه : (الرب) .

والرب في كلام العرب يطلق على معانٍ ، أشهرها ثلاثة :

المعنى الأول : مالك الشيء وصاحبه .

ومنه قولهم : " فلان رب هذا الشيء ، أي ملكه له ، وكل من ملك شيئاً فهو ربه ، يقال : هو رب الدابة ، ورب الدار ، وفلان رب البيت " (١) .

ومنه قوله تعالى : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٢) .

قال الإمام ابن جرير الطّبري (٣) – رحمه الله – : " والمالك للشيء يدعى : ربه " (٤) ، وكذلك قال عامة المفسّرين (٥) .

المعنى الثاني : السيد المطاع .

قال الأزهري (٦) : " العرب تقول : لأن يربّني فلان أحب إلي من أن يربّني فلان يعني:

---

(١) لسان العرب ، مادة (ربب) ، (١ / ٣٩٩) .

(٢) سورة الفاتحة ، الآية : ٢ .

(٣) هو : محمد بن جرير بن يزيد الطبري ، أبو جعفر ، رأس المفسرين على الإطلاق وأحد الأئمة ، جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره ، وكان حافظاً لكتاب الله تعالى ، بصيراً بالمعاني ، فقيهاً في أحكام القرآن ، من تصانيفه : (تهذيب الآثار) ، و (جامع البيان) ، توفي سنة ٣١٠هـ . انظر : لسان الميزان (٥ / ١٠٠- ١٠٢) . وطبقات المفسرين ، أحمد بن محمد الداودي ، تحقيق : سليمان بن صالح الخزي ، ط١ (المدينة المنورة : مكتبة العلوم والحكم ، ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م) ، (ص ٤٨- ٥١) .

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، محمد بن جرير الطبري ، د.ط (بيروت : دار الفكر ، ١٤٠٥هـ) ، (١ / ٦٢) .

(٥) انظر – على سبيل المثال – : تفسير الماوردي (النكت والعيون) ، علي بن محمد الماوردي ، تحقيق : السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، د.ط (بيروت : دار الكتب العلمية ، د.ت) ، (١ / ٥٤) . والجامع لأحكام القرآن ، محمد بن أحمد القرطبي ، د.ط (القاهرة : دار الشعب ، د.ت) ، (١ / ١٣٦) .

(٦) هو : محمد بن أحمد الأزهر بن طلحة الأزهري ، أبو منصور ، اللغوي الأديب ، كان فقيهاً صالحاً ، وغلب عليه علم اللغة ، من كتبه : (تهذيب اللغة) ، و (علل القراءات) ، توفي سنة ٣٧٠هـ . انظر : معجم الأدباء (٥ / ١١٢- ١١٣) . وطبقات الشافعية ، أبو بكر بن أحمد بن قاضي شهبة ، تحقيق : د. الحافظ عبد العليم خان ، ط١ (بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٧هـ) ، (١ / ١٤٤) .

أن يكون رباً فوقي وسيداً يملكني " [١] .

وقال ابن منظور [٢] : "ربيت القوم سستهم ، أي كنت فوقهم " [٣] .

ومنه قوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام: ﴿ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَاىَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [٤] .

قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله -: " وكانوا يطلقون الرب على السيد والكبير " [٥].

ومنه قوله ﷺ في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه : " إِذَا وَلَدَتْ الْأَمَةُ رَبَّهَا " [٦] .

قال الحافظ ابن حجر [٧] – رحمه الله – في شرح هذا الحديث : " والمراد بالرب : السيد " [٨] .

المعنى الثالث : المصلح للشيء ، القائم على تربيته .

---

(١) تهذيب اللغة ، مادة (رب) ، (١٥ / ١٢٨) .

(٢) هو : محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري ، أبو الفضل ، كان عارفاً بالنحو ،واللغة ، والتاريخ ، والكتابة ، واختصر كثيراً من كتب الأدب المطولة ، خدم في ديوان الإنشاء طول عمره ، وولي قضاء طرابلس ، من كتبه : (لسان العرب) ، و (مختصر مفردات ابن البيطار) ، توفي سنة ٧١١هـ . انظر : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، أحمد بن علي العسقلاني (ابن حجر) ، تحقيق : محمد عبد المعيد ضان ، ط٢ (حيدر آباد :مجلس دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م) ،(٦ / ١٥- ١٦) . وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، د.ط (صيدا : المكتبة العصرية ، د.ت) ، (١ / ٢٤٨) .

(٣) لسان العرب ، مادة (ربب) ، (١ / ٤٠٠) .

(٤) سورة يوسف ، من الآية : ٢٣ .

(٥) تفسير القرآن العظيم (٢ / ٤٧٤) .

(٦) أخرجه محمد بن إسماعيل البخاري في الجامع الصحيح المختصر (صحيح البخاري) ، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا ، ط٣ (اليمامة : دار ابن كثير ، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م) ، كتاب الإيمان ، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان (١ / ٢٧ ، رقم٥٠) . ومسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان (١ / ٣٩ ، رقم ٩) .

(٧) هو : أحمد بن علي بن محمد العسقلاني ، أبو الفضل ، المعروف بابن حجر ، حافظ الديار المصرية ، برع في الحديث وتقدم في جميع فنونه ، وقصر نفسه عليه : مطالعةً ، وقراءةً ، وإقراءً ، وتصنيفاً ، وإفتاءً ، من تصانيفه المشهورة : (الإصابة في تمييز الصحابة) ، و (فتح الباري) ، توفي سنة ٨٥٢هـ . انظر : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، محمد بن عبد الرحمن السخاوي ، د.ط (بيروت : دار مكتبة الحياة ، د.ت) ، (٢ / ٣٦ -٤٠) . وطبقات الحفاظ ، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، ط١ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٣هـ) ، (ص ٥٥٢- ٥٥٣) .

(٨) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي العسقلاني (ابن حجر) ، تحقيق : محب الدين الخطيب ، د.ط (بيروت : دار المعرفة ، د.ت) ، (١ / ١٢٢) .

" يقال : رب فلان ضيعته إذا قام على إصلاحها " [١] .

" ومنه قيل للحاضنة : رابّة وربيبة أيضاً " [٢] .

قال تعالى : ﴿ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم ﴾ [٣] .

قال الشوكاني [٤] – رحمه الله – : " الربيبة سمّيت بذلك ؛ لأنه يربّيها في حجره ؛ فهي مربوبة " [٥] .

وأمّا الرب بالألف واللام فلا يطلق إلا على الله ﷻ .

قال ابن منظور : " الرب هو الله ﷻ ، وهو رب كل شيء ، أي مالكه ، وله الربوبية على جميع الخلق ؛ لا شريك له ، وهو رب الأرباب ومالك الملوك والأملاك ، ولا يطلق غير مضاف إلا على الله ﷻ ؛ وإذا أطلق على غيره أضيف ، فقيل : رب كذا " [٦] .

وقال القرطبي [٧] – رحمه الله – : " متى أدخلت الألف واللام على لفظ (رب) ؛ اختص الله تعالى به ؛ لأنها للعهد ، وإن حذفتا منه ؛ صار مشتركاً بين الله وبين عباده ، فيقال : الله رب العباد ، وزيد رب الدار " [٨] .

ومما تقدم يتضح :

أن كلمة الرب معرّفة لا تطلق إلا على الله تعالى ، كما بيّن أهل اللغة والمفسّرون ؛ لأنه

---

(١) معجم مقاييس اللغة ، مادة (رب) ، (٢ / ٣٨١) .

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، أحمد بن محمد الفيومي ، د.ط(بيروت :المكتبة العلمية ، د.ت) ، (١ / ٢١٤) .

(٣) سورة النساء ، من الآية : ٢٣ .

(٤) هو : محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، أبو عبد الله ، مفسر محدث ، فقيه مجتهد ، من كبار علماء اليمن ، ولي قضاء صنعاء ، وكان يرى حرمة التقليد ، له ١١٤ مؤلفاً تقريباً ، منها : (البدر الطالع) ، و (نيل الأوطار) ، توفي سنة ١٢٥٠هـ . انظر : الأعلام (٦ / ٢٩٨) . ومعجم المؤلفين (٣ / ٥٤١- ٥٤٢) .

(٥) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، محمد بن علي الشوكاني ، د.ط (بيروت : دار الفكر ، د.ت) ، (١ / ٤٤٥) .

(٦) لسان العرب ، مادة (ربب) ، (١ / ٣٩٩) .

(٧) هو : محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي ، أبو عبد الله ، إمام متفنن متبحر في العلوم ، كانت أوقاته معمورة ما بين عبادة وتصنيف ، له مؤلفات مفيدة تدل على كثرة اطلاعه ووفور فضله ، منها : (التذكرة) ، و(الجامع لأحكام القرآن) ، توفي سنة ٦٧١هـ .انظر :الوافي بالوفيات ،خليل بن أيبك الصفدي ،تحقيق : أحمد الأرنؤوط ؛ وتركي مصطفى ، د.ط (بيروت : دار إحياء التراث ، ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م) ، (٢ / ٨٧) . والديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، إبراهيم بن علي بن فرحون ، د.ط (بيروت : دار الكتب العلمية ، د.ت) ، (ص ٣١٧- ٣١٨) .

(٨) الجامع لأحكام القرآن (١ / ١٣٧) .

هو الخالق ، الرازق ، المحيي ، المميت ، المالك للخلق كلهم ، المدبّر لأمرهم .

أمّا (الرب) من حيث إنه اسم من أسماء الله تعالى ، فمعناه كما يقول المقريزي [(١)] – رحمه الله – : " الخالق الموجد لعباده ؛ القائم بتربيتهم وإصلاحهم ؛ المتكفل بصلاحهم من خلق ، ورزق ، وعافية ، وإصلاح دين ودنيا " [(٢)] .

وقد نقل القرطبي – رحمه الله – عن بعض العلماء قولهم : " إن هذا الاسم – يعني : (الرب) –هو اسم الله الأعظم ؛ لكثرة دعوة الداعين به ،ولما يشعر به هذا الوصف من الصلة بين الرب والمربوب ، مع ما يتضمنه من العطف ، والرحمة ، والافتقار إليه في كل حال " [(٣)] .

توحيد الربوبية في الاصطلاح :

أمّا تعريف توحيد الربوبية في الاصطلاح ، فقد ذكر العلماء في تعريف هذا النوع من التوحيد عبارات ، منها :

١– قال شيخ الإسلام ابن تيمية [(٤)] – رحمه الله – : " فتوحيد الربوبية : أنه لا خالق إلا الله ؛ فلا يستقلّ شيء سواه بإحداث أمر من الأمور ؛ بل ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن " [(٥)] .

٢– وعرّفه السّفّاريني – رحمه الله – فقال : " فتوحيد الربوبية : أن لا خالق ، ولا

---

(١) هو : أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي ، أبو العباس ، جالس الأئمة ، وشارك في الفضائل ، وقال النظم والنثر ، وناب في الحكم ، وولي الحسبة بالقاهرة ، ثم اعتكف على الاشتغال بالتاريخ ؛ حتى اشتهر به ، من تصانيفه : (تجريد التوحيد المفيد) ، و (السلوك لمعرفة دول الملوك) ، توفي سنة ٨٤٥هـ . انظر : الضوء اللامع (٢ / – ٢٥) . والبدر الطالع (١ / ٧٩– ٨١) .

(٢) تجريد التوحيد المفيد ، أحمد بن علي المقريزي ، تحقيق : ياسين بن علي الحوشبي ، ط١ (اليمن : مكتبة الإمام الوادعي ، ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م) ، (ص ١٨) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١ / ١٣٧) .

(٤) هو : أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية ، أبو العباس ، شيخ الإسلام وعلم الأعلام ، أقبل على العلوم في صغره ؛ فبرع في أصول الدين وفروعه ، امتحن وأوذي مرات عدة ، من مصنفاته : (الإيمان) ، و (بيان تلبيس الجهمية) ، توفي معتقلاً بقلعة دمشق سنة ٧٢٨هـ . انظر : الوافي بالوفيات (٧ / ١١– ٢١) . والذيل على طبقات الحنابلة ، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، د.ط (القاهرة : مطبعة السنة المحمدية ، ١٣٧٢هـ = ١٩٥٢م) ، (٢ / ٣٨٧– ٤٠٨) .

(٥) مجموع الفتاوى (١٠ / ٣٣١) .

رازق ، ولا محيي ، ولا مميت ، ولا موجد ، ولا معدم إلا الله تعالى " (١) .

٣- وقال الشيخ سليمان آل الشيخ – رحمه الله – في تعريفه : " هو الإقرار بأن الله تعالى رب كل شيء ، ومالكه ، وخالقه ، ورازقه ؛ وأنه المحيي ، المميت ، النافع ، الضار ؛ المتفرد بإجابة الدعاء عند الاضطرار ؛ الذي له الأمر كله وبيده الخير كله ؛ القادر على ما يشاء ؛ ليس له في ذلك شريك " (٢) .

٤- وقال الشيخ حافظ حكمي (٣) – رحمه الله – : " هو الإقرار الجازم بأن الله تعالى رب كل شيء ، ومليكه ، وخالقه ، ومدبّره ، والمتصرف فيه ؛ لم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذلّ ، ولا راد لأمره ولا معقّب لحكمه ، ولا مضاد له ، ولا مماثل ، ولا سميّ له ، ولا منازع في شيء من معاني ربوبيته " (٤) .

ويخلص من تعريفات أهل العلم السابقة لتوحيد الربوبية :

أنه لا بد من الاعتقاد الجازم بأن الله ﷻ رب كل شيء ، ومليكه ، وخالق كل شيء ، والمتصرف في هذا الكون وحده لا شريك له ؛ أي أن الله سبحانه هو المتفرد بهذه الأفعال الثلاثة : وهي الملك ، والخلق ، والتدبير .



(١) لوامع الأنوار (١ / ١٢٨- ١٢٩) .

(٢) تيسير العزيز الحميد (ص ٢٦) .

(٣) هو : حافظ بن أحمد بن علي حكمي ، أبو أحمد ، أحد علماء المملكة السلفيين ، نشأ في كنف والديه نشأةً صالحةً ، وكان جل أوقاته ملازماً لتلاوة القرآن الكريم ، ومطالعة كتب : الفرائض ، والفقه ، والحديث ، والتوحيد ، والتفسير ، بالإضافة إلى التدريس والتأليف ، من مؤلفاته : (أعلام السنة المنشورة) ، و(معارج القبول) ، توفي سنة ١٣٧٧هـ . انظر : الأعلام (٢ / ١٥٩).ومعارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول ، حافظ بن أحمد حكمي ، تحقيق : عمر بن محمود ، ط٣ (الدمام : دار ابن القيم ، ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م) ، (١ / ١١- ٢٦) .

(٤) أعلام السنة المنشورة ، حافظ بن أحمد حكمي ، تحقيق : حلمي بن إسماعيل الرشيدي ،د.ط(الإسكندرية : دار العقيدة ، د.ت) ، (ص ٤٠) .

المبحث الثاني

دلالة الحديثين على بعض خصائص الربوبية

المطلب الأول : الملك

الملك مظهر من مظاهر ربوبية الرب تبارك وتعالى ، كما دل على ذلك حديثا أبي هريرة وأبي سعيد الخدري – رضي الله عنهما – وذلك في قوله ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه كما عند البخاري : " حَتَّى إِذَا أَرَادَ اللَّهُ رَحْمَةَ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ؛ أَمَرَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ ؛ فَيُخْرِجُونَهُمْ وَيَعْرِفُونَهُمْ بِآثَارِ السُّجُودِ ؛ وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ " .

وفي قوله ﷺ من حديث أبي سعيد رضي الله عنه كما عند مسلم : " فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ ، يَقُولُونَ : رَبَّنَا ، كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا ، وَيُصَلُّونَ ، وَيَحُجُّونَ ، فَيُقَالُ لَهُمْ : أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ ، فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَى النَّارِ ؛ فَيُخْرِجُونَ خَلْقاً كَثِيراً قَدْ أَخَذَتِ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ ، وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ ، ثُمَّ يَقُولُونَ : رَبَّنَا مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ " .

فالحديثان يدلان على أن الله تعالى يتصرف في ملكه بالأمر والنهي كيفما يشاء .

وأصل الملك في اللغة : القوة والشد .

يقول ابن فارس :" الميم ، واللام ، والكاف أصل صحيح يدل على قوة في الشيء وصحة ، يقال : أملك عجينه ، قوي عجنه وشده ، وملكت الشيء قويته " [١] .

" والملك : احتواء الشيء والقدرة على الاستبداد به ، يقال : مَلَكه يَملِكه مَلكاً ، ومِلكاً ، ومُلكاً ، وتملكاً " [٢] .

وقيل : " هو التصرف بالأمر والنهي " [٣] .

" والملكوت من الملك ، وهو الملك والعز " [٤] .

---

(١) معجم مقاييس اللغة ، مادة (ملك) ، (٥ / ٣٥١- ٣٥٢) .

(٢) لسان العرب ، مادة (ملك) ، (١٠ / ٤٩٢) .

(٣) تاج العروس ، مادة (ملك) ، (٢٧ / ٣٤٦) .

(٤) الصحاح ، مادة (ملك) ، (٤ / ١٦١٠) .

والملك كما ذكر الرّاغب الأصفهاني [(١)] – رحمه الله – على ضربين [(٢)] :

الضرب الأول : ملك بمعنى : التملك والتولي ، ومنه قوله ﷻ : ﴿ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا ﴾ [(٣)] .

الضرب الثاني : ملك بمعنى : القوة على ذلك ، سواء تولى أو لم يتول ، ومنه قوله سبحانه : ﴿ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا ﴾ [(٤)] .

فإن معنى الملك هاهنا : القوة التي يترشح بها للسياسة .

ومما سبق يتبيّن :

أن معنى الملك يدل على القدرة على التصرف .

والله ﷻ هو المنفرد بالملك ؛ فمعنى الملك الحقيقي ثابت له سبحانه بكل وجه ، وهذه الصفة تستلزم سائر صفات الربوبية ؛ فلا يتصور ملك دائم بغيرها [(٥)] .

وملكه سبحانه مطلق تام ؛ لا نقص فيه بوجه من الوجوه ، ولا يشاركه فيه أحد ، كما قال تعالى : ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [(٦)] .

قال الإمام ابن جرير الطّبري – رحمه الله – في تفسير الآية : " يعني بقوله تعالى ذكره : تعاظم وتعالى الذي بيده ملك الدنيا ، والآخرة ،وسلطانهما؛نافذ فيهما أمره وقضاؤه " [(٧)] .

وقال سبحانه: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ ﴾ [(٨)] .

وهذه الآية تدل على أن ربوبيته تعالى تقتضي تفرده بالملك والتصرف المطلق لكل

---

(١) هو : الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني ، أبو القاسم ، الملقب بالراغب ، العلامة الماهر والمحقق الباهر ، كان من أذكياء المتكلمين ، من تصانيفه :(الذريعة إلى مكارم الشريعة)،و(المفردات في غريب القرآن) ، توفي سنة ٥٠٢هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (١٨ / ١٢٠- ١٢١) . والأعلام (٢ / ٢٥٥) .

(٢) انظر : المفردات في غريب القرآن ، الحسين بن محمد الأصفهاني (الراغب) ، تحقيق : محمد سيد كيلاني ، د.ط (بيروت : دار المعرفة ، د.ت) ، مادة (ملك) ، (ص ٤٧٢) .

(٣) سورة النمل ، من الآية : ٣٤ .

(٤) سورة المائدة ، من الآية : ٢٠ .

(٥) انظر : شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، محمد بن أبي بكر الزرعي (ابن القيم) ، تحقيق : محمد بدر الدين النعساني ، د.ط (بيروت : دار الفكر ، ١٣٩٨هـ) ، (ص ٢٢٠) .

(٦) سورة الملك ، الآية : ١ .

(٧) جامع البيان (٢٩ / ١) .

(٨) سورة الإسراء ، من الآية : ١١١ .

شيء ؛ وعدم وجود شريك له في ذلك .

وقد أفرد الله ﷻ نفسه بملكيته لعالم الشهادة أو عالم الملك ، وذلك في قوله جل شأنه : ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [(١)] ؛ كما أفرد نفسه بملكيته لعالم الغيب أو عالم الملكوت ، كما في قوله عز من قائل : ﴿ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [(٢)] [(٣)] .

وملك الله تعالى هو من قبيل الاستحقاق ؛ وذلك لأن علة استحقاق الملك أمران [(٤)] :

١- صناعة الشيء ، وإنشاؤه ، وإيجاده ، واختراعه ، كما في حديث سعيد بن زيد ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : " مَنْ أَحْيَى أَرْضاً مَيِّتَةً ؛ فَهِيَ لَهُ " [(٥)] .

٢- دوام الحياة ؛ فدوام الحياة يوجب انتقال الملكية وثبوت التملك ، ومعلوم أن كل من على الأرض زائل فانٍ ، كما قال تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ [(٦)] .

وإذا كانت الحياة وصف ذاته ، والإحياء وصف فعله ؛ فإن الملك بالضرورة لمالكه ، كما قال سبحانه : ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ [(٧)] .

وقد بيّن تعالى أن الذي لا يملك شيئاً ليس أهلا للعبادة ، كما في قوله سبحانه : ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا

---

(١) سورة المائدة ، من الآية : ١٨ .

(٢) سورة المؤمنون ، من الآية : ٨٨ .

(٣) انظر : أسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب والسنة ، محمود عبد الرازق الرضواني ، ط١ (القاهرة : مكتبة سلسبيل ، ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م) ، (ص ٥٣٢) .

(٤) انظر : المرجع السابق (ص ٥٣٣ – ٥٣٤) .

(٥) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الخراج والإمارة والفيء ، باب في إحياء الموات (٣ / ١٧٨ ، رقم ٣٠٧٣) . والترمذي في جامعه ، كتاب الأحكام ، باب ما ذكر في إحياء أرض الموات (٣ / ٦٦٢ ، رقم ١٣٧٨) ، وقال : " هذا حديث حسن غريب " . والنسائي في سننه الكبرى ، كتاب إحياء الموات ، باب من أحيا أرضاً ميتة ليست لأحد (٣ / ٤٠٥ ، رقم ٥٧٦١) . وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢ / ٢٦٦ ، رقم ٣٠٧٣) ، وصحيح سنن الترمذي (٢ / ٩٤ ، رقم ١٣٧٨) .

(٦) سورة الرحمن ، الآية : ٢٦ .

(٧) سورة غافر ، من الآية : ١٦ .

فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴾ (١) .

فهذه الآية تضمنت نفي جميع الوجوه التي تعلّل بها المشركون في التعلّق بمعبوداتهم ، ومن ذلك :

أنها نفت عن آلهتهم كل أوجه التأثير في الكون ؛ ممثلةً في نفي الملك التام ؛ وذلك لانعدام ربوبيتهم ، فلا يخلقون في الكون شيئاً ، ولا يدبّرون فيه أمراً (٢) .

و (المَلِك) من أسماء الله تعالى ومعناه : " النافذ الأمر في ملكه " (٣) .

يقول الإمام ابن القيّم (٤) – رحمه الله – : " المَلِك : هو المتصرف بفعله وأمره ، والرب تعالى مالك الملك ؛ فهو المتصرف بفعله وأمره " (٥) .

فالله تعالى له الأمر والنهي في ملكه ؛ يتصرف في خلقه بأمره وفعله .



---

(١) سورة سبأ ، الآية : ٢٢ .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى (٢٧ / ٦٦) . والصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ، محمد بن أبي بكر الزرعي (ابن القيم) ، تحقيق : د. علي بن محمد الدخيل الله ،ط٣(الرياض : دار العاصمة ، ١٤١٨هـ = ١٩٩٨م) ، (٢ / ٤٦١) .

(٣) تفسير أسماء الله الحسنى ، إبراهيم بن محمد الزجاج ، تحقيق : أحمد يوسف الدقاق ، د.ط (دمشق : دار الثقافة العربية ، د.ت) ، (ص ٣٠) .

(٤) هو : محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي ، أبو عبد الله ، والشهير بابن القيم ، تفقه على يد ابن تيمية ، وكان من عيون أصحابه ، تفنن في علوم الشريعة ، ومصنفاته سائرة مشهورة ، منها : (زاد المعاد) ، و (مدارج السالكين)،توفي سنة ٧٥١هـ .انظر : من ذيول العبر ، محمد بن أحمد الذهبي ، تحقيق : د.صلاح الدين المنجد ، د.ط (الكويت : مطبعة حكومة الكويت ، د.ت) ، (ص ٢٨٢- ٢٨٣) . والذيل على طبقات الحنابلة (٢ / ٤٤٧- ٤٥٢) .

(٥) بدائع الفوائد ، محمد بن أبي بكر الزرعي (ابن القيم) ، تحقيق : هشام عبد العزيز عطا وآخرون ، ط١ (مكة المكرمة : مكتبة نزار مصطفى الباز ، ١٤١٦هـ = ١٩٩٦م) ، (٤ / ٩٧٢) .

المطلب الثاني

الخلق

الخلق من أجلّ معاني الربوبية ، وقد جاء في حديثي أبي هريرة وأبي سعيد الخدري – رضي الله عنهما – ما يشير إلى هذا المعنى ، إذ ورد فيهما : أن الجهنميين – وهم عصاة الموحدين – بعد أن يمتنّ الله تعالى عليهم بالخروج من النار – وقد احترقوا وصاروا فحماً – يحملون جماعات ، ويلقون على أنهار الجنة ؛ فيصبّ عليهم ماء الحياة ؛فيُخلقون من جديد ، وتنبت لحومهم وعظامهم التي احترقت في النار كما ينبت النبات ، وذلك في قوله ﷺ من حديث أبي هريرة ﷺ كما عند البخاري : "فَيُخْرِجُونَهُمْ قَدْ امْتُحِشُوا ؛ فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءٌ ، يُقَالُ لَهُ : مَاءُ الحَيَاةِ ؛ فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الحِبَّةِ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ " .

وفي قوله ﷺ من حديث أبي سعيد ﷺ كما عند مسلم :"يُدْخِلُ اللَّهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ ؛ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ بِرَحْمَتِهِ ، وَيُدْخِلُ أَهْلَ النَّارِ النَّارَ ، ثُمَّ يَقُولُ : انْظُرُوا مَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ ؛ فَيُخْرَجُونَ مِنْهَا حُمَماً قَدْ امْتَحَشُوا ؛ فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرِ الْحَيَاةِ أَوِ الْحَيَا ؛ فَيَنْبُتُونَ فِيهِ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ إِلَى جَانِبِ السَّيْلِ ، أَلَمْ تَرَوْهَا كَيْفَ تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً ؟ " .

والخلق في كلام العرب يطلق على معنيين :

المعنى الأول : " الإنشاء على مثال أبدعه ؛ فكل شيء خلقه الله تعالى فهو مبتدئه على غير مثال سبق إليه " [١] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : " الخلق : هو إبداع الكائنات من العدم " [٢] .

المعنى الثاني : " التقدير ، والعرب تقول : خلقت الأديم [٣] إذا قدّرته وقسته .

قال زهير بن أبي سلمى [٤] يمدح رجلاً :

---

(١) تاج العروس ، مادة (خلق) ، (٢٥ / ٢٥١) .

(٢) مجموع الفتاوى (٦ / ٣٥٧) .

(٣) الأديم : الجلد المدبوغ . انظر : لسان العرب ، مادة (أدم) ، (١٢ / ٩) . والمصباح المنير (١ / ٩) .

(٤) هو : زهير بن ربيعة (أبي سلمى) بن رياح المزني ، أبو بجير ، من فحول شعراء الجاهلية ، لم يدرك الإسلام وأدركه ابناه : كعب وبجير ، كان أشعر العرب وأمدح القوم ، وقد سمى كبار قصائده :بالحوليات . انظر : طبقات فحول الشعراء ، محمد بن سلام الجمحي ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، د.ط (جدة : دار المدني ، د.ت) ، (١ / ٥١) . والشعر والشعراء ، عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، د.ط (القاهرة : دار المعارف ، د.ت) ، (١ / ١٣٧ – ١٥٣) .

فلأنتَ تفري ما خَلقْتَ وبعـــ ـــضُ القومِ يَخلُقُ ثُمَّ لَا يَفْري [(١)]

يعني : أنت إذا قدّرت أمراً ؛ قطعته وأمضيته ، وغيرك يقدّر ما لا يقطعه ؛ لأنـه غـير ماضي العزم ، وأنت مضّاء على ما عزمت عليه " [(٢)] .

" ومنه قوله تعالى على لسان عيسى عليه السلام: ﴿ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ ﴾ [(٣)] ، وخلقه تقديره ؛ ولم يرد : أنه يحدث معدوماً " [(٤)] .

وقوله تعالى : ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴾ [(٥)] .

قال الأنباري [(٦)] : " معناه : أحسن المقدّرين تقديراً " [(٧)] .

كما قال في معنى قوله سبحانه : ﴿ وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ ﴾ [(٨)] : " وتقدّرون كذباً "[(٩)].

والخلق بالمعنى الأول لا يتصف به إلا الله ﷻ ؛ ولا يشارك الرب تعالى فيه أحد من خلقه ، وإلى ذلك أشار الرّاغب الأصفهاني – رحمه الله – بقوله : " وليس الخلق الذي هو الإبداع إلا لله تعالى ؛ ولهذا قال في الفصل بينه تعالى وبين غيره : ﴿ أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [(١٠)] ؛ وأمّا الذي يكون بالاستحالة [(١١)] ؛ فقد جعله الله تعالى

(١) ديوان زهير بن أبي سلمى ، زهير بن أبي سلمى ، تحقيق : علي حسن فاعور ، ط١ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م) ، (ص ٥٦) .

(٢) تهذيب اللغة ، مادة (خلق) ، (٧ / ١٦) .

(٣) سورة آل عمران ، من الآية : ٤٩ .

(٤) لسان العرب ، مادة (خلق) ، (١٠ / ٨٥) .

(٥) سورة المؤمنون ، من الآية : ١٤ .

(٦) هو : محمد بن القاسم بن محمد الأنباري ، أبو بكر ، عرف بالزهد ، والتواضع ، وقوة الحفظ ، وكان من بحور العلم : في اللغة العربية ، والتفسير ، والحديث ، من مصنفاته : (غريب الحديث) ، و (الوقف والابتداء) ، توفي سنة ٣٢٨هـ . انظر : معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ، محمد بن أحمد الذهبي ، تحقيق : بشار عواد معروف وآخرون ، ط١ (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٤هـ) ، (١ / ٢٨٠- ٢٨٢) . والبداية والنهاية ، إسماعيل بن عمر بن كثير ، د.ط (بيروت : مكتبة المعارف ، د.ت) ، (١١ / ١٩٦) .

(٧) الزاهر في معاني كلمات الناس ، محمد بن القاسم الأنباري ، تحقيق : د. حاتم صالح الضامن ، ط١ (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤١٢هـ = ١٩٩٢م) ، (١ / ٨٨) .

(٨) سورة العنكبوت ، من الآية : ١٧ .

(٩) الزاهر في معاني كلمات الناس (١ / ٨٨) .

(١٠) سورة النحل ، الآية : ١٧ .

(١١) الاستحالة : تغير الشيء : كتسخين الماء وتبريده مع بقاء صورته النوعية . انظر : التعريفات ، علي بن محمد الجرجاني (الشريف)، تحقيق :إبراهيم الأبياري ، ط١(بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٤٠٥هـ) ، =

لغيره في بعض الأحوال : كعيسى ﷺ ، حيث قال : ﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى ﴾ (١) .

والخلق لا يستعمل في الناس كافة إلا على وجهين :

أحدهما : في معنى التقدير .

والثاني : في الكذب " (٢) .

ووافقه الحافظ ابن حجر – رحمه الله – إذ قال في شرح باب قول الله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (٣) : " وقد تواردت النقول السمعية ،والقرآن ، والأحاديث الصحيحة بانفراد الرب ﷻ بالاختراع : كقوله تعالى : ﴿ هَلْ مِنْ خَـٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ ﴾ (٤) ، وقوله سبحانه : ﴿ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾ (٥) " (٦) .

فالله ﷻ هو المختص والمنفرد بالخلق ؛ فهو الذي خلق الخلائق كلها:كبيرها وصغيرها ، ظاهرها وباطنها ، على اختلاف أنواعها ، وتباين أصنافها ، ودقائق تفاصيلها ، وما يصدر عنها من أفعال وآثار ؛ وخلقه أكبر شاهد على كمال قدرته ، وعظمته ، وإنعامه .

وهذا ما دلت عليه النصوص ، كما قال تعالى مقرّراً الخالقية له وحده دون سواه : ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ (٧) .

وأثنى على نفسه بخالقيته في قوله ﷻ : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَـٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ (٨) .

= (ص ٣٢) . والتوقيف على مهمات التعاريف ، محمد عبد الرؤوف المناوي ، تحقيق : د. محمد رضوان الداية ، ط١ (بيروت : دار الفكر ، ١٤١٠هـ) ، (ص ٥٥) .

(١) سورة المائدة ، من الآية : ١١٠ .

(٢) المفردات في غريب القرآن ، مادة (خلق) ، (ص ١٥٧) .

(٣) سورة الصافات ، الآية : ٩٦ .

(٤) سورة فاطر ، من الآية : ٣ .

(٥) سورة لقمان ، من الآية : ١١ .

(٦) فتح الباري (١٣ / ٥٣٢) .

(٧) سورة الأعراف ، من الآية : ٥٤ .

(٨) سورة الأنعام ، الآية : ١ .

وبيّن عجز المخلوقين عن خلق أي شيء ، كما قال سبحانه في الحديث القدسي الذي رواه أبو هريرة ﷺ مرفوعاً : " وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ خَلْقاً : كَخَلْقِي؛فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً ، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً ، أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً " (١) .

وفي هذا الحديث تقرير بأن من يحاول مضاهاة خلق الله تعالى بالتصوير ؛ أشد الناس ظلماً وأعظمهم عقوبة ؛ إذ إنه يعجز عن خلق أهون الأشياء : كالذرّة ، أو الحبّة ، أو الشعيرة .

و (الخالق) من أسماء الله تعالى الحسنى ،ومعناه كما قال ابن بطّال (٢) – رحمه الله – : " المبدع والمنشئ لأعيان المخلوقات " (٣) .

وقال البيهقي (٤) – رحمه الله – فيما نقله عن بعض العلماء : " الذي صنّف المبدعات ؛ وجعل لكل صنف منها قدراً : فوجد فيها الصغير ، والكبير ، والطويل ، والقصير ، والإنسان ، والبهيمة ، والدابة ، والطائر ، والحيوان ، والموات ، ولا شك في أن الاعتراف بالإبداع يقتضي الاعتراف بالخلق ؛ إذ إن الخلق هيئة الإبداع ؛ فلا يعرّى أحدهما عن الآخر " (٥) .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [سورة الصافات ، الآية : ٩٦] (٦ / ٢٧٤٧ ، رقم ٧١٢٠) . ومسلم في صحيحه ،كتاب اللباس والزينة ، باب تحريم تصوير صورة الحيوان (٣ / ١٦٧١، رقم ٢١١١) ، واللفظ له .

(٢) هو : علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال ، أبو الحسن ،كان من أهل العلم ، والمعرفة ، والفهم ، عني بالحديث العناية التامة وأتقن ما فيه ، ولي قضاء لورقة ، وقد حدث عنه جماعة من العلماء ، من مؤلفاته : (الاعتصام في الحديث) ، و (شرح صحيح البخاري) ، توفي سنة ٤٤٩هـ . انظر :تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، محمد بن أحمد الذهبي ، تحقيق : د. عمر عبد السلام تدمرى ، ط١ (بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م) ، (٣٠ / ٢٣٣- ٢٣٤) .ومعجم المؤلفين (٢ / ٤٣٨) .

(٣) شرح صحيح البخاري ، علي بن خلف بن بطال ، تحقيق : ياسر بن إبراهيم ، ط٢ (الرياض : مكتبة الرشد ، ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٣م) ، (١٠ / ٤٣٣) .

(٤) هو : أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ، أبو بكر ، الإمام الحافظ الكبير ، واحد زمانه في الحفظ وفرد أقرانه في الإتقان والضبط ، جمع بين علمي : الحديث والفقه ، وكان على سيرة العلماء : قانعاً من الدنيا باليسير ، متجملاً في زهده وورعه ، كثير التحقيق والإنصاف ، من مؤلفاته : (كتاب الأسماء والصفات) ، و (معرفة السنن والآثار) ، توفي سنة ٤٥٨هـ . انظر : تذكرة الحفاظ ، محمد بن أحمد الذهبي ، ط١ (بيروت : دار الكتب العلمية ، د.ت) ، (٣ / ١١٣٢ – ١١٣٤) . وطبقات الشافعية (١ /٢٢٠- ٢٢٢) .

(٥) كتاب الأسماء والصفات ، أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق : عبد الله بن محمد الحاشدي ، د.ط (جدة : مكتبة السوادي ، د.ت) ، (١ / ٧٣) .

أمّا ابن الأثير الجزري [(١)] – رحمه الله – فقد فسّر هذا الاسم بقوله : " الذي أوجد الأشياء جميعها بعد أن لم تكن موجودة ؛ فهو باعتبار تقدير ما منه وجودها ، وباعتبار الإيجاد على وفق التقدير خالق " [(٢)] .

وكل ما سوى الله تعالى مخلوق له مربوب ؛ وهذا ما اتفقت عليه الكتب الإلهية ، والفطر البشرية ، وجميع الأدلة العقلية [(٣)] .

قال الإمام البخاري – رحمه الله – في ترجمة أحد أبواب كتاب التوحيد من صحيحه : " باب ما جاء في تخليق السماوات ، والأرض ، وغيرها من الخلائق ؛ وهو فعل الرب تبارك وتعالى وأمره ، فالرب بصفاته وفعله وأمره ؛ وهو الخالق المكوِّن غير مخلوق ، وما كان بفعله وأمره وتخليقه وتكوينه ؛ فهو مفعول مخلوق مكوَّن " [(٤)] .

والخلق من الله تعالى على ضروب [(٥)] :

الضرب الأول : خلق خلقه بيده : كخلقه تعالى لآدم عليه السلام الوارد في قوله سبحانه : ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴾ [(٦)] .

الضرب الثاني : خلق خلقه بمشيئته وكلامه : كخلقه عز وجل لعيسى عليه السلام الوارد في قوله تعالى : ﴿ قَالَتۡ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [(٧)] .

---

(١) هو : المبارك بن محمد بن عبد الكريم الجزري ، أبو السعادات ، المعروف بابن الأثير ،كان فقيهاً محدثاً ، أديباً نحوياً ، عالماً بصنعة الحساب والإنشاء ، ورعاً عاقلاً مهيباً ، ذا بر وإحسان ، اتصل بخدمة السلطان ؛ فترقت به المنازل ، من تصانيفه : (جامع الأصول) ، و (النهاية في غريب الحديث) ، توفي سنة ٦٠٦هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (٢١ / ٤٨٨- ٤٩١) . وطبقات الشافعية (٢ / ٦٠- ٦٢) .

(٢) النهاية في غريب الحديث ، مادة (خلق) ، (٢ / ٧٠) .

(٣) انظر : شفاء العليل (ص ٤٩) .

(٤) صحيح البخاري (٦ / ٢٧١٢) .

(٥) انظر : كتاب التوحيد ومعرفة أسماء الله عز وجل وصفاته على الاتفاق والتفرد ، محمد بن إسحاق بن منده ، تحقيق : د. علي بن محمد الفقيهي ، ط١ (المدينة المنورة : مطابع الجامعة الإسلامية ، ١٤٠٩هـ) ، (٢ / ٧٦) .

(٦) سورة ص ، الآية : ٧٥ .

(٧) سورة آل عمران ، الآية : ٤٧ .

والخلق من أعظم الدلائل وأظهرها على ربوبية الله ﷻ ؛ وقد جاء التنبيه على دلالته في القرآن الكريم في عدة مواضع ، من تأملها حق التأمل ؛ استضاءت له آيات الربوبية وانقشعت عنه ظلمات الشك ، ومنها – على سبيل المثال – :

قوله تعالى : ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ۝ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾(١) .

وعن جبير بن مطعِم رضي الله عنه أنه قال : سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطّور ؛ فلمّا بلغ هذه الآية : ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ۝ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾ (٢) ، قال : كاد قلبي أن يطير (٣) .

وسبب انزعاج جبير رضي الله عنه عند سماع هذه الآية : لحسن تلقّيه معناها ، ومعرفته بما تضمنته من الحجة البالغة ؛ فاستدركها بلطيف طبعه ، واستشف معناها بذكي فهمه (٤) .

وقد وردت الآية السابقة في مقام إثبات توحيد الربوبية ، ودلالتها صريحة واضحة ، فهي تقرّر أن وجود الخلق لا يخلو من أحد ثلاثة احتمالات (٥) :

الاحتمال الأول: أنهم خُلقوا من غير شيء ، أي لا خالق خلقهم ؛ بل وجدوا من غير موجد ؛ وهذا عين المحال .

الاحتمال الثاني : أنهم الخالقون لأنفسهم ؛ وهذا أيضا محال ؛ فإنه لا يتصور أن يوجِد أحد نفسه بنفسه .

الاحتمال الثالث : أن الله تعالى هو الذي خلقهم ؛ وهو المتعيّن .

ولقد أدرك هذه الحقيقة أعرابي ؛ فنطق بالحكمة البالغة ، حيث قال : " إن البعر ليدل على البعير ، وإن أثر الأقدام لتدل على المسير ، فسماء ذات أبراج ، وأرض ذات

(١) سورة الطور ، الآيات : ٣٥- ٣٦ .
(٢) سورة الطور ، الآيات : ٣٥- ٣٦ .
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ،كتاب التفسير ، باب تفسير سورة : ﴿ وَٱلطُّورِ ﴾ [سورة الطور ، الآية : ١] (٤ / ١٨٣٩ ، رقم ٤٥٧٣) .
(٤) انظر : كتاب الأسماء والصفات (٢ / ٢٧٠) .
(٥) انظر : تيسير الكريم الرحمن (٢ / ٧٥٧) .

فجاج [١] ، وبحار ذات أمواج ؛ ألا يدل ذلك على وجود اللطيف الخبير ؟! " [٢] .

وكثيراً ما كان العلماء يستدلون على ربوبية الله تعالى بخلقه : سواء ما كان منه متعلّقاً بالمخلوقات عامة أو بالإنسان خاصة ؛ حتى أضحى ذلك منهجاً قويماً من مناهجهم .

ومن ذلك : أن الإمام ابن منده [٣] – رحمه الله – عقد في (كتاب التوحيد) عدة فصول تدل على هذا المعنى ، وساق تحتها النصوص : القرآنية والحديثية ، مردفاً لها بأقوال السلف وتفسيراتهم .

ومن تلك الفصول :

١- " ذكر الآيات التي تدل على وحدانيته : في خلق الأرض وما فيها " [٤] .

٢- " ذكر آية تدل على وحدانية الخالق وإحكام صنعته : في خلق الرّحم والمشيمة في مدة استقرار النطفة فيها ، إلى التارات التي تمرّ عليها ، إلى أن تصير بشراً حياً " [٥] .

٣- " ذكر آية تدل على وحدانية الخالق : بأنه خلق الخلق ، وجعلهم سميعاً وبصيراً ؛ يسمعون ويبصرون " [٦] .

إلى غير ذلك من الفصول الدائرة في هذا الفلك والمضمار .

وكذلك فعل شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – فقد بيّن أن أحسن ما يستدل به على ربوبية الخالق هو الاستدلال بخلق الإنسان نفسه ، كما قرّر ذلك كتاب الله تعالى ؛ إذ هو الدليل وهو المستدل ، في قوله جل شانه : ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [٧] ، ثم بما

(١) الفجاج : جمع فج ، وهو الطريق الواسع في الجبل . انظر :جمهرة اللغة ، محمد بن الحسن بن دريد ، تحقيق : د. رمزي منير بعلبكي ، ط١ (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٧م) ، مادة (فجج) ، (١ / ٩١) . ولسان العرب ، مادة (فجج) ، (٢ / ٣٣٩) .

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١ / ٥٩) .

(٣) هو : محمد بن إسحاق بن منده الأصبهاني ، أبو عبد الله ، شيخ الإسلام ، وأحد الحفاظ المكثرين والمحدثين الجوالين ، من بيت العلم والفضل ، طوف الدنيا ؛ وجمع وكتب ما لا ينحصر ، من مؤلفاته : (الإيمان) ، و (كتاب التوحيد) ، توفي سنة ٣٩٥هـ . انظر : الوافي بالوفيات (٢ / ١٣٤) . وشذرات الذهب في أخبار من ذهب ، عبد الحي بن أحمد العكري ، تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط ؛ ومحمود الأرنؤوط ، ط١ (دمشق : دار ابن كثير ، ١٤٠٦هـ) ، (٣ / ١٤٦) .

(٤) كتاب التوحيد (١ / ١٨٢ ، الفصل السادس عشر) .

(٥) المرجع السابق (١ / ٢٤٥ ، الفصل السابع والعشرون) .

(٦) المرجع السابق (١ / ٢٥٦ ، الفصل التاسع والعشرون) .

(٧) سورة الذاريات ، الآية : ٢١ .

يحدثه الإنسان من آثار في هذا الوجود [١] .

والاستدلال بالخلق على الخالق مسلك موافق للشرع والعقل .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : " فالاستدلال على الخالق بخلق الإنسان في غاية الحسن والاستقامة ؛ وهي طريقة عقلية صحيحة .

وهي شرعية ؛ دل القرآن عليها وهدى الناس إليها ، وبيّنها وأرشد إليها .

وهي عقلية ؛ فإن نفس كون الإنسان حادثاً بعد أن لم يكن ، ومولوداً ومخلوقاً من نطفة ، ثم من علقة ؛ هذا لم يعلم بمجرّد خبر الرسول ، بل هذا يعلمه الناس كلهم بعقولهم ، سواء أخبر به الرسول أو لم يخبر ، لكن الرسول أمر أن يستدل به ودل به ،وبيّنه واحتج به .

فهو دليل شرعي ؛ لأن الشارع استدل به وأمر أن يستدل به ، وهو عقلي ؛ لأنه بالعقل تعلم صحته " [٢] .

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى (١٦ / ٢٦٢) .

(٢) كتاب النبوات ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، ط١ (الرياض : مكتبة أضواء السلف ، ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م) ، (١ / ٢٩٢ – ٢٩٣) .

المطلب الثالث

التدبير

يتجلّى ملك الله تعالى وسلطانه الشامل في تدبيره لشؤون الوجود ، كما دل على ذلك حديثا أبي هريرة وأبي سعيد الخدري – رضي الله عنهما– وذلك في قوله ﷺ كما عند النَّسائي : " فَإِذَا فَرَغَ اللَّهُ ﷻ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ خَلْقِهِ ، وَأَخْرَجَ مِنَ النَّارِ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَ ، أَمَرَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ وَالرُّسُلَ أَنْ تَشْفَعَ ، فَيُعْرَفُونَ بِعَلَامَاتِهِمْ ؛ إِنَّ النَّارَ تَأْكُلُ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا مَوْضِعَ السُّجُودِ ؛ فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مِنْ مَاءِ الْجَنَّةِ ؛ فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ " .

" والتدبير : النظر في عاقبة الأمر " [١] ، " أي إلى ما يؤول إليه عاقبته " [٢] .

وهو في حق الله تعالى بمعنى : القضاء والإنفاذ ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ﴾ [٣] .

قال مجاهد [٤] – رحمه الله – : " يقضيه وحده " [٥] .

فالله ﷻ هو المنفرد بالتدبير ؛ يدبّر العالم ، ويعلم الأمور وعواقبها ، ويقدّر المقادير ويجريها إلى غاياتها ، يدبّر الأمور بحكمته ، ويصرّفها على مشيئته [٦] .

(١) القاموس المحيط (ص ٤٩٩)

(٢) تاج العروس ، مادة (دبر) ، (١١ / ٢٦٥) .

(٣) سورة يونس ، من الآية : ٣ .

(٤) هو : مجاهد بن جبر المخزومي ، أبو الحجاج ، المقرئ الإمام المفسر ، أحد الأعلام من التابعين ، أجمعت الأمة على إمامته والاحتجاج به ، روى له الجماعة ، توفي سنة ١٠٤هـ . انظر : ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، محمد بن أحمد الذهبي ، تحقيق : علي محمد معوض ؛ وعادل أحمد عبد الموجود ، ط١ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٩٥م) ، (٦ / ٢٥) . وغاية النهاية في طبقات القراء ، محمد بن محمد بن الجزري ، تحقيق : ج. برجستراسر ، ط١ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م) ، (٢ / ٤٠) .

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان (١١ / ٨٤) . وعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي في تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين ، تحقيق : أسعد محمد الطيب ، ط١ (مكة المكرمة : مكتبة نزار مصطفى الباز ، ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م) ، (٦ / ١٩٥٠ ، رقم ١٠٣٧٤) .

(٦) انظر : الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث،أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق : أحمد عصام الكاتب ، ط١ (بيروت : دار الآفاق الجديدة ، ١٤٠١هـ) ، (ص ٦٨) .

قال تعالى : ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْآيَـٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾ (١) .

فيدبّر شؤون خلقه : فيخلق ، ويرزق ، ويغني ، ويفقر ، ويعطي ، ويمنع،ويرفع أقواماً ، ويضع آخرين ، ويعز ، ويذلّ ، ويخفض ، ويرفع ، ويقيل العثرات ، ويفرج الكربات ، وينفذ الأقدار في أوقاتها التي سبق بها علمه وجرى بها قلمه (٢) .

كما أنه سبحانه الذي يدبّر شؤون السماوات والأرض ويصرّف أمورها،ويقوم عليها ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَـٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (٣) .

فخلق السماوات والأرض ، وتعاقب الليل والنهار ، وجري السفن في البحار ، وإنزال المطر من السماء ، وإحياء الأرض به ، وبث الدواب ، وتصريف الرياح جميعها من مظاهر تدبير الله تعالى في كونه .

وتدبير الله تعالى لخلقه على نوعين (٤) :

النوع الأول : تدبير كوني : وهو قضاء الله ﷻ وقدره وفعله في خلقه .

النوع الثاني: تدبير شرعي ديني خاص بالشريعة والهداية والبيان :وهو تدبير تظهر من خلاله معاني : الكفر والإيمان ؛ ويتميّز من خلاله أهل العصيان وأهل الإيمان ؛ ويترتّب عليه الثواب ، والعقاب ، والنعيم ، والعذاب .

والتدبير من الأسس والركائز التي تقوم عليها الربوبية ، كما قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ

(١) سورة الرعد ، من الآية : ٢ .
(٢) انظر : تيسير الكريم الرحمن (١ / ٨٦٨) .
(٣) سورة البقرة ، الآية : ١٦٤ .
(٤) انظر : تيسير الكريم الرحمن (١ / ٣٨٨ ، ٥١٠) .

وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾ [١] .

فالله سبحانه نفى عن آلهة المشركين التي يدعونها من دونه وصفين اثنين ،هما أساس الربوبية [٢] :

أولهما : الخلق والتكوين حتى لأحقر المخلوقات .

والثاني : التدبير ، حيث نفى عجزهم عن تدبير أمور أنفسهم باسترداد شيء ضئيل مما يخصهم لو سلبه الذباب منهم ؛ وهذا منتهى وصفهم بالعجز والضعف ؛ فكيف تكون آلهة معبودة من دون الله تعالى ؟!

وكل ذلك يدل على انفراد الله سبحانه بالربوبية ؛ وأنها تقوم على إفراده بالخلق وتدبير الأمر .

---

(١) سورة الحج ، الآية : ٧٣ .

(٢) انظر : أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ، أبو بكر جابر الجزائري ، ط٣ (جدة : راسم للدعأية والإعلان ، ١٤١٠هـ = ١٩٩٠م) ، (٣ / ٤٩٩) .

المطلب الرابع

العطاء

العطاء من خصائص الرب جل وعلا ،ولقد دل حديثا أبي هريرة وأبي سعيد الخدري – رضي الله عنهما – على ذلك .

حيث جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه ما يبيّن سعة عطاء الله سبحانه ، الذي أكرم بـه آخر رجل يدخل الجنة من أهلها ، وذلك في قوله ﷺ كما عند مسلم : " وَيَبْقَى رَجُلٌ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ ؛ وَهُوَ آخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولاً الْجَنَّةَ ، فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ ، اصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ ؛ فَإِنَّهُ قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا ، وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُهَا ، فَيَدْعُو اللَّهَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُوَهُ ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : هَلْ عَسَيْتَ إِنْ فَعَلْتُ ذَلِكَ بِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ ؟ فَيَقُولُ : لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ ، وَيُعْطِي رَبَّهُ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ مَا شَاءَ اللَّهُ ؛ فَيَصْرِفُ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ ، فَإِذَا أَقْبَلَ عَلَى الْجَنَّةِ وَرَآهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ ، ثُمَّ يَقُولُ : أَيْ رَبِّ ، قَدِّمْنِي إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ : أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ عُهُودَكَ وَمَوَاثِيقَكَ لَا تَسْأَلُنِي غَيْرَ الَّذِي أَعْطَيْتُكَ ؟ وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ ، مَا أَغْدَرَكَ ، فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ ، يَدْعُو اللَّهَ حَتَّى يَقُولَ لَهُ : فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ أَعْطَيْتُكَ ذَلِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ ؟ فَيَقُولُ : لَا ، وَعِزَّتِكَ ، فَيُعْطِي رَبَّهُ مَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ ؛ فَيُقَدِّمُهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ ، فَإِذَا قَامَ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ ؛ انْفَهَقَتْ لَهُ الْجَنَّةُ ؛ فَرَأَى مَا فِيهَا مِنَ الْخَيْرِ وَالسُّرُورِ ، فَيَسْكُتُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ ، ثُمَّ يَقُولُ : أَيْ رَبِّ ، أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ : أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ عُهُودَكَ وَمَوَاثِيقَكَ أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَ مَا أُعْطِيتَ ؟ وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ ، مَا أَغْدَرَكَ ، فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ ، لَا أَكُونُ أَشْقَى خَلْقِكَ ؛ فَلَا يَزَالُ يَدْعُو اللَّهَ حَتَّى يَضْحَكَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْهُ ، فَإِذَا ضَحِكَ اللَّهُ مِنْهُ قَالَ : ادْخُلْ الْجَنَّةَ ؛ فَإِذَا دَخَلَهَا ، قَالَ اللَّهُ لَهُ : تَمَنَّهْ ؛ فَيَسْأَلُ رَبَّهُ وَيَتَمَنَّى حَتَّى إِنَّ اللَّهَ لَيُذَكِّرُهُ مِنْ كَذَا وَكَذَا ، حَتَّى إِذَا انْقَطَعَتْ بِهِ الْأَمَانِيُّ،قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:ذَلِكَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ " .

كما جاء في حديث أبي سعيد رضي الله عنه ذكر لصنوف العطاء التي تفضّل الله تعالى بها على عباده من أهل الجنة ؛ وفي مقدمتها رضاه عز وجل عنهم ، والذي هو سبب كل سعادة وهناء ، وذلك في قوله ﷺ كما عند البخاري : " إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الجَنَّةِ : يَا أَهْلَ الجَنَّةِ ؟ فَيَقُولُونَ : لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ ، فَيَقُولُ : هَلْ رَضِيتُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : وَمَا لَنَا لاَ نَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ ، فَيَقُولُ : أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ، قَالُوا : يَا

رَبِّ ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ ؟ فَيَقُولُ : أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي ؛ فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَداً " .

وأصل العطاء : " عطاو بالواو ؛ لأنه من عطوت ، إلا أن العرب تهمز الواو والياء إذا جاءتا بعد الألف ؛ لأن الهمزة أحمل للحركة منهما ، ولأنهم يستثقلون الوقوف على الواو والياء " (١) .

" والعطو : التناول ، يقال: عطا الشيء وعطا إليه عطواً تناوله ، والإعطاء والمعاطاة : المناولة " (٢) .

" والعطية : اسم لما يعطى ، والجمع : عطايا وأعطية " (٣) ، " ورجل معطاء وامرأة معطاء ، أي كثير العطاء .

واستعطى وتعطّى سأله ، أي العطاء ، واستعطى الناس بكفه وفي كفه طلب إليهم وسألهم " (٤) .

والرب سبحانه هو من يملك العطاء ؛ فيعطي من يشاء من عباده تفضّلاً ، ورحمةً ، وإصلاحاً ، ويمنع من يشاء حكمةً ، وعدلاً ، وصلاحاً ؛ فله المنع والعطاء ، وله التفضّل والإنعام ، وهو الغني الكريم .

وقد ذهب إلى هذا المعنى الزّجّاج (٥) – رحمه الله – حيث قال : " فإذا أعطى ؛ فتفضّل وإصلاح ، وإذا منع ؛ فحكمة وصلاح " (٦) .

وقال الإمام الخطّابي (٧) – رحمه الله – : " فهو سبحانه يملك المنع والعطاء ، وليس منعه

---

(١) الصحاح ، مادة (عطا) ، (٦ / ٢٤٣٠) .

(٢) لسان العرب ، مادة (عطا) ، (١٥ / ٦٨ – ٦٩) .

(٣) معجم مقاييس اللغة ، مادة (عطو) ، (٤ / ٣٥٣) .

(٤) تاج العروس ، مادة (عطو) ، (٣٩ / ٦٢ – ٦٣) .

(٥) هو : إبراهيم بن محمد بن سهل الزجاج ، أبو إسحاق ، نحوي زمانه ، كان من أهل الفضل والدين ، حسن الاعتقاد ، جميل المذهب ، لزم المبرد ؛ فكان يعطيه من عمل الزجاج كل يوم درهماً ، ونصحه وعلمه ، من مؤلفاته : (الاشتقاق) ، و (معاني القرآن وإعرابه) ، توفي سنة ٣١١هـ . انظر : تاريخ بغداد (٦ / ٨٩-٩٢) . ووفيات الأعيان (١ / ٤٩ - ٥٠) .

(٦) تفسير أسماء الله الحسنى (ص ٦٣) .

(٧) هو : حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي ، أبو سليمان ، كان محدثاً فقيهاً ، أديباً شاعراً لغوياً ، رحل في الحديث وقراءة العلوم وطوف ؛ ثم ألف في فنون من العلم وصنف ، من أشهر كتبه : (إصلاح غلط المحدثين) ، و(شأن الدعاء) ، توفي سنة ٣٨٨هـ . انظر : معجم الأدباء (٣ / ٢٥١- ٢٥٢) . وسير أعلام النبلاء (١٧ / ٢٣- ٢٧) .

الشيء بخلاً به ؛ لكن منعه حكمة ، وعطاؤه جود ورحمة " [١] .

والله ﷻ هو الذي أعطى كل شيء خلقه ، وتولى أمر رزقه في الدنيا والآخرة ، كما ورد في قوله تعالى عن موسى عليه السلام وهو يصف عطاء الربوبية لفرعون لمّا سأله عنها :

﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ [٢] .

قال القرطبي – رحمه الله – في تفسير الآية : " أي أعطى خليقته كل شيء يحتاجون إليه ويرتفقون به " [٣] .

وقوله ﷻ عن عطائه الذي أعدّه للمؤمنين في الآخرة : ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ [٤] ﴾ [٥] .

وفي آية أخرى يقول جل شأنه : ﴿ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴾ [٦] .

كما يشهد لما ذكرت : قوله عليه الصلاة والسلام من حديث معاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنهما – : " مَنْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْراً ؛ يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ ، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ ؛ وَيُعْطِي اللَّهُ ، وَلَنْ يَزَالَ أَمْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ مُسْتَقِيماً حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ ، أَوْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ " [٧].

وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال : إن النبي ﷺ كان يقول في دُبر كل صلاة مكتوبة : " لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ؛ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ؛ اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ [٨] مِنْكَ

---

(١) شأن الدعاء ، حمد بن محمد الخطابي ، تحقيق : أحمد يوسف الدقاق ، ط٣ (دمشق : دار الثقافة العربية ، ١٤١٢هـ = ١٩٩٢م) ، (ص ٩٤) .

(٢) سورة طه ، الآية : ٥٠ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١١ / ٢٠٤) .

(٤) مجذوذ : غير مقطوع عنهم ، يقال : جددت وجذذت ، أي قطعت . انظر : المفردات في غريب القرآن ، مادة (جذ) ، (ص ٩٠) . والتبيان في تفسير غريب القرآن ، أحمد بن محمد الهائم ، تحقيق : فتحي أنور الدابلوي ، ط١ (طنطا : دار الصحابة للتراث ، ١٤١٢هـ = ١٩٩٢م) ، (ص ٢٣٩) .

(٥) سورة هود ، الآية : ١٠٨ .

(٦) سورة النبأ ، الآية ٣٦ .

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب قول النبي ﷺ : " لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ من أُمَّتِي ظَاهِرِينَ على الْحَقِّ " (٦ / ٢٦٦٧ ، رقم ٦٨٨٢) ، واللفظ له . ومسلم في صحيحه ، كتاب الزكاة ، باب النهي عن المسألة (٢ / ٧١٩ ، رقم ١٠٣٧) .

(٨) الجد : الحظ في الرزق ، والسعادة والغنى ، ومنه قيل : لفلان في هذا الأمر جد إذا كان مرزوقاً منه . انظر : غريب الحديث لابن سلام (١ / ٢٥٧) . والنهاية في غريب الحديث ، مادة (جدد) ، (١ / ٢٤٤) .

الْجَدُّ " (١) .

قال ابن بطّال – رحمه الله – عند شرحه لهذا الحديث : " قوله : " لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ " يقتضي نفي جميع المانعين سواه ، وكذلك قوله : " وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ " يقتضي نفي جميع المعطين سواه ؛ وأنه لا معطي ولا مانع على الحقيقة بفعل المنع والعطاء سواه " (٢) (٣) .

وعطاء الله تعالى على نوعين (٤) :

النوع الأول : العطاء العام ؛ وهو للخلائق أجمعين : مؤمنهم وكافرهم ، طائعهم وعاصيهم .

ومنه قوله تعالى : ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ (٥) .

قال الزّجّاج – رحمه الله – : " أعلم الله ﷻ : أنه يعطي المسلم والكافر ، وأنه يرزقهما جميعاً " (٦) .

والعطاء هنا : هو تمكين العبد من الفعل؛ ومنحه القدرة والاستطاعة ، كل على حسب رزقه وقضاء الله تعالى وقدره .

النوع الثاني : العطاء الخاص ؛ وهو للأنبياء والمرسلين – عليهم السلام – وصالح المؤمنين ، ويتمثل في استجابة دعائهم .

ومنه دعاء سليمان عليه السلام وعطاء الله تعالى له في قوله ﷻ : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأذان ، باب الذكر بعد الصلاة (١ / ٢٨٩ ، رقم ٨٠٨) ، واللفظ له . ومسلم في صحيحه ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب استحباب الذكر بعد الصلاة (١ / ٤١٤ ، رقم ٥٩٣) .

(٢) شرح صحيح البخاري (١٠ / ٣٢١) .

(٣) انظر : أسماء الله الحسنى (ص ٥٦٨ – ٥٦٩) .

(٤) انظر : المرجع السابق (ص ٥٦٨ – ٥٦٩) .

(٥) سورة الإسراء ، الآية : ٢٠ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ، إبراهيم بن محمد الزجاج ، تحقيق : د. عبد الجليل عبده شلبي ، ط١ (بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م) ، (٣ / ٢٣٣) .

أَصَابَ ۝ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ۝ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ۝ هَٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (١) .

ودعاء زكريا عليه السلام واستجابته في قوله سبحانه : ﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ۝ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ (٢) .

والعطاء من الله تعالى لخلقه : قد يكون عطاء بذل ، وقد يكون عطاء منع وحجب ، كما بيّن ذلك القرطبي – رحمه الله – عند حديثه عن اسمي الله تعالى : (المعطي المانع) ، حيث قال : " ومنع الله تعالى قد يكون في الدنيا والأخرى ؛ أمّا في الدنيا فقد يكون منع في ضمنه عطاء ، وقد يكون منع أعظم منه في البلاء ؛ أمّا من منعه أعراض الدنيا ؛ فعلّق قلبه بالله تعالى ؛ فقد أعطاه بهذا المنع أشرف اللُّهى (٣) ؛ولذلك رغّب في الفقر أولو النهى " (٤).

ومن أجل ذلك كان للسلف في هذا الباب وقفات محكمات ؛ لبيان الحق ، والدلالة على الرشد ، والهداية إلى الصواب .

قال سفيان الثّوري (٥) – رحمه الله – : " منعه عطاء ؛ وذلك أنه لم يمنع عن بخل ولا عدم ، وإنما نظر في خير عبده المؤمن ؛ فمنعه اختياراً وحسن نظر " (٦) .

---

(١) سورة ص ، الآيات : ٣٥– ٣٩ .

(٢) سورة الأنبياء ، الآيات : ٨٩ –٩٠ .

(٣) اللهى : أفضل العطايا وأجزلها ، واحدها : لهوة ولهية . انظر : تهذيب اللغة،مادة (لهى) ، (٦ / ٢٢٧) . ولسان العرب ، مادة (لها) ، (١٥ / ٢٦١) .

(٤) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ، محمد بن أحمد القرطبي ، تحقيق : أ.د محمد حسن جبل ؛ وطارق أحمد محمد ، ط١ (طنطا : دار الصحابة للتراث ، ١٤١٦هـ = ١٩٩٥م) ، (١ / ٣٥٦) .

(٥) هو : سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ، أبو عبد الله ، كان إماماً من أئمة المسلمين وعلماً من أعلام الدين ، مجمعاً على إمامته ، مع الإتقان ، والحفظ ، والمعرفة ، والضبط ، والورع ، والزهد ، من كتبه : (الجامع الكبير) ، و (الفرائض) ، توفي سنة ١٦١ هـ . انظر : الفهرست ، محمد بن إسحاق النديم ، د.ط (بيروت : دار المعرفة ، ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م) ، (ص ٣١٤) . وتاريخ بغداد (٩ / ١٥١– ١٧٣) .

(٦) انظر : مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، محمد بن أبي بكر الزرعي (ابن القيم) ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، ط٢ (بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٣٩٣هـ = ١٩٧٣م) ، (٢ / ٢١٥) .

وقال الإمام ابن القيّم – رحمه الله – معلّقاً على المقولة السابقة : " المنع عطاء وإن كان في صورة المنع ، ونعمة وإن كانت في صورة محنة ، وبلاؤه عافية وإن كان في صورة بليّة ، ولكن لجهل العبد وظلمه ؛ لا يعدّ العطاء والنعمة والعافية إلا ما التذّ به في العاجل وكان ملائماً لطبعه ، ولو رُزق من المعرفة حظاً وافراً ؛ لعدّ المنع نعمة والبلاء رحمة " (١) .

فما يمنّ الله تعالى به على عباده من العطاء لا يكون في صورة واحدة دائمة لا تتبدل ، وهي صورة الإنعام بألوان النعم التي يحبها ويدأب في طلبها ؛ وإنما يكون عطاؤه سبحانه إلى جانب ذلك أيضاً في صورة المنع والحجب لهذه المحبوبات والملذّات .

و(المعطي) من أسماء الله تعالى الحسنى ،ومعناه كما يقول البيهقي – رحمه الله – فيما نقله عن بعض العلماء في تفسير هذا الاسم : " المعطي : هو الممكّن من نعمه " (٢) .

فالله تبارك وتعالى هو المعطي لكل مطلوب من خزائنه الملأى التي تحوي كل شيء ، وعطاؤه المدرار الذي لا ينقطع لحظة واحدة ، كما يقول تعالى : ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ (٣) .

قال الشيخ السّعدي – رحمه الله – في تفسيرها : " جميع الأرزاق وأصناف الأقدار لا يملكها أحد إلا الله ؛ فخزائنها بيده ؛ يعطي من يشاء ، ويمنع من يشاء ، بحسب حكمته ورحمته الواسعة " (٤) .

وهو كذلك المعطي لكل مطلوب دون أن يخشى نفاد ما عنده ؛ لأن ما عنده غير قابل للنفاد ، كما يقول سبحانه : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴾ (٥) .

ولا يملك أي مخلوق أن يمنع عطاء الله تعالى الذي أراد ، ولا أن يجري ما أراد سبحانه أن يمسك .

يقول ﷻ : ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (٦) .

---

(١) مدارج السالكين (٢ / ٢١٥) .
(٢) كتاب الأسماء والصفات (١ / ١٩٢) .
(٣) سورة الحجر ، الآية : ٢١ .
(٤) تيسير الكريم الرحمن (١ / ٩٠٧) .
(٥) سورة ص ، الآية : ٥٤ .
(٦) سورة فاطر ، الآية : ٢ .

قال الإمام ابن جرير الطّبري – رحمه الله – في تفسير هذه الآية : " مفاتيح الخير ومغالقه كلها بيده ؛ فما يفتح الله للناس من خير فلا مغلق له ولا ممسك عنهم ؛ لأن ذلك أمره، لا يستطيع أمره أحد ؛ وكذلك ما يغلق من خير عنهم فلا يبسطه عليهم ولا يفتحه لهم ، فلا فاتح له سواه ؛ لأن الأمور كلها إليه وله " [١] .

والعطاء من أفعال الله تعالى التي يستدل بها على إثبات توحيد الربوبية .

يقول الإمام ابن القيّم – رحمه الله – في معرض الحديث عن الاستدلال بأفعال الله تعالى على وجوده ومعرفته : " والقرآن مملوء من هذه الطريق : وهي طريق الخاصة ، بل خاصة الخاصة ، وهم الذين يستدلون بالله على أفعاله ، وما يليق به أن يفعله وما لا يفعله ، وإذا تدبّرت القرآن رأيته ينادي على ذلك ، فيبديه ويعيده لمن له فهم وقلب واعٍ عن الله " [٢] .

ومن الجدير بالذكر :

أن معرفة صفات الربوبية وأفعال الرب تبارك وتعالى ؛ يثمر للعبد عبوديات متنوعة : كعبودية التوكل مثلاً .

يقول الإمام ابن القيّم – رحمه الله – : " فعلم العبد بتفرد الرب تعالى بالضر ، والنفع ، والعطاء ، والمنع ، والخلق ، والرزق ، والإحياء ، والإماتة ؛ يثمر له عبودية التوكل عليه باطناً ، ولوازم التوكل وثمراته ظاهراً " [٣].

ومما سبق يستنتج :

أن الملك ، والخلق ، والتدبير ، والعطاء ، وغيرها من خصائص الربوبية تدل على أن الله تبارك وتعالى هو الرب المستحق للعبادة وحده لا شريك له .



(١) جامع البيان (٢٢ / ١١٥) .
(٢) مدارج السالكين (٣ / ٤٦٧) .
(٣) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ، محمد بن أبي بكر الزرعي (ابن القيم) ، د.ط (بيروت : دار الكتب العلمية) ، (٢ / ٩٠) .



الفصل الثاني

الفصل الثاني

دلالة الحديثين على توحيد الألوهية

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : تعريف توحيد الألوهية

المبحث الثاني : معنى كلمة التوحيد وفضلها

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : معنى كلمة التوحيد

المطلب الثاني : فضل كلمة التوحيد

المبحث الثالث : دلالة الحديثين على بعض أنواع العبادة

وفيه تمهيد وأربعة مطالب :

المطلب الأول : العبادات القلبية

المطلب الثاني : العبادات القولية

المطلب الثالث : العبادات البدنية

المطلب الرابع : العبادات المالية

المبحث الرابع : دلالة الحديثين على نواقض التوحيد

وفيه تمهيد ومطلبان :

المطلب الأول : الشرك وعقوبته

المطلب الثاني : النفاق وعقوبته

المبحث الأول

تعريف توحيد الألوهية

الألوهية في اللغة :

صفة ثابتة لله تعالى ؛ مشتقة من اسمه : (الإله) .

والإله : هو المعبود .

يقول الرّاغب الأصفهاني – رحمه الله – : " أله فلان يأله عبد ، وقيل : تأله ؛ فالإله على هذا هو المعبود " [١] .

وقال ابن منظور : " الإله : الله ﷻ ، وكل ما اتُّخذ من دونه معبوداً إله عند متّخذه ، والجمع : آلهة ، والآلهة : الأصنام " [٢] .

وقال الفيروز أبادي [٣] : " أله إلاهة ، وألوهة ، وألوهية عبد عبادة ، ومنه : لفظ الجلالة ، وأصله : إله كفِعال بمعنى : مألوه ؛ وكل ما اتُّخذ معبوداً إله عند متّخذه " [٤] .

وقد روي عن ابن عباس – رضي الله عنهما – في معنى الإله : " الذي يأله كل شيء ويعبده كل خلق ؛ والله ذو الألوهية والمعبودية على خلقه أجمعين " [٥] .

وقال ابن رجب [٦] – رحمه الله – : " الإله : هو المعبود الذي يطاع فلا يعصى ؛

(١) المفردات في غريب القرآن ، مادة (أله) ، (ص ٢١) .

(٢) لسان العرب ، مادة (أله) ، (١٣ / ٤٦٧) .

(٣) هو : محمد بن يعقوب بن محمد الفيروز أبادي ، أبو الطاهر ، نظر في اللغة؛فكانت جل قصده في التحصيل ، ومهر فيها ؛ إلى أن بهر وفاق ، وكان عديم النظير في زمانه نظماً ونثراً بالفارسية والعربية،ولي قضاء اليمن ، من تصانيفه : (تنوير المقباس) ، و (القاموس المحيط) ، توفي سنة ٨١٧هـ . انظر : بغية الوعاة (١ / ٢٧٣ – ٢٧٥) . والبدر الطالع (٢ / ٢٨٠- ٢٨٤) .

(٤) القاموس المحيط (ص ١٦٠٣) .

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان (١ / ٥٤) .

(٦) هو : عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن ، مهر في فنون الحديث: أسماءً ، ورجالاً ، وعللاً ، وطرقاً ، واطلاعاً على معانيه ، وكان صاحب عبادة وتهجد،من مؤلفاته :(فتح الباري) ، و (كلمة الإخلاص) ، توفي سنة ٧٩٥هـ . انظر : إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ ، أحمد بن علي العسقلاني (ابن حجر) ، تحقيق : د.محمد عبد المعيد خان ، ط٢ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م) ، (٣ / ١٧٥- ١٧٦) . وذيل طبقات الحفاظ ، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، د.ط (بيروت : دار الكتب العلمية ، د.ت) ، (ص ٣٦٧- ٣٦٨) .

خشيةً ، وإجلالاً ، ومهابةً ، ومحبةً ، ورجاءً ، وتوكلاً ، ودعاءً " [١] .

والألوهية : هي العبادة ؛ ولذلك قرأ ابن عباس – رضي الله عنهما – قوله تعالى : ﴿ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ﴾ [٢]بكسر الهمزة وفتح اللام ممدودة[٣]،أي وعبادتك،وكان يقول : " إن فرعون كان يُعبد " [٤] .

فالخلاصة إذن مما سبق :

أن الإله : هو المعبود ؛ وأن من عبد شيئاً فقد اتّخذه إلهاً له ، وأن الألوهية لا تتم إلا بالطاعة .

توحيد الألوهية في الاصطلاح :

يعرّف توحيد الألوهية في الاصطلاح بعدة تعريفات ، لا تخرج في حقيقتها عن المعنى اللغوي الدال على العبودية ، ومن أهمها ما يلي :

١– قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – هو : " الاعتقاد الجازم بأن الله سبحانه هو الإله الحق ولا إله غيره ؛ وإفراده سبحانه بالعبادة " [٥] .

٢– وعرّفه علامة اليمن الإمام الصنعاني [٦] – رحمه الله – بأنه : " إفراد الله وحده بجميع أنواع العبادات " [٧] .

---

(١) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم ، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ؛ وإبراهيم باجس ، ط٧ (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م) ، (ص ٢٠٤) .

(٢) سورة الأعراف ، من الآية : ١٢٧ .

(٣) وبها قرأ أيضاً : علي بن أبي طالب ، وعبد الله بن مسعود – رضي الله عنهما – والضحاك ، ومجاهد – رحمهم الله – وهي قراءة شاذة . انظر : جامع البيان (١ / ٥٤) و (٩ / ٢٥) . والجامع لأحكام القرآن (٧ / ٢٦٢) .

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩ / ٢٥) .

(٥) الفتاوى الكبرى ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، تحقيق : حسنين محمد مخلوف ، د.ط (بيروت : دار المعرفة ، د.ت) ، (٥ / ٢٤٨) .

(٦) هو : محمد بن إسماعيل بن صلاح الصنعاني ، أبو إبراهيم ، من بيت الإمامة ، قرأ الحديث ، وبرع في جميع العلوم ؛ حتى فاق الأقران ، وتفرد برئاسة العلم في صنعاء وولي خطابتها ، أصيب بمحن كثيرة من العوام ، له مصنفات جليلة ، منها : (تطهير الاعتقاد) ، و (سبل السلام) ، توفي سنة ١١٨٢هـ . انظر : البدر الطالع (٢ / ١٣٣– ١٣٩) . والأعلام (٦ / ٣٨) .

(٧) تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد ، محمد بن إسماعيل الصنعاني ، ط١ (مصر : مطبعة المنار ، ١٣٤٨هـ) ، (ص ٣) .

٣- وقال الشيخ السّعدي – رحمه الله – هو : " العلم والاعتراف بأن الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين؛وإفراده وحده بالعبادة كلها ، وإخلاص الدين لله وحده " [١] .

٤- وقال الشيخ حافظ حكمي – رحمه الله – في تعريفه : " هو إفراد الله ﷻ بجميع أنواع العبادة : الظاهرة والباطنة ، قولاً وعملاً ؛ ونفي العبادة عن كل ما سوى الله تعالى كائناً من كان " [٢] .

ويطلق على هذا النوع من التوحيد عدة أسماء : منها توحيد القصد والطلب ، والتوحيد الإرادي ، وتوحيد العبادة ، والتوحيد العملي [٣] .



(١) القول السديد (ص ٤٢- ٤٣) .

(٢) أعلام السنة المنشورة (ص ٣٥) .

(٣) انظر : كتاب الصفدية ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، تحقيق : محمد رشاد سالم ، د.ط (الرياض : دار الفضيلة ، ١٤٢١ هـ =٢٠٠٠م ، د.ت) ، (٢ / ٢٢٨) . ومدارج السالكين (٣ / ٤٤٩) .

المبحث الثاني

معنى كلمة التوحيد وفضلها

المطلب الأول : معنى كلمة التوحيد

كلمة التوحيد : هي شهادة لا إله إلا الله .

ولهذه الكلمة معنىً عظيم الشأن ، وهو كما قال الإمام الصنعاني – رحمه الله – : " إفراد الله بالعبادة والإلهية ؛ والنفي والبراءة من كل معبود دونه " (١) .

ويقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب (٢) – رحمه الله – : " ومعناها : لا معبود بحق إلا الله " (٣) .

وقد جاء هذا المعنى في آيات كثيرة من كتاب الله ﷻ : كقوله ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ (٤) .

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي (٥) – رحمه الله – في تفسير هذه الآية : " يقول جل وعلا في هذه الآية الكريمة : أنه بعث في كل أمة رسولاً بعبادة الله وحده ؛ واجتناب عبادة

(١) تطهير الاعتقاد (ص ٥) .

(٢) هو : محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي ، أحد العلماء المجددين والقادة المصلحين ، نشأ في بيت علم ودين ، كان يدعو إلى التوحيد الخالص ، ونبذ البدع ، وتحطيم ما علق بالإسلام من أوهام ، اتهمه أهل الزيغ والضلال بفساد المعتقد ، له عدة مؤلفات ، منها : (كتاب التوحيد) ، و (كشف الشبهات) ، توفي سنة ١٢٠٦هـ . انظر : الأعلام (٦ / ٢٥٧) . والإمام محمد بن عبد الوهاب دعوته وسيرته ، عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، ط٢ (السعودية : الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، ١٤١١هـ) .

(٣) شرح ثلاثة الأصول (ص ٦٦) .

(٤) سورة النحل ، من الآية : ٣٦ .

(٥) هو : محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الشنقيطي ، فقيه أصولي مفسر ، تلقى علومه في بلده شنقيط ، وتولى التدريس والفتيا ، واشتهر بالقضاء ، ثم استقر مدرساً في الجامعة الإسلامية بالمدينة ، له كتب ، منها : (آداب البحث والمناظرة) ، و (أضواء البيان) ، توفي سنة ١٣٩٣هـ . انظر : الأعلام (٦ / ٤٥) . وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ، تحقيق : مكتب البحوث والدراسات ، د.ط (بيروت : دار الفكر ، ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م) ، (٩ / ٤٦٩ – ٥٠٤) .

ما سواه ؛ وهذا هو معنى : لا إله إلا الله ؛ لأنها مركّبة من نفي وإثبات ، فنفيها هو خلع جميع المعبودات غير الله تعالى في جميع أنواع العبادات ، وإثباتها هو إفراده جل وعلا بجميع أنواع العبادات بإخلاص ، على الوجه الذي شرعه على ألسنة رسله عليهم صلوات الله وسلامه " [١] .

كما جاء هذا المعنى أيضاً في قوله جل شأنه : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [٢].

قال الإمام ابن جرير الطّبري – رحمه الله – في تفسيرها : " يقول تعالى ذكره : وما أرسلنا يا محمد من قبلك من رسول إلى أمة من الأمم ؛ إلا نوحي إليه أنه لا معبود في السماوات والأرض تصلح العبادة له سواي ؛ فأخلصوا لي العبادة ، وأفردوا لي الألوهية " [٣] .

وكذلك ورد نحوهما من الآيات التي فيها بيان حقيقة هذه الكلمة من حيث مدلولها ومقتضاها .

ودلالة هذه الكلمة على التوحيد باعتبار اشتمالها على النفي والإثبات المقتضي للحصر أبلغ من مجرّد الإثبات ؛ فهي تدل بشطرها الأول على نفي الألوهية عمّا سوى الله تعالى ، وتدل بشطرها الآخر على إثباتها له وحده .

يقول الإمام ابن القيّم – رحمه الله – : "وهذه أعظم كلمة تضمنت بالوضع نفي الإلهية عمّا سوى الله ؛ وإثباتها له بوصف الاختصاص؛فدلالتها على الإثبات أعظم من دلالة قولنا : الله إله ؛ ولا يستريب أحد في هذا ألبتة " [٤] .

---

(١) أضواء البيان (٢ / ٣٧٤) .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية : ٢٥ .

(٣) جامع البيان (١٧ / ١٥) .

(٤) بدائع الفوائد (٣ / ٥٦٥) .

المطلب الثاني

فضل كلمة التوحيد

لـقد اجتمع لكلمة التوحيد : لا إله إلا الله فضائل كثيرة ومنافع جمّة ؛ فهي أعظم نعمة أنعم الله ﷻ بها على عباده حيث هداهم إليها .

قال سفيان بن عُيينة [(١)] – رحمه الله – : "ما أنعم الله على العباد نعمة أفضل من أن عرّفهم لا إله إلا الله " [(٢)] .

ولقد ورد في حديثي أبي هريرة وأبي سعيد الخدري – رضي الله عنهما – ما يدل على فضلها ؛ وأنها سبب مانع للخلود في النار لمن استحق دخولها ، وذلك في قولـه ﷺ من حديث أبي هريرة ﷺ كما عند البخاري : " حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِهِ ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ مِنَ النَّارِ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ ، مِمَّنْ كَانَ يَشْهَدُ : أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ؛ أَمَرَ الْمَلائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوهُمْ " .

وفي قوله ﷺ من حديث أبي سعيد ﷺ كما عند أحمد : " ثُمَّ يَشْفَعُ الْأَنْبِيَاءُ فِي كُلِّ مَنْ كَانَ يَشْهَدُ : أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصاً ؛ فَيُخْرِجُونَهُمْ مِنْهَا " .

فأهل لا إله إلا الله وإن دخلوا النار بتقصيرهم في حقوقها ؛ فإنهم لا بد أن يخرجوا منها [(٣)] .

ولقد ذكر ابن رجب – رحمه الله – جملة من فضائل لا إله إلا الله ، واستدل على كل واحدة منها ، ومنها [(٤)] – إضافةً إلى ما سبق – :

---

(١) هو : سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي ، أبو محمد ، كان من الثقات الحفاظ المتقنين وأهل الورع والدين ، من كتبه : (التفسير) ، و (الجامع) ، توفي سنة ١٩٨هـ . انظر : الثقات (٦ / ٤٠٣- ٤٠٤) . والرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المصنفة ، محمد بن جعفر الكتاني ، تحقيق : محمد المنتصر محمد الزمزمي ، ط٤ (بيروت : دار البشائر الإسلامية ، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م) ، (ص ٤١) .

(٢) أخرجه أحمد بن عبد الله الأصبهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ،ط٤(بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٤٠٥هـ) ، (٧ / ٢٧٢) . وأحمد بن الحسين البيهقي في شعب الإيمان ، تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول ، ط١ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٠هـ) ، (٤ / ١١٩ ، رقم ٤٥٠٠) .

(٣) وسيأتي تفصيل هذه المسألة – أعني : حكم مرتكب الكبيرة – : في الفصل الثالث من الباب الثالث .

(٤) انظر : كلمة الإخلاص وتحقيق معناها ، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب ، تحقيق : زهير الشاويش ، ط٤ (بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٣٩٧هـ) ، (ص ٥٤- ٥٥ ، ٥٧ – ٦٤ ، ٦٦ – ٦٧) .

١– أنها أفضل الذكر،كما في حديث جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – مرفوعاً : " أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ " [١] .

وهي تعدّ كذلك ؛ لكونها كلمة التوحيد ، ومن المعلوم أن التوحيد لا يماثله ولا يعادله شيء ، كما أنها أجمع للقلب مع الله تعالى ، وأشد تنقيةً للنفس وتصفيةً للباطن ، وأطرد للشيطان [٢] .

٢– أنها أفضل الأعمال وأكثرها تضعيفاً ، وتعدل عتق الرّقاب ، وتعدّ حصناً منيعاً من الشيطان الرجيم ، كما جاء في حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : " مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ؛ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ ؛كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزاً مِنْ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ " [٣] .

٣– أنها لا يحجبها شيء دون الله تعالى ، كما في حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : " مَا قَالَ عَبْدٌ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَطُّ مُخْلِصاً ؛ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ حَتَّى تُفْضِيَ إِلَى الْعَرْشِ ؛ مَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ " [٤] .

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه ، كتاب الدعوات ، باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة (٥ / ٤٦٢ ، رقم ٣٣٨٣) ، وقال : " هذا حديث حسن غريب " . والنسائي في سننه الكبرى،كتاب عمل اليوم والليلة ، باب أفضل الذكر (٦ / ٢٠٨ ، رقم ١٠٦٦٧) . وابن ماجه في سننه ، كتاب الأدب ، باب فضل الحامدين (٢ / ١٢٤٩ ، رقم ٣٨٠٠).ومحمد بن عبد الله الحاكم في المستدرك على الصحيحين ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، ط١ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١١هـ = ١٩٩٠م) ، (١ / ٦٧٦ ، رقم ١٨٣٤) ، وقال : " هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه " . وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣ / ٣٨٩ ، رقم ٣٣٨٣) ، وصحيح سنن ابن ماجه (٣ / ٢٤٥ ، رقم ٣٠٨٠) .

(٢) انظر : تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ، محمد بن عبد الرحيم المباركفوري ، د.ط (بيروت : دار الكتب العلمية ، د.ت) ، (٩ / ٢٢٩) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب بدء الخلق،باب صفة إبليس وجنوده (٣ / ١١٩٨ ، رقم ٣١١٩) ، واللفظ له . ومسلم في صحيحه ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء (٤ / ٢٠٧١ ، رقم ٢٦٩١) .

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه ، كتاب الدعوات ، باب دعاء أم سلمة (٥ / ٥٧٥ ، رقم ٣٥٩٠) ، وقال : " هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه " ، واللفظ له . والنسائي في سننه الكبرى ، كتاب عمل اليوم والليلة ، باب أفضل الذكر (٦ / ٢٠٨ ، رقم ١٠٦٦٩) . وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣ / ٤٧٣ ، رقم ٣٥٩٠) .

٤- أنها توجب مغفرة الذنوب ، كما جاء في حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : " مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْمُؤَذِّنَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ؛ رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبّاً ، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً ، وَبِالْإِسْلَامِ دِيناً ؛ غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ " [(١)] .

٥- أنها سبيل النجاة من النار ، كما في حديث عتبان بن مالك رضي الله عنه الطويل مرفوعاً ، وفيه : " فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ " [(٢)] .

٦- أنها تفتح لقائلها أبواب الجنة الثمانية ؛ يدخل من أيها شاء ، كما في حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : " مَنْ قَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ؛ وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ ، وَابْنُ أَمَتِهِ ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ ، وَرُوحٌ مِنْهُ ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ ؛ أَدْخَلَهُ اللَّهُ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ " [(٣)] .

٧- أنها تطيش بسجلات الذنوب وترجح بصحائفها وتثقل الميزان ، كما ورد في شأن صاحب البطاقة من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما- مرفوعاً ، وفيه : " فَتُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ فِيهَا : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ " ، قال : " فَيَقُولُ : يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ ؟ فَيَقُولُ : إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ ؛ فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ ؛ فَطَاشَتْ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتْ الْبِطَاقَةُ " [(٤)] .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الصلاة ، باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه (١ / ٢٩٠ ، رقم ٣٨٦) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب أبواب المساجد،باب المساجد في البيوت(١ / ١٦٤ ، رقم ٤١٥) . ومسلم في صحيحه ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر (١ / ٤٥٥ ، رقم ٣٣) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأنبياء ، باب قوله : ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ ...﴾ [سورة النساء ، الآية : ١٧١] (٣ / ١٢٦٧ ، رقم ٣٢٥٢) . ومسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ،باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً (١ / ٥٧ ، رقم ٢٨)،واللفظ له .

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه ، كتاب الإيمان ، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد : أن لا إله إلا الله (٥ / ٢٤ ، رقم ٢٦٣٩) ، وقال : " هذا حديث حسن غريب " . وابن ماجه في سننه ، كتاب الزهد ، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة (٢ / ١٤٣٧ ، رقم ٤٣٠٠) ، واللفظ له . وأحمد في مسنده – ط١٤١٧هـ = ١٩٩٧م – (١١ / ٥٧١ ، رقم ٦٩٩٤) . والحاكم في المستدرك (١ / ٤٦ ، رقم ٩) ، وقال : " صحيح على شرط مسلم " . وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣ / ٥٣ ، رقم ٢٦٣٩) ، وصحيح سنن ابن ماجه (٣ / ٣٩٨ ، رقم ٣٤٨٨) .

إلى غير ذلك من الفضائل التي يقصر دونها الحصر والعدّ [1] .

(١) انظر للاستزادة : معارج القبول (٢ / ٤١١- ٤١٥) . ورسائل في العقيدة ، محمد بن إبراهيم الحمد ، ط١ (الرياض : دار ابن خزيمة ، ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م) ، (ص ٩٦ -١١٤) .

المبحث الثالث

دلالة الحديثين على بعض أنواع العبادة

تمهيد :

تعريف العبادة :

العبادة في اللغة : هي " الطاعة مع الخضوع ، يقال : طريق معبّد إذا كان مذللاً بكثرة الوطء " [(١)] .

وفي الاصطلاح :

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في تعريفها : " اسم جامع لكل ما يحبه الله تعالى ويرضاه ، من الأقوال والأعمال ، الباطنة والظاهرة " [(٢)] .

وعرّفها الإمام ابن القيّم – رحمه الله – بأنها : غاية المحبة مع غاية الذلّ [(٣)] .

وللعبادة عدة أنواع ، وهي على حسب المطالب التالية :

---

(١) تهذيب اللغة ، مادة (عبد) ، (٢ / ١٣٨) .

(٢) مجموع الفتاوى (١٠ / ١٤٩) .

(٣) انظر : توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم ، أحمد بن إبراهيم بن عيسى ، تحقيق : زهير الشاويش ، ط٣ (بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤٠٦هـ) ، (١ / ٢٥٣) .

المطلب الأول

العبادات القلبية

ويقصد بها : العبادات التي مدارها على القلب .

ومن العبادات القلبية المذكورة في حديثي أبي هريرة وأبي سعيد الخدري – رضي الله عنهما – ما يلي :

أولاً – الخوف :

الخوف من أجلّ منازل العبودية وأنفعها .

ولقد دل حديثا أبي هريرة وأبي سعيد الخدري – رضي الله عنهما – على أن الخوف عبادة ، وذلك في قوله ﷺ من حديث أبي هريرة ﷺ كما عند الترمذي : " فَإِذَا أَدْخَلَ اللَّهُ أَهْلَ الجَنَّةِ الجَنَّةَ وَأَهْلَ النَّارِ النَّارَ " ، قال : " أُتِيَ بِالمَوْتِ مُلَبَّباً ؛ فَيُوقَفُ عَلَى السُّورِ الَّذِي بَيْنَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ ، ثُمَّ يُقَالُ : يَا أَهْلَ الجَنَّةِ ، فَيَطَّلِعُونَ خَائِفِينَ " .

وفي قوله ﷺ من حديث أبي سعيد ﷺ كما عند البخاري : " فَيَأْتِيهِمُ الجَبَّارُ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ، فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ ، فَيَقُولُونَ : أَنْتَ رَبُّنَا ؛ فَلاَ يُكَلِّمُهُ إِلَّا الأَنْبِيَاءُ " .

والخوف في اللغة : هو " الذعر والفزع ، يقال : خفت الشيء خوفاً وخيفة " (١) ، "وخاف الرجل يخاف خوفاً ، وخيفةً ، ومخافةً فهو خائف ، وخاوفه فخافه يَخوفُه غلبه بالخوف ، أي كان أشد خوفاً منه ، والإخافة : التخويف " (٢) .

وفي الاصطلاح :

عرّف العلماء الخوف بعدة تعريفات ؛ تبعاً لاختلاف نظرة كل منهم ، وذلك على النحو التالي :

١– قال الإمام ابن القيّم – رحمه الله – هو : " اضطراب القلب وحركته من تذكر المخوّف " (٣) .

(١) معجم مقاييس اللغة ، مادة (خوف) ، (٢ / ٢٣٠) .

(٢) الصحاح ، مادة (خوف) ، (٤ / ١٣٥٨– ١٣٥٩) .

(٣) مدارج السالكين (١ / ٥١٢) .

٢– وقال في تعريف آخر : " هرب القلب من حلول المكروه عند استشعاره " [١] .

٣– وعرّفه الشريف الجرجاني [٢] بقوله : " الخوف : توقع حلول مكروه أو فوات محبوب " [٣] .

والخوف من الله ﷻ من المقامات العلية ؛ وهو من لوازم الإيمان ، قال تعالى : ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [٤] .

وقال سبحانه : ﴿ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ ﴾ [٥] .

وكلما كان العبد أقرب إلى ربه ؛ كان أشد له خشية .

فقد وصف الله تعالى الملائكة بقوله ﷻ : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ [٦] ، ووصف الأنبياء – عليهم السلام – بقوله سبحانه : ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ [٧] .

وقال ﷺ في الحديث الذي ترويه أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – : " إِنَّ أَتْقَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللَّهِ أَنَا " [٨] .

قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله – : " وإنما كان خوف المقرّبين أشد ؛ لأنهم يطالبون بما لا يطالب به غيرهم ؛ فيراعون تلك المترلة " [٩] .

والخوف ، والخشية ، والرهبة ، والوجل ألفاظ متقاربة ولكنها غير مترادفة .

---

(١) مدارج السالكين (١ / ٥١٢) .

(٢) هو : علي بن محمد بن علي الجرجاني ، ويعرف بالشريف ، عالم بلاد المشرق ، كان علامة دهره ، تصدى للإقراء ، والتصنيف ، والفتيا ، وكان له معرفة بطرق المناظرة ، والمباحثة ، والاحتجاج ، من تصانيفه : (التعريفات) ، و (شرح كتاب المواقف) ، توفي سنة ٨١٦هـ . انظر : الضوء اللامع (٥ / ٣٢٨ – ٣٣٠) . وبغية الوعاة (٢ / ١٩٦ – ١٩٧) .

(٣) التعريفات (ص ١٣٧) .

(٤) سورة آل عمران ، من الآية : ١٧٥ .

(٥) سورة المائدة ، من الآية : ٤٤ .

(٦) سورة النحل ، من الآية : ٥٠ .

(٧) سورة الأحزاب ، من الآية : ٣٩ .

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب قول النبي ﷺ : " أَنَا أَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ " (١ / ١٦ ، رقم ٢٠) .

(٩) فتح الباري (١١ / ٣١٣) .

فالخوف : عبارة عن حركة ، والخشية : تجمع ما بين الانقباض والسكون .

والرهبة : الإمعان في الهرب من المكروه ؛ وهي ضد الرغبة ؛ وأمّا الوجل : فرجفان القلب وانصداعه عند ذكر من يخاف سلطانه وعقوبته [(١)] .

فالخوف إذن :

عبادة جليلة تعبّد الله تعالى بها جميع عباده : من الملائكة ، والنبيين – عليهم السلام – وسائر المؤمنين .

وكلما ازدادت معرفة العبد بربه ؛ ازداد له خشية ، فإن أعرف الناس بالله ﷻ أخشاهم له .

والخوف من حيث هو على أربعة أقسام [(٢)] :

القسم الأول : خوف السر :

وهو أن يخاف من غير الله تعالى : من وثن أو طاغوت ؛ أن يصيبه بمرض ، أو فقر ، أو قتل ، ونحو ذلك من المكروهات ، كما أخبر تعالى عن قوم هود ؑ أنهم قالوا له : ﴿ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴾ [(٣)] .

وقال سبحانه : ﴿ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾ [(٤)] .

قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله – : " يعني : المشركين يخوّفون الرسول ﷺ ويتوعدونه بأصنامهم وآلهتهم التي يدعون من دون الله ؛ جهلاً منهم " [(٥)] .

وهذا الخوف لا يجوز تعلّقه بغير الله تعالى أصلاً ؛ لأن هذا من لوازم الإلهية ؛ فمن اتّخذ مع الله سبحانه ندّاً يخافه هذا الخوف فقد أشرك .

القسم الثاني : الخوف المحرّم :

وهو أن يترك الإنسان ما يجب عليه : من الجهاد ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر

---

(١) انظر : مدارج السالكين (١ / ٥١٢– ٥١٣) .
(٢) انظر : تيسير العزيز الحميد (ص ٤٠٦– ٤٠٨) .
(٣) سورة هود ، الآيات : ٥٤– ٥٥ .
(٤) سورة الزمر ، من الآية : ٣٦ .
(٥) تفسير القرآن العظيم (٤ / ٥٥) .

بغير عذر ؛ إلا لخوف الناس ؛ فهذا محرّم ، وهو الذي نزلت فيه الآية : ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (١) .

القسم الثالث : خوف الوعيد :

وهو الخوف مما توعد الله تعالى به العصاة ، وهو الذي قال فيه سبحانه : ﴿ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ (٢) .

قال الإمام ابن جرير الطّبري – رحمه الله – في تفسير الآية : " يقول جل ثناؤه : هكذا فعلي لمن خاف مقامه بين يديّ وخاف وعيدي ؛ فاتقاني بطاعته وتجنب سخطي ؛ أنصره على من أراد به سوءاً وبغاه مكروهاً من أعدائي ، أهلك عدوه وأخزيه ، وأورثه أرضه ودياره " (٣) .

وقال فيه ﷻ : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾(٤) .

وهذا الخوف من أعلى مراتب الإيمان ؛ فالخوف الحقيقي هو الذي يكون حائلاً بين المرء وبين حرمات الله تعالى .

القسم الرابع : الخوف الطبيعي :

كالخوف من عدو ، أو هدم ، أو غرق ، ونحو ذلك ؛ فهذا لا يذم ، كما قال تعالى في قصة موسى عليه السلام : ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ (٥) .

ويتبيّن مما سبق :

أن الخوف عبادة فرضها الله تعالى على جميع عباده ؛ فيجب إخلاصها لله تعالى وحده ، وعدم صرفها لأحد سواه ، فلا خوف ولا خشية إلا منه جل وعلا .

ثانياً – الرجاء :

الرجاء ركن عظيم من أركان العبادة ؛ فالعبادة : تقوم على الحب ، والخوف ،

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٧٥ .
(٢) سورة إبراهيم ، من الآية : ١٤ .
(٣) جامع البيان (١٣ / ١٩٢) .
(٤) سورة الرحمن ، الآية : ٤٦.
(٥) سورة القصص ، من الآية : ٢١ .

والرجاء [١] .

ولقد دل حديث أبي هريرة ﷺ على أن الرجاء عبادة ، وأنه حق من حقوق الله تعالى على عباده ، وذلك في قوله ﷺ كما عند أحمد : " فَإِذَا صُيِّرَ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّارِ فِي النَّارِ ، أُتِيَ بِالْمَوْتِ مُلَبَّباً ؛ فَيُوقَفُ عَلَى السُّورِ الَّذِي بَيْنَ أَهْلِ النَّارِ وَأَهْلِ الْجَنَّةِ ، ثُمَّ يُقَالُ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ، فَيَطَّلِعُونَ خَائِفِينَ ، ثُمَّ يُقَالُ : يَا أَهْلَ النَّارِ ، فَيَطَّلِعُونَ مُسْتَبْشِرِينَ يَرْجُونَ الشَّفَاعَةَ " .

والرجاء في اللغة : مأخوذ " من الأمل نقيض اليأس ، يقال : رجاه يرجوه رجواً ، ورجاءً ، ورجاوةً " [٢] .

" وقد يكون الرجو والرجاء بمعنى : الخوف ، قال الله تعالى : ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ [٣] ، أي تخافون عظمة الله " [٤] .

وذلك أن الخوف والرجاء متلازمان .

وللرجاء في الاصطلاح تعريفات عدة ، أذكر منها ما يلي :

١- قال الإمام ابن القيّم – رحمه الله – : " هو الاستبشار بجود وفضل الرب تبارك وتعالى ؛ والارتياح لمطالعة كرمه سبحانه " [٥] .

٢- وقال أيضاً : " هو النظر إلى سعة رحمة الله ﷻ " [٦] .

٣- وعرّفه الشريف الجرجاني بأنه :"تعلّق القلب بحصول أمر محبوب في المستقبل " [٧].

والآيات والأحاديث في عبودية الرجاء كثيرة ، ومن ذلك :

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ

---

(١) قال ابن القيم في مدارج السالكين (١ / ٥١٧) :" القلب في سيره إلى الله ﷻ بمترلة الطائر : فالمحبة رأسه ، والخوف والرجاء جناحاه ، فمتى سلم الرأس والجناحان ؛ فالطائر جيد الطيران ، ومتى قطع الرأس ؛ مات الطائر ، ومتى فقد الجناحان ؛ فهو عرضة لكل صائد وكاسر " .

(٢) لسان العرب ، مادة (رجا) ، (١٤ / ٣٠٩) .

(٣) سورة نوح ، الآية : ١٣ .

(٤) الصحاح ، مادة (رجا) ، (٦ / ٢٣٥٢) .

(٥) مدارج السالكن (٢ / ٣٥) .

(٦) المرجع السابق (٢ / ٣٦) .

(٧) التعريفات (ص ١٤٦) .

يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [(١)] .

وقوله سبحانه : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [(٢)] .

ومن السنة – زيادةً على ما سبق – :

قول الله ﷻ في الحديث القدسي الذي رواه أبو هريرة ﷺ مرفوعاً : " أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي " [(٣)] .

وعن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ ﷻ " [(٤)] .

قال الإمام النووي [(٥)] – رحمه الله – : " قال العلماء : هذا تحذير من القنوط وحث على الرجاء عند الخاتمة " [(٦)] .

فالله ﷻ عند ظن عبده ، وهذا الظن والرجاء ينبغي أن يكون بلا يأس من روح الله تعالى ، ولا قنوط من رحمته ﷻ .

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢١٨ .

(٢) سورة الكهف ، الآية : ١١٠ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [سورة الفتح ، من الآية : ١٥] (٦ / ٢٧٢٥ ، رقم ٧٠٦٦) . ومسلم في صحيحه ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى (٤ / ٢٠٦٧ ، رقم ٢٦٧٥) .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت (٤ / ٢٢٠٦ ، رقم ٢٨٧٧) .

(٥) هو : يحيى بن شرف بن مري النووي ، أبو زكريا ، مفتي الأمة وشيخ الإسلام ، أعلم أهل زمانه وأزهدهم ، عرف بالمصابرة على أنواع الخير ، مع التفنن في أصناف العلوم ، ومتون الأحاديث ، وأسماء الرجال ، من تصانيفه : (التبيان في آداب حملة القرآن) ، و (رياض الصالحين) ، توفي سنة ٦٧٦هـ . انظر : تاريخ الإسلام (٥٠ / ٢٤٦ – ٢٥٦) . وطبقات الشافعية الكبرى ، تاج الدين بن علي السبكي ، تحقيق : د. محمود محمد الطناحي ؛ ود.عبد الفتاح محمد الحلو ، ط٢ (القاهرة : دار هجر ، ١٤١٣هـ) ، (٨ / ٣٩٥ – ٤٠٠) .

(٦) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (شرح النووي على صحيح مسلم) ، يحيى بن شرف النووي ، ط٢ (بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٣٩٢هـ) ، (١٧ / ٢٠٩) .

والمقصود من الرجاء كما يقول الحافظ ابن حجر – رحمه الله – : " إن من وقع منه تقصير ؛ فليحسن ظنه بالله ، ويرجو أن يمحو عنه ذنبه ، وكذا من وقع منه طاعة ؛ يرجو قبولها ، وأمّا من انهمك على المعصية راجياً عدم المؤاخذة بغير ندم ولا إقلاع ؛ فهذا في غرور " (١) .

ويظهر من خلال النقل السابق أن للرجاء ثلاثة أنواع (٢) :

النوع الأول : رجاء ثواب الله تعالى لمن عمل بالطاعة .

النوع الثاني : رجاء مغفرة الله تعالى وعفوه وإحسانه لمن تاب من ذنوبه ؛ وهذان النوعان محمودان .

النوع الثالث : رجاء رحمة الله تعالى بلا عمل ؛ وهو الغرور والرجاء الكاذب ؛ وهذا النوع مذموم .

وبالرجاء ؛ تظهر عبودية الإنسان وفاقته وحاجته إلى إحسان ربه ﷻ ، كما أنه يبعث العبد على أعلى المقامات : وهو مقام الشكر الذي هو خلاصة العبودية ، ويوجب له المزيد من معرفة الله تعالى وأسمائه ومعانيها والتعلّق بها (٣) .

والرجاء المتضمن للذلّ والخضوع لا ينبغي أن يكون إلا لله ﷻ ؛ فعلى العبد أن يرجو ربه طمعاً في ثوابه وخوفاً من عقابه ، وأن لا يصرف شيئاً من ذلك لغير الله سبحانه حتى لا يقع في الشرك .

---

(١) فتح الباري (١١ / ٣٠١) .
(٢) انظر : مدارج السالكين (٢ / ٣٦) .
(٣) انظر : المرجع السابق (٢ / ٥٠) .

المطلب الثاني

العبادات القولية

ويقصد بها : العبادات التي تتعلّق باللسان .

ومن العبادات القولية المذكورة في حديثي أبي هريرة وأبي سعيد الخدري – رضي الله عنهما – ما يلي :

أولاً – الدعاء :

الدعاء هو سمة العبودية .

وقد دل حديث أبي هريرة ﷺ على أن الدعاء عبادة لا يستحقها إلا الله جل وعلا ، وذلك في قوله ﷺ كما عند البخاري : " وَيَبْقَى رَجُلٌ مِنْهُمْ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّار ، هُوَ آخِرُ أَهْلِ النَّارِ دُخُولاً الجَنَّةَ ، فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ ، اصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّار ؛ فَإِنَّهُ قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا ، وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُهَا ، فَيَدْعُو اللَّهَ بِمَا شَاءَ أَنْ يَدْعُوَهُ ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ : هَلْ عَسَيْتَ إِنْ أَعْطَيْتُكَ ذَلِكَ أَنْ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ ؟ فَيَقُولُ : لاَ ، وَعِزَّتِكَ ، لاَ أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ ، وَيُعْطِي رَبَّهُ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ مَا شَاءَ ؛ فَيَصْرِفُ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّار، فَإِذَا أَقْبَلَ عَلَى الجَنَّةِ وَرَآهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ ، ثُمَّ يَقُولُ : أَيْ رَبِّ ، قَدِّمْنِي إِلَى بَابِ الجَنَّةِ ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ : أَلَسْتَ قَدْ أَعْطَيْتَ عُهُودَكَ وَمَوَاثِيقَكَ أَنْ لاَ تَسْأَلَنِي غَيْرَ الَّذِي أُعْطِيتَ أَبَداً ؟ وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ ، مَا أَغْدَرَكَ ، فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ ، وَيَدْعُو اللَّهَ حَتَّى يَقُولَ : هَلْ عَسَيْتَ إِنْ أُعْطِيتَ ذَلِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ ؟ فَيَقُولُ : لاَ ، وَعِزَّتِكَ ، لاَ أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ ، وَيُعْطِي مَا شَاءَ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ ؛ فَيُقَدِّمُهُ إِلَى بَابِ الجَنَّةِ ، فَإِذَا قَامَ إِلَى بَابِ الجَنَّةِ ؛ انْفَهَقَتْ لَهُ الجَنَّةُ ؛ فَرَأَى مَا فِيهَا مِنَ الحَبْرَةِ وَالسُّرُورِ ، فَيَسْكُتُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ ، ثُمَّ يَقُولُ : أَيْ رَبِّ ، أَدْخِلْنِي الجَنَّةَ ، فَيَقُولُ اللَّهُ : أَلَسْتَ قَدْ أَعْطَيْتَ عُهُودَكَ وَمَوَاثِيقَكَ أَنْ لاَ تَسْأَلَ غَيْرَ مَا أُعْطِيتَ ؟ فَيَقُولُ : وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ ، مَا أَغْدَرَكَ ، فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ ، لاَ أَكُونَنَّ أَشْقَى خَلْقِكَ ؛ فَلاَ يَزَالُ يَدْعُو حَتَّى يَضْحَكَ اللَّهُ مِنْهُ ، فَإِذَا ضَحِكَ مِنْهُ قَالَ لَهُ : ادْخُلِ الجَنَّةَ " .

والدعاء في اللغة : هو " أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك ، تقول : دعوت أدعو دعاءً " (١) .

قال ابن منظور : " دعا الرجل دعواً ودعاءً ناداه ، والاسم: الدعوة ، ودعوت فلاناً ،

---

(١) معجم مقاييس اللغة ، مادة (دعو) ، (٢ / ٢٧٩) .

أي صحت به واستدعيته "[١] .

وفي الاصطلاح :

قال الرازي [٢] – رحمه الله – في تعريفه : " استدعاء العبد ربه ﷻ العناية ، واستمداده إياه المعونة "[٣] .

وعرّفه الحافظ ابن حجر – رحمه الله – بقوله : " إظهار غاية التذلّل والافتقار إلى الله ، والاستكانة له "[٤] .

وقد أمر الله تعالى بالدعاء وحث عليه ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ﴾[٥] .

وقوله سبحانه : ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾[٦] .

وقوله جل شأنه : ﴿ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾[٧] .

وكذلك رسوله الكريم ﷺ ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " مَنْ لَمْ يَسْأَلْ اللَّهَ ؛ يَغْضَبْ عَلَيْهِ "[٨] .

---

(١) لسان العرب ، مادة (دعا) ، (١٤ / ٢٥٨) .

(٢) هو : محمد بن عمر بن الحسين الرازي ، إمام المتكلمين ، كان أوحد وقته في العلوم العقلية وأحد علماء الشريعة ، ذو شعر جيد ، من كتبه :(إعجاز القرآن) ، و(مفاتيح الغيب) ، توفي سنة ٦٠٦هـ . انظر : طبقات الفقهاء ، إبراهيم بن علي الشيرازي ، تحقيق : خليل الميس ، د.ط (بيروت : دار القلم ، د.ت) ، (ص ٢٦٣ – ٢٦٤) . وطبقات المفسرين ، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق : علي محمد عمر ، ط١ (القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٣٩٦هـ) ، (ص ١١٥- ١١٦) .

(٣) التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) ، محمد بن عمر الرازي ، ط١ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م) ، (٥ / ٨٣) .

(٤) فتح الباري (١١ / ٩٥) .

(٥) سورة النساء ، من الآية : ٣٢ .

(٦) سورة الأعراف ، الآية : ٥٥ .

(٧) سورة غافر ، الآية : ١٤.

(٨) أخرجه الترمذي في جامعه ، كتاب الدعوات ، باب منه (٥ / ٤٥٦ ، رقم ٣٣٧٣) ، وقال : " لا نعرفه إلا من هذا الوجه " ، واللفظ له . وأحمد في مسنده – ط١٤١٧هـ = ١٩٩٧م – (١٥ / ٤٣٨ ، رقم ٩٧٠١) . والحاكم في المستدرك (١ / ٦٦٨ ، رقم ١٨٠٧) ، وقال : " هذا حديث صحيح الإسناد " . وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣ / ٣٨٤ ، رقم ٣٣٧٣) .

بل إن الدعاء من أفضل العبادات وأشرف الطاعات ، قال تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (١) ﴾ (٢) .

وعن النعمان بن بشير – رضي الله عنهما – قال : سمعت النبي ﷺ يقول : " الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ " (٣) .

أي أن الدعاء هو العبادة الحقيقية ؛ لدلالته على الإقبال على الله تعالى والإعراض عمّا سواه ، بحيث لا يرجى إلا إياه ولا يخاف إلا منه (٤) .

ويظهر من ذلك :

أن الدعاء شامل لجميع أنواع العبادة .

كما أنه أكرم شيء على الله تعالى ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ الدُّعَاءِ " (٥) .

---

(١) داخرين : أي أذلاء ، يقال : أدخرته فدخر إذا أذللته فذل . انظر : المفردات في غريب القرآن ، مادة (دخر) ، (ص ١٦٦) . والتبيان في تفسير غريب القرآن (ص ٣٢٥) .

(٢) سورة غافر ، الآية : ٦٠ .

(٣) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الصلاة ، باب الدعاء (٢ / ٧٦ ، رقم ١٤٧٩) . والترمذي في جامعه ، كتاب تفسير القرآن ، باب ومن سورة البقرة (٥ / ٢١١ ، رقم ٢٩٦٩) ، وقال : " هذا حديث حسن صحيح " . والنسائي في سننه الكبرى ، كتاب التفسير ، باب قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ ﴾ [سورة الزمر ، من الآية : ٦٨] (٦ / ٤٥٠ ، رقم ١١٤٦٤) . وابن ماجه في سننه ، كتاب الدعاء ، باب فضل الدعاء (٢ / ١٢٥٨ ، رقم ٣٨٢٨) . وأحمد في مسنده – ط١٤١٩هـ = ١٩٩٩م – (٣٠ / ٢٩٨ ، رقم ١٨٣٥٢) . والحاكم في المستدرك (١ / ٦٦٧ ، رقم ١٨٠٢) ، وقال : " هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه " . وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١ / ٤٠٧ ، رقم ١٤٧٩) ، وصحيح سنن الترمذي (٣ / ١٩٠ ، رقم ٢٩٦٩) ، وصحيح سنن ابن ماجه (٣ / ٢٥٢ ، رقم ٣١٠١) .

(٤) انظر : تحفة الأحوذي (٨ / ٢٤٦) .

(٥) أخرجه الترمذي في جامعه ، كتاب الدعوات ، باب ما جاء في فضل الدعاء (٥ / ٤٥٥ ، رقم ٣٣٧٠) ، وقال : " هذا حديث حسن غريب " ، واللفظ له . وابن ماجه في سننه ، كتاب الدعاء ، باب فضل الدعاء (٢ / ١٢٥٨ ، رقم ٣٨٢٩) . وأحمد في مسنده – ط١٤١٧هـ = ١٩٩٧م – (١٤ / ٣٦٠ ، رقم ٨٧٤٨) . والحاكم في المستدرك (١ / ٦٦٦ ، رقم ١٨٠١) ، وقال : " هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه " . وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣ / ٣٨٣ ، رقم ٣٣٧٠) ، وصحيح سنن ابن ماجه (٣ / ٢٥٢ ، رقم ٣١٠٢) .

قال الشوكاني – رحمه الله – : " قيل : وجه ذلك أنه يدل على قدرة الله تعالى وعجز الداعي ، والأولى أن يقال : إن الدعاء لمّا كان هو العبادة ؛ كان أكرم على الله من هذه الحيثية ؛ لأن العبادة هي التي خلق الله سبحانه الخلق لها ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [(١)] " [(٢)] .

والدعاء دليل على توحيد الله تعالى وإثبات : ربوبيته ، وإلهيته ، وأسمائه وصفاته .

قال ابن مفلح المقدسي [(٣)] – رحمه الله – : " قد ندب الله إلى الدعاء ، وفيه معان : الوجود ، والغنى ، والسمع ، والكرم ، والرحمة ، والقدرة ؛ فإن من ليس كذلك لا يدعى " [(٤)] .

وفي هذا إشارة إلى أهمية الدعاء وعظمته .

والدعاء الذي حث الله تعالى عليه في كتابه على نوعين [(٥)] :

النوع الأول : دعاء المسألة : وهو طلب ما ينفع الداعي وكشف ما يضره ودفعه .

النوع الثاني : دعاء العبادة : وهو الذي يتضمن الثناء على الله تعالى بما هو أهله ، ويكون مصحوباً بالخوف والرجاء .

مثاله :

أن يكون الإنسان قائماً بأمر الله تعالى بأي نوع من أنواع العبادات : القلبية ، أو

---

(١) سورة الذاريات ، الآية : ٥٦ .

(٢) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين ، محمد بن علي الشوكاني ، ط١ (بيروت : دار القلم ، ١٩٨٤م) ، (ص ٣٦) .

(٣) هو : محمد بن مفلح بن محمد المقدسي ، أبو عبد الله ، شيخ الحنابلة في وقته ، كان بارعاً فاضلاً ، متفتناً في علوم كثيرة لا سيما : علم الفروع ، وكان غاية في نقل مذهب الإمام أحمد ، من كتبه : (الآداب الشرعية) ، و (الفروع) ، توفي سنة ٧٦٣هـ . انظر : الدرر الكامنة (٦ / ١٤) . والمقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد ، إبراهيم بن محمد بن مفلح ، تحقيق : د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ، ط١ (الرياض : مكتبة الرشد ، ١٤١٠هـ = ١٩٩٠م) ، (٢ / ٥١٧ – ٥٢٠) .

(٤) الآداب الشرعية والمنح المرعية ، محمد بن مفلح المقدسي ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ؛ وعمر القيام ، ط٢ (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤١٧هـ = ١٩٩٦م) ، (٢ / ٢٦٨) .

(٥) انظر : مجموع الفتاوى (١٥ / ١٠ – ١١) . وبدائع الفوائد (٣ / ٥١٣) .

القولية ، أو البدنية ، أو المالية : كمحبة الله ﷻ ، والتوكل عليه ، وقراءة القرآن،والتسبيح ، والذكر ، والصلاة ، والصيام ، والحج ، والجهاد في سبيل الله تعالى ، والزكاة ، والصدقة ، ونحو ذلك ؛ فكل قائم بشيء من هذه العبادات فهو داعٍ لله تعالى دعاء عبادة [(١)] .

قال الشيخ السّعدي – رحمه الله – : " كل ما ورد في القرآن من الأمر بالدعاء ، والنهي عن دعاء غير الله ، والثناء على الداعين : يتناول دعاء المسألة ودعاء العبادة ؛ وهذه قاعدة نافعة ؛ فإن أكثر الناس إنما يتبادر لهم من لفظ الدعاء والدعوة دعاء المسألة فقط ، ولا يظنون دخول جميع العبادات في الدعاء " [(٢)] .

والدعاء بنوعيه السالفين ، عبادة لا يجوز صرفها لغير الله تعالى .

يقول الشيخ سليمان آل الشيخ – رحمه الله – : " إذا تبيّن ذلك ؛ فاعلم أن العلماء أجمعوا على أن من صرف شيئاً من نوعي الدعاء لغير الله فهو مشرك ، ولو قال : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وصلّى ، وصام ؛ إذ شرط الإسلام مع التلفظ بالشهادتين أن لا يعبد إلا الله ؛ فمن أتى بالشهادتين وعبد غير الله فما أتى بهما حقيقة ، وإن تلفظ بهما : كاليهود الذين يقولون : لا إله إلا الله وهم مشركون ؛ ومجرّد التلفظ بهما لا يكفي في الإسلام بدون العمل بمعناهما واعتقاده إجماعاً " [(٣)] .

وخلاصة ما تقدم :

أن الدعاء لبّ العبادة ؛ فلا يجوز أن يصرف لغير الله تعالى ؛ لأنه من حقوقه سبحانه على عباده ؛ إذ به تظهر الذلّة البشرية التي هي مقصود العبادة وغايتها .

ثانياً – الاستعاذة :

الاستعاذة من أجلّ العبادات .

ولقد دل حديثا أبي هريرة وأبي سعيد الخدري – رضي الله عنهما – على أن الاستعاذة نوع من أنواع العبادة ، وذلك في قوله ﷺ من حديث أبي هريرة ﷺ كما عند البخاري :

---

(١) انظر : القول المفيد على كتاب التوحيد ، محمد بن صالح العثيمين ، ط٢ (الدمام : دار ابن الجوزي ، ١٤٢٤هـ) ، (١ / ٢٦٢) .

(٢) القواعد الحسان لتفسير القرآن ،عبد الرحمن بن ناصر السعدي، د.ط(الإسكندرية : دار البصيرة ، د.ت) ، (ص ١٣٧) .

(٣) تيسير العزيز الحميد (ص ١٨٣) .

" وَتَبْقَى هَذِهِ الأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا ، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي غَيْرِ الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ ، فَيَقُولُ:أَنَا رَبُّكُمْ ، فَيَقُولُونَ : نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا ؛ فَإِذَا أَتَانَا رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ " .

وفي قوله ﷺ من حديث أبي سعيد رضي الله عنه كما عند مسلم : " حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ تَعَالَى : مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ؛أَتَاهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ سبحانه وتعالى فِي أَدْنَى صُورَةٍ مِنَ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا ، قَالَ : فَمَا تَنْتَظِرُونَ ؟ تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ ، قَالُوا : يَا رَبَّنَا ، فَارَقْنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا أَفْقَرَ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ ، فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ ، فَيَقُولُونَ : نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ لَا نُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثاً ؛ حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَكَادُ أَنْ يَنْقَلِبَ " .

والاستعاذة في اللغة : مصدر من مادة : (عوذ) ، وهي تدل على معنى : " الالتجاء إلى الشيء ؛ ثم يحمل عليه كل شيء لصق بشيء أو لازمه ، تقول : أعوذ بالله جل ثناؤه ، أي ألجا إليه تبارك وتعالى عوذاً أو عِياذاً " [(١)] .

ومن هذا قولهم : " عاذ به يعوذ عوذاً ، وعِياذاً ، ومَعاذاً لاذ به ولجأ إليه واعتصم ، ومعاذ الله ، أي عِياذاً بالله " [(٢)] .

ولذا يكون معنى الاستعاذة في الأصل : الالتجاء والاعتصام .

وفي الاصطلاح :

قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله – في تعريفها : " هي الالتجاء إلى الله تعالى والالتصاق بجانبه من شر كل ذي شر " [(٣)] .

وللاستعاذة ثلاثة أصول ، هي [(٤)] :

الأصل الأول : صيغة الاستعاذة ، وللاستعاذة صيغ كثيرة أشهرها قول : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

الأصل الثاني : المستعاذ به ، وهو الله تعالى وحده ؛ فلا تنبغي الاستعاذة : إلا به جل وعلا ، وبأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، وكلماته التامة ، كما أمر الله تعالى بذلك في قوله جل شأنه : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [(٥)] .

(١) معجم مقاييس اللغة ، مادة (عوذ) ، (٤ / ١٨٣- ١٨٤) .
(٢) لسان العرب ، مادة (عوذ) ، (٣ / ٤٩٨) .
(٣) تفسير القرآن العظيم (١ / ١٦) .
(٤) انظر : بدائع الفوائد (٢ / ٤٢٦ ، ٤٢٨- ٤٣١) .
(٥) سورة النحل ، الآية : ٩٨ .

وأمثال ذلك في القرآن كثير : كقوله ﷻ : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴾ (١) ، وقوله سبحانه : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ (٢) مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (٣) .

الأصل الثالث : المستعاذ منه ، وهو كل ما يصيب الإنسان من شر .

والشر الذي يصيب الإنسان لا يخرج عن أمرين :

١- ذنوب وقعت منه .

٢- شر يقع بالإنسان من غيره .

والاستعاذة على أربعة أنواع (٤) :

النوع الأول : الاستعاذة بالله تعالى :

وهي المتضمنة لكمال الافتقار إليه والاعتصام به ؛ واعتقاد تمام كفايته وحمايته من كل شيء ، ودليلها : المعوذتان .

النوع الثاني : الاستعاذة بصفات الله سبحانه :

كالاستعاذة بكلامه ، وعظمته ، وعزته ، ونحو ذلك ، ودليلها :

ما روته عائشة – رضي الله عنها – قالت : فقدت رسول الله ﷺ ليلةً من الفراش ؛ فالتمسته ، فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد وهما منصوبتان ، وهو يقول : " اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ،وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ ؛ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ " (٥) .

وعن أبي هريرة ﷺ قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، ما لقيت من عقرب لدغتني البارحة ، قال : " أَمَا لَوْ قُلْتَ حِينَ أَمْسَيْتَ : أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ

---

(١) سورة المؤمنون ، الآية : ٩٧ .

(٢) ينزغنك : أي يحركنك بالشر ، ولا يكون النزغ إلا في الشر . انظر : كتاب غريب القرآن ، محمد بن عزيز السجستاني ، تحقيق : محمد أديب جمران ، د.ط (دمشق : دار قتيبة ، ١٤١٦هـ = ١٩٩٥م) ، (ص ٥٠٨) . والمفردات في غريب القرآن ، مادة (نزغ) ، (ص ٤٨٨) .

(٣) سورة فصلت ، الآية : ٣٦ .

(٤) انظر : شرح ثلاثة الأصول (ص ٥٩- ٦٠) .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الصلاة،باب ما يقال في الركوع والسجود (١ / ٣٥٢ ، رقم ٤٨٦) .

التَّامَّـاتِ مِـنْ شَرِّ مَا خَـلَقَ ؛ لَمْ تَضُرَّكَ " (١) .

النوع الثالث : الاستعاذة الشركية :

كالاستعاذة بالأموات أو الأحياء غير الحاضرين القادرين على العوذ ؛ وهذا شـرك ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ (٢) .

قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله – في تفسيرها : " كنا نرى – أي الجن – أن لنا فضلاً على الإنس ؛ لأنهم كانوا يعوذون بنا إذا نزلوا وادياً أو مكاناً موحشاً مـن البراري وغيرها ، كما كانت عادة العرب في جاهليتها ؛ يعوذون بعظيم ذلك المكان من الجان أن يصيبهم بشيء يسوؤهم .

فلمّا رأت الجن أن الإنس يعوذون بهم من خوفهم منهم ؛ زادوهم رهقاً ، أي خوفاً ، وإرهاباً ،وذعراً ؛ حتى بقوا أشد منهم مخافة وأكثر تعوذاً بهم ؛ وازدادت الجن عليهم بذلك جرأة " (٣) .

فالاستعاذة عبادة لا يجوز صرفها لغير الله تعالى ؛ ومن صرفها للجن أو لغير الله سبحانه فقد أشرك .

النوع الرابع : الاستعاذة الجائزة :

كالاستعاذة بما يمكن العوذ به من البشر، أو الأماكن ، أو غيرها ؛ فهذا جائز ، ودليله :

ما رواه جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – : أن امرأةً من بني مخزوم سرقت ؛ فأتي بها النبي ﷺ فعاذت بأم سلمة (٤) .

ومن الأمثلة على الاستعاذة الجائزة :

استعاذة الإنسان الذي اعترضه قطّاع طرق بمن يستطيع تخليصه منهم (٥) .

وحاصل ما سبق :

أن الاستعاذة لون من ألوان العبادة التي تحمل معاني : الإيمان بالله تعالى ، والثقة بـه ،

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب في التعـوذ مـن سـوء القـضاء ودرك الشقاء وغيره (٤ / ٢٠٨١ ، رقم ٢٧٠٩) .
(٢) سورة الجن ، الآية : ٦ .
(٣) تفسير القرآن العظيم (٤ / ٤٢٩) .
(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الحدود ، باب قطع السارق الشريف (٣ / ١٣١٦ ، رقم ١٦٨٩) .
(٥) انظر : القول المفيد (١ / ٢٥٦) .

والاعتماد عليه ؛ فلا يصحّ الالتجاء والاستعاذة إلا إلى الله سبحانه وبه ؛ لأن غيره لا يملك معه شيئاً ، ولا يستطيع أن يقدّم أو يؤخّر في هذا الوجود إلا بإذنه ﷻ .

ثالثاً – الحَلف :

لقد دل حديثا أبي هريرة وأبي سعيد الخدري – رضي الله عنهما – على أن الحَلف عبادة ، وذلك في قوله ﷺ من حديث أبي هريرة ﷺ كما عند البخاري : " وَيَبْقَى رَجُلٌ مِنْهُمْ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ، قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا ، وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُهَا ؛ فَاصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ ، فَلا يَزَالُ يَدْعُو اللَّهَ فَيَقُولُ : لَعَلَّكَ إِنْ أَعْطَيْتُكَ أَنْ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ ، فَيَقُولُ : لاَ ، وَعِزَّتِكَ ، لاَ أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ ؛ فَيَصْرِفُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ ، ثُمَّ يَقُولُ بَعْدَ ذَلِكَ : يَا رَبِّ ، قَرِّبْنِي إِلَى بَابِ الجَنَّةِ ،فَيَقُولُ : أَلَيْسَ قَدْ زَعَمْتَ أَنْ لاَ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ ؟وَيْلَكَ ابْنَ آدَمَ ، مَا أَغْدَرَكَ ، فَلاَ يَزَالُ يَدْعُو فَيَقُولُ : لَعَلِّي إِنْ أَعْطَيْتُكَ ذَلِكَ تَسْأَلُنِي غَيْرَهُ ، فَيَقُولُ : لاَ ، وَعِزَّتِكَ ، لاَ أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ " .

وفي قوله ﷺ من حديث أبي سعيد ﷺ كما عند مسلم : " فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ " .

والحَلف في اللغة : هو " اليمين ، وأصلها : العقد بالعزم والنية " (١) .

قال ابن فارس : " الحاء ، واللام ، والفاء أصل واحد وهو الملازمة ، يقال : حالف فلان فلاناً إذا لازمه ، ومن الباب : الحَلف ، يقال : حَلف يحلف حَلفاً ؛ وذلك أن الإنسان يلزمه الثبات عليها " (٢) .

وفي الاصطلاح :

هو : " توكيد الحكم بذكر معظّم على وجه مخصوص " (٣) .

واتفق أهل العلم على أن الحَلف : يكون بالله ﷻ ، وبأسمائه ، وصفاته ، وعلى ذلك دلت النصوص الكثيرة من السنة النبوية ، ومنها :

---

(١) لسان العرب ، مادة (حلف) ، (٩ / ٥٣) .

(٢) معجم مقاييس اللغة ، مادة (حلف) ، (٢ / ٩٧– ٩٨) .

(٣) المطلع على أبواب المقنع ، محمد بن أبي الفتح البعلي ، تحقيق : محمد بشير الأدلبي ، د.ط (بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤٠١هـ = ١٩٨١م) ، (ص ٣٨٧) .

ما رواه عبد الله بن عمر– رضي الله عنهما – أن رسول الله ﷺ قال : " مَنْ كَانَ حَالِفاً ؛ فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ " (١).

قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله – : " وظاهر الحديث تخصيص الحَلف بالله خاصة ، لكن قد اتفق الفقهاء على أن اليمين : تنعقد بالله ، وذاته ، وصفاته العلية " (٢) .

وكذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : " وَلَا تَحْلِفُوا إِلَّا بِاللَّهِ " (٣) .

وقد اعتبر القرآن الكريم الحَلف بغير الله تعالى ندّاً يتخذه الحالف لله سبحانه ،قال عز وجل :

﴿ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٤) .

قال ابن عباس – رضي الله عنهما – في معنى الأنداد : "وهو أن يقول : والله ، وحياتك يا فلان وحياتي ، ويقول : لولا كلبة هذا ؛ لأتانا اللصوص البارحة ، ولولا البط في الدار ؛ لأتى اللصوص ، وقول الرجل لصاحبه : ما شاء الله وشئت ، وقول الرجل : لولا الله وفلان ؛ لا تجعل فيها فلان ؛ فإن هذا كله به شرك " (٥) .

كما عدّه الرسول ﷺ نوعاً من الشرك والكفر ، فقد ثبت عنه ﷺ أنه قال في الحديث الذي رواه عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – : " مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ ؛ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ " (٦) .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الشهادات ، باب كيف يستحلف (٢ / ٩٥١ ، رقم ٢٥٣٣) . ومسلم في صحيحه ، كتاب الأيمان،باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى (٣ / ١٢٦٧ ، رقم ١٦٤٦) .

(٢) فتح الباري (١١ / ٥٣١) .

(٣) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الأيمان والنذور ، باب في كراهية الحلف بالآباء (٣ / ٢٢٢ ، رقم ٣٢٤٨) . وأحمد بن شعيب النسائي في المجتبى من السنن (السنن الصغرى) ، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة ، ط٢ (حلب : مكتب المطبوعات الإسلامية ، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م) ، كتاب الأيمان والنذور ، باب الحلف بالأمهات (٧ / ٥ ، رقم ٣٧٦٩) . وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢ / ٣١٣ ، رقم ٣٢٤٨) ، وصحيح سنن النسائي (٣ / ٨ ، رقم ٣٧٧٨) .

(٤) سورة البقرة ، من الآية : ٢٢ .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (١ / ٦٢ ، رقم ٢٢٩) .

(٦) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الأيمان والنذور ، باب في كراهية الحلف بالآباء (٣ / ٢٢٣ ، رقم ٣٢٥١) . والترمذي في جامعه ، كتاب النذور والأيمان ، باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله (٤ / ١١٠ ، رقم ١٥٣٥) ، وقال : " هذا حديث حسن " . وأحمد في مسنده – ط١٤١٦هـ = ١٩٩٦م – (١٠ / ٢٤٩ ، رقم ٦٠٧٢) . والحاكم في المستدرك (٤ /٣٣٠ ، رقم ٧٨١٤) ، وقال : " هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه " . وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢ / ٣١٤ ، رقم ٣٢٥١) ، وصحيح سنن الترمذي (٢ / ١٧٥ ، رقم ١٥٣٥) .

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : " مَنْ حَلَفَ ، فَقَالَ فِي حَلِفِهِ : وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى ، فَلْيَقُلْ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ " (١) .

وفي هذا إشارة إلى أن الحَلف بغير الله تعالى شرك ؛ وأنه لا يطهر إلا بكلمة الإخلاص : لا إله إلا الله .

قال الشيخ سليمان آل الشيخ – رحمه الله – : " وقوله : " فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ " أخذ به طائفة من العلماء ، فقالوا : يكفر من حلف بغير الله كفر شرك ، قالوا : ولهذا أمره النبي ﷺ بتجديد إسلامه بقول : لا إله إلا الله ؛ فلولا أنه كفر ينقل عن الملة لم يؤمر بذلك .
وقال الجمهور: لا يكفر كفراً ينقله عن الملة ؛ لكنه من الشرك الأصغر ، كما نص على ذلك ابن عباس وغيره ؛ وأمّا كونه أمر من حلف باللّات والعزّى أن يقول : لا إله إلا الله ؛ فلأن هذا كفارة له مع استغفاره " (٢) .

وبناءً على ما تضمنته النصوص الشرعية المتقدمة ؛ فقد أجمع العلماء على عدم جواز الحَلف بغير الله تعالى .

قال الإمام ابن عبد البرّ (٣) – رحمه الله – : " لا يجوز الحَلف بغير الله ﷻ في شيء من الأشياء ، ولا على حال من الأحوال ؛ وهذا أمر مجتمع عليه " (٤) .

والحكمة من النهي عن الحَلف بغير الله سبحانه كما يقول الإمام النووي – رحمه الله – : " إن الحَلف يقتضي تعظيم المحلوف به ؛ وحقيقة العظمة مختصة بالله تعالى ؛ فلا يضاهي به غيره " (٥) .

فالتعظيم حق لله تعالى ؛ لما فيه من العبودية ، وإظهار التعظيم للمحلوف به ؛ ولا شك

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، باب : ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴾ [سورة النجم ، الآية : ١٩] (٤ / ١٨٤١ ، رقم ٤٥٧٩) .

(٢) تيسير العزيز الحميد (ص ٤٩٨ – ٤٩٩) .

(٣) هو :يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي ، أبو عمر ، العلم المشهور،محدث قرطبة ،وأحفظ أهل المغرب ،كان في أول أمره ظاهري المذهب ، ثم رجع إلى القول بالقياس من غير تقليد أحد ، من مؤلفاته : (الاستذكار) ، و (جامع بيان العلم وفضله) ، توفي سنة ٤٦٣هـ . انظر : الوافي بالوفيات (٢٩ / ٩٩ – ١٠٠) . وتاريخ الإسلام (٣١ / ١٣٦ – ١٤٢) .

(٤) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، يوسف بن عبد الله بن عبد البر ، تحقيق : مصطفى بن أحمد العلوي ؛ ومحمد عبد الكبير البكري ، د.ط (المغرب : وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية ، ١٣٨٧هـ) ، (١٤ / ٣٦٦) .

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم (١١ / ١٠٥) .

أنه ليس هناك أعظم من الله ﷻ ؛ ولذا لم يجز الحَلف بغيره .

المطلب الثالث

العبادات البدنية

ويقصد بها : العبادات التي تؤدّى بالجوارح .

ومن العبادات البدنية المذكورة في حديثي أبي هريرة وأبي سعيد الخدري – رضي الله عنهما – ما يلي :

أولاً – الصلاة :

الصلاة قوام الإسلام .

ولقد دل حديثا أبي هريرة وأبي سعيد الخدري – رضي الله عنهما – على أن الصلاة من أعظم العبادات ، وذلك في قوله ﷺ من حديث أبي هريرة ﷺ كما عند مسلم : "ثُمَّ يَلْقَى الثَّالِثَ ، فَيَقُولُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ،فَيَقُولُ : يَا رَبِّ آمَنْتُ بِكَ ، وَبِكِتَابِكَ ، وَبِرُسُلِكَ ، وَصَلَّيْتُ ، وَصُمْتُ ، وَتَصَدَّقْتُ ، وَيُثْنِي بِخَيْرٍ مَا اسْتَطَاعَ " .

وفي قوله ﷺ من حديث أبي سعيد ﷺ كما عند النسائي : " إِنَّ النَّارَ تَأْكُلُ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا مَوْضِعَ السُّجُودِ " .

وفي هذا إشارة إلى أن النار لا تمس مواضع السجود من المسلم .

والصلاة في اللغة : هي " الدعاء ، والتبريك ، والتمجيد ، يقال : صلّيت عليه ، أي دعوت له وزكّيت " [(١)] .

" ومنه قول الرسول ﷺ : " إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ ؛ فَلْيُجِبْ ،فَإِنْ كَانَ صَائِماً ؛ فَلْيُصَلِّ " [(٢)] ، أي فليدع لهم بالخير والبركة " [(٣)].

" وصلاة الله تعالى للمسلمين هي في التحقيق : تزكيته إياهم ، ومن الملائكة : هي الدعاء والاستغفار ، كما هي من الناس .

والصلاة التي هي العبادة المخصوصة أصلها : الدعاء ؛ وسمّيت هذه العبادة بها كتسمية الشيء باسم بعض مايتضمنه " [(٤)] .

---

(١) المفردات في غريب القرآن ، مادة (صلا) ، (ص ٢٨٥) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، من حديث أبي هريرة ﷺ ، كتاب النكاح ، باب الأمر بإجابة الداعي إلى دعوة (٢ / ١٠٥٤ ، رقم ١٤٣١) .

(٣) معجم مقاييس اللغة ، مادة (صلى) ، (٣ /٣٠٠) .

(٤) المفردات في غريب القرآن ، مادة (صلا) ، (ص ٢٨٥) .

وفي الاصطلاح :

هي عبارة عن : " أقوال وأفعال مخصوصة مفتتحة بالتكبير ومختتمة بالتسليم "[(١)] .

والصلاة من أفضل الأعمال وأحبها إلى الله تعالى ؛ إذ إنها عبادة تصل العبد بربه .

وهي مصداق الإيمان ، ودليل الطاعة ، وشرط الانتساب إلى الإسلام ،وشعار المؤمنين .

ومن النصوص التي تبيّن فضل الصلاة ، وعظم شأنها ، ومترلتها في الدين :

قوله تعالى : ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾[(٢)] .

قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله – في معناها : " يقول تعالى آمراً عبيده فيما يأملون من خير الدنيا والآخرة : بالاستعانة بالصبر والصلاة ؛ فأمّا الصبر فقيل : إنه الصيام، وقيل المراد بالصبر : الكف عن المعاصي ؛ ولهذا قرنه بأداء العبادات ، وأعلاها فعل الصلاة "[(٣)] .

وقوله ﷻ: ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾[(٤)].

وفي هذه الآية أمر بالمحافظة على الصلوات عموماً ، وعلى صلاة العصر خصوصاً ؛ وذلك بتأديتها في وقتها ، ومراعاة شروطها وأركانها ؛ وبالمحافظة على الصلوات تحصل المحافظة على سائر العبادات[(٥)] .

وعن أبي هريرة ﵁ أن النبي ﷺ قال : "الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ ؛ كَفَّارَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ "[(٦)] .

أي أنها تمحو الخطايا والذنوب .

وجاء في حديث أنس بن مالك ﵁ أن رسول الله ﷺ قال : " حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ الدُّنْيَا : النِّسَاءُ وَالطِّيبُ ، وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ "[(٧)] .

---

(١) المبدع في شرح المقنع ، إبراهيم بن محمد بن مفلح ، د.ط (بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤٠٠هـ) ، (١ / ٢٩٨) .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٤٥ .

(٣) تفسير القرآن العظيم (١ / ٨٨) .

(٤) سورة البقرة ، الآية : ٢٣٨ .

(٥) انظر : تيسير الكريم الرحمن (١ / ١٨٢- ١٨٣) .

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الطهارة ، باب الصلوات الخمس (١ / ٢٠٩ ، رقم ٢٣٣) .

(٧) أخرجه النسائي في سننه الصغرى ، كتاب عشرة النساء ، باب حب النساء (٧ / ٦١ ، رقم ٣٩٤٠) . وأحمد في مسنده – ط١٤١٨هـ = ١٩٩٧م – (١٩ / ٣٠٥ ، رقم ١٢٢٩٣) ، واللفظ لهما . والحاكم في المستدرك (٢ / ١٧٤ ، رقم ٢٦٧٦) ، وقال :" هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه " . وقال الألباني في صحيح سنن النسائي (٣ / ٥٧ ، رقم ٣٩٤٩) : " حسن صحيح " .

فالصلاة ملجأ المسلم ومعقله ؛ يستريح بها من عناء الدنيا وهمومها .

والسجود أشرف أفعال الصلاة ، وله فضل عظيم ؛ إذ هو مظهر عبودية المخلوق للخالق ﷻ .

كما أنه من أعظم القربات لله تعالى : فمن أراد التقرّب سجد،ومن أراد الشكر سجد ، ومن أراد التوسل سجد .

وكلما أكثر العبد من السجود ؛ كان أكثر فوزاً وفلاحاً في الدنيا والآخرة ،قال تعالى : ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾ (١) .

فكثرة السجود ؛ علامة للإيمان والطاعة الحقيقة لله تعالى ، وبه تضاء وجوه المصلين .

وبالسجود ؛ يرفع الله تعالى الدرجات ويحطّ الخطايا ؛ لقوله ﷺ لمولاه ثوبان الهاشمي ﷺ : " عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ لِلَّهِ ؛ فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَكَ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً " (٢) .

كما أن السجود من أعظم أسباب دخول الجنة برفقة النبي ﷺ ، فعن ربيعة بن كعب ﷺ قال : كنت أبيت مع رسول الله ﷺ ؛ فأتيته بوضوئه وحاجته ، فقال لي : " سَلْ " ، فقلت : أسألك مرافقتك في الجنة ، قال : " أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ " ، قلت : هو ذاك ، قال : " فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ " (٣) .

قال الإمام النووي – رحمه الله – في شرح الحديثين : " فيهما : الحث على كثرة السجود والترغيب به ، والمراد به : السجود في الصلاة ، وفيهما : دليل لمن يقول تكثير السجود أفضل من إطالة القيام " (٤) .

ويظهر مما سبق :

أفضلية عبادة الصلاة ؛ وكونها العماد الذي لا يقوم الدين إلا عليه .

ثانياً – الصوم :

الصوم من أوثق عرى الدين .

(١) سورة الفتح ، من الآية : ٢٩ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ،كتاب الصلاة ، باب فضل السجود والحث عليه (١ / ٣٥٣ ، رقم ٤٨٨) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الصلاة ، باب فضل السجود والحث عليه (١ / ٣٥٣ ، رقم ٤٨٩) .

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم (٤ / ٢٠٦) .

وقد دل حديثا أبي هريرة وأبي سعيد الخدري – رضي الله عنهما – على أن الصوم عبادة لا تصرف إلا لله تعالى وحده ، وذلك في قوله ﷺ من حديث أبي هريرة ﷺ كما عند مسلم : " ثُمَّ يَلْقَى الثَّالِثَ ، فَيَقُولُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ آمَنْتُ بِكَ ، وَبِكِتَابِكَ ، وَبِرُسُلِكَ ، وَصَلَّيْتُ ، وَصُمْتُ ، وَتَصَدَّقْتُ ، وَيُثْنِي بِخَيْرٍ مَا اسْتَطَاعَ " .

وفي قوله ﷺ من حديث أبي سعيد ﷺ كما عند أحمد : " إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَمِنُوا ، فَمَا مُجَادَلَةُ أَحَدِكُمْ لِصَاحِبِهِ فِي الْحَقِّ يَكُونُ لَهُ فِي الدُّنْيَا بِأَشَدَّ مُجَادَلَةً لَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِرَبِّهِمْ فِي إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ أُدْخِلُوا النَّارَ " ، قال : " يَقُولُونَ : رَبَّنَا ، إِخْوَانُنَا كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا ، وَيَصُومُونَ مَعَنَا ، وَيَحُجُّونَ مَعَنَا ، فَأَدْخَلْتَهُمُ النَّارَ " .

والصوم في اللغة : هو " الإمساك عن الشيء والترك له " [(١)] ، يقال : " صام الرجل صوماً وصياماً ، وقوم صوّم وصيّم أيضاً ، ورجل صومان ، أي صائم " [(٢)] .

" وكل ممسك : عن طعام ، أو كلام ، أو سير فهو صائم ، فقيل للصائم : صائم ؛ لإمساكه : عن المطعم ، والمشرب ، والمنكح ، وقيل للصامت : صائم ؛ لإمساكه عن الكلام ، وقيل للفرس : صائم ؛ لإمساكه عن العلف مع قيامه " [(٣)] .

وفي الاصطلاح :

قال الشريف الجرجاني في تعريفه : " إمساك مخصوص عن الأكل ، والشرب ، والجماع من الصبح إلى المغرب مع النية " [(٤)] .

فمعنى الصوم الشرعي كما يظهر وثيق الصلة بمعناه اللغوي .

ولقد تضافرت النصوص الشرعية في فضل الصيام والترغيب فيه : سواء الفرض منه أو النفل ، ومن ذلك :

قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [(٥)] .

---

(١) تهذيب اللغة ، مادة (صوم) ، (١٢ / ١٨٢) .
(٢) الصحاح ، مادة (صوم) ، (٥ / ١٩٧٠) .
(٣) لسان العرب ، مادة (صوم) ، (١٢ / ٣٥١) .
(٤) التعريفات (ص ١٧٨) .
(٥) سورة البقرة ، الآية : ١٨٣ .

قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله – في شرح الآية : " يقول تعالى مخاطباً المؤمنين من هذه الأمة : آمراً لهم بالصيام ؛ لما فيه من زكاة النفس ، وطهارتها ، وتنقيتها من الأخلاط الرديئة والأخلاق الرذيلة ، وذكر أنه كما أوجبه عليهم ؛ فقد أوجبه على من كان قبلهم ؛ فلهم فيه أسوة ، وليجتهد هؤلاء في أداء هذا الفرض أكمل مما فعله أولئك " (١) .

وقوله جل شأنه في بيان ما أعدّه لعباده الصائمين : ﴿ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾ (٢) .

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ في الحديث القدسي الذي يرويه عن ربه سبحانه : " كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّوْمَ ؛ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ " (٣) .

وقد نسب الله تعالى في هذا الحديث هذه العبادة لذاته الشريفة ، واختص بها نفسه من بين سائر الأركان والعبادات ؛ لسببين (٤) :

السبب الأول : أن الصوم عمل باطني لا يراه الخلق ؛ ولا يدخله الرياء .

فالصوم عبادة مستورة ، منحصرة بين العبد وربه ؛ لا يعلم حقيقتها ولا صدق العبد في أدائها إلا الله تعالى .

يقول الإمام ابن القيّم – رحمه الله – : " الصوم لجام المتقين ، وجنة المحاربين ، ورياضة الأبرار والمقرّبين ؛ فإن الصائم لا يفعل شيئاً ، وإنما يترك شهوته ، وطعامه ، وشرابه من أجل معبوده ، فهو ترك محبوبات النفس وتلذّذاتها ؛ إيثاراً لمحبة الله ومرضاته ، وهو سر بين العبد وربه لا يطّلع عليه سواه " (٥) .

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١ / ٢١٤) .

(٢) سورة الأحزاب ، من الآية : ٣٥ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب اللباس ، باب ما يذكر في المسك (٥ / ٢٢١٥ ، رقم ٥٥٨٣) ، واللفظ له . ومسلم في صحيحه ، كتاب الصيام ، باب فضل الصيام (٢ / ٨٠٧ ، رقم ١١٥١) .

(٤) انظر : مختصر منهاج القاصدين ، أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة ، تحقيق : عبد الله الليثي الأنصاري ، ط٢ (بيروت : دار المعرفة ، ١٤١٦هـ = ١٩٩٥م) ، (ص ٣٨) .

(٥) زاد المعاد في هدي خير العباد ، محمد بن أبي بكر الزرعي (ابن القيم) ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ؛ وعبد القادر الأرنؤوط ، ط١٤ (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٦م) ، (٢ / ٢٩) .

السبب الثاني : أن فيه قهراً لعدو الله تعالى ؛ لأن وسيلة العدو الشهوات ، وإنما تقوى الشهوات بالأكل والشرب ، وما دامت أرض الشهوات خصبة ؛ فالشياطين يترددون إلى ذلك المرعى ، وبترك الشهوات ؛ تضيق عليهم مجاري الدم .

وللصوم ثلاث مراتب [١] :

المرتبة الأولى : **صوم العموم** : وهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة .

المرتبة الثانية : **صوم الخصوص** : وهو كف سائر الجوارح عن الآثام .

المرتبة الثالثة : **صوم خصوص الخصوص** : وهو صوم القلب عن الهمم الدنيئة والأفكار المبعدة عن الله تعالى ؛ وكفه عمّا سوى الله تعالى بالكلّية .

فيتضح إذن :

أن الصوم من خير العبادات التي يتقرّب بها العبد إلى ربه تعالى ؛ لما فيه من تحقيق الاستسلام ، والتربية على العبودية الحقة .

ثالثاً – الحج والعمرة :

لقد دل حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه على أن الحج والعمرة عبادتان وشعيرتان من شعائر الله تعالى ، وذلك في قوله ﷺ كما عند أحمد : " فَمَا أَحَدُكُمْ فِي حَقٍّ يَعْلَمُ أَنَّهُ حَقٌّ لَهُ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً مِنْهُمْ فِي إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ سَقَطُوا فِي النَّارِ ، يَقُولُونَ : أَيْ رَبِّ ، كُنَّا نَغْزُو جَمِيعاً ، وَنَحُجُّ جَمِيعاً ، وَنَعْتَمِرُ جَمِيعاً ، فِيمَ نَجَوْنَا الْيَوْمَ وَهَلَكُوا ؟ " .

والحج في اللغة : هو " القصد ، يقال : حجه يحجه حجاً قصده ، وحججت فلاناً واعتمدته قصدته " [٢] .

" ثم تعورف استعماله في القصد إلى مكة للنسك ، تقول : حججت البيت أحجه حجاً فأنا حاج ، وذو الحجة : شهر الحج " [٣] .

وفي الاصطلاح :

قال الشريف الجرجاني في تعريفه : " القصد لبيت الله تعالى بصفة مخصوصة في وقت مخصوص بشرائط مخصوصة " [٤] .

---

(١) انظر: مختصر منهاج القاصدين (ص ٣٩) .
(٢) لسان العرب ، مادة (حجج) ، (٢ / ٢٢٦) .
(٣) الصحاح ، مادة (حجج) ، (١ / ٣٠٣- ٣٠٤) .
(٤) التعريفات (ص ١١١) .

والعمرة في اللغة : " مأخوذة من الاعتمار : وهو الزيارة ، يقال : أتانا فلان معتمراً ، أي زائراً " [(١)] ، " والعمّار : المعتمرون ، وجمع العمرة : العُمَر " [(٢)] .

وفي الاصطلاح :

هي : " زيارة البيت الحرام على وجه مخصوص " [(٣)] .

والفرق بين الحج والعمرة :

١- أن الحج لا يجوز الإحرام به إلا في أشهر الحج : وهي شوال ، وذو القعدة ، وعشر من ذي الحجة ؛ أمّا العمرة فتكون في السنة كلها .

٢- أن الحج لا يكون إلا مع الوقوف بعرفة ؛ أمّا العمرة فبالطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة [(٤)] .

والأدلة الواردة في فضل الحج وثواب العمرة كثيرة ومتنوعة ، وفيما يلي بعض ما ورد في ذلك :

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ [(٥)] .

وقال سبحانه : ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ [(٦)] .

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال :" الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ ؛ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا ، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ ؛ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ " [(٧)] .

---

(١) تهذيب اللغة ، مادة (عمر) ، (٢ / ٢٣٣) .

(٢) تاج العروس ، مادة (عمر) ، (١٣ / ١٣٠) .

(٣) شرح منتهى الإرادات (دقائق أولي النهى لشرح المنتهى) ، منصور بن يونس البهوتي ، ط٢ (بيروت : عالم الكتب ، ١٩٩٦م) ، (١ / ٥١١) .

(٤) انظر : تهذيب اللغة ، مادة (عمر) ، (٢ / ٢٣٣) . والزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ، محمد بن أحمد الهروي ، تحقيق : د. محمد جبر الألفي ، ط١ (الكويت : وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، ١٣٩٩هـ) ، (ص ١٧٠) .

(٥) سورة البقرة ، الآية : ١٥٨ .

(٦) سورة البقرة ، من الآية : ١٩٦ .

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الحج ، باب وجوب العمرة وفضلها (٢ / ٦٢٩ ، رقم ١٦٨٣) . ومسلم في صحيحه ، كتاب الحج ، باب في فضل الحج والعمرة يوم عرفة (٢ / ٩٨٣ ، رقم ١٣٤٩) .

قال الإمام النووي – رحمه الله – : " هذا ظاهر في فضيلة العمرة ؛ وأنها مكفّرة للخطايا الواقعة بين العمرتين " [١] .

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ ؛ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ ، كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ [٢] خَبَثَ الْحَدِيدِ ، وَالذَّهَبِ ، وَالْفِضَّةِ ؛ وَلَيْسَ لِلْحَجَّةِ الْمَبْرُورَةِ ثَوَابٌ إِلَّا الْجَنَّةُ " [٣] .

فالحج ، والعمرة ، وغيرهما من صالح الأعمال والعبادات ؛ من أسباب تكفير السيئات ؛ إذا أدّاهما العبد على الوجه الشرعي .

ولّما كان أداء الفرائض أحب الأعمال إلى الله تعالى ؛ لم يكن للحج المبرور ثواب إلا الجنة .

والحج يتضمن جميع العبادات ؛ ولذا عدّ عبادة العمر ؛ إذ به يكمل الدين .

يقول أبو حامد الغزالي [٤] – رحمه الله – : " إن الحج من بين أركان الإسلام ومبانيه : عبادة العمر ، وختام الأمر ، وتمام الإسلام ، وكمال الدين " [٥] .

رابعاً – الجهاد :

الجهاد في سبيل الله تعالى ذروة سنام الإسلام .

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٩ / ١١٧ – ١١٨) .

(٢) الكير : هو ما ينفخ فيه الحداد . انظر : تهذيب اللغة ، مادة (كير) ، (١٠ / ١٨٨) . وغريب الحديث ، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ، تحقيق : د. عبد المعطي أمين القلعجي ، ط١ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م) ، (٢ / ٣٠٧) .

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه ، كتاب الحج ،باب ما جاء في ثواب الحج والعمرة(٣ / ١٧٥ ، رقم ٨١٠)،وقال : " حديث حسن صحيح غريب " ، واللفظ له . والنسائي في سننه الصغرى ، كتاب مناسك الحج ،باب فضل المتابعة بين الحج والعمرة (٥ / ١١٥ ، رقم ٢٦٣١) . وأحمد في مسنده – ط١٤١٦هـ = ١٩٩٦م – (٦ / ١٨٥ ، رقم ٣٦٦٩) . وقال الألباني في صحيح سنن الترمذي (١ / ٤٢٦ ، رقم ٨١٠) ، وصحيح سنن النسائي (٢ / ٢٤٠ ، رقم ٢٦٣٠) : " حسن صحيح " .

(٤) هو : محمد بن محمد بن أحمد الغزالي ، أبو حامد ، فقيه شافعي ، أحد تلامذة إمام الحرمين ، ولاه نظام الملك التدريس في مدرسته ببغداد ثم ترك ذلك ، وسلك طريق التزهد ، والانقطاع ، والتصوف ، من مصنفاته : (إحياء علوم الدين) ، و (تهافت الفلاسفة) ، توفي سنة ٥٠٥هـ . انظر : الوافي بالوفيات (١ / ٢١١-٢١٣) . وطبقات المفسرين للداودي (١٥٢- ١٥٣) .

(٥) إحياء علوم الدين ، محمد بن محمد الغزالي ، د.ط (بيروت : دار المعرفة ، د.ت) ، (١ / ٢٣٩) .

ولقد دل حديث أبي سعيد الخدري ﷺ على أن الجهاد أو الغزو من جملة العبادات ، وذلك في قوله ﷺ كما عند أحمد : " فَإِذَا فَرَغَ اللَّهُ ﷻ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ ؛ يَفْقِدُ الْمُؤْمِنُونَ رِجَالاً كَانُوا مَعَهُمْ فِي الدُّنْيَا يُصَلُّونَ بِصَلَاتِهِمْ ، وَيُزَكُّونَ بِزَكَاتِهِمْ ، وَيَصُومُونَ صِيَامَهُمْ ، وَيَحُجُّونَ حَجَّهُمْ ، وَيَغْزُونَ غَزْوَهُمْ " .

والجهاد في اللغة :مأخوذ من الجهد بفتح الجيم وضمها ،وهو بذل الطاقة ، أو الوُسع ، أو هو المشقة .

قال الرّاغب الأصفهاني – رحمه الله – : " الجَهد والجُهد : الطاقة والمشقة ، وقيل : الجَهد بالفتح : المشقة ، والجُهد : الوُسع " [(١)] .

ومن الجهد بمعنى : الطاقة قوله ﷻ : ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ ﴾ [(٢)] .

قال الإمام البغوي [(٣)] – رحمه الله – في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِلَّا جُهْدَهُمْ ﴾ [(٤)] : " أي طاقتهم " [(٥)] .

ومن الجهد بمعنى : المشقة قولهم : " جهد دابته وأجهدها إذا حمل عليها في السير فوق طاقتها " [(٦)] .

" والاجتهاد والتجاهد : بذل الوُسع والمجهود " [(٧)] .

وللجهاد في الاصطلاح تعريفات عدة ، ومنها ما يلي :

١– قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – هو : " بذل الوُسع – وهو القدرة –

(١) المفردات في غريب القرآن ، مادة (جهد) ، (ص ١٠١) .

(٢) سورة التوبة ، من الآية : ٧٩ .

(٣) هو : الحسين بن مسعود بن محمد البغوي ، أبو محمد ، العلامة الفقيه ، كان إماماً في التفسير ، والحديث ، والفقه ، جامعاً بين العلم والعمل ، سالكاً سبيل السلف ، له من التصانيف : (الجمع بين الصحيحين) ، و (معالم التنزيل) ، توفي سنة ٥١٦هـ . انظر : طبقات الشافعية الكبرى(٧ / ٧٥ – ٨٠) .وطبقات المفسرين للسيوطي (٤٩– ٥٠) .

(٤) سورة التوبة ، من الآية : ٧٩ .

(٥) تفسير البغوي ، الحسين بن مسعود البغوي ، تحقيق : خالد عبد الرحمن العك ، د.ط(بيروت : دار المعرفة ، د.ت) ، (٢ / ٣١٥) .

(٦) الصحاح ، مادة (جهد) ، (٢ / ٤٦٠) .

(٧) المرجع السابق (٢ / ٤٦١) .

في حصول محبوب الحق " [١] .

٢– وقال الشريف الجرجاني في تعريفه : " هو الدعاء إلى الدين الحق " [٢] .

٣– وعرّفه الحافظ ابن حجر – رحمه الله – بقوله : " هو بذل الجهد في قتال الكفار " [٣] .

والتعريف الأول أشمل التعريفات ؛ إذ إنه يشمل كل أنواع الجهاد التي يقوم بها المسلم : يشمل اجتهاده في طاعة الله تعالى بامتثال أمره واجتناب نهيه في نفسه ، واجتهاده في دعوة غيره مسلماً كان أو كافراً إلى طاعة الله ﷻ ، واجتهاده في قتال الكفار ؛ لإعلاء كلمة الله سبحانه .

والآيات والأحاديث الواردة في الحث على الجهاد وبيان فضله ؛ أكثر من أن تحصر ، وأشهر من أن تذكر ، وفيما يلي طرفاً يسيراً من ذلك :

قال تعالى : ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [٤] .

قال الشيخ السّعدي – رحمه الله – في تفسيرها : " أي ابذلوا جهدكم في ذلك ، واستفرغوا وُسعكم في المال والنفس؛وفي هذا دليل على أنه – كما يجب الجهاد في النفس – يجب الجهاد في المال ؛ حيث اقتضت الحاجة ودعت لذلك " [٥] .

وقال سبحانه مبيّناً صفات المؤمنين الكمّل الذين نعتهم بالصدق : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ [٦] .

وقال جل شأنه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ

(١) مجموع الفتاوى (١٠ / ١٩٢) .

(٢) التعريفات (ص ١٠٧) .

(٣) فتح الباري (٦ / ٣) .

(٤) سورة التوبة ، الآية : ٤١ .

(٥) تيسير الكريم الرحمن (١ / ٦٩٨) .

(٦) سورة الحجرات ، الآية : ١٥ .

عَلَيْهِمْ ﴾ (١) .

وجاء في حديث أبي ذر الغِفاري ﷺ أنه قال : قلت : يا رسول الله ، أي الأعمال أفضل ؟ قال : " الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ " (٢) .

قال ابن رجب – رحمه الله – : " والجهاد أفضل ما تطوع به من الأعمال على ما دلت عليه النصوص الصحيحة الكثيرة ، وهو مذهب الإمام أحمد " (٣) .

وعن أبي هريرة ﷺ قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : دُلني على عمل يعدل الجهاد ، قال : " لَا أَجِدُهُ " (٤) .

قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله – في شرح الحديث : " وهذه فضيلة ظاهرة للمجاهد في سبيل الله ؛ تقتضي ألا يعدل الجهاد شيء من الأعمال " (٥) .

وفضل الجهاد إنما يعود ؛ لما فيه من إعلان العبودية لله ﷻ ودحض ما سواها ؛ ولا شك أن ذلك من أسمى معاني الجهاد .

والجهاد في الإسلام على أربعة أنواع (٦) :

النوع الأول : جهاد النفس :

ويكون بالتحلّي بالمكارم ؛ والتخلّي عن الرذائل ، وفعل الطاعات ولو كانت مكروهة للنفس ؛ وهو الجهاد الأكبر ، وهو على أربع مراتب :

المرتبة الأولى : مجاهدة النفس على تعلّم الهدى ودين الحق الذي لا فلاح ولا سعادة في الدنيا والآخرة إلا به .

---

(١) سورة التحريم ، من الآية : ٩ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب العتق ، باب أي الرقاب أفضل ؟ (٢ / ٨٩١ ، رقم ٢٣٨٢) . ومسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال (١ / ٨٩ ، رقم ٨٤) ، واللفظ له .

(٣) فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب ، تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد ، ط٢ (الدمام : دار ابن الجوزي ، ١٤٢٢هـ) ، (٣ / ٤٨) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير ، باب فضل الجهاد والسير (٣ / ١٠٢٦ ، رقم ٢٦٣٣) ، واللفظ له . ومسلم في صحيحه ، كتاب الإمارة ، باب فضل الشهادة في سبيل الله تعالى (٣ / ١٤٩٨ ، رقم ١٨٧٨) .

(٥) فتح الباري (٦ / ٥) .

(٦) انظر : زاد المعاد (٣ / ٩– ١١) .

المرتبة الثانية : مجاهدة النفس على العمل به بعد علمه .

المرتبة الثالثة : مجاهدة النفس على الدعوة إليه وتعليمه من لا يعلمه .

المرتبة الرابعة:مجاهدة النفس على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله تعالى وأذى الخلق .

النوع الثاني : جهاد الشيطان :

وأمّا جهاد الشيطان فعلى مرتبتين :

المرتبة الأولى : جهاده على دفع ما يلقي إلى العبد من الشبهات والشكوك القادحة في الإيمان .

المرتبة الثانية : جهاده على دفع ما يلقي إليه من الإرادات الفاسدة والشهوات .

النوع الثالث : جهاد الكفار :

ويكون بمقاتلتهم ، وحربهم ؛ وبذل ما يحتاج إليه من المال والنفس ، وهو المقصود من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ ، وهو على أربع مراتب :

المرتبة الأولى : بالقلب .

المرتبة الثانية : باللسان .

المرتبة الثالثة : بالمال .

المرتبة الرابعة : بالنفس ، وهو أخص باليد .

النوع الرابع : جهاد المنافقين :

ويكون بإقامة الحجة عليهم ، وكشف ألاعيبهم،ونهيهم عمّا هم فيه من الخفاء والكفر ، وهو على أربع مراتب أيضاً : كجهاد الكفار ، ولكنه أخص باللسان .

ولكل نوع من هذه الأنواع : أدواته ، وأساليبه ، وأحكامه التي ترجّح أسلوباً على أسلوب ؛ والجهاد بأنواعه ماضٍ إلى يوم القيامة .



المطلب الرابع

العبادات المالية

ويقصد بها : العبادات التي تتعلّق بالأموال .

ومن العبادات المالية المذكورة في حديثي أبي هريرة وأبي سعيد الخدري – رضي الله عنهما – :

الزكاة :

الزكاة أحد مباني الإسلام .

ولقد دل حديثا أبي هريرة وأبي سعيد الخدري – رضي الله عنهما – على أن الزكاة أو الصدقة من العبادات ، وذلك في قوله ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه كما عند مسلم : " ثُمَّ يَلْقَى الثَّالِثَ ، فَيَقُولُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ آمَنْتُ بِكَ ، وَبِكِتَابِكَ ، وَبِرُسُلِكَ ، وَصَلَّيْتُ ، وَصُمْتُ ، وَتَصَدَّقْتُ ، وَيُثْنِي بِخَيْرٍ مَا اسْتَطَاعَ " .

وفي قوله ﷺ من حديث أبي سعيد رضي الله عنه كما عند أحمد : " فَيَقُولُونَ : أَيْ رَبَّنَا ، عِبَادٌ مِنْ عِبَادِكَ كَانُوا مَعَنَا فِي الدُّنْيَا : يُصَلُّونَ صَلَاتَنَا ، وَيُزَكُّونَ زَكَاتَنَا ، وَيَصُومُونَ صِيَامَنَا ، وَيَحُجُّونَ حَجَّنَا ، وَيَغْزُونَ غَزْوَنَا لَا نَرَاهُمْ " .

والزكاة في اللغة :هي " النماء والزيادة ؛ وسمّيت زكاة لأنها طهارة ، وحجة ذلك قوله جل ثناؤه : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [(١)] " [(٢)] .

" والفعل منه : زكى يزكّي تزكيةً إذا أدّى عن ماله زكاته ، وقيل الزكاة : صفوة الشيء ، وزكّاه إذا أخذ زكاته " [(٣)] .

وفي الاصطلاح :

قال الشريف الجرجاني في تعريفها : " إيجاب طائفة من المال في مال مخصوص لمالك مخصوص " [(٤)].

---

(١) سورة التوبة ، من الآية : ١٠٣ .

(٢) معجم مقاييس اللغة ، مادة (زكى) ، (٣ / ١٧) .

(٣) لسان العرب ، مادة (زكا) ، (١٤ / ٣٥٨) .

(٤) التعريفات (ص ١٥٢) .

والزكاة الشرعية قد تسمّى : صدقة .

قال الماوردي [(١)] – رحمه الله – : " الصدقة زكاة والزكاة صدقة ؛ يفترق الاسم ويتفق المسمّى " [(٢)] .

وذكر القاضي ابن العربي [(٣)] – رحمه الله – السبب في تسمية الزكاة بالصدقة ؛ وذلك لأنها مأخوذة من الصدق في مساواة الفعل للقول والاعتقاد [(٤)] .

وفي ذلك دلالة على صدق العبودية لله تعالى وحده لا شريك له .

وقد جاء ذكر الزكاة في كثير من النصوص الشريفة ؛تعظيماً لشأنها ، وتنبيهاً بذكرها ، وحثاً على أدائها ، ومن ذلك :

قوله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [(٥)] .

ففي هذه الآية قرن المولى ﷻ الأمر بإيتاء الزكاة مع إقامة الصلاة ؛ مما يدل على كمال الاتصال بين هاتين العبادتين ؛ إذ إن الصلاة عبادة البدن والزكاة عبادة المال ، يؤدّي العبد فيها حق المال ؛ طاعةً لله تعالى ، وتقرّباً إليه عن رضا نفس ورغبة .

وقوله سبحانه : ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴾ [(٦)] .

---

(١) هو : علي بن محمد بن حبيب الماوردي ، أبو الحسن ، من وجوه الفقهاء الشافعيين ، ولي القضاء ببلدان شتى ، وكان حافظاً للمذهب ، عظيم القدر ، متقدماً عند السلطان ، من كتبه : (الأحكام السلطانية) ، و (الحاوي) ، توفي سنة ٤٥٠هـ . انظر : طبقات الشافعية (١ / ٢٣٠– ٢٣٢) . وطبقات المفسرين للداودي (ص ١١٩ – ١٢٠) .

(٢) الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، علي بن محمد الماوردي ، د.ط (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م) ، (ص ١٢٨) .

(٣) هو : محمد بن عبد الله بن محمد المعافري ، أبو بكر ، المعروف بابن العربي ، عالم من علماء الأندلس وآخر أئمتها وحفاظها ، تولى القضاء ، ثم أقبل على نشر العلم وبثه ، وكان ممن بلغ رتبة الاجتهاد ، من مؤلفاته : (أحكام القرآن) ، و (عارضة الأحوذي) ، توفي سنة ٥٤٣هـ . انظر : وفيات الأعيان (٤ / ٢٩٦– ٢٩٧) . وطبقات المفسرين للداودي (ص ١٨٠– ١٨١) .

(٤) انظر : أحكام القرآن ، محمد بن عبد الله المعافري (ابن العربي) ،تحقيق : محمد عبد القادر عطا ،د.ط (بيروت : دار الفكر ، د.ت) ، (٢ / ٥٢١) .

(٥) سورة النور ، الآية : ٥٦ .

(٦) سورة الروم ، الآية : ٣٩ .

قال القرطبي – رحمه الله – : " وفي معنى المضعفين قولان :

أحدهما : أنه تضاعف لهم الحسنات .

والآخر : أنهم قد أضعف لهم الخير والنعيم ؛ أي هم أصحاب أضعاف " (١) .

فمن أدّى زكاة ماله خالصةً لوجه الله تعالى ؛ يقبلها الله سبحانه منه ، ويضاعف له الأجر أضعافاً كثيرة .

وعن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : "أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا : أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ " (٢) .

ويلاحظ في هذا الحديث : أن النبي ﷺ اقتصر في الدعاء إلى الإسلام بهذه الأركان الثلاثة : أي الشهادة ، والصلاة ، والزكاة ؛ وذلك لتفرع ركني الصوم والحج منها ، فإن الصوم بدني محض والحج بدني مالي .

وأيضاً : فكلمة الإسلام هي الأصل وهي شاقة على الكفار ، والصلوات شاقة ؛ لتكررها ، والزكاة شاقة ؛ لما في طبيعة الإنسان من حب المال .

فإذا أذعن المرء لهذه الثلاثة ؛ كان ما سواها أسهل عليه بالنسبة إليها (٣) .

وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال :سمعت رسول الله ﷺ يخطُب في حجة الوداع ، فقال : " اتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ ، وَصَلُّوا خَمْسَكُمْ ، وَصُومُوا شَهْرَكُمْ ، وَأَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ ، وَأَطِيعُوا ذَا أَمْرِكُمْ ؛ تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ " (٤) .

فالزكاة إذن من الأسباب المؤدّية بعد مشيئة الله تعالى إلى دخول الجنة .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٤ / ٣٩) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب : ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ ﴾ [سورة التوبة ، من الآية : ٥] (١ / ١٧ ، رقم ٢٥) . ومسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله (١ / ٥٣ ، رقم ٢٢) .

(٣) انظر : فتح الباري لابن حجر (٣ / ٣٦١) .

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه ، كتاب الجمعة ، باب منه (٢ / ٥١٦ ، رقم ٦١٦) ، وقال : " هذا حديث حسن صحيح " ، واللفظ له . وأحمد في مسنده – ط١٤٢١هـ = ٢٠٠١م – (٣٦ / ٥٩٣ ، رقم ٢٢٢٥٨) . والحاكم في المستدرك (١ / ٥٤٧ ، رقم ١٤٣٦) ، وقال : " هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه " . وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١ / ٣٣٧ ، رقم ٦١٦) .

وظاهر ما سبق :

أن الزكاة عبادة لله تعالى ؛ تهذب الروح ، وتحرّر النفس من الخضوع لغير الله سبحانه ، كما تحرّرها من ذلّ العبودية للمال .

المبحث الرابع

دلالة الحديثين على نواقض التوحيد

تمهيد :

تعريف النواقض :

النواقض في اللغة : جـــمع : ناقض ، والنقض : " إفساد ما أبرمت من عقد أو بناء ؛ وهو ضد الإبرام ، ومنه : نقضه ينقضه نقضاً وانتقض وتناقض " [١] .

ويقال : " انتقض الجرح بعد البُرء ، وانتقض الأمر بعد التئامه " [٢] .

ونواقض التوحيد في الاصطلاح :

هي مفسداته ، أي الأمور التي إذا فعلها الشخص ؛ فسد توحيده وانتقض .

وسيكون الحديث عن نواقض التوحيد على حسب المطالب التالية :



(١) لسان العرب ، مادة (نقض) ، (٧ / ٢٤٢) .

(٢) تهذيب اللغة ، مادة (نقض) ، (٨ / ٢٦٩) .

المطلب الأول

الشرك وعقوبته

المسألة الأولى : تعريف الشرك :

الشرك في اللغة :

قال ابن فارس عن أصل الشرك : " الشين ، والراء ، والكاف أصلان :

أحدهما : يدل على مقارنة وخلاف انفراد .

والآخر : يدل على امتداد واستقامة .

فالأول : الشركة : وهو أن يكون الشيء بين اثنين ؛ لا ينفرد به أحدهما ، يقال : شاركت فلاناً في الشيء إذا صرت شريكه ، وأشركت فلاناً إذا جعلته شريكاً لك ، قال الله جل ثناؤه في قصة موسى عليه السلام : ﴿ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴾ [(١)] " [(٢)] .

وقال الرّاغب الأصفهاني- رحمه الله – : " الشركة والمشاركة : خلط الملكين ، وقيل : هو أن يوجد شيء لاثنين فصاعداً : عيناً كان ذلك الشيء أو معنىً ، يقال : شركته وشاركته وتشاركوا واشتركوا وأشركته في كذا " [(٣)] .

وقال ابن منظور : " الشرْكة والشرِكة : مخالطة الشريكين ، يقال : اشتركنا بمعنى : تشاركنا ، قد اشترك الرجلان وتشاركا وشارك أحدهما الآخر ، والشريك: المشارك ، والشرك : كالشريك ، والجمع : أشراك وشركاء " [(٤)] .

ويتبيّن مما تقدم :

أن لفظ الشرك يطلق في اللغة على معانٍ : منها المقارنة ، والمشاركة ، والمخالطة .

الشرك في الاصطلاح :

لقد تنوعت عبارات العلماء في تعريف الشرك في الاصطلاح الشرعي ، وفيما يلي بيان

(١) سورة طه ، الآية : ٣٢ .

(٢) معجم مقاييس اللغة ، مادة (شرك) ، (٣ / ٢٦٥) .

(٣) المفردات في غريب القرآن ، مادة (شرك) ، (ص ٢٥٩) .

(٤) لسان العرب ، مادة (شرك) ، (١٠ / ٤٤٨) .

بعض أقوالهم في ذلك :

١- قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – : " هو أن يدعو مع الله غيره ، أو يقصده بغير ذلك من أنواع العبادة " [(١)] .

٢- وقال الشيخ السّعدي – رحمه الله – هو : " أن يعبد المخلوق كما يعبد الله ، أو يعظّم كما يعظّم الله ، أو يصرف له نوع من خصائص الربوبية والإلهية " [(٢)] .

٣- وعرّفه الشيخ ابن عاشور [(٣)] – رحمه الله – بقوله : " إشراك غير الله مع الله في اعتقاد الإلهية وفي العبادة " [(٤)] .

والذي يظهر من هذه الأقوال :

أن حقيقة الشرك : هي اتخاذ الندّ مع الله تعالى : سواء أكان هذا الندّ في الربوبية أم الألوهية .

والشرك ينقسم إلى نوعين [(٥)] :

النوع الأول : الشرك الأكبر : وهو أن يجعل الإنسان لله تعالى ندّاً : في ربوبيته ، أو ألوهيته ، أو أسمائه وصفاته .

النوع الثاني : الشرك الأصغر : وهو تسوية غير الله تعالى به في هيئة العمل – وهو الرياء – أو في أقوال اللسان : كقول : ما شاء الله وشئت ، أو اللهم اغفر لي إن شئت ، أو قول : عبد الحارث ، ونحو ذلك .

المسألة الثانية : عقوبة الشرك :

لّما كان الشرك الأكبر أظلم الظلم ، وأقبح الجهل ، وأكبر الكبائر ، وأبغض الأشياء إلى

---

(١) مجموعة رسائل في التوحيد والإيمان ، محمد بن عبد الوهاب التميمي ،تحقيق : إسماعيل بن محمد الأنصاري ، ط١ (الرياض : مطابع الرياض ، د.ت) ، (ص ٣٨١) .

(٢) تيسير الكريم الرحمن (١ / ٥٥٧- ٥٥٨) .

(٣) هو : محمد الطاهر بن محمد بن عاشور ، عالم أديب ، تولى القضاء ، والفتيا ، ونقابة الأشراف بتونس ، من آثاره : (التحرير والتنوير) ، و(هدية الأريب) ، توفي سنة ١٣٩٣هـ . انظر : الأعلام (٦ / ١٧٣) . ومعجم المؤلفين (٣ / ٣٦٧) .

(٤) التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن محمد بن عاشور ، د.ط (تونس : دار سحنون ، ١٩٩٧م) ، (٧ / ٣٣٢) .

(٥) انظر : مدارج السالكين (١ / ٣٣٩) . والمدخل لدراسة العقيدة الإسلامية على مذهب أهل السنة والجماعة ، إبراهيم بن محمد البريكان ، ط٣ (الخبر : دار السنة ، ١٤١٥هـ = ١٩٩٤م) ، (ص ١٢٦ – ١٢٧) .

الله تعالى وأشدها مقتاً لديه ؛ رتّب عليه من العقوبات ما لم يرتّبه على ذنب سواه .

قال الإمام ابن القيّم – رحمه الله – : " فلم يجمع على أحد من الوعيد والعقوبة ما جمع على أهل الشرك ؛ فإنهم ظنوا به ظن السوء حتى أشركوا به ، ولو أحسنوا به الظن ؛ لوحّدوه حق توحيده " [١] .

ولقد جاء في حديث أبي سعيد الخدري ﷺ ما يدل على عقوبة الشرك والأثر الذي يترتّب عليه في الآخرة ، وذلك في قوله ﷺ كما عند البخاري : " فَيُدْعَى اليَهُودُ ، فَيُقَالُ لَهُمْ : مَنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ؟ قَالُوا : كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللَّهِ ، فَيُقَالُ لَهُمْ : كَذَبْتُمْ ؛ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلاَ وَلَدٍ ، فَمَاذَا تَبْغُونَ ؟ فَقَالُوا : عَطِشْنَا رَبَّنَا ؛ فَاسْقِنَا ؛ فَيُشَارُ أَلاَ تَرِدُونَ ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضاً ؛ فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ ، ثُمَّ يُدْعَى النَّصَارَى ، فَيُقَالُ لَهُمْ : مَنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ؟ قَالُوا : كُنَّا نَعْبُدُ المَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ ، فَيُقَالُ لَهُمْ : كَذَبْتُمْ ؛ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلاَ وَلَدٍ ، فَيُقَالُ لَهُمْ:مَاذَا تَبْغُونَ ؟ فَكَذَلِكَ مِثْلَ الأَوَّلِ " .

وكما عند مسلم : " إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ : لِيَتَّبِعْ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ ؛ فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْصَابِ إِلَّا يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ " .

فالشرك إذن يوجب العذاب الشديد لصاحبه يوم القيامة .

ومن الآثار والعقوبات المترتّبة على الشرك [٢] – فضلاً عمّا سبق – :

١– أن الشرك يحبط جميع الأعمال الصالحة ؛ فلا يصلح معه عمل ولا تقبل معه طاعة ، قال تعالى مخاطباً صفوة خلقه ، وهم الرسل – عليهم السلام – : ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [٣] .

وقال ﷻ مخاطباً حبيبه وخليله محمداً ﷺ : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [٤] .

---

(١) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، محمد بن أبي بكر الزرعي (ابن القيم) ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، ط٢ (بيروت : دار المعرفة ، ١٣٩٥هـ = ١٩٧٥م) ، (١ / ٦١) .

(٢) انظر العقوبات التالية وغيرها في : نور التوحيد وظلمات الشرك في ضوء الكتاب والسنة ، سعيد بن علي القحطاني ، ط٣ (الرياض : مؤسسة الجريسي ، ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م) ، (ص ٨٢ – ٨٩) .

(٣) سورة الأنعام ، من الآية : ٨٨ .

(٤) سورة الزمر ، الآية : ٦٥ .

وفي الآيتين دلالة على تشديد أمر الشرك ، وتغليظ شأنه ، وتعظيم قبحه ؛ فإن الشرك محبط للعمل ، مانع لقبوله ، موجب للخلود في النار ؛ فإذا كان هؤلاء الصفوة الأخيار لو أشركوا – وحاشاهم – لحبطت أعمالهم ، فغيرهم من باب أولى [١] .

يقول الحافظ ابن حجر – رحمه الله – معلّقاً على الآية الأخيرة : " والغرض هنا : تشديد الوعيد على من أشرك بالله ، وأن الشرك محذّر منه في الشرائع كلها، وأن للإنسان عملاً يثاب عليه إذا سلم من الشرك ؛ ويبطل ثوابه إذا أشرك " [٢] .

٢– أن الشرك لا يغفره الله تعالى لصاحبه إذا مات عليه و لم يتب منه ، كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ [٣] .

فكل ذنب مات العبد عليه من غير أن يتوب منه حال الحياة ؛ فإمكان العفو والمغفرة فيه يوم القيامة وارد إلا الشرك ؛ فإن الله تعالى قد قطع رجاء صاحبه في المغفرة .

قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله – في تفسير الآية السابقة : " أخبر تعالى : أنه لا يغفر لعبد لقيه وهو مشرك به ؛ ويغفر ما دون ذلك ، أي من الذنوب لمن يشاء ، أي من عباده " [٤] .

وقال الشيخ سليمان آل الشيخ – رحمه الله – :" فتبيّن بهذا ؛أن الشرك أعظم الذنوب ؛ لأن الله تعالى أخبر أنه لا يغفره ، أي إلا بالتوبة منه ؛ وما عداه فهو داخل تحت مشيئة الله : إن شاء غفره بلا توبة ، وإن شاء عذّب به ؛ وهذا يوجب للعبد شدة الخوف من هذا الذنب الذي هذا شأنه عند الله " [٥] .

٣– أن الشرك يوجب تحريم الجنة والخلود في النار .

قال تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ ﴾ [٦] .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : " مَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً ؛

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢ / ١٥٦) . وتيسير الكريم الرحمن (١ / ٥١٩) .

(٢) فتح الباري (١٣ / ٤٩٤) .

(٣) سورة النساء ، من الآية : ٤٨ .

(٤) تفسير القرآن العظيم (١ / ٥٠٩) .

(٥) تيسير العزيز الحميد (ص ٩١) .

(٦) سورة المائدة ، من الآية : ٧٢ .

دَخَلَ النَّارَ " (١) .

قال الإمام النووي – رحمه الله – في شرح هذا الحديث : " وأمّا حكمه ﷺ على من مات يشرك بدخول النار ؛ومن مات غير مشرك بدخوله الجنة؛فقد أجمع عليه المسلمون .

فأمّا دخول المشرك النار فهو على عمومه ؛ فيدخلها ويخلّد فيها ، ولا فرق فيه بين الكتابي اليهودي والنصراني ، وبين عبدة الأوثان وسائر الكفرة ، ولا فرق عند أهل الحق بين الكافر عناداً وغيره ، ولا بين من خالف ملة الإسلام وبين من انتسب إليها " (٢) .

ويتضح من جميع ما تقدم :

عظم الشرك ، وقبحه ، وسوء عاقبة أهله ؛ مما يوجب الحذر منه والابتعاد عن الطرق المؤدّية إليه .



(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الجنائز ، باب في الجنائز (١ / ٤١٧ ، رقم ١١٨١) . ومسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة (١ / ٩٤ ، رقم ٩٢) .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٢ / ٩٧) .

المطلب الثاني
النفاق وعقوبته

المسألة الأولى : تعريف النفاق :

النفاق في اللغة :

لقد اختلف اللغويون في أصل النفاق :

فقيل : إنه مأخوذ من النافقاء .

" والنافقاء : موضع يرقّقه اليربوع من جحره ، فإذا أتي من قِبل القاصعاء [(١)] ؛ ضرب النافقاء برأسه فانتفق ، أي خرج " [(٢)] .

" ومنه : اشتقاق النفاق ؛ لأن صاحبه يكتم خلاف ما يظهر،فكأن الإيمان يخرج منه ، أو يخرج هو من الإيمان في خفاء " [(٣)] .

" وقيل : من النفق : وهو السّرب الذي يستتر فيه ؛ لستره كفره " [(٤)] .

وعلى هذا فالأصل في النفاق : الخروج والخفاء .

النفاق في الاصطلاح :

قال الشريف الجرجاني في تعريفه : " هو إظهار الإيمان وكتمان الكفر " [(٥)] .

والنفاق : اسم إسلامي لم تعرفه العرب بهذا المعنى الخاص ؛ وإن كان أصله الذي أُخذ منه في اللغة معروفاً [(٦)] .

والنفاق ينقسم إلى نوعين :

---

(١) القاصعاء : هو جحر يحفره اليربوع ، فإذا فرغ ودخل فيه سد فمه ؛ لئلا يدخل عليه حية أو دابة . انظر : تهذيب اللغة ، مادة (قصع) ، (١ / ١٢١) . ولسان العرب ، مادة (قصع) ، (٨ / ٢٧٥) .

(٢) تهذيب اللغة ، مادة (نفق) ، (٩ / ١٥٦) .

(٣) معجم مقاييس اللغة ، مادة (نفق) ، (٥ / ٤٥٥) .

(٤) النهاية في غريب الحديث مادة (نفق) ، (٥ / ٩٧) .

(٥) التعريفات (ص ٣١١) .

(٦) انظر : النهاية في غريب الحديث ، مادة (نفق) ، (٥ / ٩٧) .

النوع الأول : **النفاق الاعتقادي** : وهو أن يظهر الإنسان الإيمان : بالله تعالى ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله – عليهم السلام – واليوم الآخر ؛ ويبطن ما يناقض ذلك كله أو بعضه .

النوع الثاني : **النفاق العملي**:وهو أن يظهر الإنسان الصلاح ؛ويبطن ما يخالف ذلك [١] .

المسألة الثانية : عقوبة النفاق :

إن النفاق الاعتقادي داء خطير وبلاء مستطير ؛ متى دبّ في أمة أماتها وأهلكها ما لم يتداركها الله تعالى برحمته .

ولخطورة النفاق وما ينطوي عليه من الخداع والتضليل ؛ كانت عواقبه وخيمة ونتائجه أليمة ، تعرّض الإنسان للهلاك والخسران .

ولقد دل حديثا أبي هريرة وأبي سعيد الخدري – رضي الله عنهما – على عقوبة النفاق ؛ إذ ورد فيهما : أن المنافقين الذين كانوا يراؤون الناس بعباداتهم في الدنيا ؛ ويتقون بها من ضرر المسلمين ؛ يمنعون من السجود لله تعالى حين يكشف عن ساقه يوم القيامة ؛ حيث تجعل فقرات ظهورهم طبقاً واحداً ؛ فلا يستطيعون عندها الانحناء ولا السجود ، وذلك في قوله ﷺ من حديث أبي هريرة ﷺ كما عند الدارمي : " فَيَقُولُ : هَلْ تَعْرِفُونَهُ ؟ فَيَقُولُونَ : إِذَا تَعَرَّفَ إِلَيْنَا عَرَفْنَاهُ ؛ فَيَكْشِفُ لَهُمْ عَنْ سَاقِهِ ؛ فَيَقَعُونَ سُجُوداً ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ [٢] ، يَبْقَى كُلُّ مُنَافِقٍ فَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْجُدَ " .

وفي قوله ﷺ من حديث أبي سعيد ﷺ كما عند مسلم : " فَيَقُولُ : هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ ؛ فَيُكْشَفُ عَنْ سَاق ؛ فَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلَّا أَذِنَ اللَّهُ لَهُ بالسُّجُودِ ، وَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءً وَرِيَاءً إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً ؛ كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَى قَفَاهُ " .

كما دل حديث أبي هريرة ﷺ على عقوبة أخرى تلحق المنافق ؛ وهي استحقاق

---

(١) انظر : جامع العلوم والحكم (ص ٤٣٠ – ٤٣١) .

(٢) سورة القلم ، الآية : ٤٢ .

سخط الله تعالى وغضبه عليه ، وذلك في قوله ﷺ كما عند مسلم : " ثُمَّ يُقَالُ لَهُ : الْآنَ نَبْعَثُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ ، وَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ : مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ ؟ فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ ، وَيُقَالُ لِفَخِذِهِ ، وَلَحْمِهِ ، وَعِظَامِهِ : انْطِقِي ؛ فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ ، وَلَحْمُهُ ، وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ ؛ وَذَلِكَ لِيُعْذِرَ مِنْ نَفْسِهِ ، وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ ؛ وَذَلِكَ الَّذِي يَسْخَطُ اللَّهُ عَلَيْهِ " .

ومن آثار النفاق وعقوباته المهلكة – زيادةً على ما سبق – :

١– أن النفاق يؤدّي إلى عدم قبول الأعمال الصالحة ؛ ورفضها ، وإبطالها .

قال ﷻ : ﴿ قُلۡ أَنفِقُواْ طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمۡۖ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ قَوۡمًا فَٰسِقِينَ ۝ وَمَا مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ مِنۡهُمۡ نَفَقَٰتُهُمۡ إِلَّآ أَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمۡ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ﴾ (١) .

ففي هذه الآية يبيّن الله تعالى أن نفقات المنافقين باطلة ، وأهم مهما بذلوا من مال ، سواء أكانوا طائعين أم مكرهين ؛ فلن يتقبّل منهم .

والمانع من قبول صدقاتهم ؛ لأن الأعمال إنما تصحّ بالإيمان ، وهؤلاء ليس لهم قصد صحيح ، ولا همة في العمل (٢) .

٢– أن النفاق يوجب لعنة الله تعالى .

يقول سبحانه : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسۡبُهُمۡۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ﴾ (٣) .

والسبب في جمع الله تعالى بين المنافقين والكفار في النار ، والخلود ، واللعنة :

لاجتماعهم في الدنيا على الكفر ، والتكذيب بآيات الله ﷻ ، ومعاداته سبحانه ورسوله ﷺ (٤) .

٣– أن النفاق يطفئ نور أصحابه يوم القيامة .

قال ﷻ : ﴿ يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا (٥) نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ قِيلَ

---

(١) سورة التوبة ، الآيات : ٥٣– ٥٤ .

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣ / ٣٦٣) .

(٣) سورة التوبة ، الآية ٦٨ .

(٤) انظر : تيسير الكريم الرحمن (١ / ٧٠٩) .

(٥) انظرونا : أي انتظرونا وأخرونا ، يقال : نظرته وأنتظرته إذا أخرته . انظر : تهذيب اللغة ، مادة (نظر) ، (١٤ / ٢٦٥) . والمفردات في غريب القرآن ، مادة (نظر) ، (ص ٤٩٨) .

ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ ﴾ [١] .

قال ابن عباس – رضي الله عنهما – : " بينما الناس في ظلمة ؛ إذ بعث الله نوراً ؛ فلمّا رأى المؤمنون النور توجهوا نحوه ، وكان النور دليلاً من الله إلى الجنة ؛ فلمّا رأى المنافقون المؤمنين قد انطلقوا تبعوهم ؛ فأظلم الله على المنافقين ، فقالوا حينئذ : انظرونا نقتبس من نوركم ؛ فإنا كنا معكم في الدنيا ، قال المؤمنون : ارجعوا من حيث جئتم من الظلمة ؛ فالتمسوا هنالك النور " [٢] .

ثم يفرّق بين المؤمنين والمنافقين بسور : كالحائط العظيم ، له باب باطنه رحمة من جهة أهل الإيمان ، وظاهره عذاب من جهة أهل النفاق .

٤– أن النفاق يخلّد صاحبه في النار بل في الدّرك الأسفل منها .

قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ﴾ [٣] .

يقول الإمام ابن جرير الطّبري – رحمه الله – في تفسير الآية : "يعني جل ثناؤه : إن المنافقين في الطبق الأسفل من أطباق جهنم ؛ وكل طبق من أطباق جهنم درك " [٤] .

فالمنافقون استحقوا أشد النكال وأعظم العذاب ؛ جزاءً وفاقاً .

إلى غير ذلك من عقوبات وآثار النفاق الذي هو سبب كل دمار وعنوان كل خسارة .



(١) سورة الحديد ، الآية : ١٣ .

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان (٢٧ / ٢٢٤) .

(٣) سورة النساء ، الآية : ١٤٥ .

(٤) جامع البيان (٥ / ٣٣٧– ٣٣٨) .



الفصل الثالث

الفصل الثالث

دلالة الحديثين على توحيد الأسماء والصفات

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تعريف توحيد الأسماء والصفات

المبحث الثاني : منهج أهل السنة والجماعة في أسماء الله تعالى وصفاته

المبحث الثالث : دلالة الحديثين على بعض صفات الله تعالى

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : الصفات الذاتية

المطلب الثاني : الصفات الفعلية

المطلب الثالث : الصفات الذاتية الفعلية

المطلب الرابع : الصفات التي تطلق من باب المقابلة

المبحث الأول

تعريف توحيد الأسماء والصفات

الأسماء والصفات في اللغة :

الأسماء جمع : اسم ، وقد اختلف العلماء في اشتقاق الاسم :

فذهب الكوفيون إلى أنه مشتق من الوسم وهو العلامة ؛ ووجه هذا : لأنه سمة توضع على الشيء فيعرف بها .

وذهب البصريون إلى أنه مشتق من السمو وهو العلو ؛ ووجهه : لأنه سما على مسمّاه وعلا على ما تحته من معناه [(١)] .

والصحيح :أن أسماء الله تعالى مشتقة من كلا المعنيين ،وهذا ما رجّحه الشيخ العثيمين [(٢)] رحمه الله .

فأسماء الله تعالى علامة تميّزه عن غيره سبحانه ؛وهي أعلى الأسماء ، وأظهرها ، وأبينها .

أمّا الصفات فهي جمع : صفة ، والصفة : هي " الأمارة اللازمة للشيء " [(٣)] .

توحيد الأسماء والصفات في الاصطلاح :

لقد عرّف العلماء توحيد الأسماء والصفات في الاصطلاح بتعريفات عدة : تدور حول الإجمال تارةً ، وحول التفصيل تارةً أخرى ؛ ولا تعارض بينهما .

فمن التعريفات المجملة :

١- قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : " هو إثبات ما أثبته الله تعالى من الصفات من غير تكييف [(٤)] ولا تمثيل [(٥)] ، ومن غير

---

(١) انظر : الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين ، عبد الرحمن بن محمد الأنباري ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، د.ط (بيروت : دار الفكر ، د.ت) ، (١ / ٦) .

(٢) انظر : القول المفيد (٢ / ١٨٤) .

(٣) معجم مقاييس اللغة ، مادة (وصف) ، (٦ / ١١٥) .

(٤) التكييف : هو تعيين كيفية صفات الله تعالى أو السؤال عنها بكيف . انظر : شرح العقيدة الواسطية ، جمع من العلماء ، د.ط (القاهرة : دار ابن الجوزي ، د.ت) ، (ص ٦٥) . ومعجم ألفاظ العقيدة ، عامر بن عبد الله فالح ، ط١ (الرياض : مكتبة العبيكان ، ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م) ، (ص ٩٧) .

(٥) التمثيل : هو الاعتقاد في صفات الله تعالى أنها مثل صفات المخلوقين . انظر : شرح العقيدة الواسطية (ص ٧٢) . ومعجم ألفاظ العقيدة (ص ٩٩) .

تحريف [١] ولا تعطيل [٢] " [٣] .

٢- وعرّفه الإمام ابن القيّم – رحمه الله – بقوله :"هو إثبات صفات الكمال لله تعالى ؛ وتتريهه فيها عن التشبيه [٤] والتمثيل ، وتتريهه عن صفات النقص " [٥] .

٣- وقال الشيخ حافظ حكمي – رحمه الله – في تعريفه : " هو الإيمان بما وصف الله تعالى به نفسه في كتابه ووصفه به رسوله ﷺ من الأسماء الحسنى والصفات العلى ؛ وإمرارها كما جاءت بلا كيف " [٦] .

ومن التعاريف المفصّلة :

قال الشيخ السعدي – رحمه الله – : " هو اعتقاد انفراد الرب جَلَّ جَلالُه بالكمال المطلق من جميع الوجوه ؛ بنعوت العظمة ، والجلال ، والجمال التي لا يشاركه فيها مشارك بوجه من الوجوه ؛ وذلك بإثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ من جميع الأسماء والصفات ، ومعانيها ، وأحكامها الواردة في الكتاب والسنة على الوجه اللائق بعظمته وجلاله ؛ من غير نفي لشيء منها ، ولا تعطيل ، ولا تحريف ، ولا تمثيل .

ونفي ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ من النقائص والعيوب ؛ وعن كل ما ينافي كماله " [٧] .

ولا ريب أن المعاني السابقة هي ما دلت عليها النصوص الشرعية .



(١) التحريف : هو تغيير ألفاظ نصوص الأسماء والصفات أو معانيها عن مراد الله تعالى بها . انظر : شرح العقيدة الواسطية (ص ٥٨) . ومعجم ألفاظ العقيدة (ص ٨٢) .

(٢) التعطيل : هو نفي الصفات الإلهية وإنكار قيامها بذات الله تبارك وتعالى . انظر : شرح العقيدة الواسطية (ص ٥٨) . ومعجم ألفاظ العقيدة (ص ٩٢) .

(٣) مجموع الفتاوى (٣ / ٣) .

(٤) التشبيه : هو الاعتقاد في صفات الله تعالى أنها تشبه صفات المخلوقين . انظر : شرح العقيدة الواسطية (ص ٧٢) . ومعجم ألفاظ العقيدة (ص ٩٩) .

(٥) اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية ، محمد بن أبي بكر الزرعي (ابن القيم) ، ط١ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م) ، (ص ٤٣) .

(٦) أعلام السنة المنشورة (ص ٤٤) .

(٧) القول السديد (ص ٤٠) .

المبحث الثاني

منهج أهل السنة والجماعة في أسماء الله تعالى وصفاته

لقد ارتكز منهج أهل السنة والجماعة الذي ساروا عليه في باب أسماء الله تعالى وصفاته على مجموعة من الأسس السليمة والقواعد المستقيمة ، وفيما يلي بيان هذه الأسس [(١)] :

الأساس الأول : إثبات ما أثبته الله تعالى أو رسوله ﷺ ونفي ما نفاه الله تعالى أو رسوله ﷺ :

فأهل السنة والجماعة يثبتون ما أثبته الله تعالى لنفسه من الأسماء والصفات أو أثبته له رسوله ﷺ ؛ وينفون ما نفاه الله تعالى عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ .

قال الإمام الشافعي – رحمه الله – : " آمنت بما جاء عن الله على مراد الله ؛ وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله ﷺ " [(٢)] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : " فالأصل في هذا الباب : أن يوصف بما وصف به نفسه وبما وصفته به رسله نفياً وإثباتاً ؛ فيثبت لله ما أثبته لنفسه ، وينفى عنه ما نفاه عن نفسه " [(٣)] .

ويدل على صحة هذا الأساس أمور :

١- أن أسماء الله تعالى وصفاته غيب لا يعرف إلا من قبل الوحي الصادق .

٢- أن رد ما أثبته الله تعالى لنفسه أو ما أثبته له رسوله ﷺ ؛ يعدّ تكذيباً لله تعالى ولرسوله ﷺ .

٣- النصوص الآمرة بالإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾ [(٤)] .

---

(١) انظر : أسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة ، عمر بن سليمان الأشقر ، ط٦ (عمان : دار النفائس ، ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م) ، (ص ١٠٤- ١٠٨ ، ١١٠ – ١١١ ، ١٢٦ – ١٢٨ ، ١٣١ ، ١٣٦ – ١٤٣ ، ١٤٩ – ١٥٣) .

(٢) انظر : ذم التأويل ، عبد الله بن أحمد بن قدامة ، تحقيق : بدر بن عبد الله البدر ، ط١(الكويت : الدار السلفية ، ١٤٠٦هـ) ، (ص ١١) .

(٣) مجموع الفتاوى (٣ / ٣) .

(٤) سورة البقرة ، من الآية : ٢٣١ .

وقوله سبحانه : ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾[١] .

الأساس الثاني : الاعتقاد بأن أسماء الله تعالى كلها حسنى وصفاته كلها كاملة عليا :

فأهل السنة والجماعة يعتقدون جازمين بأن الأسماء التي سمّى الله تعالى بها نفسه والصفات التي وصف بها نفسه لا نقص فيها بوجه من الوجوه ؛ بل هي أحسن الأسماء وأكمل الصفات .

قال الله تعالى مقرّراً هذه الحقيقة : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾[٢] .

وقال سبحانه : ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾[٣] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : " الكمال ثابت لله ؛ بل الثابت له هو أقصى ما يمكن من الأكملية ؛ بحيث لا يكون وجود كمال لا نقص فيه إلا وهو ثابت للرب تبارك وتعالى ؛ يستحقه بنفسه المقدّسة "[٤] .

وقال الإمام ابن القيّم – رحمه الله – : " وصفاته كلها صفات كمال محض ؛ فهو موصوف من الصفات بأكملها ، وله من الكمال أكمله .

وهكذا أسماؤه الدالة على صفاته هي أحسن الأسماء وأكملها ؛ فليس في الأسماء أحسن منها ، ولا يقوم غيرها مقامها ، ولا يؤدّي معناها "[٥] .

الأساس الثالث : تتريه الباري تبارك وتعالى عن التشبيه والتمثيل وكل صفات النقص :

وهذا معلم واضح عند أهل السنة والجماعة ؛ فإن من أعظم مقاصدهم تقديسهم لربهم تبارك وتعالى عن كل عيب ونقص ، كما قال تعالى : ﴿ فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ﴾[٦] .

---

(١) سورة البقرة ، من الآية : ٢٦٧ .

(٢) سورة الأعراف ، من الآية : ١٨٠ .

(٣) سورة الإسراء ، من الآية : ١١٠ .

(٤) مجموع الفتاوى (٦ / ٧١) .

(٥) بدائع الفوائد (١ / ١٧٧) .

(٦) سورة النحل ، من الآية : ٧٤ .

قال الإمام ابن جرير الطّبري – رحمه الله – في تفسير هذه الآية : " فلا تمثّلوا لله الأمثال ولا تشبّهوا له الأشباه ؛ فإنه لا مثل له ولا شبه " (١) .

وقال سبحانه : ﴿ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴾ (٢) .

قال ابن عباس – رضي الله عنهما – في معناها :" هل تعلم للرب مثلاً أو شبيهاً ؟! " (٣) .

وقال جل شأنه : ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ (٤) .

وقد قرّر أهل السنة والجماعة هذا الأصل ؛ بناءً على ما فقهوه من بيان الله تعالى أنه لا يشبه شيئاً من خلقه : لا في ذاته ولا في صفاته .

يقول إسحاق بن راهويه (٥) – رحمه الله – : " من وصف الله فشبّه صفاته بصفات أحد من خلق الله ؛ فهو كافر بالله العظيم " (٦) .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : " وهو سبحانه ليس كمثله شيء : لا في نفسه المقدّسة المذكورة بأسمائه وصفاته ولا في أفعاله ، فكما نتيقن أن الله سبحانه له ذات حقيقة وله أفعال حقيقة ؛ فكذلك له صفات حقيقة .

وهو ليس كمثله شيء : لا في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله ، وكل ما أوجب نقصاً أو حدوثاً فإن الله منزّه عنه حقيقة ؛ فإنه سبحانه مستحق للكمال الذي لا غاية فوقه ،

---

(١) جامع البيان (١٤ / ١٤٨) .

(٢) سورة مريم ، من الآية : ٦٥ .

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٦ / ١٠٦) ، واللفظ له . والبيهقي في شعب الإيمان (١ / ١٤٣ ، رقم ١٢٢) .

(٤) سورة الشورى ، من الآية : ١١ .

(٥) هو : إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي ، أبو يعقوب ، المعروف بابن راهويه ، أحد أئمة المسلمين ، اجتمع له الحديث ، والفقه ، والصدق ، والورع ، والزهد ، وكان ممن فرع السنن وذب عنها وقمع من خالفها ، روى له : البخاري ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، وله تصانيف ، منها : (المسند) ، توفي سنة ٢٣٨هـ . انظر : الثقات (٨ / ١١٥ – ١١٦) . وتهذيب الكمال (٢ / ٣٧٣ – ٣٨٨) .

(٦) أخرجه هبة الله بن الحسن اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم ، تحقيق : د. أحمد بن سعد حمدان ، د.ط (الرياض : دار طيبة ، ١٤٠٢هـ) ، (٣ / ٥٣٢ ، رقم ٩٣٧) .

ويمتنع عنه الحدوث لامتناع العدم عليه "[١] .

ويقول ابن أبي العز[٢] – رحمه الله –:" اتفق أهل السنة على أن الله ليس كمثله شيء : لا في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله "[٣] .

الأساس الرابع : إجراء الصفات على ظاهرها :

ومراد أهل السنة بإجراء الصفات على ظاهرها : هو الجزم بأن لها معنىً حقيقياً يليق بجلال الله تعالى وكماله،وهو المعنى الذي يظهر من اللفظ وفق ما تفقهه العرب من كلامها .

وقد جلّى شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – مذهب السلف في هذا ، فقال : "مذهب السلف إجراء أحاديث الصفات وآيات الصفات على ظاهرها ؛ مع نفي الكيفية والتشبيه عنها ، فلا نقول : إن معنى اليد : القدرة ، ولا أن معنى السمع : العلم ؛ وذلك أن الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات يحتذى فيه حذوه ويتبع فيه مثاله ، فإذا كان إثبات الذات إثبات وجود لا إثبات كيفية ؛ فكذلك إثبات الصفات إثبات وجود لا إثبات كيفية "[٤] .

الأساس الخامس : الإجمال في النفي والتفصيل في الإثبات :

ومعنى هذا الأساس:أن الله تعالى يوصف بصفات الكمال الثابتة له على وجه التفصيل : فهو بكل شيء عليم ، وهو السميع البصير ، وهو الحي القيوم ، وهو الغفور ؛ هذا في الإثبات .

أمّا في النفي ؛ فإنه سبحانه يوصف بها على وجه الإجمال : كقوله تعالى : ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾[٥] .

(١) مجموع الفتاوى (٥ / ٢٦ – ٢٧) .

(٢) هو : علي بن علي بن أبي العز الصالحي ، فقيه ، اشتغل قديماً ؛ فمهر ودرس وأفتى ، ولي قضاء مصر ثم استعفى ، وامتحن وأوذي ؛ بسبب اعتراضه على قصيدة لابن أيبك الدمشقي ، له كتب ، منها : (التنبيه على مشكلات الهداية) ، و (شرح العقيدة الطحاوية) ، توفي سنة ٧٩٢هـ . انظر : شذرات الذهب (٦ / ٣٢٦) . والأعلام (٤ / ٣١٣) .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ، علي بن علي بن أبي العز ، تحقيق : د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ؛ وشعيب الأرنؤوط ، ط٢ (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م) ، (١ / ١٥٤) .

(٤) مجموع الفتاوى (٣٣ / ١٧٧) .

(٥) سورة الإخلاص ، الآية : ٤ .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : " وإن الرسل – صلوات الله عليهم – جاؤوا بنفي مجمل وإثبات مفصّل ؛ ولهذا قال ﷻ : ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ۝ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) ، فسبّح نفسه عمّا وصفه به المخالفون للرسل وسلّم على المرسلين ؛ لسلامة ما قالوه من النقص والعيب .

وطريقة الرسل هي ما جاء به القرآن ؛ والله تعالى في القرآن يثبت الصفات على وجه التفصيل ، وينفي عنه على طريق الإجمال التشبيه والتمثيل " (٢) .

الأساس السادس : أسماء الله تعالى وصفاته توقيفية :

أي أنه لا يجوز لأحد أن يسمّي الله تعالى باسم ما أو يصفه بصفة ما لم تأت في الكتاب والسنة .

قال إمام أهل السنة والجماعة : الإمام أحمد – رحمه الله – : " لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ؛ لا يتجاوز القرآن والحديث " (٣) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : " ثم القول الشامل في جميع هذا الباب ؛ أن يوصف الله بما وصف به نفسه ، أو وصفه به رسوله ، وبما وصفه به السابقون الأولون ؛ لا يتجاوز القرآن والحديث " (٤) .

وقال الإمام ابن القيّم – رحمه الله – : " ما يطلق على الله تعالى في باب الأسماء والصفات توقيفي " (٥) .

فيجب الوقوف في الأسماء والصفات على ما جاء في الكتاب والسنة ؛ فلا يزاد فيها ولا ينقص ؛ وهذا عائد لأمور :

١– أن مخالفة هذا المنهج قول على الله تعالى بغير علم ورجم بالغيب ؛ وقد حرّم الله تعالى هذا وعدّه من الجرائم العظام .

٢– أن مخالفة هذا المنهج تقديم بين يديّ الله تعالى ورسوله ﷺ ؛ وقد نُهينا عن ذلك .

---

(١) سورة الصافات ، الآيات : ١٨٠– ١٨٢ .

(٢) مجموع الفتاوى (٦ / ٣٧) .

(٣) انظر : المرجع السابق (٥ / ٢٦) .

(٤) المرجع السابق (٥ / ٢٦) .

(٥) بدائع الفوائد (١ / ١٧٠) .

٣- أن أسماء الله تبارك وتعالى حسنى ؛ ومهما اجتهد العبد فإنه قد لا يوفّق للتعـرّف على الاسم الأحسن الذي يستحقه الرب ﷻ .

الأساس السابع : قطع الطمع عن إدراك الكيفية :

إذ العباد لا يعلمون كيفية ما أخبر الله تعالى به عن نفسه ؛ لأن عقولهم لا تطيق حقيقة معرفته ﷻ ولا تقدر ألسنتهم على بلوغ صفته [(١)] ؛ ولهذا قال الإمام مالك – رحمـه الله – حين سُئل عن الاستواء : " الاستواء غير مجهول،والكيف غير معقول ؛ والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة " [(٢)] .

وقال الإمام أبو جعفر الطّحاوي [(٣)] – رحمه الله – في عقيدته عن الله تعالى : " لا تبلغه الأوهام ولا تدركه الأفهام " [(٤)] .

الأساس الثامن : عدم الإلحاد في أسماء الله تعالى وصفاته :

والإلحاد في أسماء الله تعالى : هو الميل بها عمّا يجب فيها ، وهو على أنواع [(٥)] :

النوع الأول : أن ينكر شيئاً منها أو مما دلت عليه من الصفات والأحكام ، كما فعل أهل التعطيل : من الجهمية وغيرهم .

النوع الثاني : أن يجعلها دالة على صفات تشابه صفات المخلوقين ، كما فعـل أهـل التشبيه .

النوع الثالث : أن يسمّي الله تعالى بما لم يسمّ به نفسه : كتسمية النصارى له أبـاً ،

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى (١٢ / ٥٧٥) .

(٢) أخرجه البيهقي في كتاب الأسماء والصفات (٢ / ٣٠٥ – ٣٠٦ ، رقم ٨٦٧) . وقال محمد بن أحمد الذهبي في العلـو للعلي الغفار في إيضـاح صحيـح الأخبـار وسقيمها ، تحقيـق : أشـرف بن عبد المقصـود ، ط١ (الرياض : مكتبة أضواء السـلف ، ١٤١٦هـ = ١٩٩٥م) ، (ص ١٣٩) :" هـذا ثابـت عـن مالك " . وقال محقق كتاب الأسماء والصفات (٢ / ٣٠٥ ، هامش رقم ٨٦٧) : " صحيح إلى مالك " .

(٣) هو : أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي ، أبو جعفر ، الفقيه الإمام الحافظ ، أحد الثقات الأثبات ، تفقه أولاً على مذهب المزني ، ثم انتقل إلى مذهب الإمام أبي حنيفة ، من تصانيفه : (بيان مشكل الآثار) ، و (العقيدة الطحاوية) ، توفي سنة ٣٢١هـ . نظر : البداية والنهاية (١١ / ١٧٤).والجواهر المضية في طبقـات الحنفية ، عبد القـادر بن محمد بن أبي الوفاء ، د.ط (كراتشي : مير محمـد كتب خانه ، د.ت) ، (١ / ١٠٢- ١٠٥) .

(٤) شرح العقيدة الطحاوية (١ / ١٧٧) .

(٥) انظر : لوامع الأنوار (١ / ١٢٨) .

وتسمية الفلاسفة [١] له بالعلة الفاعلة .

النوع الرابع : أن يشتق من أسمائه أسماءً للأصنام ، كما فعل المشركون في اشتقاق العزّى من العزيز ، واللّات من الإله على أحد القولين [٢] .

والإلحاد محرّم بجميع أنواعه ؛ لأن الله تعالى هدّد الملحدين بقوله : ﴿ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [٣] .

ومما سبق يتبيّن :

أن منهج أهل السنة والجماعة في أسماء الله تعالى وصفاته يتسم بالعلم والحكمة معاً ؛ فهم قد وقفوا من تلك الأسماء والصفات موقف المثبت لها على الوجه اللائق به سبحانه ، مع نفيهم أن تكون تلك الصفات مماثلة أو مشابهة لصفات المخلوقين ، ومع استبعاد أي تدخل للعقل في تحديد كيفيتها ، أو تعطيل حقيقتها ، أو تأويلها [٤] عن الوجه الذي يدل عليه

---

(١) الفلاسفة : اسم مشتق من الفلسفة ، والفلسفة لفظة مركبة من كلمتين يونانيتين ، هما :
١- (فيلو) أو (فيلا) ومعناهما : المحبة أو الإيثار .
٢- (سوفيس) أو (سوفيا) ومعناهما : الحكمة .
والفيلسوف : هو محب الحكمة أو المؤثر للحكمة ، وقد صار في عرف كثير من الناس مختصاً بمن خرج عن ديانات الأنبياء ؛ ولم يذهب إلا إلى ما يقتضيه العقل في زعمه .
ومن معتقدات الفلاسفة : أن العالم قديم ، وأكثرهم ينكرون علم الله تعالى وحشر الأجساد ، إلى غير ذلك من الاعتقادات الباطلة . انظر : إغاثة اللهفان (٢ / ٢٥٦- ٢٦٣) . والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، مانع بن حماد الجهني ، ط٤ (الرياض : دار الندوة العالمية ، ١٤٢٠هـ) ، (٢ / ١١٠٨ - ١١٠٩) .

(٢) أما القول الثاني : فهو أن اللات اسم رجل كان يلت السويق للحجاج ؛ فجعل اسماً للصنم . انظر : جامع البيان (٢٧ / ٥٨) . والنهاية في غريب الحديث ، مادة (لتت) ، (٤ / ٢٣٠) .

(٣) سورة الأعراف ، من الآية : ١٨٠ .

(٤) التأويل : لفظ يستعمل في ثلاثة معانٍ :
المعنى الأول : الحقيقة التي يؤول إليها الكلام .
المعنى الثاني : تفسير الكلام وبيان معناه ، وهذا هو الغالب على اصطلاح المفسرين .
المعنى الثالث : صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن بذلك ، وهذا الذي عناه أكثر من تكلم من المتأخرين في نصوص الصفات . انظر : درء تعارض العقل والنقل ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، تحقيق : عبد اللطيف عبد الرحمن ، د.ط (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م) ، (١ / ١٤) . وتوضيح المقاصد (٢ / ١٣) .

ظاهر اللفظ .



المبحث الثالث

دلالة الحديثين على بعض صفات الله تعالى

المطلب الأول : الصفات الذاتية

ويقصد بها : الصفات التي تتعلّق بذات الرب تبارك وتعالى ؛ والتي لم يزل ولا يزال متصفاً بها ، ولا تنفك عنه بحال من الأحوال [(١)] .

ومن الصفات الذاتية المذكورة في حديثي أبي هريرة وأبي سعيد الخدري – رضي الله عنهما – ما يلي :

أولاً – الوحدانية :

دل حديث أبي سعيد الخدري ﷺ على أن الوحدانية صفة من صفات الله تعالى ؛ إذ قد جاء فيه : تتريه الله سبحانه عن اتخاذ الصاحبة والولد ؛ وتكذيب اليهود والنصارى في اتخاذهم الشركاء معه جل وعلا ، وذلك في قوله ﷺ كما عند البخاري : " ثُمَّ يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ تُعْرَضُ كَأَنَّهَا سَرَابٌ ، فَيُقَالُ لِلْيَهُودِ : مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ؟ قَالُوا : كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ بْنَ اللَّهِ ، فَيُقَالُ : كَذَبْتُمْ ؛ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ وَلاَ وَلَدٌ ، فَمَا تُرِيدُونَ ؟ قَالُوا : نُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَنَا ، فَيُقَالُ : اشْرَبُوا ؛ فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ ، ثُمَّ يُقَالُ لِلنَّصَارَى : مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ؟ فَيَقُولُونَ : كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ بْنَ اللَّهِ ، فَيُقَالُ : كَذَبْتُمْ ؛ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ وَلاَ وَلَدٌ ، فَمَا تُرِيدُونَ ؟ فَيَقُولُونَ : نُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَنَا ، فَيُقَالُ : اشْرَبُوا ؛ فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ " .

والوحدانية صفة ثابتة لله تعالى بدلالة : الكتاب ، والسنة ، والعقل .

أ – دلالة الكتاب :

ومن أدلة الكتاب :

قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ ﴾ [(٢)] .

وقوله سبحانه : ﴿ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴾ [(٣)] .

---

(١) انظر : القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى ، محمد بن صالح العثيمين ، ط٣ (المدينة المنورة : مطابع الجامعة الإسلامية ، ١٤٠٩هـ) ، (ص ٢٥) . ومعجم ألفاظ العقيدة (ص ٢٤٣) .

(٢) سورة النساء ، من الآية : ١٧١ .

(٣) سورة الصافات ، الآية : ٤ .

قال الإمام ابن جرير الطّبري – رحمه الله – في تفسير الآية الثانية : " يعني تعالى ذكره : إن معبودكم الذي يستوجب عليكم أيها الناس العبادة وإخلاص الطاعة منكم له؛ لواحد لا ثاني له ولا شريك ؛ فأخلصوا العبادة وإياه فأفردوا بالطاعة،ولا تجعلوا له في عبادتكم إياه شريكاً " (١) .

وقوله ﷻ : ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ (٢) .

وفي هذه الآية بيان بأنه لا يستحق الملك إلا من اتصف بالوحدانية وهو الله تعالى .

ب – دلالة السنة :

ومن أدلة السنة – فضلاً عمّا تقدم – :

ما رواه معاذ بن جبل ﷺ أن رسول الله ﷺ قال له حين بعثه لليمن : " فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى " (٣) .

وهذا الحديث يفيد بأن الاعتقاد بوحدانية الله تعالى وإفراده وحده بالعبادة ؛ هو أول ما يبدأ به الداعية إلى الإسلام .

وعن عبادة بن الصامت ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : " مَنْ تَعَارَّ مِنْ اللَّيْلِ ، فَقَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ؛ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ... " الحديث (٤) .

قال ابن بطّال – رحمه الله – معلّقاً عليه : " حديث عبادة شريف عظيم القدر ، وفيه : ما وعد الله عباده على التيقظ من نومهم ؛ لهجة ألسنتهم بشهادة التوحيد له والربوبية ، والإذعان له بالملك ، والاعتراف له بالحمد على جزيل نعمه التي لا تحصى " (٥) .

وعن مِحجن بن الأدرع ﷺ أن رسول الله ﷺ دخل المسجد ، إذا رجل قد قضى

---

(١) جامع البيان (٢٣ / ٣٤) .

(٢) سورة غافر ، من الآية : ١٦.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التوحيد ، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى (٦ / ٢٦٨٥ ، رقم ٦٩٣٧) ، واللفظ له . ومسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام (١ / ٥١ ، رقم ١٩) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب أبواب التهجد ، باب فضل من تعار من الليل فصلى (١ / ٣٨٧ ، رقم ١١٠٣) .

(٥) شرح صحيح البخاري (٣ / ١٤٧– ١٤٨) .

صلاته وهو يتشهد ، فقال : اللهم إني أسألك يا الله بأنك الواحد الأحد ... الحديث [١] .

ج – **دلالة العقل** :

أمّا دليل العقل على أن الله تعالى واحد لا شريك له يمتنع أن يشاركه شيء : في ذاته ، أو صفاته ، أو أفعاله ؛ فجلّي ظاهر فيما يدعى : بدليل التمانع .

ويقصد بهذا الدليل : أنه لو كان للعالم ربان فعند اختلافهما ، مثل : أن يريد أحدهما تحريك جسم والآخر تسكينه ، أو يريد أحدهما إحياءه والآخر إماتته ؛ فإمّا أن يحصل مرادهما ، أو أحدهما ، أو لا يحصل مراد واحد منهما .

والأول : ممتنع ؛ لأنه يستلزم الجمع بين الضدين .

والثالث : ممتنع ؛ لأنه يستلزم خلو الجسم عن الحركة والسكون ، ويستلزم أيضاً عجز كل منهما ؛ والعاجز لا يكون إلهاً .

وإذا حصل مراد أحدهما دون الآخر ؛ كان هذا هو الإله القادر والآخر عاجزاً لا يصلح للإلهية [٢] .

ومن ثم لا يجوز أن يكون في السماوات والأرض آلهة متعددة ؛ بل لا يكون الإله إلا واحداً وهو الله ﷻ ؛ إذ لا صلاح لهما بغير الوحدانية ، فلو كان للعالم إلاهان ربان معبودان ؛ لفسد نظامه واختلت أركانه .

قال تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [٣] .

فأساس قيام الخلق وبقاء السماوات والأرض وحدانية الله تعالى وانفراده عمّا سواه .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [٤] .

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الصلاة ، باب ما يقول بعد التشهد (١ / ٢٥٩ ، رقم ٩٨٥) . والنسائي في سننه الصغرى ، كتاب السهو ، باب الدعاء بعد الذكر (٣ / ٥٢ ، رقم ١٣٠١) ، واللفظ له . وأحمد في مسنده – ط١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م – (٣١ / ٣١٠ ، رقم ١٨٩٧٤) . وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (١ / ٤١٧ ، رقم ١٣٠٠) .

(٢) انظر : توضيح المقاصد (١ / ٣٦٦) .

(٣) سورة الأنبياء ، الآية : ٢٢ .

(٤) سورة فاطر ، الآية : ٤١ .

ومن أسماء الله تعالى الحسنى التي تعود إلى تحقيق صفة الوحدانية : اسم : (الواحد) ، ومعناه كما يقول الإمام الخطّابي – رحمه الله – : " الفرد الذي لم يزل وحده ولم يكن معه آخر ، وقيل : هو المنقطع القرين المعدوم الشريك والنظير " [(١)] .

وأمّا تفسير المتكلمين [(٢)] لاسمه تعالى: (الواحد) بأنه الواحد الذي لا يتجزأ ولا ينقسم [(٣)] ؛فهذا من الألفاظ المبتدعة التي لم ينطق بها أحد من السلف،ولم يذكرها مؤلف في عقائد أهل السنة والجماعة ، وإنما هو من جنس ما يذكره أهل البدع .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : " فإنهم إذا قالوا : لا قسيم له ، ولا جزء له ، ولا شبيه له ؛ فهذا اللفظ وإن كان يراد به معنىً صحيح فإن الله ليس كمثله شيء ، وهو سبحانه لا يجوز عليه أن يتفرّق ولا يفسد ولا يستحيل ؛ بل هو أحد ؛ فإنهم يدرجون في هذا نفي علوه على خلقه ، ومباينته لمصنوعاته ، ونفي ما ينفونه من صفاته .

ويقولون : إن إثبات ذلك يقتضي أن يكون مركّباً منقسماً وأن يكون له شبيه ؛ وأهل العلم يعلمون أن مثل هذا لا يسمّى في لغة العرب التي نزل بها القرآن : تركيباً ، وانقساماً ، ولا تمثيلاً " [(٤)] .

ومما سبق يتضح :

أن وحدانية الله تعالى جامعة لأوصاف الكمال والجلال ؛ وأنها متى ما انتفت انتفت سائر صفات الكمال .

---

(١) شأن الدعاء (ص ٨٢) .

(٢) المتكلمون : هم المنتسبون إلى ما يسمى : بعلم الكلام ، ولعلم الكلام عدة تعريفات ، منها :
قال مسعود بن عمر التفتازاني في شرح المقاصد في علم الكلام ، ط١ (باكستان : دار المعارف النعمانية ، ١٤٠١هـ = ١٩٨١م) ، (١ / ٥) هو : " العلم بالعقائد الدينية عن الأدلة اليقينية " .
وقال عبد الرحمن بن محمد بن خلدون في مقدمته (مقدمة ابن خلدون) ، ط٥ (بيروت : دار القلم ، ١٩٨٤م) ، (ص ٤٥٨) في تعريفه : " هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية " .
أما تعريفه الصحيح فهو كما قال محمد بن صالح العثيمين في رسائل في العقيدة ، ط٢ (الرياض : مكتبة المعارف ، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٣م) ، (ص ٩٨) : " ما أحدثه المتكلمون في أصول الدين من إثبات العقائد بالطرق التي ابتكروها ؛ وأعرضوا بها عما جاء الكتاب والسنة به " .

(٣) انظر : المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى ، محمد بن محمد الغزالي ، تحقيق : بسام عبد الوهاب الجابي ، ط١ (قبرص : الجفان والجابي ، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م) ، (ص ١٣٣) . ونهاية الإقدام في علم الكلام ، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، تحقيق : أحمد فريد المزيدي ، ط١ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٤م) ، (ص ٢٣) .

(٤) درء تعارض العقل والنقل (١ / ٢٢٨) .

ثانياً – العلو والفوقية :

لقد جاء في حديثي أبي هريرة وأبي سعيد الخدري – رضي الله عنهما – ما يدل على صفتي العلو والفوقية لله تعالى ، وذلك في قوله ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه كما عند البخاري : " قال أناس : يا رسول الله ، هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال : " هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ ؟ " ، قالوا : لا ، يا رسول الله ، قال : " هَلْ تُضَارُّونَ فِي القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ ؟ " ، قالوا : لا ، يا رسول الله ، قال : " فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ كَذَلِكَ " .

وفي قوله ﷺ من حديث أبي سعيد رضي الله عنه كما عند الترمذي : " أَتُضَامُونَ فِي رُؤْيَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ وَتُضَامُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ ؟ " ، قالوا : لا ، قال : " فَإِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ القَمَرَ لَيْلَةَ البَدْرِ لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ " .

والعلو والفوقية صفتان ثابتتان لله تعالى بالكتاب ، والسنة ، والإجماع ، والعقل ، والفطرة .

أ– دلالة الكتاب :

لقد تنوعت دلالة الكتاب على علو الله تعالى ؛ إذ هو مملوء بالنصوص المحكمة الدالة على علوه سبحانه وتعالى فوق جميع مخلوقاته ، وقد جاءت هذه النصوص بأساليب مختلفة وصيغ متعددة [(١)] :

١– فتارةً بالتصريح بالعلو المطلق ، كما في قوله سبحانه : ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [(٢)] .

٢– وتارةً بالتصريح بفوقيته تعالى ، مثل قوله عز وجل عن الملائكة : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ [(٣)] .

٣– وتارةً بالتصريح بكونه تعالى في السماء : كقوله جل وعلا : ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي

(١) انظر الدلالات التالية وغيرها في : إعلام الموقعين (٢ / ٣٠٠ – ٣٠٣) . وشرح العقيدة الطحاوية (٢ / ٤٣٧– ٤٤٢) .
(٢) سورة سبأ ، من الآية : ٢٣ .
(٣) سورة النحل ، من الآية : ٥٠ .

ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ[١] ﴾ [٢] .

وهذه الآية تدل دلالة قطعية على أن الله تعالى في العلو .

٤- وتارةً بالتصريح بالعروج إليه ، نحو قوله تعالى : ﴿ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ ﴾ [٣].

قال الإمام ابن جرير الطّبري – رحمه الله – : " يقول تعالى ذكره : تصعد الملائكة والروح وهو جبريل ﷺ إليه يعني : إلى الله جل وعز " [٤] .

٥- وتارةً بذكر صعود الأشياء إليه: كقوله جل شأنه : ﴿ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾ [٥] .

قال الشيخ السّعدي – رحمه الله – في تفسير الآية : " من قراءة ، وتسبيح ، وتحميد ، وتهليل ، وكل كلام حسن طيب ؛ فيرفع إلى الله ويعرض عليه ويثني الله على صاحبه بين الملأ الأعلى " [٦] .

٦- وتارةً برفع بعض المخلوقات إليه ، مثل قوله تعالى لعيسى ﷺ : ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ [٧] .

٧- وتارةً بالتصريح بتنزيل القرآن الكريم منه : كقوله سبحانه : ﴿ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾ [٨] .

---

(١) تمور : أي تدور ، ويقال : تذهب وتجيء . انظر : كتاب غريب القرآن (ص ١٥٦) . وتذكرة الأريب في تفسير الغريب ، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ، تحقيق : طارق فتحي السيد ، ط١ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٤م) ، (ص ٣٧٢) .

(٢) سورة الملك ، الآية : ١٦ .

(٣) سورة المعارج ، من الآية : ٤ .

(٤) جامع البيان (٢٩ / ٧٠) .

(٥) سورة فاطر ، من الآية : ١٠ .

(٦) تيسير الكريم الرحمن (٢ / ٤٣٦) .

(٧) سورة آل عمران ، من الآية : ٥٥ .

(٨) سورة الزمر ، الآية : ١ .

وكما هو معلوم ؛ فإن النزول يكون من الأعلى إلى الأسفل ، إلى غير ذلك من الدلالات .

ب – دلالة السنة :

دلت جميع أنواع السنة : القولية ، والفعلية ، والتقريرية على إثبات صفتي العلو والفوقية لله تعالى .

فمن السنة القولية – زيادةً على ما سبق – :

ما جاء في حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال : " أَلَا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ ؟ " (١) .

قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله – في شرح لفظة : " مَنْ فِي السَّمَاءِ " : " أي على العرش فوق السماء ؛ كما صحّت الأخبار بذلك " (٢) .

ومن السنة الفعلية :

ما رواه جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – أن النبي ﷺ قال في حِجة الوداع : "وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ ؟ " ، قالوا : نشهد أنك قد بلّغت وأدّيت ونصحت ، فقال بإصبعه السّبّابة يرفعها إلى السماء وينكُتُها (٣) إلى الناس : " اللَّهُمَّ اشْهَدْ ،اللَّهُمَّ اشْهَدْ ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ " (٤) .

ومن السنة التقريرية :

ما رواه معاوية بن الحكم ﷺ في حديث الجارية الطويل،وفيه أن النبي ﷺ قال للجارية : " أَيْنَ اللَّهُ ؟ " ، قالت : في السماء ، قال : " مَنْ أَنَا " ، قالت : أنت رسول الله ، قال : " أَعْتِقْهَا ؛ فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ " (٥) .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المغازي ، باب بعث علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد – رضي الله عنهما – إلى اليمن (٤ / ١٥٨١ ، رقم ٤٠٩٤) . ومسلم في صحيحه ، كتاب الزكاة ، باب ذكر الخوارج وصفاتهم (٢ / ٧٤٢ ، رقم ١٠٦٤) ، واللفظ له .

(٢) فتح الباري (١٣ / ٤١٨) .

(٣) ينكتها : أي يضرب الأرض بطرفه . انظر : كتاب العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تحقيق : د. مهدي المخزومي ؛ ود. إبراهيم السامرائي ، د.ط (القاهرة : دار ومكتبة الهلال ، د.ت) ، مادة (نكت) ، (٥ / ٣٣٩) . والنهاية في غريب الحديث ، مادة (نكت) ، (٥ / ١١٢) .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الحج ، باب حجة النبي ﷺ (٢ / ٨٩٠ ، رقم ١٢١٨) .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب تحريم الكلام في الصلاة (١ / ٣٨١ ، رقم ٥٣٧) .

وهذا الحديث يبيّن أن من علامات إيمان الجارية معرفتها أن الله تعالى في السماء .

ج – دلالة الإجماع :

لقد أجمع السلف الصالح على الإيمان بما دلت عليه الآيات والأحاديث المتقدمة ؛ وأطبقوا على التصديق بأن الله تعالى في السماء ، عالٍ على عرشه المجيد ، وفوق جميع المخلوقات .

كما ضلّلوا الجهمية ، والمعتزلة [١] ، والأشاعرة [٢] الذين أنكروا علو الله تعالى على خلقه ؛ وزعموا – أعني : الجهمية والمعتزلة – بأن الله سبحانه في كل مكان .

ومن أقوال السلف في بيان ذلك :

قال الإمام الأوزاعي [٣] – رحمه الله – : " كنا والتابعون متوافرون نقول : إن الله تعالى

(١) المعتزلة : هم أصحاب واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد ومن سلك سبيلهم ، وقد سموا بذلك ؛ لاعتزالهم مجلس الحسن البصري .

والمعتزلة فرق شتى ، وكلهم متفقون على نفي صفات الله تعالى ، والقول بخلق القرآن ، وأن الله تعالى ليس خالقاً لأفعال العباد . انظر : اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، محمد بن عمر الرازي ، تحقيق : علي سامي النشار ، د.ط (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٢هـ) ، (ص ٣٨ – ٤٥) . وكتاب المواقف ، عبد الرحمن بن أحمد الإيجي ، تحقيق : عبد الرحمن عميرة ، ط١ (بيروت : دار الجيل ، ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م) ، (٣ / ٦٥٧ – ٦٧٠) .

(٢) الأشاعرة أو الأشعرية : هم أصحاب أبي الحسن الأشعري المنتسب إلى الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

وقد اتفق الأشاعرة مع أهل السنة في مسائل واختلفوا معهم في مسائل أخرى ، ومن أهم مسائل الخلاف :

المسألة الأولى : الاقتصار على إثبات سبع صفات ذاتية : وهي العلم ، القدرة ، الإرادة ، السمع ، البصر ، الكلام ، الحياة .

المسألة الثانية : نفي القدرة الحادثة في الفعل والحسن والقبح الذاتيين .

المسألة الثالثة : القول بالتكليف بما لا يطاق . انظر : الملل والنحل ، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، تحقيق : محمد سيد كيلاني ، د.ط (بيروت : دار المعرفة ، ١٤٠٤هـ) ، (١ / ٩٦ – ٩٨) . ومنهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ، ط٤ (الكويت : الدار السلفية ، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م) ، (ص ١٣) .

(٣) هو : عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي ، أبو عمرو ، حافظ فقيه زاهد ، وكان رأساً في العلم والعبادة ، روى له الجماعة ، من مؤلفاته : (السنن) ، و (المسائل) ، توفي سنة ١٥٧هـ . انظر : الفهرست (ص ٣١٨) . والكاشف (١ / ٦٣٨) .

ذكره فوق عرشه ؛ ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته جل وعلا " [١] .

وقال الإمام ابن بطّة العُكبَري [٢] – رحمه الله – : " باب الإيمان بأن الله ﷻ على عرشه ؛ بائن من خلقه ، وعلمه محيط بجميع خلقه " ، ثم قال : " وأجمع المسلمون : من الصحابة ، والتابعين ، وجميع أهل العلم من المؤمنين أن الله تبارك وتعالى على عرشه فوق سماواته؛ بائن من خلقه ، وعلمه محيط بجميع خلقه ؛ ولا يأبى ذلك ولا ينكره إلا من انتحل مذاهب الحلولية [٣] ، وهم قوم زاغت قلوبهم واستهوتهم الشياطين ؛ فمرقوا من الدين ، وقالوا : إن الله ذاته لا يخلو منه مكان " [٤] .

وقال شيخ الإسلام أبو عثمان الصابوني [٥] – رحمه الله – : " ويعتقد أصحاب الحديث ويشهدون : أن الله فوق سبع سماواته على عرشه مستوٍ كما نطق به كتابه ؛ وعلماء الأمة وأعيان الأئمة من السلف لم يختلفوا في أن الله تعالى على عرشه ، وعرشه فوق

---

(١) أخرجه البيهقي في كتاب الأسماء والصفات (٢ / ٣٠٤ ، رقم ٨٦٥) . وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٥ / ٣٩) :" رواه أبو بكر البيهقي في الأسماء والصفات بإسناد صحيح عن الأوزاعي " . وقال ابن حجر في فتح الباري (١٣ / ٤٠٦) : " أخرجه البيهقي بسند جيد عن الأوزاعي " .

(٢) هو : عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري ، أبو عبد الله ، الإمام القدوة ، أحد الفقهاء على مذهب الإمام أحمد ، وكان صاحب حديث ، عرف بالصلاح ، والزهد ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، من مصنفاته : (الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية) ، و (السنن) ، توفي سنة ٣٨٧هـ . انظر : تاريخ الإسلام (٢٧ / ١٤٤ – ١٤٩) . وشذرات الذهب (٣ / ١٢٢– ١٢٤) .

(٣) الحلولية : فرق ظهرت في دولة الإسلام ، وكان غرضها إفساد التوحيد على المسلمين .
وهم يزعمون أن معبودهم في كل مكان بذاته ، وينزهونه عن استوائه على عرشه وعلوه على خلقه ؛ ولم يصونوه عن أقبح الأماكن وأقذرها .
ومن هؤلاء : قدماء الجهمية ، وغلاة الروافض الذين ادعوا حلول الإله في الأئمة ؛ وعبدوهم لأجل ذلك .
انظر : التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين ، شهفور بن طاهر الإسفراييني ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، ط١ (بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م) ، (ص ١٣٠– ١٣٥) . ومعارج القبول (١ / ٣٧٠) .

(٤) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة ، عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري ، تحقيق : عثمان عبد الله آدم ، ط٢ (الرياض : دار الراية ، ١٤١٨هـ) ، (٣ / ١٣٦) .

(٥) هو : إسماعيل بن عبد الرحمن بن إسماعيل الصابوني ، أبو عثمان ، شيخ الإسلام ، الواعظ المفسر المتفنن ، كان حافظاً كثير السماع والتصنيف ، حريصاً على العلم ،يضرب به المثل في العبادة والزهد ، من مؤلفاته : (الأربعين) ، و (ذم الكلام) ، توفي سنة ٤٤٩هـ . انظر : طبقات الشافعية الكبرى (٤/ ٢٧١– ٢٩٢) . وطبقات الشافعية (١ / ٢٢٣– ٢٢٤) .

سمـــاواته " [١] .

وقال الإمام ابن عبد البرّ – رحمه الله – بعد أن ذكر حديث النزول [٢] : " وفيه : دليل على أن الله ﷻ في السماء على العرش من فوق سبع سماوات كما قالت الجماعة ؛ وهو من حجتهم على المعتزلة والجهمية في قولهم :إن الله ﷻ في كل مكان وليس على العرش " [٣] .

وقال ابن رشد [٤] – رحمه الله – : " وأمّا هذه الصفة – يعني : العلو – فلم يزل أهل الشريعة مـــن أول الأمر يثبتونها لله سبحانه حتى نفتها المعتزلة ،ثم تبعها على نفيها متأخـــرو الأشـــعرية : كأبـــي المعالي [٥] ومن اقتـــدى بقوله ؛وظواهـــر الشرع كلها تقتضي إثبات الجهة " [٦] .

إلى أن قال : " وجميع الحكماء قد اتفقوا على أن الله والملائكة في السماء ؛ كما اتفقت جميع الشرائع على ذلك " [٧] .

---

(١) الرسالة في اعتقاد أهل السنة وأصحاب الحديث والأئمة (عقيدة السلف وأصحاب الحديث) ، إسماعيـــل بـــن عبد الرحمن الصابوني ، تحقيق : د. ناصر بـــن عبـــد الـــرحمن الجـــديع ، ط٢ (الريـــاض : دار العاصـــمة ، ١٤١٩هـــ = ١٩٩٨م) ، (ص ١٧٥- ١٧٦) .

(٢) وهو قوله ﷺ : " يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْـآخِرُ ، فَيَقُـــولُ : مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ، وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ " .
أخرجه البخاري في صحيحه ، من حديث أبي هريرة ﷺ ،كتاب أبواب التهجد ، باب الدعاء والصلاة مـــن آخر الليل (١ / ٣٨٤ ، رقم ١٠٩٤) . ومسلم في صحيحه ، كتاب صلاة المـــسافرين وقـــصرها ، بـــاب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل (١ / ٥٢١ ، رقم ٧٥٨) .

(٣) التمهيد (٧ / ١٢٩) .

(٤) هو : محمد بن أحمد بن رشد القرطبي ، أبو الوليد ، تفقه وسمع الحديث ، وأتقن الطب ، وأقبل علـــى الكـــلام والفلسفة ؛ حتى صار يضرب به المثل فيهما ، ولي قضاء قرطبـــة ، مـــن مـــصنفاته : (بدايـــة المجتهـــد) ، و (تهافت التهافت) ، توفي سنة ٥٩٥هـــ . انظر : سير أعلام النـــبلاء (٢١ / ٣٠٧- ٣١٠).وشـــذرات الذهب (٤ / ٣٢٠) .

(٥) هو : عبد الملك بن عبد الله بن محمد الجويني ، أبو المعالي ، إمام الحرمين ، أعلـــم المتـــأخرين مـــن أصـــحاب الإمام الشافعي ، تفنن في العلوم : من الأصول ، والفروع ، والأدب ، وكان يدرس ويفتي ويجلـــس للـــوعظ والمناظرة ، من مؤلفاته : (البرهان في أصول الفقه) ، و (العقيدة النظامية) ،توفي سنة ٤٧٨هـــــ . انظـــر : وفيات الأعيان (٣ / ١٦٧ – ١٧٠) . وطبقات الشافعية (١ / ٢٥٥ – ٢٥٦) .

(٦) انظر : بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، تحقيـــق : محمـــد بـــن عبد الرحمن بن قاسم ، ط١ (مكة المكرمة : مطبعة الحكومة ، ١٣٩٢هـــ) ، (١ / ٣٠) .

(٧) انظر : المرجع السابق (١ / ٣١) .

د – دلالة العقل :

دل العقل على أن الله تعالى عالٍ على جميع خلقه من عدة وجوه [١] :

الوجه الأول : العلم البدهي القاطع بأن كل موجودين :

إمّا أن يكون أحدهما قائماً في الآخر : كالصفات؛وإمّا أن يكون قائماً بنفسه بائناً من الآخر .

الوجه الثاني :أنه تعالى لّما خلق العالم :فإمّا أن يكون خلقه في ذاته أو خارجاً عن ذاته .

والأول : باطل وذلك بالاتفاق ؛ ولأنه يلزم أن يكون محلاً للخسائس والقاذورات ؛ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

والثاني : يقتضي كون العالم واقعاً خارج ذاته فيكون منفصلاً ؛ فتعيّنت المباينة ؛ لأن القول بأنه غير متصل بالعالم وغير منفصل عنه غير معقول .

الوجه الثالث :أن كونه تعالى لا داخل العالم ولا خارجه يقتضي نفي وجوده بالكلّية ؛ لأنه غير معقول ؛ فيكون موجوداً إمّا داخله وإمّا خارجه ، والأول : باطل ؛ فتعيّن الثاني ولزمت المباينة .

هـ – دلالة الفطرة :

إن دلالة الفطرة على علو الله تعالى أمر لا يمكن المنازعة فيه ولا المكابرة ؛ فكل من لديه فطرة سليمة يعلم بأن الله سبحانه في السماء ، كما أنه يرفع يديه إليها عند الدعاء ولا سيّما عند الشدائد .

يقول أبو الحسن الأشعري [٢] – رحمه الله – : " ورأينا المسلمين جميعاً يرفعون أيديهم

---

(١) انظر : شرح العقيدة الطحاوية (٢ / ٤٤٤– ٤٤٥) .

(٢) هو : علي بن إسماعيل بن إسحاق بن أبي موسى الأشعري ﷺ ، أبو الحسن ، وإليه تنسب الطائفة الأشعرية .
كانت له ثلاث مراحل في العقيدة :
المرحلة الأولى : الاعتزال .
المرحلة الثانية : ما بين الاعتزال المحض والسنة المحضة ؛ وهي مرحلة اعتناقه للعقيدة الكلابية بعد رجوعه عن مذهب المعتزلة .
المرحلة الثالثة : اعتناقه مذهب أهل السنة والجماعة ، مقتدياً بالإمام أحمد بن حنبل .
وكان ممن تصدى للرد على المعتزلة ومن بعدهم من سائر صنوف المبتدعة ، له مؤلفات كثيرة ، منها : (الإبانة عن أصول الديانة) ، و (مقالات الإسلاميين) ، توفي سنة ٣٢٤هـ . انظر : وفيات الأعيان (٣ / ٢٨٤– ٢٨٦) . والقواعد المثلى (ص ٨٠ – ٨١) .

إذا دعوا نحو السماء ؛ لأن الله تعالى مستوٍ على العرش الذي هو فوق السماوات ؛ فلولا أن الله ﷻ على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش،كما لا يحطونها إذا دعوا إلى الأرض " [(١)] .

ويقول الإمام ابن عبد البرّ – رحمه الله – : " ومن الحجة أيضاً في أنه ﷻ على العرش فوق السماوات السبع : أن الموحدين أجمعين : من العرب والعجم إذا كربهم أمر أو نزلت بهم شدة ؛ رفعوا وجوههم إلى السماء يستغيثون ربهم تبارك وتعالى ، وهذا أشهر وأعرف عند الخاصة والعامة من أن يحتاج فيه إلى أكثر من حكايته ؛ لأنه اضطرار لم يؤنبهم عليه أحد ولا أنكره عليهم مسلم " [(٢)] .

فأهل السنة والجماعة – استناداً على ما تقدم من الأدلة – يثبتون صفتي العلو والفوقية لله تعالى على الوجه الذي يليق بجلاله سبحانه وعظمته ، كما يؤمنون بأن علو الله تعالى على ثلاثة أقسام [(٣)] :

القسم الأول : **علو الذات ومعناه** : أن الله تعالى بذاته فوق خلقه لا يعلوه شيء .

القسم الثاني : **علو القدر أو الشأن ومعناه** : أن الله تعالى ذو قدر عظيم ؛ فهو المتعالي عن جميع النقائص والعيوب .

القسم الثالث : **علو القهر ومعناه** : أن الله تعالى قهر جميع المخلوقات ؛ فلا مغالب له ولا منازع .

فالعلو بجميع أنواعه لله تعالى : علو الغلبة والقهر فهو القاهر فوق عباده ، وكذلك علو القدر ، وعلو الذات .

وقد وقع النزاع بين أهل السنة وطوائف المبتدعة في علو الذات ؛ فأمّا أهل السنة فيؤمنون بما دلت عليه النصوص من أنه تعالى في العلو بذاته ؛ وأمّا أهل البدع ، فيقولون : إنه ليس بذاته في العلو .

وقد نفت الجهمية وغيرها من الفرق المبتدعة هذه الصفة ؛ بناءً على ما اعتقدوه من لزومها التشبيه ، والتحيز ، والتجسيم [(٤)] ؛ ولذلك كفّرهم الأئمة وبدّعوهم .

---

(١) الإبانة عن أصول الديانة ، علي بن إسماعيل الأشعري ، تحقيق : د. فوقية حسين محمود ، ط١ (القاهرة : دار الأنصار ، ١٣٩٧هـ) ، (ص ١٠٧) .

(٢) التمهيد (٧ / ١٣٤) .

(٣) انظر : مدارج السالكين (١ / ٣١) . ومعارج القبول (١ / ١٤٤) .

(٤) انظر : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ومعه الانتصاف لابن المنير (الكشاف بحاشية ابن المنير) ، محمود بن عمر الزمخشري ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود ؛ وعلي محمد معوض ، ط١ (الرياض : مكتبة العبيكان ، ١٤١٨هـ = ١٩٩٨م) ، (٦ / ٣٥٦) . والمحرر الوجيز =

قال الإمام أبو حنيفة – رحمه الله – : " من قال : لا أعـرف ربي في السماء أو في الأرض ؛ قد كفر " [١].

وقال الإمام أحمد – رحمه الله – في الرد على زعم الجهمية : " إذا أردت أن تعلم أن الجهمي كاذب على الله حين زعم أن الله في كل مكان ؛ ولا يكون في مكان دون مكان ، فقل : أليس الله كان ولا شيء ؟ فيقول : نعم ، فقل له : حين خلق الشيء خلقه في نفسه أو خارجاً من نفسه ؟ فإنه يصير إلى ثلاثة أقوال لا بد له من واحد منها :

الأول : إن زعم أن الله خلق الخلق في نفسه كفر ؛ حين زعم أن الجن ، والإنس ، والشياطين في نفسه .

الثاني : وإن قال : خلقهم خارجاً من نفسه ثم دخل فيهم كان هذا كفراً أيضاً ؛ حين زعم أنه دخل في مكان قذر رديء .

الثالث : وإن قال : خلقهم خارجاً من نفسه ثم لم يدخل فيهم رجع عن قوله أجمع ؛ وهو قول أهل السنة " [٢] .

وقال الإمام ابن القيّم – رحمه الله – في معرض الرد عليهم : " إن الجهمية المعطّلة معترفون بوصفه تعالى بعلو القهر وعلو القدر ؛ وإن ذلك كمال لا نقص ، فإنه من لوازم ذاته ، فيقال : ما أثبتم به هذين النوعين من العلو والفوقية ؛ هو بعينه حجة خصومكم عليكم في إثبات علو الذات له سبحانه ، وما نفيتم به علو الذات ؛ يلزمكم أن تنفوا به ذينك الوجهين من العلو ؛ فأحد الأمرين لازم لكم ولا بد :

إمّا أن تثبتوا له سبحانه العلو المطلق من كل جهة : ذاتاً ، وقهراً ، وقدراً ؛ وإمّا أن تنفوا ذلك كله .

فإنكم إذا نفيتم علو ذاته سبحانه؛بناءً على لزوم التجسيم وهو لازم لكم فيما أثبتموه من وجهي العلو ؛ فإن الذات القاهرة لغيرها التي هي أعلى قدراً من غيرها إن لم يعقل كونها

= في تفسير الكتاب العزيز ، عبد الحق بن غالب بن عطية ، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد ، ط١ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٣هـ = ١٩٩٣م) ، (١ / ٣٤٢) .

(١) الشرح الميسر على الفقهين الأبسط والأكبر المنسوبين لأبي حنيفة ، محمد بن عبد الرحمن الخميس ، ط١ (الإمارات العربية : مكتبة الفرقان ، ١٤١٩هـ = ١٩٩٩م) ، (ص ١٣٥) .

(٢) الرد على الزنادقة والجهمية ، أحمد بن حنبل الشيباني ، تحقيق : محمد حسن راشد ، د.ط (القاهرة : المطبعة السلفية ، ١٣٩٣هـ) ، (ص ٤٠) .

غير جسم لزمكم التجسيم ، وإن عقل كونها غير جسم فكيف لا يعقل أن تكون الذات العالية على سائر الذوات غير جسم ؟ وكيف لزم التجسيم من هذا العلو و لم يلزم من ذلك العلو ؟ فإن قلتم : لأن هذا العلو يستلزم تميّز شيء عن شيء منه ، قيل لكم : في العلم أو في الخارج ؟ فإن قلتم : في الخارج ؛ كذبتم وافتريتم وأضحكتم عليكم المجانين فضلاً عن العقلاء ، وإن قلتم : في الذهن ؛ فهذا لازم لكل من أثبت للعالم رباً خالقاً ؛ ولا خلاص من ذلك إلا بإنكار وجوده رأساً " [(١)] .

وحاصل ما تقدم :

أن علو الله تعالى وفوقيته صفتان ثابتتان بالنصوص الشرعية والأدلة : العقلية والفطرية ؛ التي لا ينكرها إلا كل ضال عن سواء السبيل .

ثالثاً – العلم :

دل حديث أبي هريرة ﷺ على صفة العلم لله تعالى ،وذلك في قوله ﷺ كما عند أحمد : " فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ ، وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ : اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ ، وَبِهَا كَلَالِيبُ مِثْلُ : شَوْكِ السَّعْدَانِ ، هَلْ رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ ؟ " قالوا : نعم ، يا رسول الله ، قال : " فَإِنَّهَا مِثْلُ : شَوْكِ السَّعْدَانِ ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إِلَّا اللَّهُ " .

والعلم صفة ثابتة لله تعالى بأدلة : الكتاب ، والسنة ، والعقل .

أ – دلالة الكتاب :

ومن أدلة الكتاب :

قوله تعالى : ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾ [(٢)] .

قال الإمام ابن جرير الطّبري – رحمه الله – في معنى الآية : " يعني تعالى ذكره بذلك : أنه المحيط بكل ما كان وبكل ما هو كائن علماً ؛ لا يخفى عليه شيء منه " [(٣)] .

وقوله ﷻ : ﴿ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ

---

(١) الصواعق المرسلة (٤ / ١٣٢٤– ١٣٢٥) .

(٢) سورة البقرة ، من الآية : ٢٥٥ .

(٣) جامع البيان (٣ / ٨) .

﴿ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [١] .

وقوله سبحانه : ﴿ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ [٢] .

وفي هذه الآية إخبار من الله تعالى بأنه المتفرد بعلم الغيب .

والآيات في هذا الباب كثيرة .

ب – دلالة السنة :

ومن أدلة السنة – غير ما سبق – :

ما رواه جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – قال : كان النبي ﷺ يعلّمنا الاستخارة في الأمور كلها : كالسورة من القرآن : " إِذَا هَمَّ بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ " [٣] .

وعن أُبيّ بن كعب ﷺ مرفوعاً في حديث قصة موسى والخضر – عليهما السلام – وفيه : أن الخضر قال لموسى : " يَا مُوسَى ، إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَنِيهِ اللَّهُ لَا تَعْلَمُهُ ؛ وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَكَهُ اللَّهُ لَا أَعْلَمُهُ ... فَلَمَّا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ ، جَاءَ عُصْفُورٌ فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ ؛ فَنَقَرَ فِي الْبَحْرِ نَقْرَةً أَوْ نَقْرَتَيْنِ ، قَالَ لَهُ الْخَضِرُ : يَا مُوسَى ، مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا مِثْلَ : مَا نَقَصَ هَذَا الْعُصْفُورُ بِمِنْقَارِهِ مِنْ الْبَحْرِ " [٤] .

وقد قرّر الحافظ ابن حجر – رحمه الله – أن علم الله تعالى كامل لا يشوبه نقص بحال من الأحوال ؛ ولهذا قال في شرح عبارة : " مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ " : " لفظ النقص ليس على ظاهره ؛ لأن علم الله لا يدخله النقص ، فقيل معناه: لم يأخذ ؛ وهذا توجيه حسن ؛ ويكون التشبيه واقعاً على الأخذ لا على المأخوذ منه " [٥] .

ج – دلالة العقل :

ويمكن إيضاح الأدلة العقلية على علم الله تعالى من وجوه [٦] :

---

(١) سورة المائدة ، من الآية : ٩٧ .

(٢) سورة المائدة ، من الآية : ١١٦ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب الدعاء عند الاستخارة(٥ / ٢٣٤٥ ، رقم ٦٠١٩) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأنبياء ، باب حديث الخضر مع موسى – عليهما السلام – (٣ / ١٢٤٧ ، رقم ٣٢٢٠) .

(٥) فتح الباري (١ / ٢٢٠) .

(٦) انظر : شرح العقيدة الأصفهانية ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق : إبراهيم سعيداي ، ط١(الرياض : مكتبة الرشد ، ١٤١٥هـ) ، (ص ٤٤) .

الوجه الأول : أنه يستحيل إيجاد الأشياء بغير علم سابق ، كما قال جل شأنه : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [(١)] .

الوجه الثاني : أن المخلوقات فيها من الإحكام ، والإتقان ، وعجيب الصنعة ، ودقيق الخلقة ما يشهد بعلم الفاعل لها ؛ لامتناع صدور ذلك عن غير علم .

الوجه الثالث : أن الفعل المتقن المحكم يمتنع صدوره عن غير علم .

الوجه الرابع :أن في المخلوقات من هو عالم والعلم صفة كمال ؛ ويمتنع أن لا يكون الخالق عالماً .

والاستدلال بهذا الدليل له صيغتان :

الصيغة الأولى : أن يقال : نحن نعلم بالضرورة أن الخالق أكمل من المخلوق ، ونحن نعلم بالضرورة أنه لو فرض شيئان :

أحدهما : عالم .

والآخر : غير عالم ؛ كان العالم أكمل ؛ فلو لم يكن الخالق عالماً لزم أن يكون المخلوق أكمل منه ؛ وهو ممتنع .

الصيغة الثانية : كل علم في المخلوقات فهو من الله تبارك وتعالى ؛ ومن الممتنع أن يكون فاعل الكمال ومبدعه عارياً منه بل هو أحق به ؛ ذلك أن كل ما ثبت للمخلوق من كمال فالخالق أحق به ، وكل نقص تنزّه عنه مخلوق ما فتنزّه الخالق عنه أولى .

وقد دل على صفة العلم اسم الله تعالى : (العليم) ، ومعناه كما يقول الإمام الخطابي – رحمه الله – : " العالم بالسرائر والخفيات التي لا يدركها علم الخلق " [(٢)] .

فالله تعالى عالم محيط بكل شيء جملةً وتفصيلاً ؛ لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء : يعلم ما في السماوات السبع ، والأرضين السبع ، وما بينهما ، وما تحت الثرى ، وما في قعر البحار ، ومنبت كل شعرة وشجرة ، وكل زرع وكل نبات ، ومسقط كل ورقة ، وعدد كل كلمة ، وعدد الحصى ، والرمل ، والتراب ، ومثاقيل الجبال ، وأعمال العباد ، وآثارهم ، وكلامهم ، وأنفاسهم ، يعلم كل شيء ؛لا يخفى عليه من ذلك

(١) سورة الملك ، الآية : ١٤ .

(٢) شأن الدعاء (ص ٥٧) .

شيء [١] .

والعلم الإلهي على أنواع [٢] :

النوع الأول : علمه ﷻ بالشيء قبل كونه ، وهو سر الله تعالى في خلقه ؛ لا يعلمه ملَك مقرّب ولا نبي مرسل .

وهذه المرتبة من العلم : هي علم التقدير ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ﴾ [٣] .

النوع الثاني : علمه سبحانه بالشيء وهو في اللوح المحفوظ بعد كتابته ؛ وقبل إنفاذ أمره ومشيئته ،كما قال جل شأنه: ﴿ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴾ [٤].

النوع الثالث : علمه تعالى بالشيء حال تكوينه وتنفيذه ، ووقت خلقه وتصنيعه ، كما قال سبحانه : ﴿ ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ﴾ [٥].

النوع الرابع : علمه جل شأنه بالشيء بعد تكوينه وتخليقه ، وإحاطته بالفعل بعد تحصيله وتحقيقه ، كما قال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمّٗىۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [٦] .

(١) انظر : طبقات الحنابلة ، محمد بن أبي يعلى بن الحسين ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، د.ط (بيروت : دار المعرفة ، د.ت) ، (١ / ٢٨) .
(٢) انظر : أسماء الله الحسنى (ص ٣٩٢- ٣٩٣) .
(٣) سورة لقمان ، الآية : ٣٤ .
(٤) سورة الحج ، الآية : ٧٠ .
(٥) سورة الرعد ، الآية : ٨ .
(٦) سورة الأنعام ، الآية : ٦٠ .

وقد أنكر الغلاة من القدرية [١] هذه الصفة ؛ فزعموا أن الله تعالى لا يعلم أعمال العباد حتى يعملوها [٢] .

قال الإمام ابن القيّم – رحمه الله – عند ذكره لمراتب القدر : "فأمّا المرتبة الأولى : وهي العلم السابق ؛ فقد اتفق عليه الرسل من أولهم إلى خاتمهم ، واتفق عليه جميع الصحابة ومن تبعهم من الأمة ؛ وخالفهم مجوس الأمة " [٣] .

ومما تقدم يتضح :

أن صفة العلم من أبين وأظهر الصفات التي يجب إثباتها لله تعالى .

رابعاً – الجبروت :

دل حديث أبي سعيد الخدري ﷺ على صفة الجبروت لله تعالى ، وذلك في قوله ﷺ كما عند البخاري : " فَيَأْتِيهِمُ الجَبَّارُ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ... فَيَشْفَعُ : النَّبِيُّونَ ، وَالمَلائِكَةُ ، وَالمُؤْمِنُونَ ، فَيَقُولُ الجَبَّارُ : بَقِيَتْ شَفَاعَتِي " .

والجبروت صفة لله تعالى مشتقة من اسمه : (الجبّار) .

والجبر يرجع في اللغة إلى أربعة أصول :

الأصل الأول : " أن تغني الرجل من فقر ، أو تصلح عظامه من كسر ، يقال : جبرت العظم جبراً ، وجبر العظم بنفسه جبوراً ، أي انجبر ، ويقال : جبر الله فلاناً فاجتبر ، أي سد مفاقره " [٤] .

الأصل الثاني : القهر والإكراه ، يقال :"جبرت وأجبرت بمعنى : قهرت " [٥] ،ويقال : " أجبرته على الأمر أكرهته عليه " [٦] .

---

(١) القدرية : هم نفاة القدر الذين يزعمون أن العباد خالقين لأفعالهم استقلالاً ، وكان غلاتهم يزعمون أن لا قدر والأمر أنف ، أي لم يسبق به علم من الله تعالى .
وأول من تكلم في القدر رجل يقال له : سنسويه ، وكان حقيراً صغير الشأن ، ثم تابعه على ذلك معبد الجهني . انظر : كتاب القدر ، جعفر بن محمد الفريابي ، تحقيق : عمرو عبد المنعم سليم ، ط١ (بيروت : دار ابن حزم ، ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م) ،(ص ١٦٥ ، ٢٦٢).وكتاب المواقف (٣ / ٦٥٢ – ٦٥٧) .

(٢) انظر : درء تعارض العقل والنقل (٢ / ٣٣٢) . وبدائع الفوائد (٣ / ٦٣١) .

(٣) شفاء العليل (ص ٢٩) .

(٤) الصحاح ، مادة (جبر) ، (٢ / ٦٠٧) .

(٥) النهاية في غريب الحديث ، مادة (جبر) ، (١ / ٢٣٦) .

(٦) الصحاح ، مادة (جبر) ، (٢ / ٦٠٨) .

الأصل الثالث : العلو والارتفاع ، " ومنه قولهم : نخلة جبّارة ، وهي العظيمة التي تفوت يد المتناول ، ومنه قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ ﴾ [(١)] " [(٢)] .

الأصل الرابع : الكِبْر ، " يقال : تجبّر الرجل تكبر ، ومنه قوله تعالى على لسان عيسى عليه السلام : ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ [(٣)] .

أي متكبراً عن عبادة الله تعالى " [(٤)] .

وجميع هذه المعاني السابقة بالنسبة لله تعالى حق ؛ وتدخل في معنى اسمه عز وجل :(الجبّار) ، ولا مانع من ذلك ؛ فأسماء الله تعالى تجمع أنواع الكمال .

فيكون الجبّار على المعنى الأول : " المصلح أمور خلقه ؛ المصرّفهم فيما فيه صلاحهم " [(٥)] .

وعلى المعنى الثاني : الذي قهر خلقه على ما أراد من أمره ونهيه [(٦)] .

وعلى المعنى الثالث : المتعالي على خلقه بصفاته وآياته القاهرة [(٧)] .

وعلى المعنى الرابع : " المتكبر عن كل سوء ، المتعظّم عمّا لا يليق به من صفات الذم " [(٨)] .

والجبروت صفة ثابتة لله تعالى بنصوص : الكتاب والسنة .

فمن الكتاب :

قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [(٩)] .

---

(١) سورة المائدة ، من الآية : ٢٢ .

(٢) لسان العرب ، مادة (جبر) ، (٤ / ١١٣- ١١٤) .

(٣) سورة مريم ، من الآية : ٣٢ .

(٤) لسان العرب ، مادة (جبر) ، (٤ / ١١٣) .

(٥) جامع البيان (٢٨ / ٥٥) .

(٦) انظر : كتاب الأسماء والصفات (١ / ٨٩) .

(٧) انظر : تفسير أسماء الله الحسنى (ص ٣٥) .

(٨) الجامع لأحكام القرآن (١٨ / ٤٧) .

(٩) سورة الحشر ، الآية : ٢٣ .

ومن السنة – غير ما تقدم – :

ما رواه أبو سعيد الخدري ﷺ قال : قال النبي ﷺ : " تَكُونُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُبْزَةً وَاحِدَةً ؛ يَتَكَفَّؤُهَا [١] الْجَبَّارُ بِيَدِهِ ، كَمَا يَكْفَأُ أَحَدُكُمْ خُبْزَتَهُ فِي السَّفَرِ ؛ نُزُلاً لِأَهْلِ الْجَنَّةِ " [٢] .

وعن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – قال : رأيت رسول الله ﷺ على المنبر ، وهو يقول : " يَأْخُذُ الْجَبَّارُ ﷻ سَمَاوَاتِهِ وَأَرَضِيهِ بِيَدَيْهِ " [٣] .

وعن عوف بن مالك ﷺ قال : قمت مع رسول الله ﷺ ليلةً ؛ فلمّا ركع مكث قدر سورة البقرة ، يقول في ركوعه : " سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ ، وَالْمَلَكُوتِ ، وَالْكِبْرِيَاءِ ، وَالْعَظَمَةِ " [٤] .

وصفة الجبروت تدل على معاني : العظمة والكبرياء .

يقول الإمام ابن القيّم – رحمه الله – : " وأمّا (الجبّار) من أسماء الرب تعالى ؛ وإنما هو الجبروت ، (فالجبّار) اسم من أسماء التعظيم : كالمتكبر،والملك ، والعظيم ، والقهّار " [٥] .

والله تعالى هو المستحق وحده للجبروت ؛ لنفاذ مشيئته في ملكه ، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ؛ ولا غالب لأمره ولا معقّب لحكمه .

قال أبو حامد الغزالي – رحمه الله – : " الجبّار : هو الذي ينفذ مشيئته على سبيل الإجبار في كل واحد ؛ ولا تنفذ فيه مشيئة أحد ، الذي لا يخرج أحد من قبضته ، وتقصر

---

(١) يتكفؤها : أي يقلبها ويميلها ، من قولك : كفأت الإناء إذا قلبته وأملته . انظر : تفسير غريب ما في الصحيحين (ص ٢٢٨) . والنهاية في غريب الحديث ، مادة (كفأ) ، (٤ / ١٨٣) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الرقاق ، باب يقبض الله الأرض يوم القيامة (٥ / ٢٣٨٩ ، رقم ٦١٥٥) ، واللفظ له . ومسلم في صحيحه ، كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب نزل أهل الجنة (٤ / ٢١٥١ ، رقم ٢٧٩٢) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب صفة القيامة والجنة والنار (٤ / ٢١٤٩ ، رقم ٢٧٨٨) .

(٤) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الصلاة ، باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده (١ / ٢٣٠ ، رقم ٨٧٣) . والنسائي في سننه الصغرى ، كتاب التطبيق ، باب نوع آخر من الذكر في الركوع (٢ / ١٩١ ، رقم ١٠٤٩) ، واللفظ له . وأحمد في مسنده – ط ١٤٢١هـ = ٢٠٠١م – (٣٩ / ٤٠٥ ، رقم ٢٣٩٨٠) . وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود(١ / ٢٤٧ ، رقم ٨٧٣) ، وصحيح سنن النسائي (١ / ٣٤٢ ، رقم ١٠٤٨) .

(٥) شفاء العليل (ص ١٢١) .

الأيدي دون حمى حضرته ؛ فالجبّار المطلق هو الله ﷻ ؛ فإنه يجبر كل أحد ولا يجبره أحد ، ولا مثنوية في حقه في الطرفين " (١) .

والجبروت في حق الله تعالى صفة مدح ترجع إلى كمال القدرة ، والعزة ، والملك ؛ ولهذا كان (الجبّار) من أسمائه الحسنى؛وأمّا المخلوق فاتصافه بالجبروت صفة ذم له ونقص ، كما قال تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ (٢) .

وقال سبحانه لرسوله ﷺ : ﴿ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ﴾ (٣) .

أي مسلّط تقهرهم وتكرههم على الإيمان (٤) .

ويتبيّن مما سبق :

أن مقام الربوبية يقتضي أن يكون الرب جبّاراً على خلقه ؛ وهذه الصفة مع باقي الصفات كمال مطلق لا يجوز أن يوصف بها أحد سوى الله ﷻ .

خامساً – الصورة :

دل حديثا أبي هريرة وأبي سعيد الخدري – رضي الله عنهما – على صفة الصورة لله تعالى ، وذلك في قوله ﷺ من حديث أبي هريرة ؓ كما عند أحمد : " وَتَبْقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا ، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ ﷻ فِي غَيْرِ الصُّورَةِ الَّتِي تَعْرِفُونَ ، فَيَقُولُ:أَنَا رَبُّكُمْ ، فَيَقُولُونَ : نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا ؛ فَإِذَا جَاءَنا رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ " ، قال : " فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ ﷻ فِي الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ ، فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ ، فَيَقُولُونَ : أَنْتَ رَبُّنَا ؛ فَيَتْبَعُونَهُ " .

وفي قوله ﷺ من حديث أبي سعيد ؓ كما عند الترمذي : " حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ تَعَالَى : مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ ؛ أَتَاهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﷻ فِي أَدْنَى صُورَةٍ مِنَ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا ، قَالَ : فَمَا تَنْتَظِرُونَ ؟ " .

" والصورة ترد في كلام العرب على ظاهرها ، وعلى معنى : حقيقة الشيء وهيئته ، يقال : صورة الفعل كذا وكذا ، أي هيئته " (٥) .

---

(١) المقصد الأسنى (ص ٧٤) .

(٢) سورة غافر ، من الآية : ٣٥ .

(٣) سورة ق ، من الآية : ٤٥ .

(٤) انظر : شفاء العليل (ص ١٢١) .

(٥) لسان العرب ، مادة (صور) ، (٤ / ٤٧٣) .

وبناءً على هذا ؛ فكل موجود لابد له من صورة .

والصورة على ضربين [(١)] :

أحدهما : محسوس ؛ يدركه الخاصة والعامة ، بل يدركه الإنسان وكثير من الحيوانات : كصورة الإنسان والفرس بالمعاينة .

والثاني : معقول ؛ يدركه الخاصة دون العامة : كالصورة التي اختص الإنسان بها من العقل ، والروية ، والمعاني التي خص بها شيء بشيء .

وإلى الصورتين أشار الله تعالى بقوله: ﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ [(٢)].

والصورة صفة ثابتة لله جل في علاه بالأحاديث الشريفة ،ومنها – زيادةً على ما تقدم – :

ما رواه أبو هريرة ﷺ أنه قال : قال رسول الله ﷺ : " إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَجْتَنِبْ الْوَجْهَ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ " [(٣)] .

وعنه ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : " خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعاً " [(٤)] .

وعن ابن عباس – رضي الله عنهما – أن النبي ﷺ قال : " أَتَانِي رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ... " الحديث [(٥)] .

ولقد استدل أهل السنة والجماعة بالأحاديث السابقة على إثبات الصورة لله ﷻ ؛ وعلى أن لله تعالى صورة لا تشبه الصور ، ومن أقوالهم في ذلك ما يلي :

قال ابن قتيبة [(٦)] – رحمه الله – : " والذي عندي – والله تعالى أعلم – أن الصورة

---

(١) انظر : المفردات في غريب القرآن ، مادة (صور) ، (ص ٢٨٩) .

(٢) سورة التغابن ، من الآية : ٣ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب العتق ، باب إذا ضرب العبد فليجتنب الوجه (٢ / ٩٠٢ ، رقم ٢٤٢٠) . ومسلم في صحيحه ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب النهي عن ضرب الوجه (٤ / ٢٠١٧ ، رقم ٢٦١٢) ، واللفظ له .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الاستئذان ، باب بدء السلام (٥ / ٢٢٩٩ ، رقم ٥٨٧٣) .

(٥) أخرجه الترمذي في جامعه ، كتاب تفسير القرآن ، باب ومن سورة ص (٥ / ٣٦٧ ، رقم ٣٢٣٤) ، وقال : " هذا حديث حسن غريب " ، واللفظ له . وأحمد في مسنده – ط١٤١٦هـ = ١٩٩٥م – (٥ / ٤٣٧ ، رقم ٣٤٨٤) . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ١٧٦) :"رواه أحمد ورجاله ثقات " . وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣ / ٣١٧ ، رقم ٣٢٣٣) .

(٦) هو : عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، أبو محمد ،كان ثقةً ديناً فاضلاً ، عالماً باللغة ، صدوقاً من أهل السنة ، من مؤلفاته : (غريب الحديث) ، و (المعارف) ، توفي سنة ٢٧٦هـ . انظر : تاريخ بغداد

ليست بأعجب من اليدين ، والأصابع ، والعين ؛ وإنما وقع الإلف لتلك لمجيئها في القرآن ؛ ووقعت الوحشة من هذه لأنها لم تأت في القرآن ؛ ونحن نؤمن بالجميع ولا نقول في شيء منه بكيفية ولا حد " [١] .

وقال القاضي أبو يعلى بن الفرّاء [٢] – رحمه الله – عند تعليقه على حديث : " أَتَانِي رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ ... " [٣] : " اعلم أن الكلام في هذا الخبر يتعلّق به فصول : أحدها : جواز إطلاق الصورة عليه " [٤] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : " لفظ الصورة في الحديث – إشارة إلى حديث أبي سعيد الخدري ﷺ – : كسائر ما ورد من الأسماء والصفات التي قد يسمّى المخلوق بها على وجه التقييد ، وإذا أطلقت على الله اختصت به ، مثل : العليم ، والقدير ، والرحيم ، والسميع ، والبصير .

ومثل : خلقه بيديه ، واستوائه على العرش ، ونحو ذلك " [٥] .

ثم قال بعد إيراده لروايات حديث : " خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ ... " [٦] : " والكلام على ذلك أن يقال : هذا الحديث لم يكن بين السلف من القرون الثلاثة نزاع في أن الضمير في الحديث عائد إلى الله تعالى ؛ فإنه مستفيض من طرق متعددة عن عدد من الصحابة ، وسياق الأحاديث كلها تدل على ذلك " [٧] .

= (١٠ / ١٧٠) . ولسان الميزان (٣ / ٣٥٧ – ٣٥٨) .

(١) تأويل مختلف الحديث ، عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، تحقيق : محمد زهري النجار ، د.ط (بيروت : دار الجيل ، ١٣٩٣هـ = ١٩٧٢م) ، (ص ٢٢١) .

(٢) هو : محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ، أبو يعلى ، المعروف بابن الفراء ، أحد الفقهاء الحنابلة المعروفين بالعبادة والتهجد ، درس وأفتى سنين كثيرة ، وولي قضاء الحريم ، من تصانيفه : (أحكام القرآن) ، و (الرد على الجهمية) ، توفي سنة ٤٥٨هـ . انظر : تاريخ بغداد (٢ / ٢٥٦) . وسير أعلام النبلاء (١٨ / ٨٩ – ٩١) .

(٣) تقدم تخريجه ص ١٦٣ .

(٤) إبطال التأويلات لأخبار الصفات ، محمد بن الحسين بن خلف (ابن الفراء) ، تحقيق : محمد بن حمد الحمود ، د.ط (الكويت : دار إيلاف الدولية ، د.ت) ، (١ / ١٢٦) .

(٥) نقض أساس التقديس ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، العقيدة وأصول الدين ، نسخ متقن ، ١٣٤٦هـ ، الرياض : جامعة الملك سعود ٢٥٩٠ ، نسخة خطية منقولة عن نسخة مؤرخة ، (٣ / ٣٩٦) .

(٦) تقدم تخريجه ص ١٦٣ .

(٧) نقض أساس التقديس (٣ / ٢٠٢) .

ومن خلال النقول السابقة يتقرّر :

أن الصورة صفة لله تعالى : كسائر صفاته .

وقد خلط كثير من أهل الكلام وغيرهم في مسألة الصورة : فمنهم من تأولها بالصفة ، ومنهم من تأولها بالشدة والأهوال ، أو بصور الملائكة [(١)] .

وتفسير الصورة بمجرّد الصفة التي تقوم بالأعيان : كالعلم والقدرة فاسد ؛ لأنه لا يوجد في الكلام أن قول القائل – مثلاً – : صورة فلان يراد بها : مجرّد الصفات القائمة به : من العلم ، والقدرة ، ونحو ذلك ؛ بل هذا من البهتان على اللغة وأهلها [(٢)] .

وبما أن لفظ الصورة قد دل على الصفة القائمة بالموصوف ، أو على الصفة القائمة بالذهن واللسان ؛ فلا بد مع ذلك أن يدل على الصورة الخارجية [(٣)] .

وأمّا تأويلها بأهوال يوم القيامة ؛ فسياق حديثي أبي هريرة وأبي سعيد الخدري – رضي الله عنهما – يأبى هذا التأويل ويردّه .

وكذا تأويلها بصور الملائكة من أبطل الباطل ؛ لأنه فوق كونه بعيداً عن ظاهر النص يتضمن شركاً بالله تعالى ؛ حيث جعلوا المَلَك هو الذي يدّعي الربوبية ويحاسب العباد فيسجدون له [(٤)] .

ولا شك أن نفي هذه الصفة عن الرب تبارك وتعالى وتأويلها ؛ ينافي الإيمان بالأحاديث الواردة في ذلك .

سادساً – الساق :

دل حديثا أبي هريرة وأبي سعيد الخدري – رضي الله عنهما – على صفة الساق لله تعالى ، وذلك في قوله ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه كما عند الدارمي : " فَيَقُولُ : مَا بَالُ النَّاسِ ذَهَبُوا وَأَنْتُمْ هَاهُنَا ؟ فَيَقُولُونَ : نَنْتَظِرُ إِلَهَنَا ، فَيَقُولُ : هَلْ تَعْرِفُونَهُ ؟ فَيَقُولُونَ : إِذَا تَعَرَّفَ إِلَيْنَا عَرَفْنَاهُ ؛ فَيَكْشِفُ لَهُمْ عَنْ سَاقِهِ ؛ فَيَقَعُونَ سُجُوداً " .

---

(١) انظر : فتح الباري لابن حجر (١١ / ٤٥٠– ٤٥١) . ومشكل الحديث وبيانه ، محمد بن الحسن بن فورك ، تحقيق : موسى محمد علي ، ط٢ (بيروت : عالم الكتب ، ١٩٨٥م) ، (ص ٧٠) .

(٢) انظر : شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري ، عبد الله بن محمد الغنيمان ، ط١ (المدينة المنورة : مكتبة الدار ، ١٤٠٥هـ) ، (٢ / ٨٤) .

(٣) انظر : نقض أساس التقديس (٣ / ٣٧٧) .

(٤) انظر : شرح كتاب التوحيد (٢ / ٦١– ٦٣ ، ٦٥) .

وفي قوله ﷺ من حديث أبي سعيد ﷺ كما عند البخاري : " يَكْشِفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ ؛ فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ " .

والساق صفة ثابتة لله تعالى بالكتاب العزيز ، وصريح السنة كما تقدم .

ومن الكتاب :

قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ (١) .

وقد اختلف الصحابة – رضوان الله عليهم – في المقصود بالساق في هذه الآية ؛ إذ إن الصفة ذكرت على وجه التنكير دون أن تضاف إلى الله تعالى ، وذلك على ثلاثة أقوال :

القول الأول :تفسير الساق بالنور العظيم ، كما جاء عن أبي موسى الأشعري ﷺ عن النبي ﷺ في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾ (٢) أنه قال : " عَنْ نُورٍ عَظِيمٍ يَخِرُّونَ لَهُ سُجَّداً " (٣) .

القول الثاني : تفسير الساق بالشدة ، كما روي عن ابن عباس – رضي الله عنهما – في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾ (٤) أنه قال :" هي أشد ساعة في يوم القيامة " (٥) .

القول الثالث : تفسير الساق بأنها صفة لله تعالى على ما يليق به ؛ وهو القول الراجح كما سيأتي .

---

(١) سورة القلم ، الآية : ٤٢ .

(٢) سورة القلم ، من الآية : ٤٢ .

(٣) أخرجه أحمد بن علي بن المثنى في مسنده (مسند أبي يعلى الموصلي) ، تحقيق : حسين سليم أسد ، ط١ (دمشق : دار المأمون للتراث ، ١٤٠٩هـ = ١٩٨٨م) ، (١٣ / ٢٦٩ ، رقم ٧٢٨٣) . والطبري في جامع البيان (٢٩ / ٤٢) . وقال البيهقي في كتاب الأسماء والصفات (٢ / ١٨٧- ١٨٨ ، رقم ٧٥٢) : " تفرد به روح بن جناح وهو شامي يأتي بأحاديث منكرة لا يتابع عليها " . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ١٢٨) : " وفيه روح بن جناح وهو ليس بالقوى ".وقال ابن حجر في فتح الباري (٨ / ٦٦٤) : " أخرجه أبو يعلى بسند فيه ضعف " . وقال حسين سليم أسد في المسند (١٣ / ٢٦٩ ، رقم ٧٢٨٣ ، هامش ٥) : " إسناده ضعيف " .

(٤) سورة القلم ، من الآية : ٤٢ .

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان (٢٩ / ٣٩) ، واللفظ له . والحاكم في المستدرك (٢ / ٥٤٢ ، رقم ٣٨٤٥) ، وقال : " هذا حديث صحيح الإسناد " . والبيهقي في كتاب الأسماء والصفات (٢ / ١٨٣ – ١٨٤ ، رقم ٧٤٦) . وقال ابن حجر في فتح الباري (١٣ / ٤٢٨) : " وأسند البيهقي الأثر المذكور عن ابن عباس بسندين كل منهما حسن " .

ويحكي شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – هذا الخلاف ، فيقول : " إن جميع ما في القرآن من آيات الصفات فليس عن الصحابة اختلاف في تأويلها ؛ وقد طالعت التفاسير المنقولة عن الصحابة وما رووه من الحديث ، ووقفت من ذلك على ما شاء الله تعالى من الكتب الكبار والصغار أكثر من مائة تفسير ؛ فلم أجد إلى ساعتي هذه عن أحد من الصحابة أنه أوّل شيئاً من آيات الصفات أو أحاديث الصفات بخلاف مقتضاها المفهوم المعروف .

وتمام هذا أني لم أجدهم اختلفوا إلا في قوله تعالى : ﴿ يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٍ ﴾ [(١)] :

فروي عن ابن عباس وطائفة : أن المراد به : الشدة ، أي أن الله يكشف عن الشدة في الآخرة .

وعن أبي سعيد وطائفة : أنهم عدّوها في الصفات ؛ للحديث الذي رواه أبو سعيد في الصحيحين .

ولا ريب أن ظاهر القرآن لا يدل على أن هذه من الصفات ؛ فإنه قال : ﴿ يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٍ ﴾ [(٢)] نكرة في الإثبات لم يضفها إلى الله و لم يقل : عن ساقه ؛ فمع عدم التعريف بالإضافة لا يظهر أنه من الصفات إلا بدليل آخر ؛ ومثل هذا ليس بتأويل إنما التأويل : صرف الآية عن مدلولها ، ومفهومها ، ومعناها المعروف " [(٣)] .

ويقول الإمام ابن القيّم – رحمه الله – : " والصحابة متنازعون في تفسير الآية ؛ هل المراد : الكشف عن الشدة ؟ أو المراد بها : أن الرب تعالى يكشف عن ساقه ؟

ولا يحفظ عن الصحابة والتابعين نزاع فيما يذكر أنه من الصفات أم لا في غير هذا الموضع .

وليس في ظاهر القرآن ما يدل على أن ذلك صفة لله ؛لأنه سبحانه لم يضف الساق إليه ، وإنما ذكره مجرّداً عن الإضافة منكراً .

والذين أثبتوا ذلك صفة : كاليدين والإصبع لم يأخذوا ذلك من ظاهر القرآن ؛ وإنما

---

(١) سورة القلم ، من الآية : ٤٢ .

(٢) سورة القلم ، من الآية : ٤٢ .

(٣) دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، تحقيق : د. محمد السيد الجليند ، ط٢ (دمشق : مؤسسة علوم القرآن ، ١٤٠٤هـ) ، (٢ / ٤٨١- ٤٨٢) .

أثبتوه بحديث أبي سعيد الخدري المتفق على صحته ، وفيه : " فَيَكْشِفُ الرَّبُّ عَنْ سَاقِهِ ؛ فَيَخِرُّونَ لَهُ سُجَّداً " .

ومن حمل الآية على ذلك قال : قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ ﴾ [(١)] مطابق لقوله : " فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ ؛ فَيَخِرُّونَ لَهُ سُجَّداً " ، وتنكيره للتعظيم والتفخيم كأنه قال : يكشف عن ساق عظيمة جلّت عظمتها ؛ وتعالى شأنها أن يكون لها نظير ، أو مثيل ، أو شبيه " [(٢)] .

ويتضح من كلام شيخ الإسلام وتلميذه :

أن الساق هي الصفة الوحيدة التي اختلف فيها الصحابة رضوان الله عليهم .

وفيما يلي مناقشة الأقوال السابقة :

أمّا القول الأول : وهو تفسير الساق بالنور العظيم ؛ ففي سند الحديث المروي عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مقال [(٣)] .

وأمّا القول الثاني : وهو ما جاء عن ابن عباس – رضي الله عنهما – فقد يكون تفسيراً على مقتضى اللغة ، وأن الساق في اللغة : الشدة ؛ دون قصد تفسيره في صفات الله تعالى في موجب الشرع [(٤)] .

ويرى القاضي أبو يعلى بن الفرّاء – رحمه الله – أن حمل الآية على الشدة لا يصحّ ؛ لوجوه [(٥)] :

أحدها :أنه ﷺ قال :" فَيَتَمَثَّلُ لَهُم الرَّبُّ وَقَدْ كَشَفَ عَنْ سَاقِهِ " ؛ والشدائد لا تسمّى : رباً .

والثاني : أنهم التمسوا الرب تبارك وتعالى واتّبعوه ؛ حتى ينجوا من الأهوال والشدائد التي وقع فيها من عبد غيره ، وإذا كان الأمر كذلك ؛ لم يجز أن يلتمسوه على صفة تلحقهم فيها الشدة والأهوال .

---

(١) سورة القلم ، من الآية : ٤٢ .

(٢) الصواعق المرسلة (١ / ٢٥٢- ٢٥٣) .

(٣) انظر ما قاله العلماء عن سند هذا الحديث : في هامش ٣ ص ١٦٦ .

(٤) انظر : إبطال التأويلات (١ / ٥٧ – ٥٨) .

(٥) انظر : المرجع السابق (١ / ١٥٩-١٦٠) .

والثالث : أنه ﷺ قال : " فَيَخِرُّونَ سُجَّداً " ؛ ومعلوم أن السجود لا يكون للشدائد .

والرابع : إن جاز تأويل هذا على الشدة ؛ جاز تأويل قوله ﷺ : " تَرَوْنَ رَبَّكُمْ " على رؤية أفعال الرب وكراماته ؛ وقد منع مثبتو الصفات ذلك .

والحق في هذه المسألة : القول الثالث ؛ وذلك لأن الحديث مفسّر للآية ، وهو يدل معها على أن لله تعالى ساقاً تليق به ؛ فيجب إثباتها له من غير تكييف ، ولا تشبيه ، ولا تأويل ، ولا تعطيل ؛ كما هو مذهب أهل السنة والجماعة .

سابعاً – القَدم :

دل حديث أبي هريرة رضي الله عنه على صفة القَدم لله تعالى ، وذلك في قوله ﷺ عن أهل النار كما عند الترمذي : " حَتَّى إِذَا أُوعِبُوا فِيهَا ؛ وَضَعَ الرَّحْمَنُ قَدَمَهُ فِيهَا وَأَزْوَى بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ ، ثُمَّ قَالَ : قَطْ ، قَالَتْ : قَطْ قَطْ " .

والقَدم صفة ثابتة لله تعالى على ما يليق به سبحانه؛وذلك للأحاديث الشريفة ، ومنها – فضلاً عمّا سبق – :

ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في تحاجج الجنة والنار ، وفيه : " فَأَمَّا النَّارُ فَلَا تَمْتَلِئُ ؛ فَيَضَعُ قَدَمَهُ عَلَيْهَا ،فَتَقُولُ : قَطْ قَطْ ؛ فَهُنَالِكَ تَمْتَلِئُ ، وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ" (١) .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : " لَا يَزَالُ يُلْقَى فِيهَا ، ﴿ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾ (٢) ؛ حَتَّى يَضَعَ فِيهَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَدَمَهُ ؛ فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ ... " الحديث (٣) .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، باب قوله : ﴿ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾ [سورة ق ، من الآية : ٣٠] (٤ / ١٨٣٥ ، رقم ٤٥٦٧) . ومسلم في صحيحه ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء (٤ / ٢١٨٦ ، رقم ٢٨٤٦) ، واللفظ له .

(٢) سورة ق ، من الآية : ٣٠ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : ﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [سورة إبراهيم ، من الآية : ٤] (٦ / ٢٦٨٩ ، رقم ٦٩٤٩) ،واللفظ له . ومسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء (٤ / ٢١٨٨ ، رقم ٢٨٤٨) .

كما ورد في بعض الآثار الموقوفة على الصحابة – رضوان الله عليهم – إثبات القدمين لله تعالى ، ومن ذلك :

ما رواه ابن عباس – رضي الله عنهما – في قوله تعالى : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ [(١)] قال : " الكرسي موضع قدميه ؛ والعرش لا يُقدر قدره " [(٢)] .

ولقد تلقّى علماء أهل السنة والجماعة هذه الأحاديث بالقبول ؛ وأمرّوها كما جاءت و لم يخوضوا في كيفيتها ، وهذه جملة من أقوالهم في ذلك :

قال الإمام الترمذي – رحمه الله – : " وقد روي عن النبي ﷺ روايات كثيرة مثل هذا : ما يذكر فيه أمر الرؤية : أن الناس يرون ربهم ، وذكر القَدم ، وما أشبه هذه الأشياء .

والمذهب في هذا عند أهل العلم من الأئمة ، مثل : سفيان الثوري ، ومالك بن أنس ، وابن المبارك [(٣)] ، وابن عيينة ، ووكيع [(٤)] ، وغيرهم أنهم رووا هذه الأشياء ، ثم قالوا : تروى هذه الأحاديث ونؤمن بها ولا يقال : كيف ؟ وهذا أمر أهل العلم الذي اختاروه وذهبوا إليه " [(٥)].

وقال الإمام ابن خزيمة [(٦)] – رحمه الله – : " باب ذكر إثبات الرجل لله ﷻ "،ثم قال :

---

(١) سورة البقرة ، من الآية : ٢٥٥ .

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد بن حنبل في السنة ، تحقيق : د. محمد سعيد القحطاني ، ط١ (الدمام : دار ابن القيم ، ١٤٠٦هـ) ، (٢ / ٤٥٤ ، رقم ١٠٢١).والحاكم في المستدرك (٢ / ٣١٠ ، رقم ٣١١٦) ، وقال : " هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه " ، واللفظ له . وقال محقق السنة : " إسناده حسن " .

(٣) هو : عبد الله بن المبارك بن واضح المروزي ، أبو عبد الرحمن ، ثقة ثبت فقيه ، عالم جواد مجاهد ، جمعت فيه خصال الخير ، وروى له الجماعة ، من كتبه : (البر والصلة) ، و (التاريخ) ، توفي سنة ١٨١هـ . انظر : الفهرست (ص ٣١٩) . وتقريب التهذيب (ص ٣٢٠) .

(٤) هو : وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي ، أبو سفيان ، من الحفاظ المتقنين وأهل الفضل في الدين ، وكان ممن رحل ، وجمع ، وحدث ، وذاكر ، من كتبه : (السنن) ، توفي سنة ١٩٧هـ . انظر : مشاهير علماء الأمصار ، محمد بن حبان البستي ، تحقيق : م. فلايشهمر ، د.ط (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٥٩م) ، (ص ١٧٣) . والفهرست (ص ٣١٧) .

(٥) سنن الترمذي (٤ / ٦٩٢) .

(٦) هو : محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري ، أبو بكر ، الحافظ الكبير الثبت ، شيخ الإسلام ، انتهت إليه إمامة الحفظ والإتقان في عصره ، وكان ممن يحسن صناعة السنن ، ويحفظ ألفاظها الصحاح وزياداتها ، من مؤلفاته : (الصحيح) ، و (كتاب التوحيد) ، توفي سنة ٣١١هـ . انظر : سير أعلام النبلاء =

" وإن رغمت أنوف المعطّلة الجهمية ؛ الذين يكفرون بصفات خالقنا ﷻ التي أثبتها لنفسه في محكم تتريله وعلى لسان نبيه المصطفى .

قال الله ﷻ يذكر ما يدعو بعض الكفار من دون الله : ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ﴾ (١) .

فأعلمنا ربنا جل وعلا : أن من لا رجل له ، ولا يد ، ولا عين ، ولا سمع فهو : كالأنعام بل هو أضلّ ؛ فالمعطّلة الجهمية الذين هم شر من اليهود ، والنصارى ، والمجوس : كالأنعام بل أضلّ " (٢) .

وقال الإمام البغوي – رحمه الله – بعد أن سرد حديث تحاجج الجنة والنار (٣) : " والقَدم والرجلان المذكوران من صفات الله ﷻ المترّه عن التكييف والتشبيه؛ وكذلك كل ما جاء من هذا القبيل في الكتاب أو السنة : كاليد، والإصبع ، والعين ، والمجيء ، والإتيان ؛ فالإيمان بها فرض ، والامتناع عن الخوض فيها واجب ؛ فالمهتدي من سلك فيها طريق التسليم ، والخائض فيها زائغ ، والمنكر معطّل ، والمكيّف مشبّه ؛ تعالى الله عمّا يقول الظالمون علواً كبيراً " (٤) .

وقد فسّر أهل السنة والجماعة القَدم بأنها قَدم حقيقية على الوجه اللائق بالله تعالى ؛ أمّا أهل التعطيل والتأويل فقد سلكوا في هذه الصفة مسالك عجيبة :

فقال بعضهم : المراد بالقَدم : المتقدم ومعناه : حتى يضع الله تعالى فيها ما قدّمه لها من أهل العذاب .

وقال بعضهم : المراد بالقَدم : قَدم بعض المخلوقين ،أو يكون هناك مخلوق اسمه : قَدم .

= (١٤ /٣٦٥ – ٣٨٢) . وطبقات الحفاظ (ص ٣١٣ – ٣١٤) .

(١) سورة الأعراف ، من الآية : ١٩٥ .

(٢) كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب ﷻ ، محمد بن إسحاق بن خزيمة ، تحقيق : عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان ، ط١ (الرياض : مكتبة الرشد ، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م) ، (١ / ٢٠٢) .

(٣) تقدم تخريجه ص ١٦٩.

(٤) شرح السنة ، الحسين بن مسعود البغوي ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ؛ ومحمد زهير الشاويش ، ط٢ (بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م) ، (١٥ / ٢٥٧ – ٢٥٨) .

وقال البعض الآخر : المراد بالقَدم : الأخير ؛ لأن القَدم آخر الأعضاء فيكون المعنى : حتى يضع الله تعالى في النار آخر أهلها فيها ، إلى غير ذلك من التأويلات الباطلة [١] .

قال القاضي أبو يعلى بن الفرّاء – رحمه الله – في تفنيد بعض ما ذُكر من تأويلات لصفة القَدم مبيّناً وجه بطلانها : " فإن قيل : معنى القَدم هاهنا : المتقدم من المشركين يضعه في النار ، قيل : هذا غلط لوجهين :

أحدهما : أن قوله : " فَيَضَعُ قَدَمَهُ " هاء كناية ، وهاء الكناية ترجع إلى المذكور ؛ والمذكور في الخبر الله سبحانه فوجب أن يرجع إليه ؛ فأمّا المتقدم من الكفار فلم يتقدم ذكرهم فلا يجب رجوع الهاء إليهم .

والثاني : أن هذا يسقط فائدة التخصيص بالنار؛ لأن المتقدم بفعل الخير يضعه في الجنة ؛ فلو كان المراد بالقَدم : المتقدم لم يكن لتخصيصه بالنار فائدة ؛ فوجب حمله على ظاهره ليفيد فائدة " [٢] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : " وقد غلط في هذا الحديث [٣] المعطّلة الذين أوّلوا قوله : " قَدَمَهُ " بنوع من الخلق ، كما قالوا : الذين تقدم في علمه أنهم أهل النار ؛ وغلطهم من وجوه :

الأول : أن النبي ﷺ قال : " حَتَّى يَضَعَ " ، ولم يقل : حتى يلقى ، كما قال في قوله : " لَا يَزَالُ يُلْقَى فِيهَا " .

الثاني : أن قوله : " قَدَمَهُ " لا يفهم منه هذا لا حقيقة ولا مجازاً [٤] ؛ كما تدل عليه

---

(١) انظر هذه التأويلات وغيرها في : مشكل الحديث وبيانه (ص ١٢٧) . وفتح الباري لابن حجر (٨ / ٥٩٦) .

(٢) إبطال التأويلات (١ / ١٩٧– ١٩٨) بتصرف .

(٣) يقصد : حديث أنس بن مالك ﷺ وقد تقدم .

(٤) المجاز : هو استعمال اللفظ في غير ما وضع له في الأصل ؛ لعلاقة بين المعنيين الحقيقي والمجازي ، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي .

وقد اختلف العلماء في أصل وقوع المجاز وثبوته في اللغة والقرآن الكريم على ثلاثة أقوال :

القول الأول : الجواز والوقوع مطلقاً ، وإليه ذهب الجمهور .

القول الثاني : المنع مطلقاً ، وهو قول المحققين من العلماء : كابن تيمية وتلميذه ابن القيم .

القول الثالث : المنع في القرآن وحده ، وهو قول بعض العلماء : منهم داود بن علي ، وابن خويز منداد ، وأبو عبد الله بن حامد .

الإضافة .

الثالث : أن أولئك المؤخرين إن كانوا من أصاغر المعذّبين ؛ فلا وجه لانزوائها واكتفائها بهم ؛ فإن ذلك إنما يكون بأمر عظيم .

وإن كان من أكابر المجرمين ؛ فهم في الدّرك الأسفل وفي أول المعذّبين لا في أواخرهم .

الرابع : أن قوله : " فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ " دليل على أنها تنضم على من فيها ؛ فتضيق بهم من غير أن يلقى فيها شيء .

الخامس : أن قوله : " لَا يَزَالُ يُلْقَى فِيهَا ، ﴿ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾ [(١)] ؛ حَتَّى يَضَعَ فِيهَا قَدَمَهُ " جعل الوضع الغاية التي إليها ينتهي الإلقاء ويكون عندها الانزواء ؛ فيقتضي ذلك أن تكون الغاية أعظم مما قبلها .

وليس في قول المعطّلة معنى للفظ : " قَدَمَهُ " إلا وقد اشترك فيه الأول والآخر ؛ والأول أحق به من الآخر " [(٢)] .

وبهذه النقول السلفية المبنيّة على ما مضى من نصوص شرعية صريحة يتبيّن :

أن هذه الصفة ثابتة لله جل وعلا على ما يليق بجلاله وكماله ؛ مع تبرئتها وإبعادها عن ساحة التعطيل ، ونبذ ما قيل فيها من تأويلات مردودة؛لدفعها وصرفها عن حقيقة مدلولها .

= وقد اتخذ أهل التعطيل المجاز مطيةً لهم في تحريف نصوص الصفات التي زعموا أنها موهمة للتشبيه . انظر في تعريف المجاز : التعريفات (ص ٢٥٧) . والتوقيف على مهمات التعاريف (ص ٦٣٧) . وانظر في أقوال العلماء في المجاز : الإيمان ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، تحقيق : محمد بن ناصر الدين الألباني ، ط٥ (بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤١٦هـ = ١٩٩٦م) ، (ص ٧٤ – ٧٥) . ومختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ، محمد بن محمد بن الموصلي ، تحقيق : د. الحسن بن عبد الرحمن العلوي ، ط١ (الرياض : مكتبة أضواء السلف ، ١٤٢٥هـ ، ٢٠٠٤م) ، (٢ / ٦٩٦ – ٦٩٩) . وشرح الكوكب المنير (المختبر المبتكر شرح المختصر في أصول الفقه) ، محمد بن أحمد الفتوحي (ابن النجار) ، تحقيق : د. محمد الزحيلي ؛ ود. نزيه حماد ، ط٢(مكة المكرمة :مطابع جامعة أم القرى ، ١٤١٣هـ) ، (١ / ١٩٢) .

(١) سورة ق ، من الآية : ٣٠ .

(٢) مختصر الفتاوى المصرية ، محمد بن علي البعلي ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، ط٢ (الدمام : دار ابن القيم ، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م) ، (ص ٦٤٧) .

المطلب الثاني

الصفات الفعلية

ويقصد بها : الصفات التي تتعلّق بإرادة الله تعالى ومشيئته ؛ إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها ، وتعرف أيضاً : بالصفات الاختيارية [١] .

ومن الصفات الفعلية المذكورة في حديثي أبي هريرة وأبي سعيد الخدري – رضي الله عنهما – ما يلي :

أولاً – القبض :

دل حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه على صفة القبض لله تعالى ، وذلك في قوله ﷺ كما عند البخاري : " فَيَشْفَعُ : النَّبِيُّونَ ، وَالمَلاَئِكَةُ ، وَالمُؤْمِنُونَ ، فَيَقُولُ الجَبَّارُ : بَقِيَتْ شَفَاعَتِي ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ ؛ فَيُخْرِجُ أَقْوَاماً قَدْ امْتُحِشُوا " .

والقبض صفة ثابتة لله تعالى بالكتاب والسنة .

فمن الكتاب :

قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [٢] .

قال الإمام ابن جرير الطّبري – رحمه الله – في معناها : " يعني تعالى ذكره بذلك : أنه الذي بيده قبض أرزاق العباد وبسطها ؛ دون غيره ممن ادّعى أهل الشرك به أنهم آلهة ، واتّخذوه رباً دونه يعبدونه " [٣] .

وقوله سبحانه : ﴿ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ [٤] .

وفي هذه الآية إخبار من الله تعالى بمقدار عظمته الباهرة وقدرته القاهرة ؛ والتي من مظاهرها أن الأرض على امتدادها ؛ تكون قبضة للرحمن يوم القيامة ، وأن السماوات على سعتها وعظمتها ؛ تصبح مطويات بيمينه عز وجل [٥] .

---

(١) انظر : القواعد المثلى (ص ٢٥) . ومعجم ألفاظ العقيدة (ص ٢٤٢) .
(٢) سورة البقرة ، من الآية : ٢٤٥ .
(٣) جامع البيان (٢ / ٥٩٤) .
(٤) سورة الزمر ، من الآية : ٦٧ .
(٥) انظر : تيسير الكريم الرحمن (٢ / ٥٤٢– ٥٤٣) .

ومن السنة – غير ما تقدم – :

ما رواه أبو هريرة ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " يَقْبِضُ اللَّهُ الْأَرْضَ وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ ، ثُمَّ يَقُولُ : أَنَا الْمَلِكُ ؛ أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ ؟ " (١) .

وهذا الحديث صريح في إثبات صفتي القبض والطي لله تعالى .

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبَضَهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ ؛ فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدْرِ الْأَرْضِ : جَاءَ مِنْهُمْ الْأَحْمَرُ ، وَالْأَبْيَضُ ، وَالْأَسْوَدُ ، وَبَيْنَ ذَلِكَ ، وَالسَّهْلُ ، وَالْحَزْنُ ، وَالْخَبِيثُ ، وَالطَّيِّبُ " (٢) .

و (القابض) من أسماء الله تعالى الحسنى التي تختص بمصالح الدنيا والآخرة .

وقد جاء هذا الاسم في الحديث الذي رواه أنس بن مالك ﷺ أن الناس قالوا : يا رسول الله ، غلا السعر ؛ فسعّر لنا ، فقال رسول الله ﷺ : " إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُسَعِّرُ ، الْقَابِضُ ، الْبَاسِطُ ، الرَّازِقُ ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَلْقَى اللَّهَ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يُطَالِبُنِي بِمَظْلَمَةٍ : فِي دَمٍ وَلَا مَالٍ " (٣) .

ومعنى : (القابض) كما قال الإمام الخطّابي – رحمه الله – : " الذي يقبض الأرواح بالموت الذي كتبه على العباد " (٤) .

وقال البيهقي – رحمه الله – فيما نقله عن بعض العلماء : " الذي يطوي برّه ومعروفه

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الرقاق ، باب يقبض الله الأرض يوم القيامة (٥ / ٢٣٨٩ ، رقم ٦١٥٤) .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب السنة ، باب في القدر (٤ / ٢٢٢ ، رقم ٤٦٩٣) ، واللفظ له . والترمذي في جامعه ، كتاب تفسير القرآن ، باب ومن سورة البقرة (٥ / ٢٠٤ ، رقم ٢٩٥٥) ، وقال : " هذا حديث حسن صحيح " . وأحمد في مسنده – ط١٤٢٠هـ =١٩٩٩م – (٣٢ / ٣٥٣ ، رقم ١٩٥٨٢) . وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣ / ١٤٤ ، رقم ٤٦٩٣) ، وصحيح سنن الترمذي (٣ / ١٨٣ ، رقم ٢٩٥٥) .

(٣) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الإجارة ، باب في التسعير (٣ / ٢٧٢ ، رقم ٣٤٥١) ، واللفظ له . والترمذي في جامعه ، كتاب البيوع ، باب ما جاء في التسعير (٣ / ٦٠٥ ، رقم ١٣١٤) ، وقال : " هذا حديث حسن صحيح " . وابن ماجه في سننه ، كتاب التجارات ، باب من كره أن يسعر (٢ / ٧٤١ ، رقم ٢٢٠٠) . وأحمد في مسنده – ط ١٤١٨هـ = ١٩٩٧م – (٢٠ / ٤٦ ، رقم ١٢٥٩١) . وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢ / ٣٦٢ ، رقم ٣٤٥١) ، وصحيح سنن الترمذي (٢ / ٦٠ ، رقم ١٣١٤) ، وصحيح سنن ابن ماجه (٢ / ٢٢٢ ، رقم ١٨٠١) .

(٤) شأن الدعاء (ص ٥٨) .

عمن يريد ؛ ويضيّق ويقتر أو يحرم فيفقر " [١] .

وهذه الصفة وهي القبض تدل على أن لله تعالى يداً حقيقة ، وعلى هذا كان اعتقاد السلف .

قال القاضي أبو يعلى بن الفرّاء – رحمه الله – بعد أن ذكر حديث : " إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ ... " [٢] : " اعلم أنه غير ممتنع إطلاق القبض عليه سبحانه وإضافتها إلى الصفة التي هي اليد التي خلق بها آدم ؛ لأنه مخلوق باليد من هذه القبضة ؛ فدل على أنها قبضة باليد ؛ وفي جواز إطلاق ذلك أنه ليس في ذلك ما يحيل صفاته ولا يخرجها عمّا تستحقه " [٣] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : " وقد تواتر في السنة مجيء اليد في حديث النبي ﷺ ؛ فالمفهوم من هذا الكلام أن لله تعالى يدين مختصتين به ذاتيتين له كما يليق بجلاله ، وأنه سبحانه خلق آدم بيده دون الملائكة وإبليس ، وأنه سبحانه يقبض الأرض ويطوي السماوات بيده اليمنى ، وأن يداه مبسوطتان " [٤] .

وقال الإمام ابن القيّم – رحمه الله – : " ورد لفظ اليد في القرآن ، والسنة ، وكلام الصحابة ، والتابعين في أكثر من مائة موضع وروداً متنوعاً متصرفاً فيه ؛ مقروناً بما يدل على أنها يد حقيقة : من الإمساك ، والطي ، والقبض ، والبسط " [٥] .

فالواجب الإيمان بما أخبر الله تعالى به من صفاته بلا تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل،ولا داعي للتأويل الذي انتهجه المتكلمون بكل سبيل ؛ حيث ذهبوا إلى أن القبض قد يكون بمعنى :الملك والقدرة،فقالوا : إن كون الأشياء في قبضة الله تعالى ، أي في ملكه وقدرته [٦] .

بل إن قبضه تعالى وصف حقيقي له ؛ يلزم الإيمان به على ظاهره دون تأويله .

---

(١) كتاب الأسماء والصفات (١ / ١٦٨) .

(٢) تقدم تخريجه ص ١٧٥ .

(٣) إبطال التأويلات (١ / ١٦٨- ١٦٩) .

(٤) مجموع الفتاوى (٦ / ٣٦٣) .

(٥) مختصر الصواعق المرسلة (٣ / ٩٨٤) .

(٦) انظر : مقالات الإسلاميين (ص ٥٢٢) . وأقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات ، مرعي بن يوسف الكرمي ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، ط١ (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٦هـ) ، (ص ١٥٦) .

ثانياً – المجيء والإتيان :

دل حديثا أبي هريرة وأبي سعيد الخدري – رضي الله عنهما – على مجيء الله تعالى وإتيانه ، وذلك في قوله ﷺ من حديث أبي هريرة ﷺ كما عند أحمد : " فَيَأْتِيهِمُ اللَّـهُ ﷻ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ ، فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ ، فَيَقُولُونَ : نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا ؛ فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ ؛ فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ ﷻ فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ ، فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ ، فَيَقُولُونَ : أَنْتَ رَبُّنَا ؛ فَيَتَّبِعُونَهُ " .

وفي قوله ﷺ من حديث أبي سعيد ﷺ كما عند البخاري : " فَيَأْتِيهِمُ الجَبَّارُ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ، فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ ، فَيَقُولُونَ : أَنْتَ رَبُّنَا " .

والمجيء والإتيان صفتان ثابتتان لله تعالى بالكتاب ، والسنة ، والإجماع .

أ – دلالة الكتاب :

ومن أدلة الكتاب :

قوله سبحانه : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ (١) .

قال الإمام ابن جرير الطّبري – رحمه الله – في تفسيرها : " ثم اختلف في صفة إتيان الرب تبارك وتعالى الذي ذكره في قوله : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ (٢) :

فقال بعضهم : لا صفة لذلك غير الذي وصف به نفسه ﷻ : من المجيء ، والإتيان ، والنزول ؛وغير جائز تكلّف القول في ذلك لأحد إلا بخبر من الله ﷻ أو من رسول مرسل ؛ فأمّا القول في صفات الله وأسمائه ؛ فغير جائز لأحد من جهة الاستخراج إلا بما ذكرنا " (٣) .

وقوله ﷻ : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ﴾ (٤) .

(١) سورة البقرة ، من الآية : ٢١٠ .
(٢) سورة البقرة ، من الآية : ٢١٠ .
(٣) جامع البيان (٢ / ٣٢٩) .
(٤) سورة الأنعام ، من الآية : ١٥٨ .

وقوله تعالى : ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ (١) .

قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله – في معنى الآية : " يعني : لفصل القضاء بين خلقه ، وذلك بعد ما يستشفعون إليه بسيد ولد آدم على الإطلاق محمد – صلوات الله وسلامه عليه – بعدما يسألون أولي العزم من الرسل واحداً بعد واحد ؛ فيذهب فيشفع عند الله تعالى في أن يأتي لفصل القضاء ؛ فيشفّعه الله في ذلك ؛ فيجيء الرب تعالى لفصل القضاء كما يشاء ؛ والملائكة يجيئون بين يديه صفوفاً صفوفاً " (٢) .

ويلاحظ أن الآيات السابقة أفادت إثبات المجيء والإتيان لله تعالى يوم القيامة على ما يليق بجلاله ؛ لفصل القضاء والحكم بين عباده .

ب – دلالة السنة :

ومن أدلة السنة – غير ما سبق – :

ما رواه أبو هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أن الله ﷻ قال : " أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ... وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً " (٣) .

وعنه ﷺ مرفوعاً في الحديث القدسي : " وإذا تَلَقَّانِي بِبَاعٍ جئته أَتَيْتُهُ بِأَسْرَعَ " (٤) .

قال الإمام النووي – رحمه الله – : " هكذا هو في أكثر النسخ : " جئته أَتَيْتُهُ " ، وفي بعضها : " جئته بِأَسْرَعَ " فقط ، وفي بعضها : " أَتَيْتُهُ " ؛وهاتان ظاهرتان والأول صحيح أيضاً ؛ والجمع بينهما للتوكيد وهو حسن لا سيّما عند اختلاف اللفظ " (٥) .

ج – دلالة الإجماع :

لقد أقرّ أهل السنة والجماعة بما تضمنته الآيات والأحاديث المتقدمة ؛ فأجمعوا على إثبات المجيء والإتيان لله تعالى حقيقة كما هو المفهوم من النصوص ، إلا أنهم توقفوا عن

---

(١) سورة الفجر ، الآية : ٢٢ .

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤ / ٥١١) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾ [سورة آل عمران ، من الآية : ٢٨] (٦ / ٢٦٩٤ ، رقم ٦٩٧٠) . ومسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب الحث على ذكر الله تعالى (٤ / ٢٠٦١ ، رقم ٢٦٧٥) .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب الحث على ذكر الله تعالى (٤ / ٢٠٦١ ، رقم ٢٦٧٥) .

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم (١٧ / ٤) .

الكيفية ، مع اعتقادهم أنه تعالى لا يشبّه بشيء من خصائص الخلق .

وهذه بعض النقول عنهم ؛ تأكيداً لقولهم وبياناً لمذهبهم :

قال أبو الحسن الأشعري – رحمه الله – : " وأجمعوا على أنه ﷻ يجيء يوم القيامة والمَلَك صفاً صفاً ؛ لعرض الأمم ، وحسابها ، وعقابها ، وثوابها؛فيغفر لمن يشاء من المذنبين ، ويعذّب منهم من يشاء " [(١)] .

وقال الإمام ابن عبد البرّ – رحمه الله – : " والذي عليه جمهور أئمة أهل السنة أنهم يقولون : يترل كما قال رسول الله ﷺ ؛ ويصدّقون بهذا الحديث ولا يكيّفون ، والقول في كيفية الترول : كالقول في كيفية الاستواء والمجيء ؛ والحجة في ذلك واحدة " [(٢)] .

وقال أيضاً : " وقول رسول الله ﷺ : " يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا " [(٣)] عندهم مثل قول الله ﷻ : ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ ﴾ [(٤)] ، ومثل قوله : ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [(٥)] .

كلهم يقول : يترل ، ويتجلّى ، ويجيء بلا كيف ، لا يقولون : كيف يجيء ؟ وكيف يتجلّى ؟ وكيف يترل ؟ ولا من أين جاء ؟ ولا من أين تجلّى ؟ ولا من أين يترل ؟ لأنه ليس كشيء من خلقه وتعالى عن الأشياء ؛ ولا شريك له " [(٦)] .

وقال الطلمنكي [(٧)] – رحمه الله – : " أجمعوا – يعنى : أهل السنة والجماعة – على أن الله يأتي يوم القيامة والملائكة صفاً صفاً ؛لحساب الأمم وعرضها كما يشاء وكيف

(١) رسالة إلى أهل الثغر ، علي بن إسماعيل الأشعري ، تحقيق : عبد الله شاكر المصري ، ط١ (المدينة المنورة : مكتبة العلوم والحكم ، ١٤٠٩هـ = ١٩٨٨م) ، (ص ٢٢٧) .

(٢) التمهيد (٧ / ١٤٣) .

(٣) تقدم تخريجه في هامش ٢ ص ١٥١ .

(٤) سورة الأعراف ، من الآية : ١٤٣ .

(٥) سورة الفجر ، الآية : ٢٢ .

(٦) التمهيد (٧ / ١٥٣) .

(٧) هو : أحمد بن محمد بن عبد الله الطلمنكي ، عالم أهل قرطبة ، كان رأساً في علوم القرآن : من معرفة قراءاته ، وإعرابه ، وأحكامه ، وناسخه ، ومنسوخه ، ومعانيه ، عالماً بالحديث وطرقه ، إماماً في عقود الديانات ، سيفاً مجرداً على أهل البدع ، من مؤلفاته : (الدليل إلى معرفة الجليل) ، و (فضائل مالك) ، توفي سنة ٤٢٩هـ . انظر :معرفة القراء الكبار (١ / ٣٨٥ – ٣٨٧).والديباج المذهب (٣٩ – ٤٠) .

يشاء " [١] .

أمّا نفاة الصفات الذين عطّلوا صفات الله تعالى وحرّفوا نصوصها ؛ فزعموا أن معنى مجيء الله تعالى وإتيانه الوارد في النصوص : هو مجيء أمره ، أو إتيان بعض ملائكته ، أو أنه من المتشابه الذي لا يُعلم [٢] .

وتفسير المجيء والإتيان بالمعاني المجازية : من مجيء أمره أو ملائكته ليس بصحيح ؛ بل حمله على الحقيقة هو المتعيّن والمراد .

قال الإمام ابن عبد البرّ – رحمه الله – : " ومن حق الكلام أن يحمل على حقيقته حتى تتفق الأمة أنه أريد به المجاز ؛ إذ لا سبيل إلى اتّباع ما أُنزل إلينا من ربنا إلا على ذلك ؛ وإنما يوجّه كلام الله عز وجل إلى الأشهر والأظهر من وجوهه ما لم يمنع من ذلك ما يجب له التسليم ؛ ولو ساغ ادّعاء المجاز لكل مدّع ما ثبت شيء من العبارات ؛ وجل الله عز وجل عن أن يخاطب إلا بما تفهمه العرب في معهود مخاطباتها مما يصحّ معناه عند السامعين " [٣] .

وقد أبطل الإمام ابن القيّم – رحمه الله – تلك التأويلات المجازية الفاسدة ، وردّها رداً مستفيضاً من عشرة أوجه ، وفيما يلي بيان بعضها [٤] :

الوجه الأول : أنه إضمار بما لا يدل اللفظ عليه : مطابقةً ، ولا تضمناً ، ولا لزوماً ؛ وادّعاء حذف ما لا دليل عليه يرفع الوثوق من الخطاب .

الوجه الثاني : أن صحة التركيب واستقامة اللفظ لا تتوقف على هذا المحذوف ؛ بل الكلام مستقيم تام قائم المعنى بدون إضماره ؛ فإضماره مجرّد خلاف الأصل فلا يجوز .

الوجه الثالث : أنه إذا لم يكن في اللفظ دليل على تعيين المحذوف ؛ كان تعيينه قولاً على المتكلم بلا علم وهذا كذب عليه .

الوجه الرابع : أن في السياق ما يبطل هذا التقدير ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ﴾ [٥] .

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى (٥ / ٥٧٧– ٥٧٨) .
(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن (٣ / ٢٥ – ٢٦) . وأقاويل الثقات (ص ١٧٣) .
(٣) التمهيد (٧ / ١٣١) .
(٤) انظر : مختصر الصواعق المرسلة (٣ / ٨٥٦ – ٨٦٠) .
(٥) سورة الفجر ، الآية : ٢٢ .

فعطف مجيء المَلَك على مجيئه سبحانه يدل على تغاير المجيئين ، وأن مجيئه سبحانه حقيقة كما أن مجيء المَلَك حقيقة ؛ بل إن مجيء الرب سبحانه أولى بأن يكون حقيقة من مجيء المَلَك .

وكذلك قوله ﷻ : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ ﴾ (١) .

ففرّق هنا بين إتيان الملائكة ، وإتيانه ، وإتيان بعض آياته ؛ فقسّم ونوّع ؛ ومع هذا التقسيم يمتنع أن يكون القسمان واحداً .

أمّا القول بأن المجيء والإتيان من جملة المتشابه ؛ فهذا قول مردود لا شك في بطلانه .

ولقد أبان الجلّة من أهل العلم وحملته عن حقيقة هذه المسألة ، ففصّلوا القول فيها بكامل الوضوح وتمام البيان ؛ حتى نفى بعضهم أن يوجد في القرآن شيء لا يعلمه الراسخون في العلم .

قال ابن قتيبة – رحمه الله – : " ولسنا ممن يزعم أن المتشابه في القرآن لا يعلمه الراسخون في العلم ؛ وهذا غلط من متأوليه على اللغة والمعنى ؛ ولم يترل الله شيئاً من القرآن إلا لينفع به عباده ويدل به على معنى أراده ؛ فلو كان المتشابه لا يعلمه غيره للزمنا للطاعن مقال وتعلّق علينا بعلّة ،وهل يجوز لأحد أن يقول : إن رسول الله ﷺ لم يكن يعرف المتشابه ؟! " (٢) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : " فلفظ التأويل يكون للمحكم كما يكون للمتشابه ، كما دل القرآن ، والسنة ، وأقوال الصحابة على ذلك ، وهم يعلمون معنى المحكم فكذلك معنى المتشابه ؛ وأي فضيلة في المتشابه حتى ينفرد الله بعلم معناه والمحكم أفضل منه وقد بيّن معناه لعباده ، فأي فضيلة في المتشابه حتى يستأثر الله بعلم معناه ، وما استأثر الله بعلمه : كوقت الساعة ؛ لم يترل به خطاباً ولم يذكر في القرآن آية تدل على وقت الساعة ، ونحن نعلم أن الله استأثر بأشياء لم يطلع عباده عليها ؛ وإنما التراع في كلام أنزله وأخبر : أنه هدي ، وبيان ، وشفاء وأمر بتدبره ، ثم يقال:إن منه ما لا يعرف معناه إلا الله ،

---

(١) سورة الأنعام ، من الآية : ١٥٨ .

(٢) تأويل مشكل القرآن ، عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، تحقيق : إبراهيم شمس الدين ، ط٢ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م) ، (ص ٦٦) .

ولم يبيّن الله ولا رسوله ذلك القدر الذي لا يعرف أحد معناه ؛ ولهذا صار كل من أعرض عن آيات لا يؤمن بمعناها يجعلها من المتشابه بمجرّد دعواه " (١) .

فأسماء الله تعالى وصفاته إذن : ليست من المتشابه قطعاً من جهة معرفة معناها وظاهر مدلولها ؛ أمّا من جهة العلم بحقيقتها والكشف عن كيفيتها ؛ فذاك حقاً من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله ﷻ ، وهذا ما فهمه السلف .

وبما سبق من الكلام المؤيد بالأدلة يتبيّن :تهافت تلك التأويلات ؛ وإثبات صفتي المجيء والإتيان لله تعالى كما يليق بجلاله وعظمته من غير أن يكون في ذلك مشابهاً لخلقه ؛ ﷻ عن أن يكون له شبيه أو مثيل .

ثالثاً – الرضا والسخط :

دل حديثا أبي هريرة وأبي سعيد الخدري – رضي الله عنهما – على صفتي الرضا والسخط لله تعالى ، وذلك في قوله ﷺ عن المنافقين من حديث أبي هريرة كما عند مسلم : " ثُمَّ يُقَالُ لَهُ : الْآنَ نَبْعَثُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ ، وَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ : مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ ؟ فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ ، وَيُقَالُ لِفَخِذِهِ ، وَلَحْمِهِ ، وَعِظَامِهِ : انْطِقِي ؛ فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ ، وَلَحْمُهُ ، وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ ؛ وَذَلِكَ لِيُعْذِرَ مِنْ نَفْسِهِ ، وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ ؛ وَذَلِكَ الَّذِي يَسْخَطُ اللَّهُ عَلَيْهِ " .

وفي قوله ﷺ في بيان أن رضا الله تعالى أعظم وأجلّ من كل نعيم من حديث أبي سعيد رضي الله عنه كما عند البخاري : " إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الجَنَّةِ : ... أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ، قَالُوا : يَا رَبِّ ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ ؟ فَيَقُولُ : أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي ؛ فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبداً " .

والرضا والسخط صفتان ثابتتان لله تعالى بالكتاب والسنة .

فمن الكتاب :

قوله تعالى : ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (٢) .

قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله – في تفسير الآية : " أي لا يستوي من اتّبع رضوان

(١) مجموع الفتاوى (١٧ / ٣٩٧ – ٣٩٨) .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ١٦٢ .

الله فيما شرعه ؛ فاستحق رضوان الله وجزيل ثوابه ، وأُجير من وبيل عقابه ، ومن استحق غضب الله وألزم به فلا محيد له عنه ؛ ومأواه يوم القيامة جهنم وبئس المصير " (١) .

وقوله جل شأنه : ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (٢) .

وفي هذه الآية إخبار من الله تعالى برضاه عن عباده المؤمنين ؛ لإيمانهم ، وطاعتهم ، وحسن عبادتهم ، وصدقهم ؛ ورضا عباده المؤمنين عنه سبحانه حين يتفضّل عليهم بدخول الجنة .

وقوله ﷻ : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ (٣) .

وهنا يبيّن الله تعالى أن إحباط العمل وإبطاله ؛ هو جزاء كل من اتّبع ما يسخط الله ﷻ من الأقوال والأعمال .

وقوله سبحانه : ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ (٤) .

والآية تدل بمنطوقها على إثبات صفة الرضا للرب جل وعلا ؛ حيث أكرم الله ﷻ تلك الفئة المؤمنة من صحابة رسول الله ﷺ ممن بايعوه تحت الشجرة برضاه ؛ الذي هو مطلب كل عابد وغاية كل سالك .

ومن السنة – زيادةً على ما سبق – :

ما رواه أبو هريرة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : " إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثاً ؛ وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثاً " (٥) .

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١ / ٤٢٥) .

(٢) سورة المائدة ، الآية : ١١٩ .

(٣) سورة محمد ، الآية : ٢٨ .

(٤) سورة الفتح ، الآية : ١٨ .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الأقضية ، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة (٣ / ١٣٤٠ ، رقم ١٧١٥) .

وعن عائشة – رضي الله عنها – قالت : فقدت رسول الله ﷺ ليلةً من الفراش ؛ فالتمسته ، فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد وهما منصوبتان ، وهو يقول : "اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ ،وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ ؛ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ " (١) .

وعن بريدة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " لَا تَقُولُوا لِلْمُنَافِقِ سَيِّدٌ ؛ فَإِنَّهُ إِنْ يَكُ سَيِّداً فَقَدْ أَسْخَطْتُمْ رَبَّكُمْ ﷻ " (٢) .

والرضا صفة تقتضي محبة المرضي عنه والإحسان إليه ؛ أمّا السخط فصفة تقتضي كراهية المسخوط عليه ومعاداته ، وأهل السنة والجماعة يثبتون هاتين الصفتين لله تعالى على الوجه اللائق به سبحانه .

قال شيخ الإسلام أبو عثمان الصابوني – رحمه الله – : " وكذلك يقولون – أي بالإثبات – في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن ووردت بها الأخبار الصحاح : من السمع ، والبصر ، والعين ، والرضا ، والسخط " (٣) .

وقال الإمام أبو جعفر الطّحاوي – رحمه الله – في عقيدته : " والله يغضب ويرضى لا كأحدٍ من الورى " (٤) .

وقال الشارح ابن أبي العز – رحمه الله – :"ومذهب السلف وسائر الأئمة إثبات صفة : الغضب ، والرضى ، والعداوة ، والولاية ، والحب ، والبغض ، ونحو ذلك من الصفات التي ورد بها الكتاب والسنة ؛ ومنع التأويل الذي يصرفها عن حقائقها اللائقة بالله تعالى " (٥) .

وعلى هذا فلا يجوز نفي أي صفة من صفاته تعالى ، أو تأويلها بغير ما يدل عليه ظاهرها : كتأويل الرضا والسخط بأن المراد بهما : أمره ونهيه ، أو ثوابه وعقابه ، أو إرادته

---

(١) تقدم تخريجه ص ٩٨ .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الأدب ،باب لا يقول المملوك :ربي وربتي (٤ / ٢٩٥ ، رقم ٤٩٧٧) ، واللفظ له . والنسائي في سننه الكبرى ، كتاب عمل اليوم والليلة ، باب النهي عن أن يقال للمنافق : سيدنا (٦ / ٧٠ ، رقم ١٠٠٧٣) . وأحمد في مسنده – ط١٤٢١هـ = ٢٠٠١م – (٣٨ / ٢٢ – ٢٣ ، رقم ٢٢٩٣٩) . وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣ / ٢٢٢ ، رقم ٤٩٧٧) .

(٣) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص ١٦٥) .

(٤) شرح العقيدة الطحاوية (٢ / ٧٠٠) .

(٥) المرجع السابق (٢ / ٧٠١) .

الثواب لبعض عباده والعقاب لبعضهم [١] ؛ إذ إن هذه التأويلات تأويلات باطلة ؛ بل هي من قبيل تحريف الكلم عن مواضعه وصرف اللفظ عن ظاهره .

ويقال لمن يفرّق بين صفات الله تعالى ويؤول صفة الرضا والسخط بالإرادة :

لم نفيت صفة الرضا والسخط وأثبت الإرادة ؟ فإن ادّعى أن إثباتها فيه تشبيه للخالق بالمخلوق ؛ لأن الرضا : الميل والشهوة والرب منزّه عن ذلك ، فيقال له : وكذلك الإرادة والمشيئة في المخلوق : ميل الحي إلى الشيء أو إلى ما يلائمه ويناسبه ؛ فإن الحي لا يريد إلا ما يجلب له منفعة أو يدفع عنه مضرة ، وهو محتاج إلى ما يريده ومفتقر إليه ؛ ويزداد بوجوده وينتقص بعدمه ؛ والله تعالى منزّه عن ذلك .

فالمعنى الذي صرفت إليه اللفظ إذن : كالمعنى الذي صرفته عنه ؛ فإن جاز هذا جاز ذاك وإن امتنع هذا امتنع ذاك ؛ فيضطر إلى القول بأن للمخلوق إرادة تليق به وللرب إرادة تليق به .

ومن خلال قوله هذا ؛ يلزمه أن يقول كذلك في بقية الصفات: من الرضا ، والسخط ، والمحبة ، والرحمة ، والغضب ، والكراهية .

وإن لم يقل بهذا ؛ فإنه يكون بذلك قد وقع في التفريق بين صفات الله تعالى ؛ فلا يحلّ له حينئذ أن يثبت لله تعالى بعض الصفات وينفي عنه البعض الآخر [٢] .

وبالجملة : فصفات الله تعالى على ما يليق به ؛ وصفات المخلوق على ما يليق به .

رابعاً – الضحك :

دل حديث أبي هريرة ﷺ على صفة الضحك لله تعالى ، وذلك في قوله ﷺ عن آخر أهل الجنة كما عند مسلم : " فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ ، لَا أَكُونُ أَشْقَى خَلْقِكَ ؛ فَلَا يَزَالُ يَدْعُو اللَّهَ حَتَّى يَضْحَكَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْهُ ، فَإِذَا ضَحِكَ اللَّهُ مِنْهُ قَالَ : ادْخُلْ الْجَنَّةَ " .

والضحك من صفات الله ﷻ الدالة على رحمته وأنه رؤوف بعباده .

وقد ثبت وصف الله تعالى به في أحاديث نبوية ؛ ذكر بعض أهل العلم أنها بلغت حد التواتر .

قال الإمام القاسم بن سلّام [٣] – رحمه الله – لمّا سُئل عن الأحاديث : التي تروى في

---

(١) انظر : شرح النووي على صحيح مسلم (١٢ / ١٠- ١١) .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى (٣ / ١٧ – ١٨) . وشرح العقيدة الطحاوية (٢ / ٧٠١ – ٧٠٢) .

(٣) هو : القاسم بن سلام الهروي البغدادي ، أبو عبيد ،كان حافظاً للحديث وعلله ،عارفاً بالفقه والاختلاف ، رأساً في اللغة ، إماماً في القراءات ، ولي قضاء الثغور ، من كتبه : (غريب الحديث) ، و (الناسخ =

الرؤية ، والكرسي ، وضحك ربنا من قنوط عباده ، وإن جهنم لتمتلئ ، وأشباه هذه الأحاديث ؟ : " هذه الأحاديث حق لا شك فيها ؛ رواها الثقات بعضهم عن بعض " (١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – :" أحاديث الضحك متواترة عن النبي ﷺ ؛ وقد رواها الأئمة " (٢).

ومن الأحاديث الواردة – فضلاً عمّا سبق – في إثبات صفة الضحك ما يلي :

ما رواه أبو هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ ؛ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ يَدْخُلَانِ الْجَنَّةَ : يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ؛ فَيُقْتَلُ، ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَى الْقَاتِلِ ؛ فَيُسْتَشْهَدُ " (٣) .

وهذا من كمال رحمته وإحسانه ﷻ إلى عباده ؛ حيث هيأ الأسباب للرجلين لدخول الجنة .

وعن أبي رزين العقيلي ﷺ قال : قال النبي ﷺ : " ضَحِكَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ غِيَرِهِ (٤) " ، قال : قلت : يا رسول الله ، أو يضحك الرب ؟ قال : " نَعَمْ " ، قلت : لن نعدم من رب يضحك خيراً (٥) .

فجعل الأعرابي العاقل – بصحة فطرته – ضحكه سبحانه دليلاً على إحسانه وإنعامه ؛ فدل على أن هذا الوصف مقترن بالإحسان المحمود وأنه من صفات الكمال ؛ أمّا الشخص العبوس الذي لا يضحك فهو مذموم بذلك (٦) .

= والمنسوخ) ، توفي سنة ٢٢٤هـ . انظر : الطبقات الكبرى ، محمد بن سعد الزهري ، د.ط (بيروت : دار صادر ، د.ت) ، (٧ / ٣٥٥) . وتذكرة الحفاظ (٢ / ٤١٧– ٤١٨) .

(١) انظر : التمهيد (٧ / ١٤٩– ١٥٠) .

(٢) الفتاوى الكبرى (٥ / ٢٩٧) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير ، باب الكافر يقتل المسلم ثم يسلم (٣ / ١٠٤٠ ، رقم ٢٦٧١) ، واللفظ له . ومسلم في صحيحه ، كتاب الإمارة ، باب بيان الرجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة (٣ / ١٥٠٤ ، رقم ١٨٩٠) .

(٤) الغير : أي تغير الحال . انظر : النهاية في غريب الحديث ، مادة (غير) ، (٣ / ٤٠١) . ولسان العرب ، مادة (غير) ، (٥ / ٣٧) .

(٥) أخرجه ابن ماجه في سننه ، المقدمة ، باب فيما أنكرت الجهمية (١ / ٦٤ ، رقم ١٨١) ، واللفظ له . وأحمد في مسنده – ط١٤١٩هـ = ١٩٩٩م – (٢٦ / ١٠٦ ، رقم ١٦١٨٧) . وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١ / ٧٨ ، رقم ١٥١) .

(٦) انظر : مجموع الفتاوى (٦ / ١٢١) .

وانطلاقاً من هذه النصوص الحديثية التي تثبت صفة الضحك لله سبحانه ؛ اعتقد أهل العلم والإيمان وصفه تعالى به بدون تكييف ولا تمثيل ، بل على الوجه الأكمل اللائق بعظمته وجلاله وقدسيته .

قال الإمام أحمد – رحمه الله – : " يضحك الله ولا نعلم كيف ذلك إلا بتصديق الرسول " [(١)] .

وقال الإمام ابن خزيمة – رحمه الله – : " باب ذكر إثبات ضحك ربنا ﷻ "، ثم قال : " ولا يشبّه ضحكه بضحك المخلوقين وضحكهم كذلك ؛ بل نؤمن بأنه يضحك كما أعلم النبي ونسكت عن صفة ضحكه جل وعلا ؛ إذ الله ﷻ استأثر بصفة ضحكه لم يطلعنا على ذلك ؛ فنحن قائلون بما قال النبي ، مصدّقون بذلك بقلوبنا ، منصتون عمّا لم يبيّن لنا مما استأثر الله بعلمه " [(٢)] .

وقال الإمام أبو بكر الآجرّي [(٣)] – رحمه الله – :" باب الإيمان بأن الله ﷻ يضحك " ، ثم قال : " اعلموا – وفقنا الله وإياكم إلى الرشاد من القول والعمل – أن أهل الحق يصفون الله ﷻ بما وصف به نفسه ﷻ ، وبما وصفه به رسول الله ، وبما وصفه به الصحابة – رضي الله عنهم – وهذا مذهب العلماء ممن اتّبع ولم يبتدع ، ولا يقال فيه : كيف ؟ بل التسليم له والإيمان به أن الله ﷻ يضحك ؛ كذا روي عن النبي وعن صحابته ؛ ولا ينكر هذا إلا من لا يحمد حاله عند أهل الحق " [(٤)] .

وقال أبو القاسم الأصبهاني [(٥)] – رحمه الله – عند تعليقه على حديث : " يَضْحَكُ اللَّهُ

---

(١) انظر : الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة ، إسماعيل بن محمد الأصبهاني ، تحقيق : محمد بن ربيع المدخلي ، ط٢ (الرياض : دار الراية ، ١٤١٩هـ = ١٩٩٩م) ، (١ / ٤٧٣) .

(٢) كتاب التوحيد (٢ / ٥٦٣) .

(٣) هو : محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري ، أبو بكر ، أحد الحفاظ ، كان عالماً عاملاً ، صاحب سنة ، ديناً ثقة ، من مؤلفاته : (الأربعين) ، و (الشريعة) ، توفي سنة ٣٦٠ هـ . انظر : وفيات الأعيان (٤ / ٢٩٢- ٢٩٣) . وطبقات الحفاظ (ص ٣٧٩) .

(٤) الشريعة ، محمد بن الحسين الآجري ، تحقيق : د. عبد الله بن عمر الدميجي ، ط٢ (الرياض : دار الوطن ، ١٤٢٠ هـ = ١٩٩٩م) ، (٢ / ١٠٥١) .

(٥) هو : إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهاني ، أبو القاسم ، إمام أئمة وقته ، وأستاذ علماء عصره ، وقدوة أهل السنة في زمانه ، كان فاضلاً في العربية ومعرفة الرجال ، حافظاً للحديث ، من مؤلفاته : (الترغيب والترهيب) ، و (دلائل النبوة) ، توفي سنة ٥٣٥هـ . انظر : طبقات الشافعية (١ / ٣٠١ – ٣٠٢) . وطبقات المفسرين للسيوطي (ص ٣٧ – ٣٩) .

إِلَى رَجُلَيْنِ ... " [١] : " وأنكر قوم في الصفات الضحك ؛ وإذا صحّ الحديث لم يحلّ لمسلم رده وخيف على من يردّه الكفر .

قال بعض العلماء : من أنكر الضحك ؛ فقد جهل جهلاً شديداً ، ومن نسب الحديث إلى الضعف ، وقال : لو كان قوياً لوجب رده ؛ وهذا عظيم من القول أن يردّ قول رسول الله .

والحق : أن الحديث إذا صحّ عن النبي ؛ وجب الإيمان به ولا توصف صفته بكيفية ، ولكن نسلّم إثباتاً له وتصديقاً به " [٢] .

وضحك الرب من بعض عباده عند إتيانهم بأعظم أنواع محابه ؛ إنما هو ضحك فرح ومحبة .

يقول ابن القيّم – رحمه الله – وهو بصدد حديثه عن المحبة ، والفرح ، والضحك : "ومن هذا ضحكه سبحانه من عبده حين يأتي من عبوديته بأعظم ما يحبه ؛فيضحك سبحانه فرحاً ورضاً ، كما يضحك من عبده ؛ إذا ثار عن فراشه إلى خدمته يتلو آياته ويتملقه .

ويضحك من رجل هرب أصحابه عن العدو ؛ فأقبل إليه وباع نفسه لله ولقّاهم نحره حتى قتل في محبته ورضاه .

ويضحك إلى من أخفى الصدقة عن أصحابه لسائل اعترضهم فلم يعطوه ؛ فتخلّف بأعقابهم وأعطاه سراً حيث لا يراه إلا الله الذي أعطاه؛فهذا الضحك منه حباً له وفرحاً به .

وكذلك الشهيد حين يلقاه يوم القيامة ؛ فيضحك إليه فرحاً به وبقدومه عليه " [٣] .

ويتضح من النقول السابقة عن الأئمة الأعلام :

أنهم يثبتون صفة الضحك لله تعالى على المعنى الذي يليق به سبحانه ؛ من غير تشبيهه بضحك المخلوقين ، ولا تأويله على خلاف ظاهره .

وقد أطال الإمام أبو سعيد الدّارِمي [٤] – رحمه الله – في الرد على من يؤول ضحك

---

(١) تقدم تخريجه ص ١٨٦.

(٢) الحجة في بيان المحجة (٢ / ٤٩١) .

(٣) مدارج السالكين (١ / ٢١٦) .

(٤) هو : عثمان بن سعيد بن خالد الدارمي ، أبو سعيد ، أحد الأعلام الثقات ، كان إماماً في الحديث والفقه ، واسع الرحلة ، من كتبه : (الرد على الجهمية) ، و (المسند الكبير) ، توفي سنة ٢٨٠هـ . انظر : المعين في طبقات المحدثين ، محمد بن أحمد الذهبي ، تحقيق : د. همام عبد الرحيم سعيد ، ط١ (عمان : دار الفرقان ، ١٤٠٤هـ) ، (ص ١٠٤) . وطبقات الشافعية الكبرى (٢ / ٣٠٢ – ٣٠٦) .

الرب جل وعلا برضاه ، أو برحمته ، أو بصفحه عن الذنوب ،أو بإضحاكه بعض مخلوقاته ؛ وبيّن أن هذه التأويلات تكذيباً للأحاديث التي رويت بإثبات الضحك لله تعالى ، ثم سرد بسنده مجموعة طيبة من تلك الأحاديث (١) .

خامساً – التجلّي ورؤية الله تعالى في الآخرة :

دل حديثا أبي هريرة وأبي سعيد الخدري – رضي الله عنهما – على تجلّي الله تعالى ورؤية عباده له في الآخرة عياناً ؛ وأنهم لن يضارّوا في رؤيته كما لا يضارّون في رؤية الشمس والقمر ، وذلك في قوله ﷺ من حديث أبي هريرة ﷺ كما عند البخاري : " هَلْ رَأَيْتُم السَّعْدَانَ ؟ " ، قالوا : نعم ، يا رسول الله ، قال : " فَإِنَّهَا مِثْلُ : شَوْكِ السَّعْدَانِ ، غَيْرَ أَنَّهُ لاَ يَعْلَمُ مَا قَدْرُ عِظَمِهَا إِلَّا اللَّهُ ؛ تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ : فَمِنْهُمُ الْمُوبَقُ بَقِيَ بِعَمَلِهِ – أو الْمُوثَقُ بِعَمَلِهِ – وَمِنْهُمُ الْمُخَرْدَلُ ، أَوِ الْمُجَازَى ، أَوْ نَحْوُهُ ، ثُمَّ يَتَجَلَّى " .

وكما عند الترمذي : " أَتُضَامُونَ فِي رُؤْيَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ وَتُضَامُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ ؟ " قالوا : لا ، قال : " فَإِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ القَمَرَ لَيْلَةَ البَدْرِ لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ " .

وفي قوله ﷺ من حديث أبي سعيد ﷺ كما عند البخاري : " إن أناساً في زمن النبي ﷺ قالوا : يا رسول الله ، هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال النبي ﷺ : " نَعَمْ ، هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ ضَوْءٌ لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ ؟ " ، قالوا : لا ، قال : " وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ ضَوْءٌ لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ ؟ " ، قالوا : لا ، قال النبي ﷺ : " مَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ اللَّهِ ﷻ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا " .

والتجلّي : هو " الظهور والبيان " (٢) ، ومعنى هذه الصفة : أن الله تعالى يظهر نفسه لعباده في الآخرة فيرونه .

والتجلّي صفة ثابتة لله ﷻ بالكتاب والسنة .

فمن الكتاب :

قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ

(١) انظر : نقض الإمام عثمان بن سعيد الدارمي على المريسي الجهمي العنيد ،عثمان بن سعيد الدارمي، تحقيق : رشيد بن حسن الألمعي ، ط١ (الرياض : مكتبة الرشد ، ١٤١٨هـ = ١٩٩٨م) ، (٢ / ٧٦٩ – ٧٩٨) .

(٢) تهذيب اللغة ، مادة (جلا) ، (١١ / ١٢٧) .

ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ ﴾ [1] .

ومن السنة – غير ما سبق – :

ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية : ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا ﴾ [2] ، قال حمّاد [3] : هكذا ؛ وأمسك سليمان [4] بطرف إبهامه على أنملة إصبعه اليمنى ، قال : " فَسَاخَ [5] الْجَبَلُ " ﴿ وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ ﴾ [6] [7] .

وأهل السنة والجماعة يثبتون صفة التجلّي لله تعالى كما يليق بجلاله وعظيم سلطانه .

يقول الإمام الترمذي – رحمه الله – مبيّناً معنى قوله ﷺ في الحديث : " فَيُعَرِّفُهُمْ نَفْسَهُ " : " يعني : يتجلّى لهم " [8] .

ويقول الإمام ابن عبد البرّ – رحمه الله – : " وقول رسول الله ﷺ : " يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا " [9] عندهم مثل قول الله عز وجل : ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ ﴾ [10] ، ومثل

---

(١) سورة الأعراف ، من الآية : ١٤٣ .

(٢) سورة الأعراف ، من الآية : ١٤٣ .

(٣) هو : حماد بن سلمة بن دينار البصري ، أبو سلمة ، أحد الأعلام ، ثقة عابد ، روى له الجماعة ، توفي سنة ١٦٧هـ . انظر : الكاشف (١ / ٣٤٩) . وتقريب التهذيب (ص ١٧٨) .

(٤) هو : سليمان بن حرب الأزدي الواشحي ، قاضي مكة ، ثقة إمام حافظ ، كثير الحديث ، روى له الجماعة ، توفي سنة ٢٢٤هـ . انظر : تهذيب الكمال (١١ / ٣٨٤ – ٣٩٣) . وتقريب التهذيب (ص ٢٥٠) .

(٥) فساخ : يقال : ساخ في الأرض إذا دخل فيها وغاب .انظر : النهاية في غريب الحديث ، مادة (صيخ) ، (٣ / ٦٥) . وتاج العروس ، مادة (سوخ) ، (٧ / ٢٧٥) .

(٦) سورة الأعراف ، من الآية : ١٤٣ .

(٧) أخرجه الترمذي في جامعه ، كتاب تفسير القرآن،باب ومن سورة الأعراف (٥ / ٢٦٥ ، رقم ٣٠٧٤) ، وقال : " هذا حديث حسن غريب صحيح " ، واللفظ له . والحاكم في المستدرك (٢ / ٦٣٠ ، رقم ٤١٠٤) ، وقال : " هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه " . وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣ / ٢٣٩ ، رقم ٣٠٧٤) .

(٨) سنن الترمذي (٤ / ٦٩٢) .

(٩) تقدم تخريجه في هامش ٢ ص ١٥١ .

(١٠) سورة الأعراف ، من الآية : ١٤٣ .

قوله : ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [١] .

كلهم يقول : يترل ، ويتجلّى ، ويجيء بلا كيف ، لا يقولون : كيف يجيء ؟ وكيف يتجلّى ؟ وكيف يترل ؟ ولا من أين جاء ؟ ولا من أين تجلّى ؟ ولا من أين يترل ؟ لأنه ليس كشيء من خلقه وتعالى عن الأشياء ؛ ولا شريك له " [٢] .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : " وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة : أنه إذا تجلّى لهم يوم القيامة ؛ سجد له المؤمنون ، ومن كان يسجد في الدنيا رياءً ؛ يصير ظهره مثل : الطبق " [٣] .

والبحث في رؤية الله تبارك وتعالى في الدار الآخرة من أجلّ وأعظم مسائل الاعتقاد ، كما وصف ذلك ابن أبي العز – رحمه الله – حين قال : " وهذه المسألة من أشرف مسائل أصول الدين وأجلّها ؛ وهي الغاية التي شمّر إليها المشمّرون ، وتنافس فيها المتنافسون ؛ وحرمها الذين هم عن ربهم محجوبون ، وعن بابه مطرودون " [٤] .

وهي أعظم نعيم الجنة .

يقول الإمام ابن القيّم – رحمه الله – : " فأعظم نعيم الآخرة ولذاتها : هو النظر إلى وجه الرب ﷻ ، وسماع كلامه منه ، والقرب منه ؛ كما ثبت في الصحيح في حديث الرؤية " [٥] .

وسيكون الحديث عن موضوع الرؤية من خلال المسائل التالية :

المسألة الأولى : الأدلة على رؤية المؤمنين ربهم في الآخرة :

إن رؤية المؤمنين لله تعالى في الآخرة من المسائل التي تضافرت على إثباتها دلائل : الكتاب ، والسنة ، والإجماع ، والعقل ، وفيما يلي بيان ذلك :

أ – دلالة الكتاب :

ومن أدلة الكتاب :

---

(١) سورة الفجر ، الآية : ٢٢ .

(٢) التمهيد (٧ / ١٥٣) .

(٣) مجموع الفتاوى (٢٣ / ٧٦) .

(٤) شرح العقيدة الطحاوية (١ / ٢٨٥) .

(٥) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء) ، محمد بن أبي بكر الزرعي (ابن القيم) ، د.ط (بيروت : دار الكتب العلمية ، د.ت) ، (ص ١٦٧) .

قوله سبحانه : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ (١) .

والزيادة : هي النظر إلى وجه الله تعالى ، كما فسّرها بذلك النبي ﷺ في حديث صهيب رضي الله عنه الذي قال فيه : " إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ " ، قال : " يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : تُرِيدُونَ شَيْئاً أَزِيدُكُمْ ، فَيَقُولُونَ : أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا ؛ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنْ النَّارِ " ، قال : " فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ ؛ فَمَا أُعْطُوا شَيْئاً أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عز وجل " ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ (٢) (٣) .

وقد فسّرها بذلك أيضاً جمع من الصحابة – رضوان الله عنهم –: كأبي بكر الصّدّيق ، وحذيفة بن اليمان ، وأبي موسى الأشعري ، وابن عباس ، وسعيد بن المسيّب ، وعبادة بن الصامت ، وغيرهم (٤) ؛ وهذا هو تفسيرها الصحيح .

وقوله عز وجل : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ (٥) .

والآية ظاهرة الدلالة على إثبات الرؤية ،فقد قال عكرمة (٦)– رحمه الله – في تفسيرها : " تنظر إلى ربها نظراً " (٧) .

وقال الحسن البصري (٨) – رحمه الله – :" وحقّ لها أن تنضر ؛ وهي تنظر إلى

---

(١) سورة يونس ، من الآية : ٢٦ .

(٢) سورة يونس ، من الآية : ٢٦ .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى (١ / ١٦٣ ، رقم ١٨١) .

(٤) انظر : تفسير البغوي (٢ / ٣٥١) . وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢ / ٤١٥) .

(٥) سورة القيامة ، الآيات : ٢٢ – ٢٣ .

(٦) هو : عكرمة ، أبو عبد الله ، مولى ابن عباس – رضي الله عنهما – ثقة ثبت ، عالم بالتفسير ، روى له الجماعة ، توفي سنة ١٠٤هـ . انظر : الكاشف (٢ / ٣٣) . وتقريب التهذيب (ص ٣٩٧) .

(٧) أخرجه الطبري في جامع البيان (٢٩ / ١٩٢) . واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣ / ٤٦٥ ، رقم ٨٠٣) . وقال ابن حجر في فتح الباري (١٣ / ٤١٩ ، ٤٢٥) : " أخرجه الطبري بسند صحيح عن عكرمة " .

(٨) هو : الحسن بن يسار البصري ، أبو سعيد ، الفقيه القارئ ، الزاهد العابد ، إمام أهل البصرة ، من بحور العلم ، كان رأساً في القرآن والحديث ، كبير الشأن ، عديم النظر ، روى له الجماعة ، من كتبه : (فضائل مكة) ، توفي سنة ١١٠هـ . انظر : تذكرة الحفاظ (١ / ٧١ – ٧٢) . والوافي بالوفيات (١٢ / ١٩٠– ١٩١) .

الخالق " [(١)] .

وقوله تعالى : ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴾ [(٢)] .

قال الإمام مالك – رحمه الله – في بيان وجه الدلالة على الرؤية من الآية : " لمّا حجب أعداءه فلم يروه ؛ تجلّى لأوليائه حتى رأوه " [(٣)] .

وقال الإمام الشافعي – رحمه الله – : " في الآية دلالة على أن أولياء الله يرون رهم يوم القيامة " [(٤)] .

ب – دلالة السنة :

لقد نص أهل العلم على تواتر أحاديث الرؤية ، وممن نص على ذلك منهم – رحمهم الله – : شيخ الإسلام ابن تيمية [(٥)] ، والحافظ ابن حجر [(٦)] ، والشوكاني [(٧)] ، والعلامة الكتّاني [(٨)] [(٩)] .

ومن جملة تلك الأحاديث – فضلاً عمّا سبق – :

ما رواه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : " جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا ، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا ، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ ؛ إِلَّا رِدَاءُ الْكِبْرِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ " [(١٠)] .

---

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (١ / ٢٦١ ، رقم ٤٧٩) . والطبري في جامع البيان (٢٩ / ١٩٢) ، واللفظ له . والبيهقي في الاعتقاد (ص ١٢٦) . وقال محقق السنة : " رجاله ثقات " .

(٢) سورة المطففين ، الآية : ١٥ .

(٣) انظر : تفسير البغوي (٤ / ٤٦٠) .

(٤) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣ / ٤٦٨ ، رقم ٨٠٩) .

(٥) انظر : درء تعارض العقل والنقل (٧ / ٣٠) .

(٦) انظر : فتح الباري (٨ / ٣٠٢) .

(٧) انظر : فتح القدير (٥ / ٣٤٠) .

(٨) هو : محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني ، أبو عبد الله ، مؤرخ محدث فقيه ، ومشارك في بعض العلوم ، رحل إلى المشرق وجاور بالمدينة ، له عدة مؤلفات ، منها : (الرسالة المستطرفة) ، و (نظم المتناثر) ، توفي سنة ١٣٤٥هـ . انظر : الأعلام (٦ / ٧٢ – ٧٣) . ومعجم المؤلفين (٣ / ١٩٢) .

(٩) انظر : نظم المتناثر من الحديث المتواتر ، محمد بن جعفر الكتاني ، تحقيق:شرف حجازي ، د.ط (القاهرة : دار الكتب السلفية ، د.ت) ، (ص ٢٣٩) .

(١٠) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى:﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴾ [سورة القيامة ، الآيات : ٢٢ – ٢٣] (٦ / ٢٧١٠ ، رقم ٧٠٠٦) . ومسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى (١ / ١٦٣ ، رقم ١٨٠) .

وعن أبي رزين العقيلي ﷺ قال : قلت : يا رسول الله ، أنرى الله يوم القيامة وما آية ذلك في خلقه ؟ قال : " يا أَبَا رَزِينٍ ، أَلَيْسَ كُلُّكُمْ يَرَى الْقَمَرَ مُخْلِياً بِهِ ؟ " ، قال : قلت : بلى ، قال : " فَاللَّهُ أَعْظَمُ ، وَذَلِكَ آيَةٌ فِي خَلْقِهِ " (١) .

ج – دلالة الإجماع :

أجمع السلف الصالح على أن المؤمنين سيرون ربهم يوم القيامة .

قال أبو الحسن الأشعري – رحمه الله – : " وأجمعوا على أن المؤمنين يرون الله ﷻ يوم القيامة بأعين وجوههم " (٢) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : " أجمع سلف الأمة وأئمتها على أن المؤمنين يرون الله بأبصارهم في الآخرة " (٣) .

د – دلالة العقل :

لقد ذكر أهل العلم عدداً من الأدلة على إثبات الرؤية من جهة العقل ، ومنها ما يلي (٤) :

الدليل الأول : دليل الوجود ؛ فإن وجود الله ﷻ دليل على جواز رؤيته ، والذي لا يجوز أن يُرى هو المعدوم .

الدليل الثاني : رؤية الله تعالى للأشياء ؛ ومن المعلوم أنه لا يرى الأشياء من لا يرى نفسه ، وأن من كان لنفسه رائياً جائز عليه أن يرينا نفسه .

هذا وقد نص العلماء من أهل السنة والجماعة على رؤية المؤمنين لربهم : من غير تفريق بين مطيعهم ، وعاصيهم ، ومعذّبهم ، وناجيهم ، ومن أقوالهم في ذلك :

قال الإمام ابن خزيمة – رحمه الله – : " باب ذكر البيان إن رؤية الله التي يختص بها أولياؤه يوم القيامة هي التي ذكر في قوله : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ (٥) " ،

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب السنة ، باب في الرؤية (٤ / ٢٣٤ ، رقم ٤٧٣١).وابن ماجه في سننه ، المقدمة ، باب فيما أنكرت الجهمية (١ / ٦٤ ، رقم ١٨٠) ، واللفظ له . وأحمد في مسنده – ط١٤١٩هـ = ١٩٩٩م – (٢٦ / ١٠٥ ، رقم ١٦١٨٦) . وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣ / ١٥٧ ، رقم ٤٧٣١) ، وصحيح سنن ابن ماجه (١ / ٧٨ ، رقم ١٥٠) .

(٢) رسالة إلى أهل الثغر (ص ٢٣٧) .

(٣) مجموع الفتاوى (٦ / ٥١٢) .

(٤) انظر : الإبانة عن أصول الديانة (ص ٥١ – ٥٢) .

(٥) سورة القيامة ، الآيات : ٢٢ – ٢٣ .

ثم قال : " ويفضّل بهذه الفضيلة أولياءه من المؤمنين ؛ ويحجب جميع أعدائه عن النظر إليه : من مشرك ، ومتهوّد ، ومتنصّر ، ومتمجّس ، ومنافق ؛ كما أعلم في قوله : ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [(١)] .

وهـــذا نظر أوليـــاء الله إلى خالقهم جل ثناؤه بعد دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ؛ فيزيد الله المؤمنين كرامةً وإحساناً إلى إحسانه ؛ تفضّلاً منه وجوداً بإذنه إياهم النظر إليه ؛ ويحجب عن ذلك جميع أعدائه " [(٢)] .

وقال الإمام أبو جعفر الطّحاوي – رحمه الله – : " والرؤية حق لأهل الجنة بغير إحاطة ولا كيفية " [(٣)] .

وقال الإمام ابن بطّة العُكبَري – رحمه الله – : "باب الإيمان بأن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة بأبصار رؤوسهم ؛ فيكلّمهم ويكلّمونه لا حائل بينه وبينهم ولا ترجمان " ، ثم قال : " اعلموا – رحمكم الله – أن أهل الجنة يرون ربهم يوم القيامة " [(٤)] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في معرض الحديث عن أقوال الناس في هذا الموضوع : " فالصحابة ، والتابعون ، وأئمة المسلمين على أن الله يُرى في الآخرة بالأبصار عياناً " [(٥)] .

وقال الإمام ابن القيّم – رحمه الله – : " قد دل القران ، والسنة المتـــواترة ، وإجمـــاع الصحابة ، وأئمة الإسلام ، وأهل الحديث عصابة الإسلام ، ونزل الإيمان ، وخاصة رسول الله ﷺ على أن الله ﷻ يُرى يوم القيامة بالأبصار عياناً ، كما يُرى القمر ليلة البدر صحواً ، وكما ترى الشمس في الظهيرة .

فإن كان لما أخبر به الله ورسوله عنه من ذلك حقيقة – وإن له والله حق الحقيقة – فلا يمكن أن يروه إلا من فوقهم ؛ لاستحالة أن يروه من أسفل منهم ، أو خلفهم ،أو أمامهم ، أو عن يمينهم ، أو عن شمالهم " [(٦)] .

---

(١) سورة المطففين ، الآية : ١٥ .

(٢) كتاب التوحيد (٢ / ٤٤٣) .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية (١ / ٢٨٤) .

(٤) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية (٣ / ١) .

(٥) مجموع الفتاوى (٢ / ٣٣٦) .

(٦) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ، محمد بن أبي بكر الزرعي (ابن القـــيم) ، د.ط (بـــيروت : دار الكتـــب العلمية ، د.ت) ، (ص ٢٤١) .

ويتضح من خلال ما سبق :

أن أهل السنة أثبتوا الرؤية على حقيقتها وهي رؤية العين ؛ كما أثبتوا كذلك لازمها وهي الجهة – أي جهة العلو – من غير إحاطة ولا كيفية .

المسألة الثانية : شبهات منكري الرؤية والرد عليها :

على الرغم من تظاهر الأدلة : النقلية والعقلية على إثبات الرؤية في الآخرة للمؤمنين ؛ إلا أنه وجد من أهل البدع من نفاها : كالخوارج [١] ، والمعتزلة ، وغيرهم ؛ لأنهم يرون أن القول بإمكانية الرؤية هدم للتنزيه ؛ فوقعوا فيما هو أفظع منه وهو التعطيل [٢] ؛ ولهذا قال الإمام أحمد – رحمه الله – عنهم : " من زعم أن الله لا يُرى في الآخرة ؛ فقد كفر بالله ، وكذّب بالقرآن ، وردّ على الله أمره ؛ يستتاب فإن تاب وإلا قُتل " [٣] .

وقال الإمام ابن خزيمة – رحمه الله – : " إن العلماء لم يختلفوا أن جميع المؤمنين يرون خالقهم في الآخرة ؛ومن أنكر رؤية المؤمنين خالقهم يوم المعاد فليسوا بمؤمنين عند المؤمنين ؛ بل هم أسوأ حالاً في الدنيا عند العلماء من اليهود ، والنصارى ، والمجوس " [٤] .

ولمّا كانت حجج الفرق المخالفة لا تخرج عن حجج المعتزلة ؛ فسيكتفى بإيراد شبه المعتزلة مع الرد عليها .

ولقد سلكت المعتزلة في سبيل تأييد قولها ونصرته مسلكين :

المسلك الأول : الاعتراض على استدلالات أهل السنة .

---

(١) الخوارج : هم الجماعة الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي ﷺ ممن كان معه في حرب صفين ، ونادوا : بأنه لا حكم إلا لله تعالى .
وهم عدة فرق ، يجمعهم القول بالتبري من عثمان وعلي – رضي الله عنهما – وتكفير أصحاب الكبائر ، والخروج على الإمام إذا خالف السنة . انظر : الفرق بين الفرق (ص ٥٤ – ٩٢) . والملل والنحل (١ / ١١٤– ١٣٨) .

(٢) انظر معتقد المعتزلة في: شرح الأصول الخمسة ، عبد الجبار بن أحمد الهمداني ، تحقيق : د. عبد الكريم عثمان ، ط٣ (القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٤١٦هـ = ١٩٩٦م) ، (ص ٢٣٢ – ٢٣٣) . والكشاف بحاشية ابن المنير (٦ / ٢٧٠) .
وانظر معتقد الخوارج في : شرح النووي على صحيح مسلم (٣ / ١٥) . ومنهاج السنة النبوية ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، تحقيق : د. محمد رشاد سالم ، ط١(القاهرة : مؤسسة قرطبة ، ١٤٠٦هـ) ، (٢ / ٣١٥) .

(٣) انظر : طبقات الحنابلة (١ / ١٤٥) .

(٤) كتاب التوحيد (٢ / ٥٨٧) .

المسلك الثاني : الاستدلال لمذهبهم .

وسوف يتم عرض كلا المسلكين بالنقد والتمحيص ؛ ليستبين ضعف ما بنوا عليه مذهبهم وفساده .

المسلك الأول : الاعتراض على استدلالات أهل السنة :

لقد اعترضت المعتزلة على ما أورده أهل السنة من أدلة باعتراضات ، منها :

الاعتراض الأول : أنه لا يجوز حمل الزيادة الواردة في قوله تعالى : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [١] على رؤية الله تعالى ؛ ودللوا على انتفاء ذلك بأمور ، وهي [٢] :

١- الأدلة العقلية الدالة على امتناع رؤية الله تعالى .

٢- أن الزيادة يجب أن تكون من جنس المزيد عليه .

٣- أن الخبر الذي تمسك به أهل السنة في هذا الباب ؛ هو ما ورد أن الزيادة : هي النظر إلى الله تعالى ؛ وهذا الخبر يوجب التشبيه ولذا يجب حمله على شيء آخر: كالتفضّل ، أو تضعيف الحسنات ، أو مغفرة الله تعالى ورضوانه ؛ وعليه فلا يصحّ حمل الزيادة على الرؤية ؛ وإلا أصبح ذلك تكلّفاً وقولاً على الله تعالى بغير علم .

وقد أجاب أهل السنة عن هذا الاعتراض بما يلي :

١- أمّا قولهم بأن الأدلة العقلية قد دلت على امتناع الرؤية لله تعالى ؛ فهذا غير مسلّم به ؛ وقد سبق الحديث عن أن العقل يدل على الرؤية ويجيزها [٣] .

٢- وأمّا زعمهم بأن الزيادة يجب أن تكون من جنس المزيد عليه بخلاف الرؤية ؛ فقد رد هذا الإمام الرازي – رحمه الله – حيث قال : " المزيد عليه إذا كان مقدّراً بمقدار معيّن ؛ وجب أن تكون الزيادة عليه مخالفة له .

مثال الأول : قول الرجل لغيره : أعطيتك عشرة أمداد من الحنطة وزيادة ؛ فهاهنا يجب أن تكون تلك الزيادة من الحنطة .

ومثال الثاني : قوله أعطيتك الحنطة وزيادة ؛ فهاهنا يجب أن تكون تلك الزيادة غير

---

(١) سورة يونس ، من الآية : ٢٦ .

(٢) انظر : الكشاف بحاشية ابن المنير (٣ / ١٣٠- ١٣١) . ومفاتيح الغيب (١٧ / ٦٣) .

(٣) انظر : ص ١٩٤ .

الحنطة .

والمذكور في هذه الآية لفظ : ﴿ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ (١) وهي الجنة ، وهي مطلقة غير مقدّرة بقدر معيّن ؛ فوجب أن تكون تلك الزيادة عليها شيئاً مغايراً لكل ما في الجنة " (٢) .

٣- وأمّا دعوى التشبيه فغير مسلّمة ؛ ولا يمكن ترك النصوص القطعية لمجرّد هذه الدعوى ، كما أن ما ذُكر من أوجه تفسير الزيادة لا ينافي تفسيرها بالرؤية .

يقول الإمام ابن جرير الطّبري – رحمه الله – بعد أن ذكر أقوال المفسّرين في الزيادة : كمن فسّرها بتضعيف الحسنات ، أو بالمغفرة والرضوان ، ومن فسّرها بالرؤية : " وغير مستنكر من فضل الله أن يجمع ذلك لهم ؛ بل ذلك كله مجموع لهم إن شاء الله ؛ فأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن يعمّ كما عمّه عز ذكره " (٣) .

الاعتراض الثاني :أن المراد بالنظر الوارد في قوله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ (٤) : هو انتظار الثواب لا النظر بالأبصار (٥) .

وقد أجاب أهل السنة عن هذا الاعتراض : بأن تفسير النظر في الآية بمعنى : الانتظار خطأ بيّن ؛ لأن النظر إذا عدّي بإلى يكون معناه : المعاينة بالأبصار ، كما أن تعدية النظر بإلى ثم إضافة ذلك إلى الوجه ؛ من أدل الدلائل على أن إطلاق النظر إلى الله تعالى في هذه الآية ظاهر في نظر الأبصار (٦) .

وأمّا ما يروى عن بعض السلف من تأويلهم للآية ؛ فهو قول مهجور وليس بمرضي عند عامتهم ، وهذا مثل : ما نُقل عن مجاهد – رحمه الله – من تأويله لناظرة بمعنى : منتظرة للثواب ؛ فهذا الرأي الذي تفرد به عدّه العلماء شذوذاً منه .

قال الإمام ابن عبد البرّ – رحمه الله – : " مجاهد وإن كان أحد الأئمة بالتأويل ؛ فإن له قولين مهجورين عند أهل العلم :

---

(١) سورة يونس ، من الآية : ٢٦ .
(٢) مفاتيح الغيب (١٧ / ٦٤) .
(٣) جامع البيان (١١ / ١٠٨) .
(٤) سورة القيامة ، الآيات : ٢٢ – ٢٣ .
(٥) انظر : الرد على الزنادقة (ص ٣٣) . وشرح الأصول الخمسة (ص ٢٤٥) .
(٦) انظر : حادي الأرواح (ص ٢٠٤) . وشرح العقيدة الطحاوية (١ / ٢٨٦) .

أحدهما : هذا يعني : أن الله سبحانه يجلس نبيه ﷺ معه على كرسيه .

والثاني : في تأويل : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [١] ، قال معناه : تنتظر الثواب وليس من النظر " [٢] .

وقد ألزم الإمام أبو سعيد الدّارِمي – رحمه الله – النفاة : من المعتزلة وغيرهم ؛ بأنهم إن قبلوا أثر مجاهد – رحمه الله – فهل لهم أن يقبلوا ما ورد عنه وعن غيره من التابعين من الآثار الكثيرة التي تثبت الرؤية ؟ وإلا كان قبولهم لهذا الأثر ؛ اتّباعاً للهوى وشذوذاً عن الحق [٣] ؛ ولا شك أن هذا إلزام قوي في محلّه .

كما أن تأويل النظر بانتظار الثواب ؛ مستبعد من جهة العقل .

يقول التفتازاني [٤] – رحمه الله – : " بأن سوق الآية لبشارة المؤمنين والإخبار بانتظارهم النعمة والثواب لا يلائم ذلك ؛ بل ربما ينافيه ؛ لأن الانتظار موتاً أحمر ؛ فهو بالغم ، والحزن ، والقلق ، وضيق الصدر أجدر " [٥] .

الاعتراض الثالث :رد الاستدلال بأحاديث السنة ؛ بدعوى أنها أحاديث آحاد لا تثبت بها العقائد [٦] .

والجواب عن هذا الاعتراض أن يقال لهم :

١– إن أهل العلم بالحديث قد نصوا صراحةً على تواتر أحاديث الرؤية ، وقد تقدم ذكر من نص على ذلك [٧]؛ مما يدل على أن هذه الدعوى مردودة على أصحابها بلا شك .

٢– إن الاحتجاج بخبر الآحاد في العقيدة ؛ أحد الأصول الكبار التي ميّزت أهل السنة

---

(١) سورة القيامة ، الآيات : ٢٢ – ٢٣ .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن (١٠ / ٣١١) .

(٣) انظر : الرد على الجهمية ، عثمان بن سعيد الدارمي ، تحقيق : بدر بن عبد الله البدر ، ط١ (الكويت : الدار السلفية ، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م) ، (ص ١٠٨ – ١٠٩) .

(٤) هو : مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني ، فقيه حنفي ، أخذ عن أكابر أهل العلم في عصره ؛ وفاق في النحو ، والصرف ، والمنطق ، والمعاني ، والبيان ، والأصول ، والتفسير ، والكلام ، رحل إليه الطلبة من كل مكان ، من مؤلفاته : (شرح العقائد النسفية) ، و (مقاصد الطالبين) ، توفي سنة ٧٩٢هـ . انظر : البدر الطالع (٢ / ٣٠٣ – ٣٠٥) . وهدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، إسماعيل باشا البغدادي ،د.ط(بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٣هـ = ١٩٩٢م) ، (٦ / ٤٢٩ – ٤٣٠) .

(٥) شرح المقاصد (٢ / ١١٦) .

(٦) انظر ما قاله القاضي عبد الجبار في : شرح الأصول الخمسة (ص ٢٦٩) .

(٧) انظر : ص ١٩٣ .

والجماعة عن غيرهم من الطوائف ؛ فخبر الآحاد إذا صحّ وتلقّي بالقبول يفيد العلم ، ويحتج به في باب الاعتقاد كما يحتج به في باب الأحكام على الصحيح عند المحققين (١) ، والمسألة مبسوطة بأدلتها في كتب أهل العلم لمن أراد الاستزادة (٢) .

المسلك الثاني : الاستدلال لمذهبهم :

لقد تمسكت المعتزلة وموافقوها في قولهم بنفي الرؤية بأدلة من القرآن الكريم ؛ زعموا أنها تؤيد مذهبهم ، ومنها ما يلي :

الدليل الأول : قوله تعالى : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ (٣) .

ووجه الدلالة عندهم : أنه تعالى نفى عن نفسه إدراك الأبصار له ؛ فكان ذلك ظاهراً في نفي الرؤية (٤) .

وأجاب العلماء عن ذلك :بأن المنفي هو الإحاطة لا مطلق البصر بمعنى : أن رؤية المؤمنين ربهم لا تعني أنهم يحيطون به سبحانه .

وممن ذهب إلى هذا التفسير : عطية العوفي (٥) – رحمه الله – حيث قال : " هم ينظرون إلى الله لا تحيط أبصارهم به من عظمته ؛ وبصره يحيط بهم " (٦) .

وعن قتادة (٧) – رحمه الله – في قوله تعالى : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴾ (٨)

---

(١) انظر : المسودة في أصول الفقه (ص ٢٢٣ – ٢٢٤) .

(٢) انظر – على سبيل المثال – : الإحكام في أصول الأحكام ، علي بن أحمد بن حزم ، ط١ (القاهرة : دار الحديث ، ١٤٠٤هـ) ، (١ / ١٠٣ – ١٢٨) .

(٣) سورة الأنعام ، الآية : ١٠٣ .

(٤) انظر : شرح الأصول الخمسة (ص ٢٣٣) .

(٥) هو : عطية بن سعد بن جنادة العوفي ، أبو الحسن ، تابعي معروف ، ضعيف الحفظ ، مشهور بالتدليس ، روى له : البخاري ، وأبو داود ، والترمذي ، وابن ماجه ، توفي سنة ١١١هـ . انظر : تهذيب الكمال (٢٠ / ١٤٥– ١٤٩) . وطبقات المدلسين ، أحمد بن علي العسقلاني (ابن حجر) ، تحقيق : د. عاصم بن عبد الله القريوتي ، ط١ (عمان : مكتبة المنار ، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م) ، (ص ٥٠) .

(٦) أخرجه الطبري في جامع البيان (٧ / ٢٩٩) .

(٧) هو : قتادة بن دعامة السدوسي ، أبو الخطاب ، تابعي ثقة ، حافظ مفسر ، روى له الجماعة ، توفي سنة ١١٧هـ ، وقيل : ١١٨هـ . انظر : معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم ، أحمد بن عبد الله العجلي ، تحقيق : عبد العليم عبد العظيم البستوي ، ط١ (المدينة المنورة : مكتبة الدار ، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م) ، (٢ / ٢١٥) . والكاشف (٢ / ١٣٤) .

(٨) سورة الأنعام ، من الآية : ١٠٣ .

قال : " وهو أعظم من أن تدركه الأبصار" [١] .

كما رد هذه الدعوى الإمام ابن حزم [٢] – رحمه الله – حيث قال : " واحتجت المعتزلة بقول الله ﷻ : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴾[٣] ولا حجة لهم فيه ؛ لأن الله تعالى إنما نفى الإدراك ، والإدراك عندنا في اللغة : معنى زائد على النظر والرؤية ، وهو معنى : الإحاطة ؛ وليس هذا المعنى في النظر والرؤية ؛ فالإدراك منفي عن الله تعالى على كل حال في الدنيا والآخرة .

برهان ذلك قول الله ﷻ : ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾ [٤] .

ففرّق الله ﷻ بين الإدراك والرؤية فرقاً جلياً ؛ لأنه تعالى أثبت الرؤية بقوله : ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ ﴾ [٥] ، وأخبر تعالى : أنه رأى بعضهم بعضاً ؛ فصحّت منهم الرؤيا لبني إسرائيل ، ونفى الله الإدراك بقول موسى عليه السلام لهم : ﴿ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾[٦] ، فأخبر الله تعالى : أنه رأى أصحاب فرعون بني إسرائيل و لم يدركوهم .

ولا شك في أن ما نفاه الله تعالى ﷻ فهو غير الذي أثبته ؛ فالإدراك غير الرؤية " [٧] .

الدليل الثاني : قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان (٧ / ٢٩٩) .

(٢) هو : علي بن أحمد بن حزم القرطبي ، أبو محمد ، كان أجمع أهل الأندلس قاطبةً لعلوم الإسلام ؛ مع توسعه في علم اللسان ، ووفور حظه من البلاغة والشعر ، والمعرفة بالسير والأخبار ، من مصنفاته : (الإحكام في أصول الأحكام) ، و (الفصل في الملل) ، توفي سنة ٤٥٦هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (١٨ / ١٨٤ – ٢١٢) . والعبر في خبر من غبر ، محمد بن أحمد الذهبي ، تحقيق : د. صلاح الدين المنجد ، ط٢ (الكويت : مطبعة حكومة الكويت ، ١٩٨٤م) ، (٣ / ٢٤١) .

(٣) سورة الأنعام ، من الآية : ١٠٣ .

(٤) سورة الشعراء ، الآيات : ٦١ – ٦٢ .

(٥) سورة الشعراء ، من الآية : ٦١ .

(٦) سورة الشعراء ، من الآية : ٦٢ .

(٧) الفصل في الملل والأهواء والنحل ، علي بن أحمد بن حزم ، د.ط (القاهرة : مكتبة الخانجي ، د.ت) ، (٣ / ٢ – ٣) .

﴿ تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾ [(١)] .

وقد ذكر القاضي عبد الجبّار [(٢)] – أحد كبار علماء المعتزلة – أن هذه الآية حجة لهم في نفي الرؤية عن الله تعالى من وجهين [(٣)] :

الوجه الأول: أنه تعالى قال مجيباً لسؤال موسى عليه السلام : ﴿ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾ [(٤)] ، قال : ﴿ لَن تَرَىٰنِى ﴾ [(٥)] ، و (لن) موضوعة للتأبيد ، فقد نفى الله تعالى أن يكون مرئياً ألبتة ؛ وهذا يدل على استحالة الرؤية عليه .

الوجه الثاني : أنه تعالى قال : ﴿ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ﴾ [(٦)] ، فعلّق الرؤية باستقرار الجبل : فلا يخلو إمّا أن يكون علّقها باستقراره بعد تحركه وتدكدكه ، أو علّقها به حال تحركه .

ولا يجوز أن تكون الرؤية معلّقة باستقرار الجبل ؛ لأن الجبل قد استقر و لم ير موسى عليه السلام ربه ؛ فيجب أن يكون قد علّق ذلك باستقرار الجبل حال تحركه ؛ دالاً بذلك على أن الرؤية مستحيلة عليه كاستحالة استقرار الجبل حال تحركه .

والجواب عن الوجه الأول من استدلال المعتزلة أن يقال لهم :

١- إن دعواكم أن (لن) تفيد التأبيد المطلق افتراء على اللغة ؛ كما نص أئمتها .

يقول ابن مالك [(٧)] في ألفيته :

---

(١) سورة الأعراف ، من الآية : ١٤٣ .

(٢) هو : عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمداني ، أبو الحسن ،من شيوخ المعتزلة وقضاتها ، عاش دهراً طويلاً ، وكان فقيهاً شافعي المذهب ، ولي قضاء الري وأعمالها ، ورحلت إليه الطلبة ، من مصنفاته : (دلائل النبوة) ، و (شرح الأصول الخمسة) ، توفي سنة ٤١٥هـ . انظر : طبقات الشافعية (١ / ١٨٣ – ١٨٤) . وطبقات المفسرين للداودي (ص ١٠٤ – ١٠٥) .

(٣) انظر : شرح الأصول الخمسة (٢٦٤ – ٢٦٥) .

(٤) سورة الأعراف ، من الآية : ١٤٣ .

(٥) سورة الأعراف ، من الآية : ١٤٣ .

(٦) سورة الأعراف ، من الآية : ١٤٣ .

(٧) هو : محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك ، أبو عبد الله ، إمام النحاة وحافظ اللغة ، كان عارفاً بالقراءات وعللها ، وله الدين المتين والتقوى الراسخة ، من تصانيفه : (تسهيل الفوائد) ، و(شرح الكافية الشافية) ، توفي سنة ٦٧٢هـ . انظر : طبقات الشافعية (٢ / ١٤٩- ١٥١) . وبغية الوعاة (١ / ١٣٠ - ١٣٧) .

ومَنْ رَأَى النفيَ بلَن مُؤَبَّداً فَقولَهُ ارْدُد وخِلَافه اعْضُدَا [١]

٢– إن قولكم هذا لا تدل عليه عبارات السلف .

يقول ابن أبي العز – رحمه الله – : " وأمّا دعواهم تأييد النفي بلن وأن ذلك يدل على نفي الرؤية في الآخرة ففاسد ؛ فإنها لو قُيّدت بالتأبيد لا يدل على دوام النفي في الآخرة فكيف إذا أُطلقت ؟ قال تعالى : ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا ﴾ [٢] مع قوله : ﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾ [٣] .

ولأنها لو كانت للتأبيد المطلق ؛لما جاز تحديد الفعل بعدها وقد جاء ذلك ، قال تعالى : ﴿ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي ﴾ [٤] ؛ فثبت أن (لن) لا تقتضى المنفي المؤبد " [٥] .

أمّا الجواب عن الوجه الثاني من استدلالهم – وهو ادعاؤهم بأن الله تعالى قد علّق الرؤية باستقرار الجبل حال تحركه ؛ ليدل بذلك على أن الرؤية مستحيلة عليه – فهو كما يقول الرازي – رحمه الله – : " إن اعتبار حال الجبل من حيث هو مغاير لاعتبار حاله من حيث إنه متحرك أو ساكن ؛ وكونه ممتنع الخلو عن الحركة والسكون لا يمنع اعتبار حاله من حيث إنه متحرك أو ساكن ؛ ألا ترى أن الشيء لو أخذته بشرط كونه موجوداً كان واجب الوجود ، ولو أخذته بشرط كونه معدوماً كان واجب العدم ؛ فلو أخذته من حيث هو مع قطع النظر عن كونه موجوداً أو كونه معدوماً كان ممكن الوجود ؛ فكذا هاهنا ، والذي جعل شرطاً في اللفظ هو استقرار الجبل وهذا القدر ممكن الوجود ؛ فثبت أن القدر الذي جعل شرطاً أمر ممكن الوجود جائز الحصول ؛وهذا القدر يكفي لبناء المطلوب عليه " [٦] .

---

(١) شرح الكافية الشافية ، محمد بن عبد الله بن مالك ، تحقيق : د. عبد المنعم أحمد هريدي ، ط١ (دمشق : دار المأمون للتراث ، ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م) ، (٣ / ١٥١٥) .

(٢) سورة البقرة ، من الآية : ٩٥ .

(٣) سورة الزخرف ، من الآية : ٧٧ .

(٤) سورة يوسف ، من الآية : ٨٠ .

(٥) شرح العقيدة الطحاوية (١ / ٢٩٠) .

(٦) مفاتيح الغيب (١٤ / ١٨٩) .

ويمكن أن يقال لهم بوجه آخر : إن الله تعالى علّق الرؤية باستقرار الجبل من حيث هو من غير تقييد ذلك بحال الحركة أو السكون ؛ وإلا لزم الاحتمال في الكلام ؛ واستقرار الجبل من حيث هو ممكن قطعاً ؛ فلو فرض وقوعه لما لزم منه محال لذاته ؛ واستقراره عند حركته ليس بمحال ؛ إذ قد يحصل الاستقرار بدل الحركة ولا محذور فيه ؛ إذ المحال الاستقرار مع الحركة في آن واحد لا وقوع شيء منهما في وقت آخر بدل صاحبه [(١)] .

تلك كانت شبهات من أنكر رؤية الباري سبحانه ؛ وتلك كانت ردود أهل السنة عليهم ؛ والتي ظهر من خلالها مدى صحة مذهب السلف في إثبات الرؤية ، ومدى ضعف أدلة من أنكرها .

المسألة الثالثة : الخلاف في رؤية غير المؤمنين لربهم :

لم يكن بين علماء أهل السنة خلاف فيما يتعلّق برؤية المؤمنين لربهم تبارك وتعالى ؛ ووقوعها لهم في المحشر في موقف القيامة وبعد دخولهم الجنة .

أمّا رؤية غير المؤمنين : من الكفار والمنافقين فقد اختلفوا فيها ، وحاصل الخلاف في ذلك يرجع إلى ثلاثة أقوال [(٢)] :

القول الأول :أن الرؤية خاصة بالمؤمنين ؛ وأن الكفار والمنافقين لا يرون ربهم بحال ، وهذا القول منقول عن أكثر العلماء المتأخرين ، وعليه يدل عموم كلام المتقدمين ، وعليه كذلك جمهور أصحاب الإمام أحمد – رحمه الله – وغيرهم .

القول الثاني : أن الله تعالى يراه أهل الموقف ممن أظهر التوحيد : من مؤمني هذه الأمة ، ومنافقيها ، وغبرات أهل الكتاب ؛ ثم يحتجب عن المنافقين فلا يرونه بعد ذلك ، وهذا قول الإمام ابن خزيمة [(٣)] رحمه الله .

القول الثالث :أن الكفار يرون الله تعالى رؤية تعريف وتعذيب ثم يحتجب عنهم ؛ ليعظم عذابهم ويشتد عقابهم ، وهذا القول منقول عن أبي الحسن بن سالم [(٤)] – رحمه الله –

---

(١) انظر : كتاب المواقف (٣ / ١٨٠) .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى (٦ / ٤٨٧ – ٤٨٨) . وحادي الأرواح (ص ١٩٨) .

(٣) انظر : كتاب التوحيد (١ / ٤٣١ – ٤٣٢) .

(٤) هو : أحمد بن محمد بن سالم البصري ، أبو الحسن ، شيخ السالمية ، من أصحاب سهل التستري ،كانت له أحوال ومجاهدات ، وقد خالف أصول السنة في مواضع ، توفي سنة ٣٥٦هـ . انظر : الكامل في التاريخ ، علي بن محمد الشيباني ، تحقيق : عبد الله القاضي ، ط٢ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٥هـ) ، (٧ / ٣٠٣) . وشذرات الذهب (٣ / ٣٦) .

وأصحابه .

وقد استدل من أثبت الرؤية للمنافقين والكفار من الكتاب بقوله تعالى : ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [١] .

ووجه الدلالة من الآية : أن قوله : ﴿ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [٢] يُشعر بأنهم عاينوا ثم حُجبوا ، وقوله : ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ [٣] يُشعر أيضاً بأنه يختص بذلك اليوم ؛ وذلك إنما هو في الحجب بعد الرؤية [٤] .

واستدلوا من السنة بحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، وفيه : النص على أنهم رأوه أول مرة قبل أن يقول : " لِيَتَّبِعْ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ " ، وهي الرؤية الأولى العامة لجميع الخلق ، ويؤيد هذه الرواية العامة قوله ﷺ في الحديث بعدما يذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون ، ويبقى من يعبد الله : من برّ أو فاجر : " فَيَأْتِيهِمُ الجَبَّارُ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ " .

واستدل من نفاها عن الكفار دون المنافقين بحديث أبي هريرة رضي الله عنه ، ولم يذكر فيه الرؤية الأولى العامة ، بل ذكر إتيانه في صورته التي يعرفها من عبده دون من كان يعبد : الشمس ، أو القمر ، أو الصليب ، أو غير ذلك .

فيكون من أثبت الرؤية للكفار أثبتها مرة واحدة ؛ ثم يحتجب الله تعالى عنهم فلا يرونه بعدها ، ومن أثبتها للمنافقين قال يرونه مرتين : الرؤية المشتركة العامة ، ومع المؤمنين حين لا يستطيعون السجود معهم حال الرؤية .

ثم القائلون بهما قالوا : يحتجب الله تعالى عنهم بعد هذا فلا يرونه ؛ لتزداد بهم الحسرة والندامة [٥] .

والراجح – والله تعالى أعلم – :

أن الله سبحانه يتجلّى للخلق عامة في الموقف ؛ جمعاً بين حديثي أبي هريرة وأبي سعيد

(١) سورة المطففين ، الآية : ١٥ .
(٢) سورة المطففين ، من الآية : ١٥ .
(٣) سورة المطففين ، من الآية : ١٥ .
(٤) انظر : مجموع الفتاوى (٦ / ٤٦٦) .
(٥) انظر : المرجع السابق (٦ / ٤٩٦ ، ٤٩٨) .

رضي الله عنهما .



المطلب الثالث

الصفات الذاتية الفعلية

ويقصد بها : الصفات التي تعدّ باعتبار نوعها لازمةً لذات الله تعالى ؛ فهو لم يزل ولا يزال متصفاً بها ، والتي تعدّ باعتبار آحادها ليست لازمة لذات الله تعالى ؛ بل متعلّقةً بمشيئته (١) .

ومن الصفات الذاتية الفعلية المذكورة في حديثي أبي هريرة وأبي سعيد الخدري – رضي الله عنهما – ما يلي :

أولاً – الإرادة والمشيئة :

دل حديثا أبي هريرة وأبي سعيد الخدري – رضي الله عنهما – على إرادة الله تعالى ومشيئته ، وذلك في قوله ﷺ من حديث أبي هريرة ﷺ كما عند البخاري : " حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللَّهُ مِنَ القَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِهِ ، وَأَرَادَ أَنْ يُخرِجَ مِنَ النَّارِ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ ، مِمَّنْ كَانَ يَشْهَدُ : أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ " .

وفي قوله ﷺ عن آخر أهل النار دخولاً الجنة كما عند أحمد : " فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ ، اصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ ؛ فَإِنَّهُ قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا ، وَأَحْرَقَنِي دُخَانُهَا ، فَيَدْعُو اللَّهَ مَا شَاءَ أَنْ يَدْعُوَهُ ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ ﷻ : هَلْ عَسَيْتَ إِنْ فُعِلَ ذَلِكَ بِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ ؟ فَيَقُولُ : لَا ، وَعِزَّتِكَ ، لَا أَسْأَلُ غَيْرَهُ ، وَيُعْطِي رَبَّهُ ﷻ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ مَا شَاءَ ؛ فَيَصْرِفُ اللَّهُ ﷻ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ ، فَإِذَا أَقْبَلَ عَلَى الْجَنَّةِ وَرَآهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ ، ثُمَّ يَقُولُ : أَيْ رَبِّ ، قَرِّبْنِي إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ ، فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ لَهُ : أَلَسْتَ قَدْ أَعْطَيْتَ عُهُودَكَ وَمَوَاثِيقَكَ أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَ مَا أَعْطَيْتُكَ ؟ وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ ، مَا أَغْدَرَكَ ، فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ ، فَيَدْعُو اللَّهَ حَتَّى يَقُولَ لَهُ : فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ أُعْطِيتَ ذَلِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ ؟ فَيَقُولُ : لَا ، وَعِزَّتِكَ ، لَا أَسْأَلُ غَيْرَهُ ، فَيُعْطِي رَبَّهُ ﷻ مَا شَاءَ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ ؛ فَيُقَدِّمُهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ ، فَإِذَا قَامَ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ ؛ انْفَهَقَتْ لَهُ الْجَنَّةُ ؛ فَرَأَى مَا فِيهَا مِنَ الْحَبْرَةِ وَالسُّرُورِ ، فَيَسْكُتُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ " .

وفي قوله ﷺ من حديث أبي سعيد ﷺ كما عند مسلم :" يُدْخِلُ اللَّهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ ؛

(١) انظر : القواعد المثلى (ص ٢٥) .

يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ بِرَحْمَتِهِ " .

والإرادة والمشيئة صفتان ثابتان لله تعالى بالكتاب ، والسنة ، والإجماع ، والعقل .

أ– دلالة الكتاب :

ومن أدلة الكتاب :

قوله تعالى : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ﴾ (١) .

وفي هذه الآية إشارة إلى أن حصول الملك ونزعه تبع لمشيئة الله تعالى .

وقوله جل شأنه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ (٢) .

وقوله سبحانه : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ (٣) .

وقوله ﷻ : ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ (٤) .

وهنا إخبار من الله تعالى بأن مشيئة عباده تابعة لمشيئته سبحانه .

ب – دلالة السنة :

ومن أدلة السنة – غير ما سبق – :

ما رواه أبو هريرة ﵁ قال : قال النبي ﷺ : " قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْجَنَّةِ : أَنْتِ رَحْمَتِي ؛ أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي ، وَقَالَ لِلنَّارِ : إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي ؛ أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي " (٥) .

وفي هذا الحديث دلالة على أن وقوع العذاب والرحمة بمشيئة الله تعالى وحده .

---

(١) سورة آل عمران ، من الآية : ٢٦ .

(٢) سورة المائدة ، من الآية : ١ .

(٣) سورة الأنعام ، من الآية : ١٢٥ .

(٤) سورة الإنسان ، من الآية : ٣٠ .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، باب قوله : ﴿ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾ [سورة ق ، من الآية : ٣٠] (٤ / ١٨٣٦ ، رقم ٤٥٦٩) ، واللفظ له . ومسلم في صحيحه ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء (٤ / ٢١٨٧ ، رقم ٢٨٤٦) .

وعن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ عَذَاباً ؛ أَصَابَ الْعَذَابُ مَنْ كَانَ فِيهِمْ ثُمَّ بُعِثُوا عَلَى أَعْمَالِهِمْ " (١) .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : " إِنَّ اللَّهَ وَكَّلَ فِي الرَّحِمِ مَلَكاً ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ نُطْفَةٌ ، يَا رَبِّ عَلَقَةٌ ، يَا رَبِّ مُضْغَةٌ ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَهَا ، قَالَ : يَا رَبِّ أَذَكَرٌ ؟ يَا رَبِّ أُنْثَى ؟ يَا رَبِّ شَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ ؟ فَمَا الرِّزْقُ ؟ فَمَا الْأَجَلُ ؟فَيُكْتَبُ كَذَلِكَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ " (٢) .

ج – دلالة الإجماع :

لقد اتفق أهل السنة على أنه لا يقع إلا ما أراده الله تعالى ؛ وأنه سبحانه فعّال لما يريد .

قال أبو الحسن الأشعري – رحمه الله – : " وأجمعوا على إثبات حياة الله عز وجل لم يزل بها حياً ، وإرادة لم يزل بها مريداً " (٣) .

د – دلالة العقل :

ويظهر دليل العقل في قول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : " العالم فيه تخصيصات كثيرة ، مثل : تخصيص كل شيء بما له من القدرة ، والصفات ، والحركات : كطوله ، وقصره ، وطعمه ، ولونه ، وريحه ، وحياته ، وقدرته ، وعلمه ، وسمعه ، وبصره ، وسائر ما فيه ؛ مع العلم الضروري بأنه من الممكن أن يكون خلاف ذلك ؛ إذ ليس واجب الوجود بنفسه ؛ ومعلوم أن الذات المجرّدة التي لا إرادة لها لا تخصّص ؛ وإنما يكون التخصيص بالإرادة " (٤) .

وقد ذكر الرّاغب الأصفهاني – رحمه الله – أن بعض العلماء في مسألة التفريق بين الإرادة والمشيئة على قولين (٥) :

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الفتن ، باب إذا أنزل الله بقوم عذاباً (٦ / ٢٦٠٢ ، رقم ٦٦٩١) . ومسلم في صحيحه ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت (٤ / ٢٢٠٦ ، رقم ٢٨٧٩) ، واللفظ له .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأنبياء ، باب خلق آدم – صلوات الله عليه – وذريته(٣ / ١٢١٣ ، رقم ٣١٥٥) .

(٣) رسالة إلى أهل الثغر (ص ٢١٤ – ٢١٥) .

(٤) شرح العقيدة الأصفهانية (ص ٤٦) .

(٥) انظر : المفردات في غريب القرآن ، مادة (شيء) ، (ص ٢٧١) .

القول الأول : أنه لا فرق بينهما ، بل هما مترادفتان ، وهذا القول منسوب إلى أكثر المتكلمين ؛ وهو قول ضعيف ؛ لأنه خلاف ما دلت عليه النصوص : من الكتاب والسنة .

القول الثاني : القول بالفرق ؛ وهو الصحيح ؛ وعلى هذا فالمشيئة من الله تعالى تقتضي الإيجاد بخلاف الإرادة فإنها على نوعين ؛ كما بيّن الله تعالى [(١)] :

النوع الأول : الإرادة الكونية القدرية ؛ وهي مرادفة للمشيئة .

وهذه الإرادة تستلزم وقوع المراد ولا بد ، ولا يلزم أن يكون مرادها محبوباً لله تعالى مرضياً له ؛ بل قد يكون مكروهاً مسخوطاً له : ككفر الكافرين ، ومعاصي الفاسقين ، ووجود المفسدين .

وقد يكون مرادها محبوباً مرضياً لله تعالى : كإيمان المؤمنين ، وطاعات المحسنين ، ووجود رسل الله تعالى وعباده المخلصين .

وهذه الإرادة هي المذكورة في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [(٢)] .

وقوله سبحانه : ﴿ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ ﴾ [(٣)] .

ونحو ذلك من الآيات الدالة على عموم إرادته لما يشاء .

النوع الثاني : الإرادة الدينية الأمرية الشرعية ؛ وهي مرادفة للمحبة .

وهذه الإرادة يحب الله تعالى مرادها ويأمر به ويرضاه ، ولا يلزم أن يقع المراد منها إلا أن يتعلّق بالإرادة الكونية .

وهي المذكورة في مثل قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾ [(٤)] .

وقوله ﷻ : ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ ﴾ [(٥)] .

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى (١٨ / ١٣٢) . وشرح كتاب التوحيد (٢ / ٢٥١ – ٢٥٣) .

(٢) سورة البقرة ، من الآية : ٢٥٣ .

(٣) سورة المائدة ، من الآية : ٤١ .

(٤) سورة النساء ، من الآية : ٢٧ .

(٥) سورة المائدة ، من الآية : ٦ .

ويتضح مما سبق :

أن الإرادة أعم من المشيئة .

وتفصيل الإرادتين الشرعية والكونية أن يقال :

إن الأشياء كلها لا تخرج عن أربعة أقسام [١] :

القسم الأول : ما تعلّقت به الإرادتان الشرعية والكونية :وهو ما وقع في الوجود من الأعمال الصالحة ، فإن الله تعالى أراده إرادة دين وشرع ؛ فأمر به وأحبه ورضيه ، وأراده إرادة كون ؛ فوقع ولولا ذلك لما كان .

القسم الثاني :ما تعلّقت به الإرادة الشرعية فقط:وهو ما أمر الله تعالى به من الأعمال الصالحة ؛ فعصى ذلك الأمر الكفار والفجّار ، فتلك كلها إرادة دين ؛ والله سبحانه يحبها ويرضاها لو وقعت ولو لم تقع .

القسم الثالث : ما تعلّقت به الإرادة الكونية فقط : وهو ما قدّره الله تعالى وشاءه من الحوادث التي لم يأمر بها : كالمعاصي ، فإنه لم يأمر بها و لم يرضها و لم يحبها ؛ إذ إن الله سبحانه لا يأمر بالفحشاء ولا يرضى لعباده الكفر ، ولولا مشيئته وقدرته وخلقه لها لما كانت ولما وجدت ؛ فإن ما شاء الله تعالى كان وما لم يشأ لم يكن .

القسم الرابع : ما لم تتعلّق به الإرادتان : فهذا ما لم يكن من أنواع المعاصي .

وهذا التقسيم عند أهل السنة والجماعة ؛ هو الحق الذي دلت عليه النصوص الشرعية ؛ وأمّا أهل البدع الذين خالفوا الكتاب والسنة فإنهم لم يقسّموا الإرادة إلى قسمين ؛ ولذلك ضلّوا وأضلّوا .

فالجبرية [٢] لم تثبت إلا الإرادة الكونية [٣]؛ أمّا المعتزلة فقد أثبتت الإرادة الشرعية فقط [٤] ؛ رغم ورود النصوص القرآنية العديدة التي تدل صراحةً على ثبوت القسمين كما

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى (٨ / ١٨٩) . وشفاء العليل (ص ٤٨) .

(٢) الجبرية : من الجبر ، وهو نفي القدرة على الفعل حقيقةً عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى .
والجبرية على أصناف :
الصنف الأول : الخالصة : وهي التي لا تثبت للعبد فعلاً ولا قدرة على الفعل .
الصنف الثاني : المتوسطة : وهي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلاً . انظر : اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص ٦٨ – ٦٩) . والملل والنحل (١ / ٨٥ – ٨٦) .

(٣) انظر : مجموع الفتاوى (١٣ / ٣٧) .

(٤) انظر : شرح الأصول الخمسة (ص ٤٣١) . والكشاف بحاشية ابن المنير (٥ / ٦٢٠ – ٦٢١) .

تقدم .

ثانياً – الكلام :

دل حديثا أبي هريرة وأبي سعيد الخدري – رضي الله عنهما – على صفة الكلام لله تعالى ، وذلك في قوله ﷺ من حديث أبي هريرة ﷺ كما عند الترمذي :"وَيَبْقَى الْمُسْلِمُونَ ، فَيَطَّلِعُ عَلَيْهِمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ ، فَيَقُولُ : أَلَا تَتَّبِعُونَ النَّاسَ ؟ فَيَقُولُونَ : نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ ؛ اللَّهُ رَبُّنَا ، وَهَذَا مَكَانُنَا حَتَّى نَرَى رَبَّنَا ؛ وَهُوَ يَأْمُرُهُمْ وَيُثَبِّتُهُمْ " .

وفي قوله ﷺ من حديث أبي سعيد ﷺ كما عند مسلم :" يُدْخِلُ اللَّهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ ؛ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ بِرَحْمَتِهِ ، وَيُدْخِلُ أَهْلَ النَّارِ النَّارَ ، ثُمَّ يَقُولُ : انْظُرُوا مَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ " .

والكلام صفة ثابتة لله تعالى بالكتاب ، والسنة ، والإجماع ، والعقل .

أ – دلالة الكتاب :

ومن أدلة الكتاب :

قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ﴾ (١) .

وقوله سبحانه : ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ (٢) .

ودلالة هذه الآية صريحة في إثبات صفة الكلام لله تعالى .

وقوله جل شأنه : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ ﴾ (٣) .

وهذه الآية تفيد أن الله تعالى يكلّم بعض خلقه وحياً ، وبعضهم من وراء حجاب .

ب – دلالة السنة :

ومن أدلة السنة – غير ما تقدم – :

ما رواه أبو هريرة ﷺ عن النبي ﷺ في حديث احتجاج آدم وموسى– عليهما السلام – وفيه : " قَالَ لَهُ آدَمُ : يَا مُوسَى ، اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِكَلَامِهِ " (٤) .

---

(١) سورة البقرة ، من الآية : ٢٥٣ .

(٢) سورة النساء ، من الآية : ١٦٤ .

(٣) سورة الشورى ، من الآية : ٥١ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب القدر،باب تحاج آدم وموسى عند الله(٦ / ٢٤٣٩ ،رقم ٦٢٤٠) ، واللفظ له . ومسلم في صحيحه ، كتاب القدر ، باب حجاج آدم وموسى– عليهما السلام – (٤/ ٢٠٤٢ ، رقم ٢٦٥٢) .

وعن عائشة – رضي الله عنها – قالت حين قال لها أهل الإفك ما قالوا ؛ فبرّأهـا الله تعالى مما قالوا : ولشأني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله ﷻ فيّ بأمر يتلى [١] .

وفي الحديث أن الله تعالى تكلم ببراءة عائشة – رضي الله عنها – حين أنزل براءتها .

وعن عدي بن حاتم ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ :" مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٌ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ ؛ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ " [٢] .

وهذا الحديث يدل على أن الله تعالى يكلّم عباده يوم القيامة بلا واسطة .

ج – دلالة الإجماع :

لقد أجمع السلف الصالح على أن الكلام من صفات الرب ﷻ .

قال أبو الحسن الأشعري – رحمه الله – : " وأجمعوا على إثبات حياة الله ﷻ لم يزل بها حياً ، وكلاماً لم يزل به متكلماً " [٣] .

وقال الإمام ابن حزم – رحمه الله – : " أجمع أهل الإسلام كلهم على أن لله تعالى كلاماً ، وعلى أن الله تعالى كلّم موسى ﵇ ، وكذلك سائر الكتب المنزّلة : كالتوراة ، والإنجيل ، والزبور ، والصحف " [٤] .

د – دلالة العقل :

دل العقل على إثبات صفة الكلام لله تعالى من وجوه [٥] :

الوجه الأول : أن الله تعالى قد وصف نفسه بالكلام وهو أعلم بنفسه ؛ فوجب إثبات اتصافه به .

الوجه الثاني : أنها صفة كمال لا نقص فيها من جميع الوجوه ؛ فيجب إثباتها .

الوجه الثالث : أنها صفة كمال في المخلوق ؛ ولأن يتصف بها الخالق من باب أولى .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الشهادات ، باب تعديل النساء بعضهن بعضاً (٢ / ٩٤٥ ، رقم ٢٥١٨) . ومسلم في صحيحه ، كتاب التوبة ، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف (٤ / ٢١٣٥ ، رقم ٢٧٧٠) ، واللفظ له .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التوحيد ، باب كلام الرب ﷻ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم (٦ / ٢٧٢٩ ، رقم ٧٠٧٤) ، واللفظ له . ومسلم في صحيحه ، كتاب الزكاة ، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة (٢ / ٧٠٣ ، رقم ١٠١٦) .

(٣) رسالة إلى أهل الثغر (ص ٢١٤ – ٢١٥) .

(٤) الفصل في الملل (٣ / ٤) .

(٥) انظر : شرح العقيدة الأصفهانية (ص ١٠١ – ١٠٢) .

الوجه الرابع : أنه تعالى لو لم يتصف بصفة الكلام لاتصف بضدها : كالسكوت والخرس .

ومسألة إثبات كلام الله تعالى من المسائل التي كانت محلّ خلاف بين أهل السنة والجماعة والفرق المخالفة لهم .

ولقد بيّن فيها العلماء الربانيون من أهل السنة الحق الموافق للنصوص الشرعية : وهو أن الكلام والنداء من صفات الله تعالى القائمة بذاته والتابعة لمشيئته وإرادته ، وأن كلامه سبحانه بحروف وأصوات يُسمعها من يشاء من مخلوقاته ، وهو قديم النوع حادث الأفراد .

قال الإمام أحمد – رحمه الله – : " نقول : إن الله لم يزل متكلماً إذا شاء " [(١)] .

وقال الإمام البخاري – رحمه الله – معلّقاً على حديث عبد الله بن أنيس ﷺ مرفوعاً : " يُحْشَرُ الْعِبَادَ ؛ فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ " [(٢)] : "وفي هذا دليل أن صوت الله لا يشبه أصوات الخلق ؛ لأن صوت الله جل ذكره يُسمع من بعد كما يُسمع من قرب ، وأن الملائكة يصعقون من صوته ؛ فإذا تنادى الملائكة لم يصعقوا " [(٣)] .

وقال الإمام ابن أبي عاصم [(٤)] – رحمه الله – : " باب ذكر الكلام ، والصوت ، والشخص ، وغير ذلك " [(٥)] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : " واستفاضت الآثار عن النبي ﷺ ،

---

(١) الرد على الزنادقة (ص ٣٦) .

(٢) ذكره البخاري – معلقاً – في صحيحه ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ...﴾ [سورة سبأ ، الآية : ٢٣] (٦ / ٢٧١٩) . وأخرجه أحمد في مسنده – ط١٤١٩هـ = ١٩٩٨م – (٢٥ / ٤٣٢ ، رقم ١٦٠٤٢) ، واللفظ له . والحاكم في المستدرك (٤ / ٦١٨ ، رقم ٨٧١٥) ، وقال : " هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه " . وقال محققو المسند (٢٥ / ٤٣٢ ، رقم ١٦٠٤٢ ، هامش ٣) : " إسناده حسن " .

(٣) خلق أفعال العباد ، محمد بن إسماعيل البخاري ، تحقيق : د. عبد الرحمن عميرة ، د.ط (الرياض : مكتبة المعارف ، ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م) ، (ص ٩٨) .

(٤) هو : أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الشيباني ، حافظ كبير ، إمام بارع متبع للآثار ؛ من أهل السنة والحديث ، وكان ثقة نبيلاً ، ولي قضاء أصبهان ، من كتبه : (السنة) ، و (المسند) ، توفي سنة ٢٨٧هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (١٣ / ٤٣٠ – ٤٣٩) . وطبقات الحفاظ (ص ٢٨٥) .

(٥) السنة ، أحمد بن عمرو بن أبي عاصم ، تحقيق : محمد بن ناصر الدين الألباني ، ط١ (بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤٠٠هـ) ، (١ / ٢٢٥) .

والصحابة ، والتابعين ، ومن بعدهم من أئمة السنة ؛ أنه سبحانه ينادي بصوت : نادى موسى ، وينادي عباده يوم القيامة بصوت ، ويتكلم بالوحي بصوت .

و لم ينقل عن أحد من السلف أنه قال : إن الله يتكلم بلا صوت أو بلا حرف ، ولا أنه أنكر أن يتكلم الله بصوت أو بحرف " (١) .

وقال ابن أبي العز – رحمه الله – في أثناء تعداد أقوال الناس في مسألة الكلام : "وتاسعها :أنه تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء ، وهو يتكلّم به بصوت يُسمع ، وأن نوع الكلام قديم وإن لم يكن الصوت المعيّن قديماً؛ وهذا المأثور عن أئمة الحديث والسنة " (٢) .

وكلام الله تعالى ينقسم إلى قسمين (٣) :

القسم الأول : الكلام الكوني القدري:وهو الكلام الذي يصدر عنه كل شيء في هذا الكون ؛ فكل ما يقع في الكون من خير أو شر فهو بكلمات الله تعالى الكونية التي لا يتجاوزها ولا يخرج عنها برّ ولا فاجر .

القسم الثاني : الكلام الشرعي الأمري : وهو كلام الله ﷻ الذي كلّم به رسله – عليهم السلام – وأنزل به كتبه : كالتوراة ، والإنجيل ، والزبور ، والقرآن ، وغير ذلك من الكتب ، وأشرفها القرآن الكريم .

وكلمات الله تعالى لا تحصى ولا تستقصى ؛ وليس لها نهاية ولا حد .

قال تعالى : ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾ (٤) .

وقال ﷻ : ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٥) .

قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله – في تفسير هذه الآية :"يقول تعالى مخبراً عن عظمته ،

(١) مجموع الفتاوى (١٢ / ٣٠٤ – ٣٠٥) .
(٢) شرح العقيدة الطحاوية (١ / ٢٥٦) .
(٣) انظر : شرح كتاب التوحيد (٢ / ٢٠٨ – ٢٠٩) .
(٤) سورة الكهف ، الآية : ١٠٩ .
(٥) سورة لقمان ، الآية : ٢٧ .

وكبريائه ، وجلاله ، وأسمائه الحسنى ، وصفاته العلا ، وكلماته التامة التي لا يحيط بها أحد ولا اطّلاع لبشر على كنهها وإحصائها :ولو أن جميع أشجار الأرض جُعلت أقلاماً ، وجُعل البحر مداداً ومدّه سبعة أبحر معه؛ فكتبت بها كلمات الله الدالة على عظمته ، وصفاته ، وجلاله ؛ لتكسّرت الأقلام ونفد ماء البحر ولو جاء أمثالها مدداً " [(١)] .

ولقد ضلّ في صفة الكلام طوائف ، منها :

أولاً – الجهمية والمعتزلة :

ذهبت الجهمية والمعتزلة إلى أن كلام الله تعالى خلق من مخلوقاته لا صفة من صفاته ؛ ليس قائماً بذاته بل منفصلاً عنه ، خلقه بمشيئته وقدرته في بعض الأجسام : كالشجرة حين كلّم موسى عليه السلام ؛ وحقيقة قولهم إن الله تعالى لا يتكلم .

قال أبو الحسن الأشعري – رحمه الله – في تقرير مذهب الجهمية : " وزعمت الجهمية كما زعمت النصارى أن كلمة الله تعالى حواها بطن مريم ، وزادت الجهمية عليهم فزعمت أن كلام الله مخلوق حلّ في شجرة ، وكانت الشجرة حاوية له ؛ فلزمهم أن تكون الشجرة بذلك الكلام متكلمة ، ووجب عليهم أن مخلوقاً من المخلوقين كلّم موسى عليه السلام ، وأن الشجرة قالت يا موسى : ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي ﴾ [(٢)] " [(٣)] .

وقال عبد القاهر البغدادي [(٤)] – رحمه الله – وهو يذكر بعض الأمور التي اتفقت عليها الجهمية : " وقال – يعني : الجهم بن صفوان [(٥)] – بحدوث كلام الله تعالى كما قالته القدرية ، ولم يسمّ الله تعالى متكلماً به " [(٦)] .

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٣ / ٤٥٢) .

(٢) سورة طه ، من الآية : ١٤ .

(٣) الإبانة عن أصول الديانة (ص ٦٨) .

(٤) هو : عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي ، أبو منصور ، من أئمة الأصول وصدور الإسلام ، تفقه على أهل العلم والحديث ؛ فدرس سبعة عشر علماً ، وكان ذا ثروة ؛ فأنفق ماله على العلم حتى افتقر ، من تصانيفه : (التكملة في الحساب) ، و (الفرق بين الفرق) ، توفي سنة ٤٢٩هـ . انظر : تاريخ الإسلام (٢٩ / ٢٦٥) . وبغية الوعاة (٢ / ١٠٥) .

(٥) هو : الجهم بن صفوان السمرقندي ، أبو محرز ، الضال المبتدع ، رأس الجهمية ، ذهب إلى أن الإنسان مجبور على فعله ، ووافق المعتزلة في نفي صفات الله تعالى الأزلية ، وقال بفناء الجنة والنار ؛ قتله سلم بن أحوز سنة ١٢٨هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (٦ / ٢٦ – ٢٧) . والوافي بالوفيات (١١ / ١٦٠- ١٦١) .

(٦) الفرق بين الفرق (ص ١٩٩) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في معرض بيان أقوال أهل القبلة في مسألة كلام الله تعالى : " والقول الثاني : قول الجهمية : من المعتزلة وغيرهم الذين يقولون : كلام الله مخلوق يخلقه في بعض الأجسام ؛ فمن ذلك الجسم ابتدأ لا من الله ؛ ولا يقوم عندهم بالله كلام ولا إرادة .

وأول هؤلاء : الجعد بن درهم [1] الذي ضحّى به خالد بن عبد الله القسري [2] لمّا خطب الناس يوم عيد النحر ، وقال : ضحّوا تقبّل الله ضحاياكم ؛ فإني مضّحٍ بالجعد بن درهم ؛ إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً و لم يكلّم موسى تكليماً – تعالى الله عمّا يقول الجعد علواً كبيراً – ثم نزل فذبحه " [3] .

كما قال أيضاً مبيّناً وجه تقارب مذهب الجهمية والمعتزلة ووجه افتراقهما : " فمذهبهم – أي المعتزلة – ومذهب الجهمية في المعنى سواء ، ولكن هؤلاء يقولون :هو متكلم حقيقة ، وأولئك ينفون أن يكون متكلماً حقيقة ؛ وحقيقة قول الطائفتين أنه غير متكلم ؛ فإنه لا يعقل متكلم إلا من قام به الكلام ، ولا مريد إلا من قامت به الإرادة ، ولا محب ، ولا راضٍ ، ولا مبغض ، ولا رحيم إلا من قامت به المحبة ، والرضى ، والبغض ، والرحمة ، ثم زعمت المعتزلة أنه يكون فاعلاً للكلام في غيره " [4] .

وقول الجهمية والمعتزلة ظاهر البطلان ؛ لمخالفته الكتاب ، والسنة،وإجماع سلف الأمة ، ولمخالفته لصريح المعقول أيضاً .

ثانياً – الأشاعرة :

ذهب الأشاعرة إلى أن كلام الله تعالى صفة من صفاته ، لكن بلا حرف ولا صوت ؛ إذ إنه عبارة عن المعنى القائم بالنفس أو ما يسمّى : بالكلام النفسي .

وهو نوع واحد لا يتعدد : إن عبّر عنه بالعربية كان قرآناً ، وإن عبّر عنه بالعبرية كان توراة ، وإن عبّر عنه بالسريانية كان إنجيلاً .

---

(١) هو : الجعد بن درهم ، أستاذ الجهم ، مبتدع ضال ، زعم أن الله تعالى لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً ؛ فقتل على إثر ذلك . انظر : الضعفاء الكبير (١ / ٢٠٦).ولسان الميزان (٢ / ١٠٥) .

(٢) هو : خالد بن عبد الله بن زيد القسري ، أمير الحجاز والكوفة ، كان جواداً ناصبياً ، روى له أبو داود ، عذب وقتل سنة ١٢٦هـ . انظر : الكاشف (١ / ٣٦٦) . ولسان الميزان (٧ / ٥١٦) .

(٣) مجموع الفتاوى (١٢ / ١٦٣ – ١٦٤) .

(٤) المرجع السابق (١٢ / ٣١١ – ٣١٢) .

قال الشهرستاني [(١)] – رحمه الله – : " وصار أبو الحسن الأشعري إلى أن الكلام : معنى قائم بالنفس الإنسانية وبذات المتكلم ، وليس بحروف ولا أصوات ؛ وإنما هو القول الذي يجده العاقل من نفسه " [(٢)] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في تقرير مذهب ابن كلّاب [(٣)] ، والأشعري ، ومن تبعهم أنهم يقولون : " إن كلام الله معنى قائم بذات الله : هو الأمر بكل مأمور أمر الله به ، والخبر عن كل مخبَر أخبر الله عنه .

إن عبّر عنه بالعربية كان قرآناً ، وإن عبّر عنه بالعبرية كان تـوراةً ، وإن عبّر عنه بالسريانية كان إنجيلاً .

والأمر ، والنهى ، والخبر ليست أنواعاً له ينقسم الكلام إليها ؛ وإنما كلها صفات له إضافية ، كما يوصف الشخص الواحد:بأنه ابن لزيد ، وعم لعمرو ، وخال لبكر " [(٤)] [(٥)] .

وقد اعتبر السلف أن عدم إطلاق الكلام الحقيقي على الله تعالى ؛ والقول بأن كلام الله ﷻ هو معنىً نفسي من العيب الذي يتنزّه الله سبحانه عنه ، كما ذكر ذلك الإمام أبو سعيد الدّارِمي – رحمه الله – بقوله : " باب الإيمان بكلام الله تبارك وتعالى " ، ثم قال : " فالله المتكلم أولاً وآخراً لم يزل له الكلام ؛إذ لا متكلم غيره ولا يزال له الكلام ؛ إذ لا يبقى متكلم غيره ، فيقول : ﴿ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ ﴾ [(٦)] ،أنا الملِك؛أين ملوك الأرض ؟

---

(١) هو : محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني ، أبو الفتح ، كان إماماً فقيهاً واعظاً ، قرأ الكلام وتفرد فيه في عصره ، وسمع وحدث ، وظهر له قبول كثير عند العوام ، من مصنفاته : (الملل والنحل) ، و (نهاية الإقدام) ، توفي سنة ٥٤٨هـ . انظر : طبقات الشافعية (١ / ٣٢٣ – ٣٢٤) . ولسان الميزان (٥ / ٢٦٣) .

(٢) نهاية الإقدام (ص ١٨١) .

(٣) هو : عبد الله بن سعيد بن محمد القطان ، أبو محمد ، الملقب بابن كلاب ، من كبار المتكلمين ، وكان ممن انتدب للرد على الجهمية والمعتزلة ، أحدث القول بأن القرآن الكريم كلام قائم بذات الرب بلا قدرة ولا مشيئة ، وصنف كتباً كثيرة ، منها : (الرد على المعتزلة) ، و (الصفات) ، توفي بعد سنة ٢٤٠هـ . انظر : تاريخ الإسلام (١٧ / ٤٢٨ – ٤٢٩) . وطبقات الشافعية (١ / ٧٨) .

(٤) مجموع الفتاوى (١٢ / ١٦٥) .

(٥) ينبغي التنبيه هاهنا : إلى أن الكلام المنقول عن أبي الحسن الأشعري في هذه الصفة قد قرر عنه في المرحلة الثانية من مراحل اعتقاده .

(٦) سورة غافر ، من الآية : ١٦ .

وكيف يعجز عن الكلام من علّم العباد الكلام وأنطق الأنام ؟! " [(١)] .

إلى أن يقول : " وقال لقوم موسى حين اتّخذوا العجل : ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾ [(٢)] ، وقال : ﴿ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴾ [(٣)] .

ففي كل ما ذكرنا ؛ تحقيق كلام الله وتثبيته نصاً بلا تأويل ، ففيما عاب الله به العجل في عجزه عن القول والكلام ؛ بيان بيّن أن الله ﷻ غير عاجز عنه وأنه متكلم وقائل ؛ لأنه لم يكن يعيب العجل بشيء هو موجود به " [(٤)] .

وقال ابن أبي العز – رحمه الله – في رده على مذهب الأشعرية الباطل : " ويقال لمن قال إنه معنى واحد : هل سمع موسى عليه السلام جميع المعنى أو بعضه ؟ فإن قال : سمعه كله ؛ فقد زعم أنه سمع جميع كلام الله ؛ وفساد هذا ظاهر .

وإن قال : بعضه ، فقد قال : يتبعض ؛ وكذلك كل من كلّمه الله أو أنزل إليه شيئاً من كلامه .

ولّما قال تعالى للملائكة : ﴿ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [(٥)]، ولّما قال لهم : ﴿ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ ﴾ [(٦)] ، وأمثال ذلك ، هل هذا جميع كلامه أو بعضه ؟ فإن قال : إنه جميعه ؛ فهذا مكابرة ، وإن قال : بعضه ؛ فقد اعترف بتعدده " [(٧)] .

تلك هي أقوال الفرق ومذاهبها في صفة الكلام .

ومما لا شك فيه :

أن القول الذي يجب على المسلم أن يدين به ؛ هو ما دلت عليه النصوص : من أن الله تبارك وتعالى متكلم ، وأنه يتكلم بصوت وحرف ، وأن كلامه وصوته لا يشبه كلام

(١) الرد على الجهمية (ص ١٣٢) .
(٢) سورة طه ، الآية : ٨٩ .
(٣) سورة الأعراف ، من الآية : ١٤٨ .
(٤) الرد على الجهمية (ص ١٣٣) .
(٥) سورة البقرة ، من الآية : ٣٠ .
(٦) سورة البقرة ، من الآية : ٣٤ .
(٧) شرح العقيدة الطحاوية (١ / ٢٧٦ – ٢٧٧) .

المخلوقين وأصواتهم كما ذهب أهل السنة والجماعة ؛ وهذا هو المسلك الذي يبعد صاحبه عن تناقضات الفرق واختلاف آرائها .

ثالثاً – الحنان والرحمة :

دل حديثا أبي هريرة وأبي سعيد الخدري – رضي الله عنهما – على حنان الله تعالى ورحمته بعباده ، وذلك في قوله ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه كما عند أحمد : " حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللَّهُ عز وجل مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ؛ أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً ، مِمَّنْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَرْحَمَهُ " .

وفي قوله ﷺ من حديث أبي سعيد رضي الله عنه كما عند مسلم : " فَيَقُولُ اللَّهُ عز وجل : شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ ؛ فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْماً لَمْ يَعْمَلُوا خَيْراً قَطُّ " .

وكما عند أحمد:" ثُمَّ يَشْفَعُ الْأَنْبِيَاءُ فِي كُلِّ مَنْ كَانَ يَشْهَدُ : أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصاً ؛ فَيُخْرِجُونَهُمْ مِنْهَا " ، قال : " ثُمَّ يَتَحَنَّنُ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ عَلَى مَنْ فِيهَا ؛ فَمَا يَتْرُكُ فِيهَا عَبْداً فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ إِلَّا أَخْرَجَهُ مِنْهَا " .

والحنان والرحمة صفتان ثابتتان لله تعالى بالكتاب والسنة .

فقد وصف الله سبحانه نفسه بالحنان في كتابه العزيز بقوله تعالى : ﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ۝ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴾ (١) .

قال الإمام ابن جرير الطبري – رحمه الله – : " يقول تعالى ذكره : ورحمة منّا له ؛ آتيناه الحكم صبياً " (٢) .

أمّا النصوص الواردة في إثبات صفة الرحمة فلا تكاد تحصى كثرة :

فقد وصف الله تعالى نفسه بصفة الرحمة في آيات كثيرة من القرآن الكريم ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ ﴾ (٣) .

وقوله عز وجل: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ (٤) .

---

(١) سورة مريم ، الآيات : ١٢ – ١٣ .

(٢) جامع البيان (١٦ / ٥٥) .

(٣) سورة الأنعام ، من الآية : ١٣٣ .

(٤) سورة الزمر ، من الآية : ٥٣ .

ووصفه بها نبيه ﷺ في جملة من الأحاديث ، ومنها – زيادةً على ما تقدم – :

قوله ﷺ في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه : " لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ ؛ كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ : إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي " [1] .

وهذا إعلان واضح وصريح بأن الرحمة مقدّمة على الغضب ، وأن الرفق مقدّم على الشدة .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قدم على النبي ﷺ سبي ، فإذا امرأة من السّبي قد تحلب ثديها تسقي ؛ إذا وجدت صبياً في السّبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته ، فقال لنا النبي ﷺ : " أَتُرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ "،قلنا : لا ، وهي تقدر على أن لا تطرحه ، فقال : " لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا " [2] .

قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله – عند شرحه لهذا الحديث : " وفيه : إشارة إلى أنه ينبغي للمرء أن يجعل تعلّقه في جميع أموره بالله وحده ؛ وأن كل من فرض أن فيه رحمة ما حتى يقصد لأجلها فالله سبحانه وتعالى أرحم منه ؛ فليقصد العاقل لحاجته من هو أشد له رحمة " [3] .

والرحمة من صفات الله تعالى التي دل عليها كثير من أسمائه الحسنى : كاسمي : (الرحمن) ، و (الرحيم) ، وهي صفة تقتضي الإحسان والإنعام .

والرحمة تنقسم إلى قسمين [4] :

القسم الأول : الرحمة العامة ؛ وهي الرحمة الشاملة التي وسعت الخلق : في أرزاقهم ، وأسباب معايشهم ، ومصالحهم ، وعمّت الجميع : المؤمن ، والكافر ، والبرّ ، والفاجر .

ودليلها : قوله تعالى : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [5] .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [سورة الصافات ، الآية : ١٧١] (٦ / ٢٧١٢ ، رقم ٧٠١٥) ، واللفظ له . ومسلم في صحيحه ، كتاب التوبة ، باب في سعة رحمة الله تعالى (٤ / ٢١٠٨ ، رقم ٢٧٥١) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأدب ، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته (٥ / ٢٢٣٥ ، رقم ٥٦٥٣) ، واللفظ له . ومسلم في صحيحه ، كتاب التوبة ، باب في سعة رحمة الله تعالى (٤ / ٢١٠٩ ، رقم ٢٧٥٤) .

(٣) فتح الباري (١٠ / ٤٣١) .

(٤) انظر : الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١ / ٧٣) .

(٥) سورة الأعراف ، من الآية : ١٥٦ .

القسم الثاني : الرحمة الخاصة ؛ وهي الرحمة التي تختص بالمؤمنين وحدهم دون سواهم في الهداية واللطف بهم .

ودليلها : قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ (١) .

ومن يتتبع دعاء الأنبياء في القرآن الكريم ؛ يجد أن الدعاء بالرحمة قاسم مشترك بينهم جميعاً :

فمن دعاء نوح ﷺ : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ (٢) .

ومن دعاء موسى ﷺ : ﴿ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَـٰفِرِينَ ﴾ (٣) .

وحصر ذلك يصعب ويطول ؛ لكثرة تكراره .

والرحمة المضافة إلى الله تعالى على نوعين (٤) :

أحدهما : مضاف إليه إضافة صفة إلى موصوف : كقوله تعالى : ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ ﴾ (٥) .

وهذه الرحمة صفة لله تعالى تليق بجلاله وعظمته .

والثاني : مضاف إليه إضافة مفعول إلى فاعله : كقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ﴾ (٦) .

وقول النبي ﷺ في الحديث الذي رواه عنه أبو هريرة ﷺ: " خَلَقَ اللَّهُ مِائَةَ رَحْمَةٍ : فَوَضَعَ وَاحِدَةً بَيْنَ خَلْقِهِ ؛ وَخَبَأَ عِنْدَهُ مِائَةً إِلَّا وَاحِدَةً " (٧).

---

(١) سورة الأحزاب ، من الآية : ٤٣ .

(٢) سورة هود ، الآية : ٤٧ .

(٣) سورة الأعراف ، من الآية : ١٥٥ .

(٤) انظر : شرح كتاب التوحيد (٢ / ١٨٥ – ١٨٦) .

(٥) سورة الأنعام ، من الآية : ١٤٧ .

(٦) سورة الأعراف ، من الآية : ٥٧ .

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الرقاق ، باب الرجاء مع الخوف.ومسلم في صحيحه (٥ / ٢٣٧٤ ، رقم ٦١٠٤) ، كتاب التوبة ، باب في سعة رحمة الله تعالى (٤ / ٢١٠٨ ، رقم ٢٧٥٢) ، واللفظ له .

قال الإمام النووي – رحمه الله – في بيان معنى أحاديث الرحمة التسعة والتسعين المدّخرة ليوم القيامة : " هذه الأحاديث من أحاديث الرجاء والبشارة للمسلمين .

قال العلماء : لأنه إذا حصل للإنسان من رحمة واحدة في هذه الدار – المبنية على الأكدار – بالإسلام ، والقرآن ، والصلاة ،والرحمة في قلبه،وغير ذلك مما أنعم الله تعالى به ؛ فكيف الظن بمائة رحمة في الدار الآخرة وهي دار القرار والجزاء ؟ " (١) .

وهذه الرحمة ليست صفة لله تعالى بل هي مخلوقة ؛ وهي من آثار رحمته تعالى .

وعلامات رحمة الله تعالى أظهر من أن تبيّن وأكثر من أن تحصى ؛ ففي كل نعمة رحمة يستدل عليها كل ذي عقل صحيح ، ويعرفها كل ذي قلب سليم ؛ ولا ينكرها إلا كل ظلوم كفّار ؛ وهذا أمر لا يحتاج إلى دليل .

فمن رحمة المولى تبارك وتعالى : أنه كتب على نفسه الرحمة ، كما ذكر ذلك في قوله تعالى : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ (٢) .

قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله – في معنى الآية : " أوجبها على نفسه الكريمة ؛ تفضّلاً منه ، وإحساناً ، وامتناناً " (٣) .

ومن رحمته جل وعلا : أنه يحيي الأرض بالغيث والنبات ، يقول تبارك وتعالى : ﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ﴾ (٤) .

ومن رحمته : أنه جعل الليل سكناً للراحة بعد عناء العمل ؛ والنهار للسعي واكتساب القوت ، كما قال ﷻ : ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ (٥) .

ومن رحمته : أنه أرسل الرسل – عليهم السلام –بالرسالات السماوية إلى الناس كافة ؛ ليخرجهم من الظلمات إلى النور .

وأرسل رسوله محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق ؛ ليكون رحمةً للعالمين،قال سبحانه :

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٧ / ٦٨ – ٦٩) .
(٢) سورة الأنعام ، من الآية : ٥٤ .
(٣) تفسير القرآن العظيم (٢ / ١٣٦) .
(٤) سورة الروم ، من الآية : ٥٠ .
(٥) سورة القصص ، من الآية : ٧٣ .

﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (١) .

ورغم كثرة النصوص الشرعية في إثبات صفة الرحمة ؛ فإنه قد وجد من أنكرها ومن تأولها تأويلاً باطلاً .

فالجهمية أنكرت أسماء الله تعالى وصفاته كلّية ؛ فلم تثبت له اسماً ولا صفة (٢) ، ووافقتهم في ذلك المعتزلة ؛ حيث أثبتت لله تعالى أسماءً بدون صفات (٣) .

وهاتان الطائفتان مجمعتان على نفي صفة الرحمة ؛ لزعمهما أنها ضعف في الطبيعة ، وتألم على المرحوم ؛ وهذا الزعم باطل من وجوه (٤) :

الوجه الأول : أن الضعف مذموم من الآدميين ؛ أمّا الرحمة فهي ممدوحة ، قال تعالى : ﴿ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴾ (٥) .

وقد نهى الله تعالى عن الوهن والحزن ، فقال سبحانه : ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (٦) .

وندب إلى الرحمة ، كما في قوله ﷺ في الحديث الذي رواه عنه أبو هريرة رضي الله عنه : " لَا تُنْزَعُ الرَّحْمَةُ إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ " (٧) .

ومحال أن يقول : لا يترع الضعف إلا من شقي .

ولمّا كانت الرحمة تقارن في حق كثير من الناس الضعف ، كما في رحمة النساء ونحو

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : ٦٣ .

(٢) انظر : مجموع الفتاوي (١٢ / ٥٠٧) .

(٣) انظر : المرجع السابق (٣ / ٢٠) .

(٤) انظر : المرجع السابق (٦ / ١١٧ – ١١٨) .

(٥) سورة البلد ، من الآية : ١٧ .

(٦) سورة آل عمران ، الآية : ١٣٩ .

(٧) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الأدب ، باب في الرحمة (٤ / ٢٨٦ ، رقم ٤٩٤٢) . والترمذي في جامعه ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في رحمة المسلمين (٤ / ٣٢٣ ، رقم ١٩٢٣) ، وقال : " هذا حديث حسن " . وأحمد في مسنده – ط١٤١٧هـ = ١٩٩٧م – (١٥ / ٤٣٩ ، رقم ٩٧٠٢) . والحاكم في المستدرك (٤ / ٢٧٧ ، رقم ٧٦٣٢) ، وقال : " هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه " . وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣ / ٢١٢ ، رقم ٤٩٤٢) ، وصحيح سنن الترمذي (٢ / ٣٥٠ ، رقم ١٩٢٣) .

ذلك ؛ ظن الغالط أنها كذلك مطلقاً .

الوجه الثاني : أنه لو قُدّر أنها في حق المخلوقين مستلزمة للضعف ؛ لم يجب أن تكون في حق الله تعالى مستلزمة لذلك ، كما أن العلم ، والقدرة ، والسمع ، والبصر ، والكلام في حق البشر يستلزم من النقص والحاجة ما يجب تتريه الله تعالى عنه .

الوجه الثالث : أنه معلوم بالاضطرار أنه لو فرض موجودان :

أحدهما : يرحم غيره ؛ فيجلب له المنفعة ويدفع عنه المضرة .

والآخر : قد استوى عنده هذا وهذا ؛ وليس عنده ما يقتضي جلب المنفعة ولا دفع المضرة ؛ كان الأول أكمل .

أمّا الأشاعرة فقد تأولوا هذه الصفة بغير المراد منها ، فقالوا : بأنها الإحسان أو إرادة الإحسان .

قال البيجوري [(١)] في معنى اسمي الله تعالى : (الرحمن ، والرحيم) :" والرحمن الرحيم : صفتان مأخوذتان من الرحمة بمعنى : الإحسان أو إرادة الإحسان .

فالرحمن الرحيم في حقه بمعنى : المحسن أو مريد الإحسان ، لكن الأول بمعنى : المحسن بجلائل النعم ، أي بالنعم الجليلة ، والثاني بمعنى : المحسن بدقائق النعم، أي بالنعم الدقيقة " [(٢)] .

ولا يصحّ تفسير الرحمة بالإحسان ؛ إذ إن الرحمة لا تنفك عن إرادة الإحسان ، بل هي مستلزمة للإحسان أو إرادته استلزام الخاص للعام،فكما يستحيل وجود الخاص بدون العام ؛ فكذلك الرحمة بدون الإحسان أو إرادته يستحيل وجودها [(٣)] .

ومما تقدم يتبيّن :

أن الحنان والرحمة من صفات الله تعالى اللائقة بجلاله وعظمته ؛ والتي يجب أن يوصف

---

(١) هو : إبراهيم بن محمد بن أحمد البيجوري ، من فقهاء الشافعية ، قدم الأزهر فتعلم فيه ؛حتى تقلد مشيخته ، من تصانيفه : (التحفة الخيرية) ، و (تحفة المريد) ، توفي سنة ١٢٧٧هـ .انظر : الأعلام (١ / ٧١) . ومعجم المؤلفين (١ / ٥٧) .

(٢) حاشية الإمام البيجوري على جوهرة التوحيد (تحفة المريد على جوهرة التوحيد) ، إبراهيم بن محمد البيجوري ، تحقيق : أ.د علي جمعة الشافعي ، ط١ (القاهرة : دار السلام ، ١٤٢٢هـ = ٢٠٠٢م) ، (ص ٢٥) .

(٣) انظر : بدائع الفوائد (٣ / ٥٣٤) .

بها كما وصف بها نفسه ووصفه بها رسوله ﷺ ؛ بخلاف ما عليه أهل البدع الذين نفوا صفة الرحمة أو أوّلوها بلا دليل .

رابعاً – الحَكم والعدل :

دل حديثا أبي هريرة وأبي سعيد الخدري – رضي الله عنهما – على أن الله تعالى حَكم عدل ، وذلك في قوله ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه كما عند مسلم : " ثُمَّ يَفْرُغُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ " .

وفي قوله ﷺ من حديث أبي سعيد رضي الله عنه كما عند البخاري : " فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ،وَيُحَرِّمُ اللَّهُ صُوَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ، فَيَأْتُونَهُمْ ، وَبَعْضُهُمْ قَدْ غَابَ فِي النَّارِ إِلَى قَدَمِهِ ، وَإِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ ؛ فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا ، ثُمَّ يَعُودُونَ ، فَيَقُولُ : اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ فَأَخْرِجُوهُ ؛ فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا ، ثُمَّ يَعُودُونَ ، فَيَقُولُ : اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ " .

والحَكم والعدل صفتان ثابتتان لله عز وجل بالكتاب والسنة .

فمن الكتاب :

قوله سبحانه : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ [١] .

قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله – : " يقول تعالى : صدقاً في الأخبار ، وعدلاً في الطلب ؛ فكل ما أخبر به فحق لا مرية فيه ولا شك ، وكل ما أمر به فهو العدل الذي لا عدل سواه ، وكل ما نهى عنه فباطل ؛ فإنه لا ينهى إلا عن مفسدة " [٢] .

وقوله تعالى : ﴿ فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾ [٣] .

قال الإمام ابن جرير الطّبري – رحمه الله – في تفسيرها : " فاحتبسوا على قضاء الله الفاصل بيننا وبينكم ؛ والله خير من يفصل وأعدل من يقضي ؛ لأنه لا يقع في حكمه ميل إلى أحد ولا محاباة لأحد " [٤] .

(١) سورة الأنعام ، من الآية : ١١٥ .
(٢) تفسير القرآن العظيم (٢ / ١٦٨ – ١٦٩) .
(٣) سورة الأعراف ، من الآية : ٨٧ .
(٤) جامع البيان (٨ / ٢٤٠) .

ومن السنة – زيادةً على ما سبق – :

ما رواه عبد الله بن مسعود ﷺ قال : لّما كان يوم حُنين آثر النبي ﷺ أناساً في القسمة ، فقال رجل : والله إن هذه القسمة ما عُدِل فيها وما أريد بها وجه الله ، فقلت : والله لأخبرن النبي ﷺ ؛ فأتيته فأخبرته ، فقال : " فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ يَعْدِلْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ " (١) .

وعن هانئ بن يزيد ﷺ قال : إنه لّما وفد إلى رسول الله ﷺ مع قومه سمعهم يكنّونه : بأبي الحَكم ؛ فدعاه رسول الله ﷺ ، فقال : " إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَكَمُ وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ " (٢) .

وهذا النص صريح في إثبات اسم : (الحَكم) لله تعالى وحده .

واسم الله تعالى : (الحَكم) يرجع إلى معاني : الإرادة ، والكلام ، والفعل .

يقول القرطبي – رحمه الله – : " فالحَكم : من له الحكم ، وهو تنفيذ القضايا وإمضاء الأوامر والنواهي ؛ وذلك بالحقيقة هو الله تعالى ، فهذا الاسم يرجع تارةً إلى معنى : الإرادة ، وتارةً إلى معنى : الكلام ، وتارةً إلى الفعل .

فأمّا رجوعه إلى الإرادة ؛ فإن الله تعالى حكم في الأزل بما اقتضته إرادته ، ونفذ القضاء في اللوح المحفوظ يجري القلم فيه على وفاق حكم الله ؛ ثم جرت في الوجود الأقدار : بالخير ، والشر ، والعرف ، والنكر على وفاق القضاء والحكم .

وإذا كان راجعاً إلى معنى الكلام فيكون معناه : المبيّن لعباده في كتابه ما يطالبهم به من أحكامه ، كما يقال لمن يبيّن للناس الأحكام : حَكم ؛ وعلى هذا فلا يكون في الوجود حَكم إلا كتابه ؛ فعنده يوقف إذ هو الحَكم العدل .

وإذا كان راجعاً إلى الفعل فيكون معناه : الحَكم الذي ينفّذ أحكامه في عباده : بإشقائه إياهم ، وإسعاده وتقريبه إياهم ، وإبعاده على وفق مراده " (٣).

وحكم الله تعالى في خلقه على نوعين (٤) :

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب أبواب الخمس ، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم (٣ / ١١٤٨ ، رقم ٢٩٨١) .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الأدب ، باب في تغيير الاسم القبيح (٤ / ٢٨٩ ، رقم ٤٩٥٥) ، واللفظ له . والنسائي في سننه الصغري ، كتاب آداب القضاة ، باب إذا حكموا رجلاً فقضى بينهم (٨ / ٢٢٦ ، رقم ٥٣٨٧) . والحاكم في المستدرك (١ / ٧٥ ، رقم ٦٢) . وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣ / ٢١٦ ، رقم ٤٩٥٥)،وصحيح سنن النسائي (٣ / ٤٣٤ ، رقم ٥٤٠٢) .

(٣) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١ / ٤٣٨) .

(٤) انظر : شفاء العليل (ص ٢٨٠) . وأسماء الله الحسنى (ص ٥٨٣) .

النوع الأول : حكم يتعلّق بالتدبير الكوني ؛ وهو واقع لا محالة ؛ لأنه يتعلّق بالمشيئة ، ومشيئة الله تعالى لا تكون إلا بالمعنى الكوني ، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ؛ ومن ثم لا راد لقضائه ولا معقّب لأمره .

ومن هذا الحكم ما ورد في قوله تعالى : ﴿ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ﴾ (١) .

أي افعل ما تنصر به عبادك وتخذل به أعداءك .

النوع الثاني :حكم يتعلّق بالتدبير الشرعي : وهو حكم تكليفي ديني يترتّب عليه ثواب وعقاب ، وموقف المكلّفين يوم الحساب .

ومثاله :

ما جاء في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ (٢) .

وقد يرد الحكم بالمعنيين معاً : كقوله تعالى : ﴿ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ (٣) .

فهذا يتناول : حكمه الكوني وحكمه الشرعي .

والله تعالى لا يصدر عنه إلا العدل ؛ فهو المترّه عن الظلم والجور : في قوله ، وفعله ، وقضائه ، وقدره ، وأمره ، ونهيه ، وثوابه ، وعقابه .

فخبره كله صدق ، وقضاؤه كله عدل ، وأمره كله مصلحة ؛ والذي نهى عنه كله مفسدة ، وثوابه لمن يستحق الثواب بفضله ورحمته ؛ وعقابه لمن يستحق العقاب بعدله وحكمته (٤) .

قال الإمام ابن القيّم – رحمه الله – :

والعَدْلُ مِنْ أوصافِهِ في فِعْلِهِ   ومَقَالِه والحُكْمِ بالميزانِ (٥)

ومن أراد أن يفهم شيئاً من معاني عدل الله تعالى في كونه ؛ فلينظر إلى ملكوت السماوات والأرض فإنه لم يقم إلا بالعدل ؛ بل إن انتظام أمر العالم كله إنما هو دليل وشاهد

(١) سورة الأنبياء ، من الآية ١١٢ .
(٢) سورة المائدة ، من الآية : ١ .
(٣) سورة الكهف ، من الآية : ٢٦ .
(٤) انظر : الفوائد ، محمد بن أبي بكر الزرعي (ابن القيم) ، ط٢ ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٣٩٣هـ = ١٩٧٣م) ، (ص ٢٣) .
(٥) توضيح المقاصد (٢ / ٢٣٣) .

على عدله تعالى .

قال أبو حامد الغزالي – رحمه الله – : " فمن أراد أن يفهم هذا الوصف ؛ فينبغـــي أن يحيط علماً بأفعال الله تعالى : من ملكوت السماوات إلى منتهى الثرى ؛ حتى إذا لم يـــر في خلق الرحمن من تفاوت ، ثم رجع إليه بصره فما رأى من فطور ، ثم رجع مـــرة أخـــرى فانقلب إليه البصر خاسئاً وهو حسير ، وقد بهره جمال الربوبية وحيّره اعتدالها وانتظامهـــا ؛ فعند ذلك يعبق بفهمه شيء من معاني عدله تعالى وتقدّس .

وعلى هذا ينبغي أن تعلم أنه لم يخلق شيء في موضع إلا لأنه متعيّن له؛ ولو تيامن عنه ، أو تياسر ، أو تسفّل ، أو تعلّى لكان ناقصاً ، أو باطلاً ، أو قبيحاً،أو خارجاً عن المتناسب ، ثم إن الإنسان لو نظر في ملكوت السماوات والأرض وعجائبها ؛ لرأى ما يـــستحقر فيـــه عجائب بدنه ؛ وكيف لا ؟ وخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس " [(١)] .

ويتضح مما سبق :

أن الله تعالى حَكم عدل لا يجور في حكمه ؛ بل أحكامه كلها حق لا ظلم فيها بوجه من الوجوه .



(١) المقصد الأسنى (ص ٩٨ – ٩٩) بتصرف .

المطلب الرابع
الصفات التي تطلق من باب المقابلة

ومن الصفات التي تطلق على الله تعالى من باب المقابلة والمذكورة في حديث أبي هريرة رضي الله عنه ما يلي :

النسيان :

دل حديث أبي هريرة رضي الله عنه على إطلاق صفة النسيان على الله تعالى من باب الجزاء والمقابلة ، وذلك في قوله ﷺ كما عند مسلم : " فَيَلْقَى الْعَبْدَ ، فَيَقُولُ : أَيْ فُلْ ، أَلَمْ أُكْرِمْكَ ، وَأُسَوِّدْكَ ، وَأُزَوِّجْكَ ، وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ ؟ فَيَقُولُ : بَلَى ، قَالَ : فَيَقُولُ : أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ ؟ فَيَقُولُ : لَا ، فَيَقُولُ : فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي ، ثُمَّ يَلْقَى الثَّانِيَ ، فَيَقُولُ : أَيْ فُلْ ، أَلَمْ أُكْرِمْكَ ، وَأُسَوِّدْكَ ، وَأُزَوِّجْكَ ، وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ ، فَيَقُولُ : بَلَى ، أَيْ رَبِّ ، فَيَقُولُ : أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ ؟ فَيَقُولُ : لَا ، فَيَقُولُ : فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي " .

وصفة النسيان من الصفات التي هي كمال باعتبار ونقص باعتبار ؛ ومنهج أهل السنة أنهم يثبتونها لله تعالى حال كمالها وينفونها عنه حال نقصها [١] .

وبيان ذلك أن يقال :

إن النسيان في لغة العرب له معنيان :

المعنى الأول : " ضد الذكر والحفظ ، يقال : نسيت الشيء نسياناً ونسياً " [٢] .

فهذا النوع من النسيان الذي بمعنى : الغفلة والذهول عن الشيء ؛ نقص لا يوصف الله تعالى به؛وقد نفاه الله جل شأنه عن نفسه في قوله سبحانه: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ [٣] ، وقوله عز وجل : ﴿ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾ [٤] .

فلا يجوز وصف الله تعالى بالنسيان بهذا المعنى على أي حال .

(١) انظر : القواعد المثلى (ص ٢٠) .
(٢) لسان العرب ، مادة (نسا) ، (١٥ / ٣٢٢) .
(٣) سورة مريم ، من الآية : ٦٤ .
(٤) سورة طه ، من الآية : ٥٢ .

المعنى الثاني : " الترك ، يقال : أنسيته ، أي أمرت بتركه ، ونسيته تركته " [(١)] .

فهذا النسيان يكون عن علم وقصد ؛ جزاءً ومقابلةً للمتروك ؛ وهو بهذا المعنى صفة كمال ثابتة لله تعالى بالكتاب والسنة .

أمّا في الكتاب فلا تكون صفة النسيان إلا مضافة لله تعالى في باب الجزاء والمقابلة ، كما في قوله تعالى : ﴿ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ [(٢)] .

قال الإمام ابن جرير الطّبري – رحمه الله – : " فإن معناه : تركوا الله أن يطيعوه ويتّبعوا أمره ؛ فتركهم الله من توفيقه ، وهدايته ، ورحمته " [(٣)] .

وقوله سبحانه : ﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾ [(٤)] .

وقوله ﷻ : ﴿ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ۖ ﴾ [(٥)] .

قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله – في تفسيرها : " أي يقال لأهل النار – على سبيل التوبيخ – : ذوقوا هذا العذاب بسبب تكذيبكم به ، واستبعادكم وقوعه ، وتناسيكم له ؛ إذ عاملتموه معاملة من هو ناسٍ له ؛ إنا سنعاملكم معاملة الناسي ؛لأنه تعالى لا ينسى شيئاً ولا يضلّ عنه شيء ، بل من باب المقابلة " [(٦)] .

وقوله جل شأنه : ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ ﴾ [(٧)] .

وفي هذه الآية بيان للعقوبة المترتّبة على من نسي الله تعالى ؛ بأن ينسيه الله سبحانه نفسه ، والعمل لأسباب سعادتها وفلاحها في الدارين [(٨)] .

وقد وضّح ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – حينما قال : " وقوله : ﴿ وَلَا

---

(١) لسان العرب ، مادة (نسا) ، (١٥ / ٣٢٢) .

(٢) سورة التوبة ، من الآية : ٦٧ .

(٣) جامع البيان (١٠ / ١٧٥) .

(٤) سورة طه ، الآية : ١٢٦ .

(٥) سورة السجدة ، من الآية : ١٤ .

(٦) تفسير القرآن العظيم (٣ / ٤٥٩) .

(٧) سورة الحشر ، من الآية : ١٩ .

(٨) انظر : فتاوى العقيدة ، جمع من العلماء ، ط١ (القاهرة : دار ابن الجوزي ، ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م) ، (ص ٧٦ – ٧٨) .

تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾ (١) يقتضي أن نسيان الله كان سبباً لنسيانهم أنفسهم ؛ وأنهم لمّا نسوا الله عاقبهم بأن أنساهم أنفسهم .

ونسيانهم أنفسهم يتضمن إعراضهم ، وغفلتهم ، وعدم معرفتهم بما كانوا عارفين به قبل ذلك من حال أنفسهم ، كما أنه يقتضي تركهم لمصالح أنفسهم " (٢) .

وأمّا الدليل من السنة : فقد تقدم .

ولقد قرّر علماء أهل السنة والجماعة إطلاق هذه الصفة على الله تعالى على معنى : الترك دون الغفلة والذهول ، وفيما يلي نقل بعض أقوالهم في ذلك :

قال الإمام أحمد – رحمه الله – في بيان معنى النسيان الوارد في قوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ﴾ (٣) : " أي نترككم في النار ؛ كما تركتم العمل للقاء يومكم هذا " (٤) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في معرض الحديث عن من فسّر نسيان العبد بالترك :"وهؤلاء أتوا من حيث أرادوا أن يفسّروا نسيان العبد بما قيل في نسيان الرب ؛ وذاك قد فُسّر بالترك ففسّروا هذا بالترك ؛ وهذا ليس بجيد ؛ فإن النسيان المناقض للذكر جائز على العبد بلا ريب ، والإنسان يعرض عمّا أُمر به حتى ينساه فلا يذكره ؛ فلا يحتاج أن يجعل نسيانه تركاً مع استحضار وعلم ؛ وأمّا الرب تعالى فلا يجوز عليه ما يناقض صفات كماله سبحانه وتعالى " (٥) .

ويظهر من خلال ما سبق :

أن حمل النسيان في حق الله تعالى على معنى : الترك أمر متعيّن ؛ إذ لا يستقيم في حقه سبحانه أن يوصف بالنسيان على معنى: الغفلة ؛ لأن النسيان بهذا المعنى من صفات النقص في البشر،والله سبحانه موصوف بصفات الكمال والجلال، وهو منزّه عن صفات النقص .



(١) سورة الحشر ، من الآية : ١٩ .
(٢) مجموع الفتاوى (١٦ / ٣٤٨ – ٣٤٩) .
(٣) سورة الجاثية ، من الآية : ٣٤ .
(٤) الرد على الزنادقة (ص ١٨) .
(٥) مجموع الفتاوى (١٦ / ٣٥٢) .

الباب الثاني

الباب الثاني

المباحث المتعلّقة بالإيمان بالملائكة واليوم الآخر

وفيه خمسة فصول :

الفصل الأول : دلالة الحديثين على الإيمان بالملائكة

الفصل الثاني : دلالة الحديثين على الحشر والحساب

الفصل الثالث : دلالة الحديثين على الصراط

الفصل الرابع : دلالة الحديثين على الشفاعة

الفصل الخامس : دلالة الحديثين على الجنة والنار



الفصل الأول

الفصل الأول

دلالة الحديثين على الإيمان بالملائكة

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : تعريف الملائكة

المبحث الثاني : كيفية الإيمان بالملائكة

وفيه تمهيد ومطلبان :

المطلب الأول : الإيمان بوجود الملائكة

المطلب الثاني : الإيمان بأعمال الملائكة

المبحث الأول

تعريف الملائكة

الملائكة في اللغة :

جمع : ملَك بفتح اللام .

" وأصله : مألك ؛ ثم قُلبت الهمزة إلى موضع اللام ، فقيل : ملأك ؛ ثم خُفّفت الهمزة بأن أقيمت حركتها على الساكن الذي قبلها ، فقيل : ملَك " (١) .

" ومنه : الألوكة بمعنى : الرسالة ؛ وسميت الرسالة ألوكاً لأنها تؤلك بالفم .

قال لبيد بن ربيعة رضي الله عنه :

وغلامٍ أَرْسَلَتْهُ أُمُّهُ   بِأُلُوكٍ فَبَذَلْنَا ما سَأَلْ (٢) " (٣)

" ومنه قولهم : ألكني إلى فلان ، أي كن رسولي إليه " (٤) .

وعـرّف شيخ الإسلام ابـن تيمية – رحمه الله – الملَك بأنه : " حامل الألوكة وهي الرسالة " (٥) .

وقيل : مشتق من المُلك .

يقول الرّاغب الأصفهاني – رحمه الله – : " وقال بعض المحققين : هو من المُلك ، والمتولي من الملائكة شيئاً من السياسات يقال له : ملَك بالفتح ، ومن البشر يقال له : ملِك بالكسر " (٦) .

" وقيل : أصله المَلْك بفتح ثم سكون ، وهو الأخذ بقوة " (٧) .

---

(١) لسان العرب ، مادة (ألك) ، (١٠ / ٣٩٤) .

(٢) ديوان لبيد بن ربيعة ، لبيد بن ربيعة العامري ، تحقيق : د. حنا نصر الحتي ، ط١ (بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م) ، (ص ١٢٣) .

(٣) تاج العروس ، مادة (ألك) ، (٢٧ / ٤٨) .

(٤) الاشتقاق ، محمد بن الحسن بن دريد ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، ط٣ (القاهرة : مكتبة الخانجي ، د.ت) ، (ص ٢٧) .

(٥) كتاب النبوات (٢ / ٧٢٠) .

(٦) المفردات في غريب القرآن ، مادة (ملك) ، (ص ٤٧٣) .

(٧) فتح الباري لابن حجر (٦ / ٣٠٦) .

والذي يظهر من التعريف اللغوي :

أن الملائكة سفراء الله تعالى وحملة وحيه ؛ فهم مرسلون من الله ﷻ ومبلّغون عنه : يرسلهم تعالى إلى أنبيائه ورسله – عليهم السلام – لتبليغهم بالوحي ، أو لتنفيذ أمره سبحانه في الخلق ، أو لتولي تدبير ما أُسند إليهم من تصريف شؤون الكون .

الملائكة في الاصطلاح :

قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله – : " هي أجسام لطيفة أعطيت قدرة على التشكل بأشكال مختلفة ، ومسكنها السماوات " [(١)] .

وعرّفها الشيخ العثيمين – رحمه الله – بقوله : " عالم غيبي ، مخلوقون ، عابدون لله تعالى ؛ وليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء ، خلقهم الله تعالى من نور ، ومنحهم الانقياد التام لأمره ؛ والقوة على تنفيذه " [(٢)].

والتعريف الأخير هو الأولى والأسلم ؛ وذلك لأن الملائكة خلق من خلق الله تعالى ، وحقيقتهم من الغيب الذي ليس للبشر علم به إلا عن طريق الخبر الصادق : المتمثل في الكتاب والسنة ؛ فيجب الوقوف عند ذلك ، وترك التكلّف في تعريفهم بما لم يدل عليه الدليل الشرعي الثابت .

(١) فتح الباري (٦ / ٣٠٦) .

(٢) شرح ثلاثة الأصول (ص ٨٧) .

المبحث الثاني

كيفية الإيمان بالملائكة

تمهيد :

إن الإيمان بالملائكة أحد أركان الدين الستة التي لا يصحّ إيمان عبد ولا يقبل إلا بها ؛ كما دلت على ذلك نصوص الوحي : من الكتاب والسنة .

قال تعالى : ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ ﴾ (١).

وقال ﷻ: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾ (٢) .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أجاب جبريل عليه السلام حين سأله عن الإيمان بقوله : " أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ ، وَمَلَائِكَتِهِ ، وَكُتُبِهِ ، وَرُسُلِهِ ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ " (٣) .

هذا وللسلف نصوص كثيرة استقوها من الكتاب والسنة في وجوب الإيمان بالملائكة ، ومنها :

قال الإمام ابن منده – رحمه الله – : " ذكر ما يدل على أن ابتداء الإيمان : أن يؤمن العبد بالله ﷻ وحده ، وكتبه ، ورسله : من الملائكة والنبيين صلّى الله عليهم وسلّم " (٤) .

وقال الإمام ابن حزم – رحمه الله – : " وإن الملائكة حق والجن حق ، قال الله تعالى : ﴿ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ ﴾ (٥) " (٦) .

---

(١) سورة البقرة ، من الآية : ١٧٧.

(٢) سورة البقرة ، من الآية : ٢٨٥ .

(٣) تقدم تخريجه ص ٧ .

(٤) الإيمان ، محمد بن إسحاق بن منده ، تحقيق : د. علي بن محمد الفقيهي ، ط٢ (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٦هـ) ، (١ / ١٢٤) .

(٥) سورة فاطر ، من الآية : ١ .

(٦) الدرة فيما يجب اعتقاده ، علي بن أحمد بن حزم ، تحقيق : د. أحمد بن ناصر الحمد ؛ وسعيد بن عبد الرحمن القزقي ، ط١ (مكة المكرمة : مكتبة التراث ، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م) ، (ص ٢٠٦) .

فالإيمان بالملائكة في حقيقته جزء من الإيمان بالغيب الذي أمرنا به .

ولقد ضلّ في هذا الركن العظيم شواذ من بني البشر ممن لم يجعل الله تعالى له نوراً .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : "والإقرار بالملائكة والجن عام في بني آدم ؛ لم ينكر ذلك إلا شواذ من بعض الأمم ؛ ولهذا قالت الأمم المكذّبة : ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَـٰٓئِكَةً ﴾ [(١)] ، حتى قوم نوح ، وعاد ، وثمود ، وقوم فرعون .

قال قوم نوح : ﴿ مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَـٰٓئِكَةً ﴾ [(٢)] .

وقال تعالى عن قومي عاد وثمود : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَـٰعِقَةً مِّثْلَ صَـٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ۝ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَـٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَـٰفِرُونَ ﴾ [(٣)] .

وفرعون وإن كان مُظهراً لجحد الرب فإنه ما قال : ﴿ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴾ [(٤)] ؛ إلا وقد سمع بذكر الملائكة إمّا معترفاً بهم وإمّا منكراً لهم .

فذكر الملائكة والجن عام في الأمم ؛ وليس في الأمم أمة تنكر ذلك إنكاراً عاماً ؛ وإنما يوجد إنكار ذلك في بعضهم " [(٥)] .

والإيمان بالملائكة – كما قرّر أهل العلم – يتضمن عدة أصول لا بد للعبد من تحقيقها ، وهي على الكيفية التالية [(٦)] :

الأصل الأول : الإيمان بوجودهم ؛ والتصديق بذلك تصديقاً جازماً لا يتطرق إليه شك

(١) سورة المؤمنون ، من الآية : ٢٤ .

(٢) سورة المؤمنون ، من الآية : ٢٤ .

(٣) سورة فصلت ، الآيات : ١٣ – ١٤ .

(٤) سورة الزخرف ، الآية : ٥٣ .

(٥) كتاب النبوات (١ / ١٩٤ – ١٩٥) .

(٦) انظر : رسائل في العقيدة للعثيمين (ص ١٩-٢٠) .

ولا ريب :

وسيأتي بيان ذلك في المطلب القادم .

الأصل الثاني : الإيمان المجمل بمن لم نعلم اسمه منهم ؛ والإيمان المفصّل بمن جاء التصريح باسمه على وجه الخصوص في الكتاب أو السنة :

وقد أشار الحافظ ابن حجر – رحمه الله – عند شرحه لباب ذكر الملائكة من صحيح البخاري إلى بعض من ثبتت تسميته من الملائكة ، فقال : " وقد اشتملت أحاديث الباب على ذكر بعض من اشتهر من الملائكة : كجبريل؛ووقع ذكره في أكثر أحاديثه، وميكائيل ، والمَلَك الموكل بتصوير ابن آدم ، ومالك خازن النار ، وملَك الجبال ، والملائكة الذين في كل سماء ، والملائكة الذين يترلون في السحاب ، والملائكة الذين يدخلون البيت المعمور ، والملائكة الذين يكتبون الناس يوم الجمعة ، وخزنة الجنة ، والملائكة الذين يتعاقبون " [(١)] .

وقال أيضاً : " ومن مشاهير الملائكة إسرافيل،و لم يقع له ذكر في أحاديث الباب " [(٢)] .

الأصل الثالث : الإيمان بما علمنا من صفاهم :

وقد تضمن الكتاب والسنة الكثير من النصوص المبيّنة لصفات الملائكة وحقائقها ، ومن ذلك [(٣)] :

١– أهم مخلوقون من نور ، فعن عائشة – رضي الله عنها – قالت : قال رسول الله ﷺ : " خُلِقَتْ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ [(٤)] مِنْ نَارٍ ،وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ " [(٥)] .

٢– أهم أولو أجنحة : فمنهم من له جناحان ، ومنهم من له ثلاثة ، ومنهم من له أربعة ، ومنهم من له أكثر من ذلك ، يقول تعالى : ﴿ جَاعِلِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ

---

(١) فتح الباري (٦ / ٣٠٧) .

(٢) المرجع السابق (٦ / ٣٠٨) .

(٣) انظر : أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة ، نخبة من العلماء ، ط١ (المدينة المنورة : مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، ١٤٢١هـ) ، (ص ٩٩– ١٠٢) .

(٤) المارج معناه : الخلط ، وقيل : الشعلة ، وقيل : اللهب المختلط بسواد النار . انظر : النهاية في غريب الحديث ، مادة (مرج) ، (٤ / ٣١٥) . وتاج العروس ، مادة (مرج) ، (٦ / ٢٠٩) .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الزهد والرقائق ، باب في أحاديث متفرقة (٤ / ٢٢٩٤ ، رقم ٢٩٩٦) .

وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ ﴾ (١) .

كما ثبت في السنة الشريفة : أن النبي ﷺ رأى جبريل عليه السلام على صورته التي خُلق عليها ؛ وله ستمائة جناح قد سدّ الأفق (٢) .

٣- أنهم موصوفون بالقوة والشدة ، كما قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ ﴾ (٣) .

وقال سبحانه في وصف جبريل عليه السلام : ﴿ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ (٤) ﴾ (٥) .

قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله – : " أي شديد الخلق ؛ شديد البطش والفعل " (٦) .

٤- أنهم موصوفون بالحسن والجمال ، قال تعالى في حق جبريل عليه السلام : ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ﴾ (٧) .

قال ابن عباس – رضي الله عنهما – في بيان معنى : ﴿ ذُو مِرَّةٖ ﴾ (٨) : " ذو منظر حسن " (٩) .

وقال قتادة – رحمه الله – : " ذو خلق طويل حسن " (١٠) .

وقال ﷻ مخبراً عن حال صويحبات يوسف عليه السلام عند رؤيتهن له : ﴿ فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ

---

(١) سورة فاطر ، من الآية : ١ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، كتاب بدء الخلق ، باب إذا قال أحدكم : آمين (٣ / ١١٨١ ، رقم ٣٠٦٠) . ومسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب في ذكر سدرة المنتهى (١ / ١٥٨ ، رقم ١٧٤) .

(٣) سورة التحريم ، من الآية : ٦ .

(٤) مكين : أي متمكن ذو قدر ومنزلة . انظر : المفردات في غريب القرآن ، مادة (مكن) ، (ص ٤٧١) . وتذكرة الأريب (ص ٤٤١) .

(٥) سورة التكوير ، الآية : ٢٠ .

(٦) تفسير القرآن العظيم (٤ / ٤٨٠) .

(٧) سورة النجم ، الآيات : ٥ – ٦ .

(٨) سورة النجم ، من الآية : ٦ .

(٩) أخرجه الطبري في جامع البيان (٢٧ / ٤٢) .

(١٠) أخرجه الطبري في جامع البيان (٢٧ / ٤٣) .

﴿ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ [(١)] .

وإنما قلن ذلك ؛ لما هو مقرّر عند الناس من وصف الملائكة بالجمال الباهر .

٥- أن لهم قدرة على التشكل والتمثل بصور البشر – بإذن الله تعالى – كما تمثل جبريل عليه السلام لمريم بشراً سوياً ، قال تعالى : ﴿ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ [(٢)] .

قال قتادة – رحمه الله – : " أرسل إليها فيما ذكر لنا جبريل " [(٣)] .

وكثيراً ما كان يتمثل للنبي ﷺ بصورة الصحابي الجليل دِحية الكلبي رضي الله عنه ، كما جاء في حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه قال : أنبئت : أن جبريل أتى النبي ﷺ وعنده أم سلمة ؛ فجعل يتحدث ، فقال النبي ﷺ لأم سلمة : " مَنْ هَذَا ؟ " ، قالت : هذا دِحية ، فلمّا قام قالت : والله ما حسبته إلا إياه حتى سمعت خطبة النبي ﷺ يخبر خبر جبريل [(٤)] .

قال النووي – رحمه الله – في شرح الحديث : " وفيه : جواز رؤية البشر الملائكة ووقوع ذلك ؛ ويرونهم على صورة الآدميين لأنهم لا يقدرون على رؤيتهم على صورهم ؛ وكان النبي ﷺ يرى جبريل على صورة دِحية غالباً " [(٥)] .

٦- أنهم موصوفون بالعلم ، قال تعالى في خطابه للملائكة : ﴿ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [(٦)] .

فأثبت الله عز وجل للملائكة علماً ، كما أثبت لنفسه علماً لا يعلمونه .

وقال جل شأنه عن جبريل عليه السلام : ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾ [(٧)] .

---

(١) سورة يوسف ، من الآية : ٣١ .

(٢) سورة مريم ، الاية : ١٧ .

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٦ / ٦٠) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب فضائل القرآن ، باب كيف نزل الوحي (٤ / ١٩٠٥ ، رقم ٤٦٩٥) ، واللفظ له . ومسلم في صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة – رضي الله عنهم – باب من فضائل أم سلمة أم المؤمنين – رضي الله عنها – (٤ / ١٩٠٦ ، رقم ٢٤٥١) .

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم (١٦ / ٨) .

(٦) سورة البقرة ، من الآية : ٣٠ .

(٧) سورة النجم ، الآية : ٥ .

قال الإمام ابن جرير الطّبري – رحمه الله – : " يقول تعالى ذكره : علّم محمداً ﷺ هذا القرآن جبريل عليه السلام "[١] .

وهذا التفسير يتضمن وصف جبريل عليه السلام بالعلم والتعليم .

٧– أنهم موصوفون بالحياء ؛ فالملائكة تستحي استحياءً يليق بحالها ؛ لحديث عائشة – رضي الله عنها – أن النبي ﷺ قال عن عثمان بن عفّان رضي الله عنه : " أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ "[٢] .

إلى غير ذلك مما ثبت من صفاتهم العظيمة وأخلاقهم الكريمة الدالة على علو شأنهم وسمو منازلهم .

الأصل الرابع : الإيمان بما علمنا من أعمالهم الموكلة إليهم :

وسيأتي الحديث عنها بالتفصيل لاحقاً .

ويتضح من خلال ما سبق : جملة ما يجب اعتقاده في حق الملائكة الكرام مما دلت عليه النصوص الشرعية .



(١) جامع البيان (٢٧ / ٤٢) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة – رضي الله عنهم – باب من فضائل عثمان بن عفان رضي الله عنه (٤ / ١٨٦٦ ، رقم ٢٤٠١) .

المطلب الأول

الإيمان بوجود الملائكة

دلت النصوص الشرعية على وجود الملائكة حقيقة ، كما جاء في حديثي أبي هريرة وأبي سعيد الخدري – رضي الله عنهما – في قوله ﷺ كما عند النسائي " فَإِذَا فَرَغَ اللَّهُ ﷻ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ خَلْقِهِ ، وَأَخْرَجَ مِنَ النَّارِ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَ ، أَمَرَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ وَالرُّسُلَ أَنْ تَشْفَعَ " .

وفي قوله ﷺ من حديث أبي هريرة ﷺ كما عند البخاري : " حَتَّى إِذَا أَرَادَ اللَّهُ رَحْمَةَ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ؛ أَمَرَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ ؛ فَيُخْرِجُونَهُمْ وَيَعْرِفُونَهُمْ بِآثَارِ السُّجُودِ ؛ وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ،فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ" .

فالحديثان – كما لا يخفى – يدلان بجلاء على وجود الملائكة ، واختصاصهم ببعض المهام والأعمال التي يقومون بها ؛ طاعةً لله تعالى وتنفيذاً لأمره ، كما أن فيهما : إثباتاً وتوكيداً على شفاعتهم للمؤمنين يوم القيامة .

وفي كتاب الله تعالى مواضع كثيرة تتحدث عن الملائكة ، ومن ذلك :

قوله ﷻ : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (١) .

وقد جاءت عبارات السلف لتؤكد هذا المعنى ؛حتى ذهب الإمام ابن القيّم –رحمه الله – إلى أنه : " لا تخلو سورة من سور القرآن عن ذكر الملائكة : تصريحاً ،أو تلويحاً ،أو إشارة ؛ وأمّا ذكرهم في الأحاديث النبوية فأكثر وأشهر من أن يذكر " (٢) .

وقال الحافظ ابن حجر – رحمه الله – عند شرحه لحديث جبريل عليه السلام (٣) : " قوله : " وَمَلَائِكَتِهِ " الإيمان بالملائكة : هو التصديق بوجودهم " (٤) .

فوجود الملائكة إذن : صفة ثابتة لا يقوى أي عاقل على إبطالها أو نفيها ؛ وعليه من أنكر وجود الملائكة فقد كفر ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ

---

(١) سورة البقرة ، من الآية : ٣٠ .

(٢) إغاثة اللهفان (٢ / ١٣١) .

(٣) تقدم تخريجه ص ٧ .

(٤) فتح الباري (١ / ١١٧) .

وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾[1] .

---

(١) سورة النساء ، من الآية : ١٣٦ .

المطلب الثاني

الإيمان بأعمال الملائكة

ومن الأعمال الجليلة والوظائف الكبيرة التي أسندها الله تعالى إلى الملائكة ؛ وأعطاهم القدرة على تأديتها على أكمل وجه :

إخراج عصاة الموحدين من النار ؛ ممن أراد الله تعالى أن يرحمهم ، كما جاء في حديث أبي هريرة ﷺ ، في قوله ﷺ كما عند مسلم : " حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ ، وَأَرَادَ أَنْ يُخرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ؛ أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخرِجُوا مِنَ النَّارِ مِنْ كَانَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً ، مِمَّنْ أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَرْحَمَهُ ، مِمَّنْ يَقُولُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَيَعْرِفُونَهُمْ فِي النَّارِ ، يَعْرِفُونَهُمْ بِأَثَرِ السُّجُودِ ، تَأْكُلُ النَّارُ مِنَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ ؛ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ ؛ فَيُخْرَجُونَ مِنَ النَّارِ ؛ وَقَدِ امْتَحَشُوا ؛ فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ ؛ فَيَنْبُتُونَ مِنْهُ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ " .

ففي هذا الحديث دلالة صريحة وواضحة على أن لله تعالى ملائكةً أنيطت بهم مهمة القيام بإخراج عصاة الموحدين من النار ، وذلك بعدما يفرغ الرب ﷻ من القضاء بين الخلق ، فتدرك رحمته عصاة الموحدين الذين اقترفوا ما يوجب العذاب ؛ فيأمر ملائكته بأن يخرجوهم ، وهم آخر فئة تخرج من النار ، تعرفهم الملائكة بعلامات السجود .

وليس هذا هو عمل الملائكة فحسب ؛ بل إن لهم جملةً من الأعمال الثابتة التي وردت بها نصوص : الكتاب والسنة .

وهذه الأعمال – كما سيأتي – : منها ما يتعلّق بالدنيا ، ومنها ما يختص بالآخرة ، ومنها [١] – فضلاً عمّا سبق – :

١– تبليغ وحي الله جل وعلا إلى أنبيائه ورسله – عليهم السلام – والملَك الموكل بذلك الروح الأمين جبريل عليه السلام ، قال تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾ [٢].

قال الإمام ابن جرير الطّبري – رحمه الله – : " المعني بالروح الأمين في هذا الموضع :

(١) انظر : معارج القبول (٢/ ٦٥٨– ٦٦٩).وأصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة (ص ١١٣– ١١٩) .

(٢) سورة الشعراء ، الآيات : ١٩٣– ١٩٤.

جبريل " [١] .

وقد جاء في بعض الأحاديث التصريح بنزول غيره من الملائكة بالوحي ، ومن ذلك : ما رواه ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضاً [٢] من فوقه ؛ فرفع رأسه ، فقال : هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم ؛ فنزل منه ملَك ، فقال : هذا ملَك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم ؛ فسلّم ، وقال : أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك : فاتحة الكتاب ، وخواتيم سورة البقرة ؛ لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته [٣] .

٢- إنزال القطر من السماء وإنبات النبات ، والموكل بذلك ميكائيل عليه السلام ، وله أعوان يفعلون ما يأمرهم به بأمر ربه عز وجل .

قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله – : " وميكائيل موكل بالقطر والنبات اللذين يخلق منهما الأرزاق في هذه الدار ، وله أعوان يفعلون ما يأمرهم به بأمر ربه ؛ يصرّفون الرياح والسحاب كما يشاء الرب جل جلاله ؛فما من قطرة تنزل من السماء إلا ومعها ملَك يقرّرها في موضعها من الأرض " [٤] .

٣- القيام على الإنسان عند خلقه وتكوينه ، وهذا عمل الملَك الموكل بالرّحم ؛ بحسب ما دل عليه حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: "إِنَّ اللَّهَ وَكَّلَ فِي الرَّحِمِ مَلَكاً ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ نُطْفَةٌ ، يَا رَبِّ عَلَقَةٌ ، يَا رَبِّ مُضْغَةٌ ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَهَا، قَالَ : يَا رَبِّ أَذَكَرٌ ؟ يَا رَبِّ أُنْثَى ؟ يَا رَبِّ شَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ ؟ فَمَا الرِّزْقُ ؟ فَمَا الْأَجَلُ ؟ فَيُكْتَبُ كَذَلِكَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ " [٥] .

٤- حفظ العباد من أمر الله تعالى وحراستهم ، والموكل بذلك الملائكة المعقّبات ، قال تعالى : ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ ﴾ [٦] .

---

(١) جامع البيان (١٩ / ١١٢) .
(٢) النقيض : أي الصوت . انظر : النهاية في غريب الحديث ، مادة (نقض) ،(٥ / ١٠٦) .وتاج العروس ، مادة (نقض) ، (١٩ / ٩٢) .
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة (١ / ٥٥٤ ، رقم ٨٠٦) .
(٤) البداية والنهاية (١ / ٤٦) .
(٥) تقدم تخريجه ص ٢٠٩ .
(٦) سورة الرعد ، من الآية : ١١ .

قال ابن عباس – رضي الله عنهما – في تفسير الآية : " والمعقّبات من أمر الله ، وهي ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه ؛ فإذا جاء قدر الله خلوا عنه " [(١)].

وقال مجاهد – رحمه الله – : " ما من عبد إلا له ملَك موكل يحفظه في نومه ويقظته من الجن ، والإنس ، والهوام [(٢)] ؛ فما منها شيء يأتيه يريده إلا قال الملَك : وراءك ! إلا شيء يأذن الله فيه فيصيبه " [(٣)] .

٥- كتابة أعمال بني آدم وإحصاؤها عليهم ، والموكل بذلك الكرام الكاتبون المذكورون في قوله تعالى : ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ [(٤)] ﴾ [(٥)] .

وقوله ﷻ : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [(٦)] .

قال ابن رجب – رحمه الله – : " وقد أجمع السلف الصالح على أن الذي عن يمينه يكتب الحسنات ؛ والذي عن شماله يكتب السيئات " [(٧)] .

وقد اختلف العلماء في طبيعة ما يكتبه الملَكان : هل كل ما يتكلم به العبد ، أم ما فيه ثواب أو عقاب ؟!

وذلك على أقوال [(٨)] :

القول الأول : أنهما يكتبان جميع ما يصدر عن العبد من الأقوال والأعمال ؛ حتى أنينه في مرضه ، وحتى قوله : أكلت ، وشربت ، وذهبت ، وجئت ، ورأيت ، وهذا القول

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٣ / ١١٥- ١١٦) . وقال ابن حجر في فتح الباري (٨ / ٣٧٢) : " رواه الطبري بإسناده حسن عن ابن عباس " .

(٢) الهوام : ما كان من خشاش الأرض ودوابها المؤذية ، نحو : العقارب وما أشبهها ، والواحدة : هامة ؛ لأنها تهم أن تدب . انظر : غريب الحديث لابن سلام (٣ /١٣٠) . وتهذيب اللغة ، مادة (هـم) ، (٥ / ٢٤٨) .

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٣ / ١١٦) .

(٤) عتيد : أي الحاضر الذي يعتد أعمال العباد . انظر : المفردات في غريب القرآن ، مادة (عتد) ، (ص ٣٢١) . والتبيان في تفسير غريب القرآن (ص ٣٨٨) .

(٥) سورة ق ، الآية : ١٨ .

(٦) سورة الانفطار ، الآيات : ١٠- ١٢ .

(٧) جامع العلوم الحكم (ص ١٣٤) .

(٨) انظر : زاد المسير في علم التفسير ، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ، ط٣ (بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤٠٤هـ) ، (٨ / ١١) . والجامع لأحكام القرآن (١٧ / ١١) .

منقول عن مجاهد – رحمه الله – وقد رجّحه السّفّاريني [١] رحمه الله .

القول الثاني : أنهما لا يكتبان إلا ما يؤجر عليه أو يعذّب عليه العبد من الحسنات والسيئات ، وهذا القول منقول عن عكرمة رحمه الله .

القول الثالث :أنهما يكتبان جميع ما يصدر عن العبد ؛ فإذا كان آخر النهار محيا عنه ما كان مباحاً ، نحو : انطلق ، اقعد ، وكل ما لا يتعلّق به أجر ولا وزر .

٦- زوار البيت المعمور الذي يدخله في كل يوم سبعون ألف ملَك ثم لا يعودون إليه ؛ وذلك على ما ثبت عن النبي ﷺ من حديث مالك بن صعصعة ﷺ في حادثة المعراج أنه قال : " ثُمَّ رُفِعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ ، فَقُلْتُ : يَا جِبْرِيلُ مَا هَذَا ؟ قَالَ : هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ ؛ إِذَا خَرَجُوا مِنْهُ لَمْ يَعُودُوا فِيهِ آخِرُ مَا عَلَيْهِمْ " [٢] .

وفي هذا دلالة على أن البيت المعمور في السماء .

وقد ذكر الحافظ ابن حجر – رحمه الله – في شرح هذا الحديث الروايات الواردة عن البيت المعمور وأنه حيال الكعبة ، وأطال الكلام في إسنادها وطرقها [٣] .

ومما يجدر ذكره : أن بعض العلماء استدلوا بهذا الحديث على أن الملائكة أكثر المخلوقات ؛ لأنه لا يعرف من جميع العوالم من يتجدد جنسه غير ما ثبت عن الملائكة [٤] ، فإذا كان البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملَك ثم لا يعودون إليه وإنما يأتي غيرهم ؛ فكيف بغيرهم من الملائكة الموكلين بأعمال أخرى ؟ ممن لا يعلم عددهم إلا الله تبارك وتعالى .

٧- الملائكة الطوافون في الطرق الذين يلتمسون الذكر ويتتبعون مجالسه ؛ فمتى ما وجدوا قوماً يذكرون الله تعالى تنادوا ، كما جاء في حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعاً : " هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ ؛ فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا " [٥] .

---

(١) انظر : لوامع الأنوار (١ / ٤٥٠) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة (٣ / ١١٧ ، رقم ٣٠٣٥) . ومسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات (١ / ١٥٠ ، رقم ١٦٤) ، واللفظ له .

(٣) انظر : فتح الباري (٦ / ٣٠٨- ٣٠٩) .

(٤) انظر : المرجع السابق (٧ / ٢١٥) .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الدعوات ، باب فضل ذكر الله ﷻ (٥ / ٢٣٥٣ ، رقم ٦٠٤٥) .

وقد ثبت عنهم أيضاً : أنهم يبلّغون النبي ﷺ من أمته السلام ، كما في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : " إِنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ ؛ يُبَلِّغُونِي مِنْ أُمَّتِي السَّلَامَ " (١) .

قال الملّا علي القاري (٢) – رحمه الله – عند شرحه لهذا الحديث : " فيه : إشارة إلى فرحه ﷺ ببلوغ سلام أمته وإيماء إلى قبول السلام ؛حيث قبلته الملائكة وحملته إليه " (٣) .

٨– قبض الأرواح عند انتهاء الآجال وانقضاء الأعمار ، والموكل بذلك ملَك الموت ، قال تعالى : ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ (٤) .

ولملَك الموت أعوان ، وهم على صنفين : ملائكة رحمة ، وملائكة عذاب .

٩– سؤال العباد في قبورهم وفتنتهم ، والموكلان بذلك منكر ونكير ، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : " إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ – أو قال : أَحَدُكُمْ – أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا : الْمُنْكَرُ ، وَالْآخَرُ : النَّكِيرُ ، فَيَقُولَانِ : مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ ؟ ... " الحديث (٥) .

١٠– النفخ في الصّور ، والموكل به إسرافيل عليه السلام .

وقد اختلف أهل العلم في عدد نفخاته في الصّور :

فمنهم من رأى بأن إسرافيل عليه السلام ينفخ في الصّور ثلاث نفخات ، هي :

---

(١) أخرجه النسائي في سننه الصغرى ، كتاب السهو ، باب السلام على النبي ﷺ (٣/ ٤٣ ، رقم ١٢٨٢) . وأحمد في مسنده – ط١٤١٦هـ = ١٩٩٦م – (٧ / ٣٤٣ ، رقم ٤٣٢٠) ، واللفظ له . والحاكم في المستدرك (٢ / ٤٥٦ ، رقم ٣٥٧٦) ، وقال : " صحيح الإسناد ولم يخرجاه " . وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (١ / ٤١٠ ، رقم ١٢٨١) .

(٢) هو : علي بن محمد بن سلطان الهروي ، المعروف بالقاري ، فقيه حنفي ، من صدور العلم في عصره ، له تصانيف كثيرة ، منها : (الثمار الجنية) ، و (مرقاة المفاتيح) ، توفي سنة ١٠١٤هـ . انظر : خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، محمد أمين بن فضل الله المحبي ، د.ط(بيروت : دار صادر ، د.ت) ، (٣ / ١٨٥– ١٨٦) . والبدر الطالع (١ / ٤٤٥– ٤٤٦) .

(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، علي بن محمد الهروي (القاري) ، تحقيق : جمال عيتاني ، ط١ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م) ، (٣ / ٩) .

(٤) سورة السجدة ، الآية : ١١ .

(٥) أخرجه الترمذي في جامعه ، كتاب الجنائز ، باب ما جاء في عذاب القبر (٣ / ٣٨٣ ، رقم ١٠٧١) ، وقال : " حديث أبي هريرة حديث حسن غريب " . وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١ / ٥٤٤ ، رقم ١٠٧١) .

النفخة الأولى : نفخة الفزع .

النفخة الثانية : نفخة الصعق .

النفخة الثالثة : نفخة البعث .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : " والقرآن قد أخبر بثلاث نفخات :

نفخة الفزع في قوله : ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ ﴾ [١] .

ونفخة الصعق والقيام ذكرهما في قوله : ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ [٢] " [٣] .

ورأى آخرون بأن إسرافيل عليه السلام ينفخ في الصّور نفختين لا ثلاث ، وهما :

النفخة الأولى : نفخة الصعق .

النفخة الثانية : نفخة البعث .

قال الشوكاني – رحمه الله – : "والنفخات في الصّور ثلاث :

الأولى : نفخة الفزع .

الثانية : نفخة الصعق .

الثالثة : نفخة البعث .

وقيل : إنهما نفختان ؛ وإن نفخة الفزع : إمّا أن تكون راجعة إلى نفخة الصعق ، أو إلى نفخة البعث " [٤] .

والرأي الثاني هو ما رجّحه الحافظ ابن حجر [٥] رحمه الله .

١١– الملائكة حملة العرش الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾ [٦] .

---

(١) سورة النمل ، من الآية : ٨٧ .

(٢) سورة الزمر ، الآية : ٦٨ .

(٣) مجموع الفتاوى (١٦ / ٣٥– ٣٦) .

(٤) فتح القدير (٤ / ١٥٤) .

(٥) انظر : فتح الباري (١١ / ٣٦٩ – ٣٧٠) .

(٦) سورة الحاقة ، من الآية : ١٧ .

وعن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – أن رسول الله ﷺ قال : " أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ : إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ " [(١)] .

١٢– خزنة الجنة الموكلون بإعداد الكرامة لأهلها ، وفي مقدمتهم رضوان عليه السلام ، قال تعالى : ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ [(٢)] .

قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله – : " وخازن الجنة ملَك يقال له : رضوان " [(٣)] .

١٣– خزنة جهنم – والعياذ بالله تعالى – وهم الزبانية الموكلون بتعذيب أهلها فيها ، ورؤساؤهم تسعة عشر ، قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ۝ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ۝ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ۝ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ [(٤)] .

وفي مقدمتهم مالك عليه السلام الذي ورد ذكره في قوله سبحانه : ﴿ وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴾ [(٥)] .

وقوله ﷺ من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه : " رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي ، قَالَا : الَّذِي يُوقِدُ النَّارَ مَالِكٌ خَازِنُ النَّارِ ، وَأَنَا جِبْرِيلُ ، وَهَذَا مِيكَائِيلُ " [(٦)] .

هذه بعض أعمال الملائكة التي وردت في النصوص الشرعية ؛ وهي تدل على عظم شأن الملائكة في هذا الوجود ، وكبير صلتهم وتأثيرهم في هذا العالم ؛ فالكون كله علويه وسفليه قد أنيط أمر تدبيره إلى الملائكة بإذن الله تعالى .

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب السنة ، باب في الجهمية (٤ / ٢٣٢ ، رقم ٤٧٢٧) . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١ /٨٠) : " رجاله رجال الصحيح " . وقال ابن حجر في فتح الباري (٨ / ٦٦٥) : " إسناده على شرط الصحيح " . وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣ / ١٥٦ ، رقم ٤٧٢٧) .

(٢) سورة الزمر ، الآية : ٧٣ .

(٣) البداية والنهاية (١ /٥٠) .

(٤) سورة المدثر ، الآيات : ٢٧ – ٣٠ .

(٥) سورة الزخرف ، الآية : ٧٧ .

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب بدء الخلق ، باب إذا قال أحدكم : آمين (٣ / ١١٨٢ ، رقم ٣٠٦٤) .

قال الإمام ابن القيّم – رحمه الله – : " والمقصود : أن الله سبحانه وكل بالعالم العلوي والسفلي ملائكة ؛ فهي تدبّر أمر العالم بإذنه ، ومشيئته ، وأمره ؛ فلهذا يضيف التـــدبير إلى الملائكة تارةً لكونهم هم المباشرين للتدبير : كقوله : ﴿ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴾ (١) .

ويضيف التدبير إليـــه : كقـــــوله : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ﴾ (٢) .

فهو المدبّر أمراً ، وإذناً ، ومشيئةً ؛ والملائكة المدبّرات مباشرةً وامتثالاً " (٣) .

---

(١) سورة النازعات ، الآية : ٥ .

(٢) سورة يونس ، من الآية : ٣ .

(٣) إغاثة اللهفان (٢ / ١٣٠) .



الفصل الثاني

الفصل الثاني

دلالة الحديثين على الحشر والحساب

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : تعريف الحشر والحساب

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : تعريف الحشر

المطلب الثاني : تعريف الحساب

المبحث الثاني : حشر كل أمة مع ما كانت تعبد

المبحث الثالث : حساب الخلائق يوم الحشر

المبحث الرابع : الشهود يوم الحساب

المبحث الأول

تعريف الحشر والحساب

المطلب الأول : تعريف الحشر

الحشر في اللغة :

" الجمع والسّوق ، يقال : حشر يحشُر بالضم ، ويحشِر بالكسر حشراً إذا جمع وساق " [(١)] .

" ولا يقال الحشر إلا في الجماعة ، قال الله تعالى : ﴿ وَٱبۡعَثۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴾ [(٢)] .

وقال ﷻ : ﴿ وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ﴾ [(٣)] " [(٤)] .

" والحشر : حشر يوم القيامة ، والمحشر : المجمع الذي يحشر إليه القوم " [(٥)] .

" والحاشر : من أسماء النبي ﷺ ، كما ثبت في قوله ﷺ : " إِنَّ لِي أَسْمَاءً : أَنَا مُحَمَّدٌ ، وَأَنَا أَحْمَدُ ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِيَ الْكُفْرَ ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمَيَّ ... " الحديث [(٦)] .

أي الذي يحشر الناس خلفه وعلى ملته دون ملة غيره " [(٧)] .

ويظهر من التعريف اللغوي السابق :

أن لفظة الحشر تطلق على الجماعة وأن المقصود بها : سوق الناس وجمعهم في مكان واحد .

---

(١) تاج العروس ، مادة (حشر) ، (١١ / ١٩) .

(٢) سورة الشعراء ، من الآية : ٣٦ .

(٣) سورة التكوير ، الآية : ٥ .

(٤) المفردات في غريب القرآن ، مادة (حشر) ، (ص ١١٩) .

(٥) تهذيب اللغة ، مادة (حشر) ، (٤ / ١٠٥) .

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه ، من حديث جبير بن مطعم ﷺ ، كتاب المناقب ، باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ (٣ / ١٢٩٩ ، رقم ٣٣٣٩) . ومسلم في صحيحه ، كتاب الفضائل ، باب في أسمائه ﷺ (٤ / ١٨٢٨ ، رقم ٢٣٥٤) ، واللفظ له .

(٧) النهاية في غريب الحديث ، مادة (حشر) ، (١ / ٣٨٨) .

الحشر في الاصطلاح :

قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله – هو : " حشر الأموات من قبورهم وغيرها بعد البعث جميعاً إلى الموقف ، قال الله ﷻ : ﴿ وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ (١) " (٢) .

وعرّفه البيجوري – رحمه الله – بقوله : " الحشر : عبارة عن سوقهم – أي الخلق – جميعاً إلى الموقف ، وهو الموضع الذي يقفون فيه ؛ لفصل القضاء بينهم " (٣) .

فالحشر إذن :

جمع الخلائق يوم القيامة إلى الموقف ؛ بقصد حسابهم والفصل بينهم .

---

(١) سورة الكهف ، من الآية : ٤٧ .

(٢) فتح الباري (١١ / ٣٧٩) .

(٣) تحفة المريد (ص ٢٧٨) .

المطلب الثاني

تعريف الحساب

الحساب في اللغة :

مشتق من مادة : (حَسْب) .

" والحَسْب : العدّ والإحصاء ، تقول : حَسِبت الشيء أحسَبه حساباً ، وحَسَبت الشيء أحسَبه حساباً وحسباناً ، قال الله ﷻ : ﴿ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾ [١] " [٢] .

والحسبان : " ما يحاسب عليه فيجازى بحسبه .

والحساب : استعمال العدد " [٣] ، " وإنما سمّي الحساب في المعاملات حساباً ؛ لأنه يعلم به ما فيه كفاية ليس فيه زيادة على المقدار ولا نقصان " [٤] .

" والحسيب والمحاسب : من يحاسبك " [٥] .

والحاصل :

أن الحساب في اللغة يرد بعدة معانٍ ، منها : العدّ والإحصاء ، والجزاء ، والدقة في العدد دون زيادة أو نقصان .

الحساب في الاصطلاح :

قال الثعلبي [٦] – رحمه الله – هو:" تعريف الله تعالى عباده مقادير الجزاء على أعمالهم ، وتذكيره إياهم ما نسوه من ذلك " [٧] .

---

(١) سورة الرحمن ، الآية : ٥ .

(٢) تهذيب اللغة ، مادة (حسب) ، (٤ / ١٩١- ١٩٣) .

(٣) المفردات في غريب القرآن ، مادة (حسب) ، (ص ١١٦) .

(٤) لسان العرب ، مادة (حسب) ، (١ / ٣١٤) .

(٥) المفردات في غريب القرآن ، مادة (حسب) ، (ص ١١٧) .

(٦) هو : أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي ، أبو إسحاق ، أوحد زمانه في علم القرآن ، كان حافظاً عالماً بارعاً في العربية ، كثير الحديث والشيوخ ، من مؤلفاته : (العرائس في قصص الأنبياء) ، و (الكشف والبيان) ، توفي سنة ٤٢٧هـ . انظر : الوافي بالوفيات (٧ / ٢٠١) . وطبقات الشافعية الكبرى (٤ / ٥٨ – ٥٩) .

(٧) تفسير الثعلبي (الكشف والبيان) ، أحمد بن محمد الثعلبي ، تحقيق : أبو محمد بن عاشور ، ط١ (بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٤٢٢هـ = ٢٠٠٢م) ، (٢ / ١١٧) .

وعرّفه القرطبي – رحمه الله – بقوله : " ومعناه : أن الباري سبحانه يعدّد على الخلق أعمالهم من إحسان وإساءة : يعدّد عليهم نعمه ثم يقابل البعض بالبعض " (١) .

وعلاوةً على التعريفين السابقين يمكن القول :

أن الحساب : هو إنباء الله ﷻ عباده بأعمالهم التي قدموها خيراً كانت أم شراً .

---

(١) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ، محمد بن أحمد القرطبي ، ط٢ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م) ، (١ / ٢٥٦) .

المبحث الثاني

حشر كل أمة مع ما كانت تعبد

دل حديثا أبي هريرة وأبي سعيد الخدري – رضي الله عنهما – على أن كل أمة في يوم الحشر تتبع الإله الذي كانت تعبده في الدنيا : حيث يذهب عبدة الكواكب ، وعبدة النار ، واليهود ، والنصارى ، وعبدة الأوثان والأصنام إلى جهنم ، بعد أن تصور لهم آلهتهم وتسير أمامهم ؛ فيتبعونها فتتساقط في النار ؛ ثم يتساقطون من بعدها ، وذلك في قوله ﷺ من حديث أبي هريرة ﷺ كما عند الترمذي : " يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ القِيَامَةِ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ، ثُمَّ يَطَّلِعُ عَلَيْهِمْ رَبُّ العَالَمِينَ ، فَيَقُولُ : أَلَا يَتْبَعُ كُلُّ إِنْسَانٍ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ : فَيُمَثَّلُ لِصَاحِبِ الصَّلِيبِ صَلِيبُهُ ، وَلِصَاحِبِ التَّصَاوِيرِ تَصَاوِيرُهُ ، وَلِصَاحِبِ النَّارِ نَارُهُ ؛ فَيَتْبَعُونَ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ " .

وفي قوله ﷺ من حديث أبي سعيد ﷺ كما عند أحمد : " يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ " ، قال : " فَيُقَالُ : مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئاً فَلْيَتْبَعْهُ " ، قال : " فَيَتْبَعُ الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَ الشَّمْسَ الشَّمْسَ ؛ فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ ، وَيَتْبَعُ الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْقَمَرَ الْقَمَرَ ؛ فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ ، وَيَتْبَعُ الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ الْأَوْثَانَ ، وَالَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ الْأَصْنَامَ ؛ فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ " ، قال :" وَكُلُّ مَنْ كَانَ يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ؛ حَتَّى يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ " .

وفي بيان هذا المعنى يقول ابن رجب – رحمه الله – : " كل من أظهر عبادة شيء سوى الله – كالمسيح والعزير – من أهل الكتاب ؛ فإنه يلحق بالمشركين في الوقوع في النار ، إلا أن عباد الأصنام ، والشمس ، والقمر ، وغير ذلك من المشركين ؛ تتبع كل فرقة منهم ما كانت تعبد في الدنيا فترد النار مع معبودها أولاً ؛ وقد ورد أن من كان يعبد المسيح يمثل له شيطان المسيح فيتبعونه ، وكذلك من كان يعبد العزير "[(١)] .

ويقول عن الحكمة من حشر الكفار مع آلهتهم إلى النار : " ذلك أن الكفار لمّا عبدوا الآلهة من دون الله واعتقدوا أنها تشفع لهم عند الله وتقرّبهم إليه ؛ عوقبوا بأن جعلت معهم في

(١) التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار ، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب ، ط١(دمشق : مكتبة دار البيان ، ١٣٩٩هـ) ، (ص ١٧١- ١٧٢) .

النار إهانةً لهم وإذلالاً ، ونكاية لهم وإبلاغاً في حسرتهم وندامتهم ؛ فإن الإنسان إذا قرن في العذاب بمن كان سبب عذابه كان أشد في ألمه وحسرته " [(١)] .

ويحدث حينذاك خصام وتخاطب ؛ إذ يخاصم العابدون معبوداتهم من دون الله تعالى ؛ معترفين بضلالهم في تسويتهم بينها وبين الله جل شأنه ، يقول تعالى : ﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ۝ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۝ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ۝ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ۝ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ۝ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ۝ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [(٢)] .

أمّا الصالحون الأخيار الذين عبدوا بغير رضاهم : كالملائكة ،وعزير،والمسيح عيسى – عليهما السلام – أو عُبدوا وهم لا يعلمون ؛ فإنهم يتبرؤون من عابديهم ، ويكذّبونهم في دعواهم ، ويقرّون بعبوديتهم لربهم سبحانه وحده لا شريك له ، كما قال ﷻ في وصف موقف الملائكة من عابديهم : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَهَـٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ۝ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾ [(٣)] .

وعن موقف المسيح عليه السلام يقول تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ۝ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [(٤)] .

ويقول جل شأنه في تنصّل الشركاء ممن عبدوهم يوم القيامة : ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ

(١) التخويف من النار (ص ٩٩) .

(٢) سورة الشعراء ، الآيات : ٩١ – ٩٩ .

(٣) سورة سبأ ، الآيات : ٤٠ – ٤١ .

(٤) سورة المائدة ، الآيات : ١١٦ – ١١٧ .

جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا [١] بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ۝ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَـٰفِلِينَ ﴾ [٢] .

قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله – في تفسير الآية : " وفي هذا توبيخ عظيم للمشركين الذين عبدوا مع الله غيره ، ممن لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنهم شيئاً ، ولم يأمرهم بذلك ولا رضي به ولا أراده ؛ بل تبرأ منهم في وقت أحوج ما يكونون إليه " [٣] [٤] .

ويتضح مما تقدم :

بطلان الآلهة التي تعبد من دون الله سبحانه ، وهذا ما سيدركه العابد حين يرى معبوده الذي كان يقدّسه في الدنيا ويوقّره ويعبده ويبذل له كل شيء ؛ قد تخلّى عنه في وقت أحوج ما يكون إليه ، أو صار معه من حطب جهنم ؛ والعياذ بالله تعالى .

---

(١) فزيلنا : أي ففرقنا بينهم وبين آلهتهم . انظر : المفردات في غريب القرآن ، مادة (زال) ، (ص ٢١٨) . وتذكرة الأريب (ص ١٥٣) .

(٢) سورة يونس ، الآيات : ٢٨ – ٢٩ .

(٣) تفسير القرآن العظيم (٢ / ٤١٦) .

(٤) انظر : القيامة الكبرى ، عمر بن سليمان الأشقر ، ط٦ (عمان : دار النفائس ، ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م) ، (ص ١٢٩ – ١٣٠) .

المبحث الثالث

حساب الخلائق يوم الحشر

دل حديثا أبي هريرة وأبي سعيد الخدري – رضي الله عنهما – على أن الخلائق تحاسب يوم الحشر ؛ وعلى أن العباد يُسألون في ذلك الموقف .

فقد جاء في حديث أبي هريرة ﷺ ما يشير إلى سؤال العباد عن النعيم الذي تمتعوا بـه في الحياة الدنيا ، وذلك في قوله ﷺ كما عند مسلم : " فَيَلْقَى الْعَبْدَ ، فَيَقُولُ : أَيْ فُلْ ، أَلَمْ أُكْرِمْكَ ، وَأُسَوِّدْكَ ، وَأُزَوِّجْكَ ، وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ ؟ فَيَقُولُ : بَلَى " ، قال : " فَيَقُولُ : أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ ؟ فَيَقُولُ : لَا ، فَيَقُولُ : فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي " .

فيسأل الله تعالى عباده يوم القيامة عن النعيم الذي خوّلهم إياه في الدنيا،كما قال ﷻ : ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ (١) .

قال ابن عباس – رضي الله عنهما – في بيان معنى النعيم : " صحة الأبدان،والأسماع ، والأبصار " (٢) .

وأول نعمة يُسأل عنها العبد يوم القيامة : نعمة الصحة والعافية ؛ لما ثبت من حـديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : " إِنَّ أَوَّلَ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ – يعني العبد من النعيم – أَنْ يُقَالَ لَهُ : أَلَمْ نُصِحَّ لَكَ جِسْمَكَ ، وَنُرْوِيَكَ مِنْ الْمَاءِ الْبَارِدِ " (٣) .

والسؤال عن النعيم ؛ إنما هو سؤال عن شكر العبد لما أنعم الله تعالى به عليه ؛ فـإن شكر فقد أدّى حق النعمة وأرضى ربه ﷻ ؛ وإن أبى وكفر استحق غضب الرب تبـارك وتعالى .

فعن أنس ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : " إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنْ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ ؛ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا ، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ ؛ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا " (٤) .

---

(١) سورة التكاثر ، الآية : ٨ .

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان (٣٠ / ٢٨٦) ، واللفظ له . والبيهقي في شعب الإيمان (٤ / ١٤٨ ، رقم ٤٦١٣) .

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه ، كتاب تفسير القرآن ، باب ومن سورة التكاثر (٥ / ٤٤٨ ، رقم ٣٣٥٨)،وقال : " هذا حديث غريب " . وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣ / ٣٧٦ ، رقم ٣٣٥٨) .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب (٤ / ٢٠٩٥ ، رقم ٢٧٣٤) .

وقد ذهب ابن رجب – رحمه الله – إلى أن حمد الله تعالى وشكره على نعمائه من أعظم محابه ، حيث قال : " فإذا وفق الله عبده للشكر على نعمه الدنيوية بالحمد أو غيره من أنواع الشكر ؛ كانت هذه النعمة خيراً من تلك النعم وأحب إلى الله ﷻ منها ؛ فإن الله يحب المحامد ويرضى عن عبده أن يأكل الأكلة فيحمده عليها ، ويشرب الشربة فيحمده عليها .

والثناء بالنعم ، والحمد عليها ، وشكرها عند أهل الجود والكرم ؛ أحب إليهم من أموالهم ؛ فهم يبذلونها طلباً للثناء ، والله ﷻ أكرم الأكرمين ، وأجود الأجودين ؛ فهو يبذل نعمه لعباده ويطلب منهم الثناء بها ، وذكرها ، والحمد عليها ؛ ويرضى منهم بذلك شكراً عليها " [(١)] .

كما جاء في حديث أبي سعيد ﵁ ما يدل على أن العباد يُسألون عن الإله الذي كانوا يعبدونه في الدنيا – وهو أعظم ما يُسأل عنه يوم الحشر – وذلك في قوله ﷺ كما عند البخاري : " ثُمَّ يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ تُعْرَضُ كَأَنَّهَا سَرَابٌ ، فَيُقَالُ لِلْيَهُودِ : مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ؟ قَالُوا : كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ بْنَ اللَّهِ ، فَيُقَالُ : كَذَبْتُمْ ؛ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ وَلاَ وَلَدٌ ، فَمَا تُرِيدُونَ ؟ قَالُوا : نُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَنَا ، فَيُقَالُ : اشْرَبُوا ؛ فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ ، ثُمَّ يُقَالُ لِلنَّصَارَى : مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ؟ فَيَقُولُونَ : كُنَّا نَعْبُدُ المَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ ، فَيُقَالُ : كَذَبْتُمْ ؛ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ وَلاَ وَلَدٌ ، فَمَا تُرِيدُونَ ؟ فَيَقُولُونَ : نُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَنَا ، فَيُقَالُ : اشْرَبُوا ؛ فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ " .

فيُسأل الكفار عن الشركاء والأنداد الذين كانوا يعبدونهم من دون الله تعالى ، كما قال ﷻ : ﴿ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۝ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴾ [(٢)] .

وقال سبحانه : ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ [(٣)] .

ويُسألون أيضاً عن عبادتهم لغير الله تعالى : من تقديم القرابين للآلهة التي كانوا يعبدونها ، ونحر الذبائح باسمها ، يقول تعالى : ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴾ [(٤)] [(٥)] .

---

(١) جامع العلوم والحكم (ص ٢٤٥) .

(٢) سورة الشعراء ، الآيات : ٩٢ – ٩٣ .

(٣) سورة القصص ، الآية : ٦٢ .

(٤) سورة النحل ، الآية : ٥٦ .

(٥) انظر : القيامة الكبرى (ص ٢١٦ ، ٢١٨ – ٢٢١) .

وإن من عدل الله تعالى أنه يتولى بنفسه الشريفة حساب الخلائق يوم الحشر ؛ كما دلت على ذلك نصوص : الكتاب والسنة .

قال تعالى : ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ﴾ (١).

وقال سبحانه : ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴾ (٢) .

وعن أبي ذر الغِفاري رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه عز وجل أنه قال : " يَا عِبَادِي ، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا ؛ فَمَنْ وَجَدَ خَيْراً فَلْيَحْمَدْ اللَّهَ ؛ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ " (٣) .

وقد اختلف في كيفية محاسبة الله تعالى عباده على ثلاثة أوجه (٤) :

الوجه الأول : أن يخلق الله تعالى في قلوبهم علوماً ضرورية بمقادير أعمالهم من الثواب والعقاب .

الوجه الثاني : أن يوقف الله عز وجل عباده بين يديه ويؤتيهم كتب أعمالهم : فيها سيئاتهم وحسناتهم ، فيقول : هذه سيئاتكم قد تجاوزت عنها ؛ وهذه حسناتكم قد ضاعفتها لكم ، وهذا منقول عن ابن عباس رضي الله عنهما .

الوجه الثالث : أن يكلّم الله تعالى عباده في شأن أعمالهم ؛ وكيفية ما لها من الثواب وما عليها من العقاب .

والذي يظهر لي – والله تعالى أعلم – :

أن كيفية الحساب كما جاء في الوجه الثالث ؛ وهو أن يوقف الله تعالى العبد بين يديه ثم يحاسبه على أعماله : حساباً يسيراً أو حساباً عسيراً ؛كما هو المتبادر من الكتاب والسنة .

(١) سورة المؤمنون ، من الآية : ١١٧ .

(٢) سورة الغاشية ، الآيات : ٢٥- ٢٦ .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الظلم (٤ / ١٩٩٤ ، رقم ٢٥٧٧) .

(٤) انظر : تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، الحسن بن محمد القمي ، تحقيق : زكريا عميران ، ط١(بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٦هـ = ١٩٩٦م) ، (١ / ٥٦٩-٥٧٠) . واللباب في علوم الكتاب ، عمر بن علي الدمشقي ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود ؛ وعلي محمد معوض ، ط١ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٩ هـ = ١٩٩٨م) ، (٣ / ٤٤٣- ٤٤٤) .

ومحاسبة الله سبحانه لعباده على نوعين :

النوع الأول : محاسبة تقرير وتوبيخ .

النوع الثاني : محاسبة الموازنة بين السيئات والحسنات .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : " وفصل الخطاب : أن الحساب يراد به : عرض أعمالهم عليهم وتوبيخهم عليها ؛ ويراد بالحساب :موازنة الحسنات بالسيئات " [١] .

فيحاسب الله ﷻ عبده المؤمن ويخلو به فيقرّره بذنوبه ، كما قال الله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴾[٢] .

وعن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ ، فَيَقُولُ:أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا ؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ أَيْ رَبِّ ؛ حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ ، قَالَ : سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا ؛ وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ " [٣] .

وفي هذا الحديث بيان عظيم فضل الله تعالى على عباده المؤمنين ؛ حيث يستر عليهم ذنوبهم في الدنيا ، ثم يمتنّ عليهم بمغفرتها في الآخرة .

أمّا الكفار فلا حسنات لهم .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : " وأمّا الكفار ؛ فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته فإنهم لا حسنات لهم ؛ ولكن تعدّ أعمالهم فتحصى فيقفون عليها ويقرّرون بها " [٤] .

ومعنى هذا :

أن شيخ الإسلام لا يرى أن الكفار يحاسبون : كحساب المؤمنين ، أو ليتقرّر مصيرهم على ضوء أعمالهم ؛ فإن الكفار أعمالهم كلها لا تنفعهم ؛ وإنما يحاسبون محاسبة عرض

---

(١) مجموع الفتاوى (٤ / ٣٠٥) .

(٢) سورة الانشقاق ، الآيات : ٧ – ٩ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المظالم ، باب قول الله تعالى : ﴿ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [سورة هود ، من الآية : ١٨] (٢ / ٨٦٢ ، رقم ٢٣٠٩) ، واللفظ له . ومسلم في صحيحه ، كتاب التوبة ، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله (٤ / ٢١٢٠ ، رقم ٢٧٦٨) .

(٤) شرح العقيدة الواسطية (ص ٥٢٣) .

وتوبيخ ، كما قال تعالى : ﴿ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ (١) .

قال الإمام ابن جرير الطّبري – رحمه الله – في تفسير الآية : " يقول تعالى ذكره : فلنخبرن هؤلاء الكفار بالله المتمنين عليه الأباطيل يوم يرجعون إليه بما عملوا في الدنيا من المعاصي ، واجترحوا من السيئات ؛ ثم لنجازين جميعهم على ذلك جزاءهم ، وذلك العذاب الغليظ : تخليدهم في نار جهنم ؛ لا يموتون فيها ولا يحيون " (٢) .

وعن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – أن النبي ﷺ قال : " وَأَمَّا الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ ؛ فَيُنَادَى بِهِمْ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ : هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ " (٣) (٤) .

والحكمة من حساب الكفار مع العلم بأن أعمالهم محبطة مردودة ؛ فلوجوه (٥) :

الوجه الأول : إقامة الحجة عليهم ، وإظهار عدل الله تعالى فيهم ، وهو صاحب العدل المطلق ؛ ولذلك يسألهم ويحاسبهم .

يقول القرطبي – رحمه الله – : " والباري ﷻ يسأل الخلق في الدنيا والآخرة تقريراً ؛ لإقامة الحجة وإظهاراً للحكمة " (٦) .

الوجه الثاني : أن الله تعالى يحاسبهم من أجل توبيخهم ، كما تقدم في كلام شيخ الإسلام (٧).

الوجه الثالث : أن الكفار مكلّفون بأصول الشريعة كما هم مكلّفون بفروعها ؛ فيُسألون عمّا قصّروا فيه وخالفوا فيه الحق .

يقول البيهقي – رحمه الله – : " ثبت : أن الكفار يُسألون عن كل ما خالفوا به الحق من أصل الدين وفروعه ؛ لأن الله ﷻ يقول : ﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۞ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ

---

(١) سورة فصلت ، من الآية : ٥٠ .

(٢) جامع البيان (٢٥ / ٣) .

(٣) تقدم تخريجه ص ٢٦٧ .

(٤) انظر : شرح العقيدة الواسطية (ص ٥٢١ – ٥٢٤) .

(٥) انظر : القيامة الكبرى (ص ١٩٧ – ١٩٩) .

(٦) التذكرة (١ / ٢٥٧) .

(٧) انظر : ص ٢٦٧ .

ﭐلزَّكَوٰةَ ﴾ (١) ، فتوعدهم على منع الزكاة .

وأخبر عن المجرمين : أنهم يقال لهم : ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ۝ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ۝ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ۝ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴾ (٢) .

فبان بهذا أن المشركين مخاطبون بالإيمان بالبعث ، وبإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ؛ وأنهم مسؤولون عنها ، مخاطبون بها ، مجزون على ما أخلوا به منها " (٣) .

الوجه الرابع : أن الكفار يتفاوتون في كفرهم ، وذنوبهم ، ومعاصيهم ؛ ويحلّون في النار بمقدار هذه الذنوب ، فالنار دركات بعضها تحت بعض ؛ كما أن الجنة درجات بعضها فوق بعض ؛ وكلما كان المرء أشد كفراً وضلالاً كلما كان أشد عذاباً وعقاباً .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : " فعقاب من كثرت سيئاته أعظم من عقاب من قلّت سيئاته ؛ ومن كان له حسنات خفّفت عنه العذاب ، كما أن أبا طالب أخف عذاباً من أبي لهب ؛ فكان الحساب لبيان مراتب العذاب لا لأجل دخولهم الجنة " (٤) .

ومما يُسأل عنه العباد أيضاً يوم الحشر (٥) – فضلاً عمّا سبق – :

١– جميع أعمالهم التي عملوها في الحياة الدنيا ، كما قال تعالى : ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ (٦) .

وقال سبحانه : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (٧) .

وعن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

---

(١) سورة فصلت ، من الآيات : ٦– ٧ .
(٢) سورة المدثر ، الآيات : ٤٢– ٤٧ .
(٣) شعب الإيمان (١ / ٢٥٨) بتصرف .
(٤) مجموع الفتاوى (٤ / ٣٠٥ – ٣٠٦) .
(٥) انظر : القيامة الكبرى (ص ٢١٧ ، ٢٢١) .
(٦) سورة الأعراف ، الآية : ٦ .
(٧) سورة الحجر ، الآيات : ٩٢ – ٩٣ .

حَتَّى يُسْأَلَ : عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ ،وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ " (١) .

ومما يستفاد من هذا الحديث :

أهمية استغلال العمر والصحة في الخير ؛ وعدم تضييعهما في ما لا يجوز أو ما لا تترتّب عليه فائدة ، مع العمل بالعلم ، والحرص على الرزق الحلال ؛ وصرفه في طاعة الله تعالى .

٢- عهودهم ومواثيقهم ، قال تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ (٢) .

ومما قيل في تفسير الآية : إن كل ما أمر الله تعالى به أو نهى عنه ؛ فهو من العهد الذي يجب الوفاء به (٣) .

ولاشك أن أعظم العهد ما كان مع الله تعالى ؛ فيلزم الوفاء به وبغيره .

٣- أسماعهم ، وأبصارهم ، وأفئدتهم ، وعن جميع ما يقولونه ؛ ولذلك حذّر الله تعالى عباده من القول عليه بلا علم ، حيث قال سبحانه : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ (٤) .

قال قتادة – رحمه الله – : " لا تقل رأيت ولم تر ، وسمعت ولم تسمع ، وعلمت ولم تعلم ؛ فإن الله سائلك عن ذلك كله " (٥).

فحرّي بالعبد الذي يعلم بأنه مسؤول : أن يصون جوارحه عمّا حرّم الله ﷻ ؛ ويسخرها لعبودية الله تعالى على الوجه الذي يرضيه جل وعلا .

هذا وقد جاء في حديث أبي سعيد الخدري ؓ ما يشير إلى إحدى الصور التي تبيّن حال الكفار عند الحساب يوم الحشر ؛ وهو كونهم عطاشاً ، وذلك في قوله ﷺ كما عند

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه ، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع ، باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص (٤ / ٦١٢ ، رقم ٢٤١٧) ، وقال : " هذا حديث حسن صحيح " . وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢ / ٥٧٢ ، رقم ٢٤١٧) .

(٢) سورة الإسراء ، من الآية : ٣٤ .

(٣) انظر : النكت والعيون (٣ / ٢٤٢) . والجامع لأحكام القرآن (١٠ / ٢٥٦) .

(٤) سورة الإسراء ، الآية : ٣٦ .

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٥ / ٨٦) .

مسلم : " فَيُدْعَى الْيَهُودُ ، فَيُقَالُ لَهُمْ : مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ؟ قَالُوا : كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ بْنَ اللَّهِ ، فَيُقَالُ : كَذَبْتُمْ ؛ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ ، فَمَاذَا تَبْغُونَ ؟ قَالُوا : عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا ؛ فَاسْقِنَا ؛ فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلَا تَرِدُونَ ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضاً ؛ فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ ، ثُمَّ يُدْعَى النَّصَارَى ، فَيُقَالُ لَهُمْ : مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ؟ قَالُوا : كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ ، فَيُقَالُ لَهُمْ : كَذَبْتُمْ ؛ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ ،فَيُقَالُ لَهُمْ : مَاذَا تَبْغُونَ ؟ فَيَقُولُونَ : عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا ؛ فَاسْقِنَا ، قَالَ : فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلَا تَرِدُونَ ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضاً ؛ فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ " .

ومما ورد من الصور التي تبيّن حال الكفار عند الحساب [1] – غير ما تقدم – :

١– أنهم يسيرون كقطعان الماشية جماعات جماعات ؛ ينهرون نهراً غليظاً ويصاح بهم من هنا وهناك ، كما يفعل الراعي ببقره أو غنمه ، قال تعالى : ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ ﴾ [2] .

وقال ﷻ : ﴿ يَوۡمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴾ [3] .

قال ابن عباس – رضي الله عنهما – : " يُدفع في أعناقهم حتى يردوا النار " [4] .

٢– أنهم يمشون إلى النار على وجوههم لا كما كانوا يمشون في الدنيا على أرجلهم ، قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يُحۡشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴾ [5] .

قال القرطبي – رحمه الله – في تفسير الآية : " فيه وجهان :

أحدهما : أن ذلك عبارة عن الإسراع بهم إلى جهنم ؛ من قول العرب : قدم القوم على وجوههم إذا أسرعوا .

والثاني : أنهم يسحبون يوم القيامة على وجوههم إلى جهنم ؛ كما يفعل في الدنيا بمن يبالغ في هوانه وتعذيبه ؛ وهذا هو الصحيح " [6] .

(١) انظر : القيامة الكبرى (ص ٢٦٨ – ٢٦٩) .
(٢) سورة الزمر ، من الآية : ٧١ .
(٣) سورة الطور ، الآية : ١٣ .
(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان (٢٧ / ٢٢) .
(٥) سورة الفرقان ، الآية : ٣٤ .
(٦) الجامع لأحكام القرآن (١٠ / ٣٣٣) .

ومما يشهد بصحة الوجه الثاني : حديث أنس بن مالك ﷺ أن رجلاً قال : يا رسول الله ، كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة ؟ قال : " أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَى رِجْلَيْهِ فِي الدُّنْيَا قَادِراً عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ " [(١)] .

والحكمة من حشر الكافر على وجهه عند الحساب كما يقول الحافظ ابن حجر – رحمه الله – : " إنه عوقب على عدم السجود لله في الدنيا ؛ بأن يسحب على وجهه في القيامة إظهاراً لهوانه ، بحيث صار وجهه مكان يده ورجله في التوقي عن المؤذيات " [(٢)] .

٣– أنهم يكونون على هيئة منكرة : عمياً لا يرون ، وبكماً لا يتكلمون ، وصماً لا يسمعون ، قال تعالى : ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا ﴾ [(٣)] .

ووصفهم بذلك لا يتعارض مع ما أثبته الله تعالى لهم من البصر ، والسمع ، والكلام في يوم القيامة ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴾ [(٤)] .

وقوله سبحانه : ﴿ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا [(٥)] ﴾ [(٦)] .

وذلك يجوز بأن يكون كما روي عن ابن عباس – رضي الله عنهما – في قوله تعالى : ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ ﴾ [(٧)] : " أي فلا يرون شيئاً

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الرقاق ، باب كيف الحشر (٥ / ٢٣٩٠ ، رقم ٦١٥٨) . ومسلم في صحيحه ، كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب يحشر الكافر على وجهه (٤ / ٢١٦١ ، رقم ٢٨٠٦) ، واللفظ له .

(٢) فتح الباري (١١ / ٣٨٢ – ٣٨٣) .

(٣) سورة الإسراء ، من الآية : ٩٧ .

(٤) سورة الكهف ، الآية : ٥٣ .

(٥) الثبور يعني : الهلاك . انظر : المفردات في غريب القرآن ، مادة (ثبر) ، (ص ٧٨) . والتبيان في تفسير غريب القرآن (ص ٣١٥) .

(٦) سورة الفرقان ، الآية : ١٣ .

(٧) سورة الإسراء ، من الآية : ٩٧ .

يسرّهم ، ولا ينطقون بحجة ، ولا يسمعون شيئاً يسرّهم " [(١)] [(٢)] .

٤– أنهم يكونون مغلوبين مقهورين ، كما أخبر الله تعالى عنهم في قوله سبحانه :

﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ [(٣)] .

ولا شك أن جميع هذه الصور تدل على ما في الشرك من ذلّ وهوان .

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٥ / ١٦٧ – ١٦٨) .

(٢) انظر : جامع البيان (١٥ / ١٦٧) .

(٣) سورة آل عمران ، الآية : ١٢ .

المبحث الرابع

الشهود يوم الحساب

لقد اقتضت حكمة الله تعالى على أن يبعث من مخلوقاته شهداء على المكذّبين الجاحدين ؛ حتى لا يكون لهم أي عذر ، وحتى يعلموا بأن الحكم الذي سيصدر بحقهم ليس فيه أي جور أو ظلم .

ولقد دل حديث أبي هريرة ﷺ على نوع من أنواع الشهود يوم الحساب : وهو شهادة جوارح الإنسان ؛ والتي تنطق – بإذن الله تعالى – وقدرته لتشهد على العبد – في حال جحوده ونكرانه – بما قدّم ، وذلك في قوله ﷺ كما عند مسلم : " ثُمَّ يَلْقَى الثَّالِثَ ، فَيَقُولُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ آمَنْتُ بِكَ ، وَبِكِتَابِكَ ، وَبِرُسُلِكَ ، وَصَلَّيْتُ ، وَصُمْتُ ، وَتَصَدَّقْتُ ، وَيُثْنِي بِخَيْرٍ مَا اسْتَطَاعَ ، فَيَقُولُ : هَاهُنَا إِذن " ، قال : " ثُمَّ يُقَالُ لَهُ : الْآنَ نَبْعَثُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ ، وَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ : مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ ؟ فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ ، وَيُقَالُ لِفَخِذِهِ ، وَلَحْمِهِ ، وَعِظَامِهِ : انْطِقِي ؛ فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ ، وَلَحْمُهُ ، وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ ؛ وَذَلِكَ لِيُعْذِرَ مِنْ نَفْسِهِ ، وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ ؛ وَذَلِكَ الَّذِي يَسْخَطُ اللَّهُ عَلَيْهِ " .

وقد ذكر الله تعالى هذه الشهادة في كتابه العزيز في قوله جل شأنه : ﴿ يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [(١)] .

وقوله سبحانه : ﴿ ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾ [(٢)] .

قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله – في تفسير الآية الثانية : " هذا حال الكفار والمنافقين يوم القيامة ؛ حين ينكرون ما اجترموه في الدنيا ويحلفون ما فعلوه؛فيختم الله على أفواههم ، ويستنطق جوارحهم بما عملت " [(٣)] .

وقوله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ

---

(١) سورة النور ، الآية : ٢٤ .

(٢) سورة يس ، الآية : ٦٥ .

(٣) تفسير القرآن العظيم (٣ / ٥٧٨) .

شَيْءٍ ﴾ [١] .

وأول ما يشهد على الإنسان من أعضائه : فخذه ، كما جاء في حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول : " إِنَّ أَوَّلَ عَظْمٍ مِنْ الْإِنْسَانِ يَتَكَلَّمُ يَوْمَ يُخْتَمُ عَلَى الْأَفْوَاهِ : فَخْذُهُ " [٢] .

وقد بيّن القرطبي – رحمه الله – أن معنى هذا الحديث يحتمل وجهين :

" **أحدهما** : أن يكون ذلك زيادة في الفضيحة والخزي على ما نطق به الكتاب في قوله : ﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ ﴾ [٣] ؛ لأنه كان في الدنيا يجاهر بالفواحش ، ويخلو قلبه عندها من ذكر الله تعالى ، فلا يفعل ما يفعل خائفاً مشفقاً ؛ فيجزيه الله بمجاهرته بفحشه على رؤوس الأشهاد .

والثاني : أن يكون هذا فيمن يقرأ كتابه ولا يعرف بم ينطق به بل يجحد ؛ فيختم الله على فيه عند ذلك ، وتنطق منه الجوارح التي لم تكن ناطقة في الدنيا فتشهد عليه سيئاته ؛ وهذا أظهر الوجهين " [٤] .

ومن الشهود يوم الحساب [٥] – علاوةً على ما سبق – :

١– الملائكة الذين يشهدون على بني آدم بأعمالهم ، وهم الأشهاد المذكورون في قوله تعالى : ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعۡرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [٦] .

قال مجاهد – رحمه الله – في بيان معنى الأشهاد : " الملائكة " [٧] .

٢– الأنبياء – عليهم السلام – وهم أزكى الشهداء وأعدلهم ؛ فكل نبي يشهد على

(١) سورة فصلت ، من الآية : ٢١ .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده – ط١٤١٩هـ = ١٩٩٩م – (٢٨ / ٦٠٢ ، رقم ١٧٣٧٤) . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ٣٥١) : " إسناده جيد " . وقال محققو المسند (٢٨ / ٦٠٢ ، رقم ١٧٣٧٤ ، هامش ١) : " حسن لغيره " .

(٣) سورة الجاثية ، من الآية : ٢٩ .

(٤) التذكرة (١ / ٣٢٧ – ٣٢٨) .

(٥) انظر : المرجع السابق (١ / ٣٣١ – ٣٣٩) . والقيامة الكبرى (ص ٢١٢– ٢١٥) .

(٦) سورة هود ، الآية : ١٨ .

(٧) تفسير مجاهد ، مجاهد بن جبر المخزومي ،تحقيق : عبد الرحمن الطاهر محمد السورتي ، د.ط (بيروت : المنشورات العلمية ، د.ت) ، (١ / ٣٠٢) .

أمته ، كما قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ (١) .

وقال سبحانه : ﴿ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ ﴾ (٢) .

قال مجاهد – رحمه الله – في المراد بالشهيد : " يعني : رسولاً " (٣) .

ومعنى هذه الشهادة : أن الله تعالى يبعث من كل أمة شهيداً ؛ وهو نبيها يشهد عليها بما أجابته فيما بلغها عن الله تعالى من الرسالة (٤) .

أمّا شهادة نبينا محمد ﷺ فهي مذكورة في قوله تعالى : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ (٥) .

وقد جاء في حديث عبد الله بن مسعود ﷺ : أنه ﷺ كان يبكي عند سماع هذه الآية (٦) ؛ والسبب في ذلك : عظيم ما تضمنته من هول المطلع وشدة الأمر ؛ إذ يؤتى بالأنبياء – عليهم السلام – شهداء على أممهم بالتصديق والتكذيب ، ويؤتى به ﷺ شهيداً يوم القيامة (٧) .

كما ذكر الله تعالى شهادته ﷺ وشهادة أمته على الأمم في قوله سبحانه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (٨) .

قال الإمام ابن جرير الطّبري – رحمه الله – : " فمعنى ذلك : وكذلك جعلناكم أمةً

(١) سورة النحل ، الآية : ٨٤ .

(٢) سورة القصص ، من الآية : ٧٥ .

(٣) تفسير مجاهد (٢ / ٤٨٩) .

(٤) انظر : جامع البيان (٢٠ / ١٠٤) . وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢ / ٥٨٢) .

(٥) سورة النساء ، الآية : ٤١ .

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب فضائل القرآن ، باب البكاء عند قراءة القرآن (٤ / ١٩٢٧ ، رقم ٤٧٦٨) . ومسلم في صحيحه ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ،باب فضل استماع القرآن (١ / ٥٥١ ، رقم ٨٠٠) .

(٧) انظر : الجامع لأحكام القرآن (٥ / ١٩٧) .

(٨) سورة البقرة ، من الآية : ١٤٣ .

وسطاً عدولاً ؛ لتكونوا شهداء لأنبيائي ورسلي على أممها بالبلاغ : أنها قد بلّغت ما أمرت ببلاغه من رسالاتي إلى أممها ، ويكون رسولي محمد ﷺ شهيداً عليكم بإيمانكم به وبما جاءكم به من عندي " [1] .

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " يُجَاءُ بِنُوحٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيُقَالُ لَهُ : هَلْ بَلَّغْتَ ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ ، يَا رَبِّ ، فَتُسْأَلُ أُمَّتُهُ : هَلْ بَلَّغَكُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : مَا جَاءَنَا مِنْ نَذِيرٍ ، فَيَقُولُ : مَنْ شُهُودُكَ ؟ فَيَقُولُ : مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ ؛ فَيُجَاءُ بِكُمْ فَتَشْهَدُونَ " ، ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [2] ، قال : " عَدْلاً " ﴿ لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [3] [4] .

٣- شهادة المال على صاحبه،كما جاء في حديث أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ ، وفيه : " وَإِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرٌ حُلْوٌ ، وَنِعْمَ صَاحِبُ الْمُسْلِمِ ؛هُوَ لِمَنْ أَعْطَى مِنْهُ الْمِسْكِينَ ، وَالْيَتِيمَ ، وَابْنَ السَّبِيلَ ؛ وَإِنَّهُ مَنْ يَأْخُذُهُ بِغَيْرِ حَقِّهِ كَانَ : كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ ، وَيَكُونُ عَلَيْهِ شَهِيداً يَوْمَ الْقِيَامَةِ " [5] .

فهذا المال الذي يستميت الإنسان في جمعه والمحافظة عليه سيقف شاهداً ضده يوم القيامة .

وخلاصة القول :

أنه مهما تعددت الشهود فالله تعالى أعظم شاهد ، قال ﷻ : ﴿ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا ﴾ [6] .

فهو سبحانه العليم بأحوال عباده الذي لا تخفى عليه خافية ؛ وهذا ما يوجب مراقبة الله تعالى في السر والعلن .

---

(١) جامع البيان (٢ / ٨) .

(٢) سورة البقرة ، من الآية : ١٤٣ .

(٣) سورة البقرة ، من الآية : ١٤٣ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [سورة البقرة ، من الآية : ١٤٣] (٦ / ٢٦٧٥ ، رقم ٦٩١٧) .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الزكاة ، باب الصدقة على اليتامى (٢ / ٥٣٢ ، رقم ١٣٩٦) . ومسلم في صحيحه ، كتاب الزكاة ، باب تخوف ما يخرج من زهرة الدنيا (٢ / ٧٢٨ ، رقم ١٠٥٢) ، واللفظ له .

(٦) سورة يونس ، من الآية : ٦١ .



الفصل الثالث

الفصل الثالث

دلالة الحديثين على الصراط

وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : تعريف الصراط

المبحث الثاني : صفة الصراط

المبحث الثالث : أول وآخر من يجوز الصراط

المبحث الرابع : الدعاء على الصراط

المبحث الخامس : المرور على الصراط

المبحث الأول

تعريف الصراط

الصراط في اللغة :

" الطريق المستقيم ، قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا ﴾ [١] " [٢] .

" وأصل صاده : سين ؛ قلبت مع الطاء صاداً لقرب مخارجها " [٣] .

والسراط بالسين : هو البلع ، " يقال : سرِطت الشيء بالكسر أسرِطُه سرْطاً بلعته ، واسترَطه ابتلعه " [٤] .

ومنه : سمّي سراطاً ؛ لأنه يسترط المارة فيه لكثرة سلوكهم به ، أي يبتلعهم .

قال الأزهري فيما نقله عن بعض العلماء في تعليل تسمية الطريق الواضح سراطاً : " إنما قيل للطريق الواضح : سراطاً ؛ لأنه كان يسترط المارة لكثرة سلوكهم " [٥] .

والصراط بالصاد : " لغة قريش الأولين " [٦] ، " ومنه قول الله ﷻ : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ [٧] ، ومعناه : ثبتنا على المنهاج الواضح .

وقال جرير بن عطية [٨] :

أَمِيرُ المؤمِنِينَ على صِراطٍ ... إِذا اعْوَجَّ المَوارِدُ مُسْتَقِيمُ [٩] " [١٠]

---

(١) سورة الأنعام ، من الآية : ١٥٣ .

(٢) المفردات في غريب القرآن ، مادة (صرط) ، (ص ٢٨٠) .

(٣) لسان العرب ، مادة (صرط) ، (٧ / ٣٤٠) .

(٤) الصحاح ، مادة (سرط) ، (٣ / ١١٣٠) .

(٥) تهذيب اللغة ، مادة (سرط) ، (١٢ / ٢٣٢) .

(٦) لسان العرب ، مادة (سرط) ، (٧ / ٣١٤) .

(٧) سورة الفاتحة ، الآية : ٦ .

(٨) هو : جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي ، أبو جزرة ، كان من فحول شعراء الإسلام ، وكانت بينه وبين الفرزدق مهاجاة ونقائض ، تفوق في شعر : الفخر ، والمديح ، والهجاء ، والنسيب ، توفي سنة ١١١هـ . انظر : طبقات فحول الشعراء (٢ / ٢٩٧) . ووفيات الأعيان (١ / ٣٢١ – ٣٢٧) .

(٩) ديوان جرير بن عطية ، جرير بن عطية الخطفي ، تحقيق : د. نعمان محمد طه ، ط٣ (القاهرة : دار المعارف ، د.ت) ، (١ / ٢١٨) .

(١٠) تهذيب اللغة ، مادة (سرط) ، (١٢ / ٢٣٢) .

الصراط في الاصطلاح :

قال الإمام النووي – رحمه الله – : " هو جسر على متن جهنم يمرّ عليه الناس كلهم : فالمؤمنون ينجون على حسب حالهم – أي منازلهم – والآخرون يسقطون فيها " [١] .

وعرّفه الحافظ ابن حجر – رحمه الله – بقوله : " الجسر المنصوب على جهنم لعبور المسلمين عليه إلى الجنة " [٢] .

ويتضح من خلال ما سبق :

أن الصراط في اللغة : يطلق على الطريق ؛ وأمّا في الاصطلاح : فهو جسر حقيقي مضروب على جهنم للعبور إلى الجنة .

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٣ / ٢٠) .

(٢) فتح الباري (١١ / ٤٤٦) .

المبحث الثاني

صفة الصراط

دل حديثا أبي هريرة وأبي سعيد الخدري – رضي الله عنهما – على صفة الصراط الذي يمرّ عليه العباد يوم القيامة ، وذلك في قوله ﷺ من حديث أبي هريرة كما عند النسائي : " فَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ جَهَنَّمَ ... وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ : كَشَوْكِ السَّعْدَانِ ،هَلْ رَأَيْتُمُ السَّعْدَانَ ؟ فَإِنَّهُ مِثْلُ : شَوْكِ السَّعْدَانِ ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَدْرِي مَا قَدْرُ عِظَمِهَا إِلَّا اللَّهُ " .

وفي قوله ﷺ من حديث أبي سعيد كما عند البخاري : " ثُمَّ يُؤْتَى بِالْجَسْرِ ؛ فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ " ، قلنا : يا رسول الله ، وما الجسر ؟ قال : " مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ ، عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ ، وَكَلَالِيبُ ،وَحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ [١] لَهَا شَوْكَةٌ عُقَيْفَاءُ [٢] تَكُونُ بِنَجْدٍ ،يُقَالُ لَهَا : السَّعْدَانُ " .

ومما تقدم يتضح :

أن للصراط مواصفات عديدة يمتاز بها ، وفيما يلي بيانها :

١– أنه جسر مضروب على متن جهنم .

٢– أنه شديد الحرارة ؛ لأنه فوق جهنم مباشرة .

٣– أنه زلق لا تثبت عليه الأقدام .

٤– أن على حافتيه كلاليب ، وخطاطيف ، وحسك ، مثل : شوك السعدان ؛ تخطف من أُمرت بخطفه .

ومن أوصاف الصراط الثابتة في صحيح السنة النبوية – إضافةً إلى ما تقدم – :

٥– أنه حاد ودقيق ، كما جاء عن سلمان الفارسي رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : " وَيُوضَعُ الصِّرَاطُ مِثْلَ : حَدِّ الْمُوسَى " [٣] .

---

(١) مفلطحة : أي فيها عرض واتساع . انظر : النهاية في غريب الحديث ، مادة (فلطح) ، (٣ / ٤٧١) . ولسان العرب ، مادة (فلطح) ، (٢ / ٥٤٩) .

(٢) عقيفاء : أي ملوية : كالصنارة . انظر : النهاية في غريب الحديث ، مادة (عقف) ، (٣ / ٢٧٦) . ولسان العرب ، مادة (عقف) ، (٩ / ٢٥٤) .

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤ / ٦٢٩ ، رقم ٨٧٣٩) ، وقال : " هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه " . وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢ / ٦١٩ ، رقم ٩٤١) .

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : " بلغني : أن الجسر أدق من الشعرة ، وأحد من السيف " [(١)] .

وهذه الصفة – أعني : حدة الصراط ودقته – أثبتها علماء السلف مستمسكين بالنصوص التي بيّنتها ، ومن أقوالهم في ذلك ما يلي :

قال الإمام ابن بطّة العُكبَري – رحمه الله – : " والصراط جاء في الحديث : أنه أحد من السيف ، وأدق من الشعرة " [(٢)] .

وقال الإمام النووي – رحمه الله – : " وأصحابنا المتكلمون وغيرهم من السلف ، يقولون : إن الصراط أدق من الشعرة ، وأحد من السيف ؛ كما ذكره أبو سعيد الخدرى ﷺ " [(٣)] .

وقال السّفّاريني – رحمه الله – : " قال العلماء : الصراط أدق من الشعرة ، وأحد من السيف " [(٤)] .

وقد خالف بعض الناس في هذه الصفة ؛ وذهبوا إلى تأويلات وأقوال مضطربة ؛ معرضين عن النصوص التي أفادت ثبوت هذه الصفة للصراط .

وقد حكى القرطبي – رحمه لله – مقالتهم في ذلك ، فقال : " ذهب بعض من تكلم على أحاديث هذا الباب في وصف الصراط بأنه أدق من الشعر ، وأحد من السيف : أن ذلك راجع إلى يسره وعسره على قدر الطاعات والمعاصي ؛ ولا يعلم حدود ذلك إلا الله تعالى لخفائها وغموضها ، وقد جرت العادة بتسمية الغامض الخفي : دقيقاً ؛ فضرب المثل له بدقة الشعر .

ومعنى قوله : " أحد من السيف " : أن الأمر الدقيق الذي يصعد من عند الله تعالى إلى الملائكة في إجازة الناس على الصراط ؛ يكون في نفاذ حد السيف ومضيّه إسراعاً منهم إلى طاعته وامتثاله ؛ ولا يكون له مردّ ، كما أن السيف إذا نفذ بحدة وقوة ضاربه في شيء لم يكن له بعد ذلك مردّ .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب معرفة طريق الرؤية (١ / ١٧٠ ، رقم ١٨٣) .

(٢) الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة ، عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري ، تحقيق : د. رضا بن نعسان معطي ، ط١ (المدينة المنورة : مكتبة العلوم والحكم ، ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م) ، (ص ٢٢٢) .

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (٣ / ٢٠) .

(٤) لوامع الأنوار (٢ / ١٩٠) .

وإمّا أن يقال : إن الصراط نفسه أحد من السيف ، وأدق من الشعر ؛ فذلك مدفوع بما وصف من أن الملائكة يقومون بجنبيه ، وأن فيه كلاليب وحسكاً ، أي أن من يمرّ عليه يقع على بطنه ، ومنهم من يزل ثم يقوم ، وفيه : أن من الذين يمرون عليه من يعطى النور بقدر موضع قدميه ؛ وفي ذلك إشارة إلى أن للمارين عليه مواطئ الأقدام ؛ ومعلوم أن رقة الشعر لا يحتمل هذا كله " [١] .

ثم قال في معرض الرد على من زعم استبعادها وادّعى مجازيتها : " ما ذكره القائل مردود بما ذكرنا من الأخبار ؛ وأن الإيمان يجب بذلك ؛ وأن القادر على إمساك الطير في الهواء قادر على أن يمسك عليه المؤمن فيجريه أو يمشيه ؛ ولا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا عند الاستحالة ؛ ولا استحالة في ذلك للآثار الواردة في ذلك وثباتها بنقل الأئمة العدول ، ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ [٢] " [٣] .

ومن الجدير بالإشارة : أنه قد ورد في أوصاف الصراط الأخروي أحاديث كثيرة لم تثبت ، ذكر بعضها الحافظ ابن حجر – رحمه الله – وحكم على أسانديها باللين والإرسال [٤] .

---

(١) التذكرة (٢ / ٣٨٥ – ٣٨٦) .

(٢) سورة النور ، من الآية : ٤٠ .

(٣) التذكرة (٢ / ٣٨٦) .

(٤) انظر : فتح الباري (١١ / ٤٥٤) .

المبحث الثالث

أول وآخر من يجوز الصراط

دل حديث أبي هريرة ﷺ على أن نبينا محمد ﷺ هو أول من يجوز الصراط من الأنبياء – عليهم السلام – إظهاراً لمكانته ﷺ وفضله عليهم .

وعلى أن أمته أول من يجوز الصراط من الأمم ؛ لكرامتها عند الله ﷻ ؛ ثم تعبر الأمم الأخرى من أتباع الرسل مع رسلهم – عليهم السلام – وذلك في قوله ﷺ كما عند أحمد : " وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُه " .

قال القرطبي – رحمه الله – في بيان ذلك : " لمّا كان هو وأمته أول من يجوز على الصراط ؛ لزم تأخير غيرهم عنهم حتى يجوز ؛ فإذا جاز هو وأمته فكأنه أجاز بقية الناس " (١) .

وقال الحافظ ابن حجر – رحمه الله – : " ويؤخذ أيضاً من قوله في بقية الحديث : " فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ " فإن فيه : إشارة إلى أن الأنبياء بعده يجيزون أممهم " (٢) .

وصفة جوازهم للصراط أن يناديهم منادٍ ليعبروا وهم بين الأمم ؛ فيقوم الرسول ﷺ حين يسمع ذلك النداء ثم تتبعه أمته ، كما في حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – أن النبي ﷺ قال : " فَتُفْرَج لَنَا الْأُمَم عَنْ طَرِيقنَا ... فَتَقُول الْأُمَم : كَادَتْ هَذِهِ الْأُمَّة أَنْ تَكُونَ أَنْبِيَاءَ كُلُّهَا " (٣) .

وجاء في الأثر الذي رواه عبد الله بن سلام ﷺ : " ثم ينادي منادٍ : أين محمد وأمته ؟ فيقوم ؛ فتتبعه أمته : برها وفاجرها ، فيأخذون الجسر ، فيطمس الله أبصار أعدائه ؛ فيتهافتون من يمين وشمال ؛ وينجو النبي والصالحون " (٤) .

---

(١) انظر : فتح الباري لابن حجر (١١ / ٤٥٢) .

(٢) المرجع السابق (١١ / ٤٤٨- ٤٤٩) .

(٣) أخرجه أحمد في مسنده – ط١٤١٦هـ = ١٩٩٥م – (٤ / ٣٣٢ ، رقم ٢٥٤٦) . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ٣٧٣) : " وفيه علي بن زيد وقد وثق وبقية رجاله رجال الصحيح " . وقال محققو المسند (٤ / ٣٣٢ ، رقم ٢٥٤٦ ، هامش ٣) : " حسن لغيره " .

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤ / ٦١٢ ، رقم ٨٦٩٨) ، وقال : " هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ". وقال المحقق عبد القادر بن عبد الكريم جوندل في المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ، أحمد بن علي العسقلاني (ابن حجر) ، ط١ (الرياض : دار العاصمة ، ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م) ، (١٨ / ٥٦٠ ، هامش رقم ٤٥٦٣) : " هذا إسناد حسن لذاته رواته ثقات " .

وأول من يجوز من هذه الأمة بعد نبيها ﷺ فقراء المهاجرين ، كما جاء عن ثوبان ﵁ مولى رسول الله ﷺ أن حَبراً من أحبار اليهود سأل النبي ﷺ : أين يكـون النـاس ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ (١) ؟ فقال رسول الله ﷺ : " هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْجِسْرِ " ، قال : فمن أول الناس إجازة ؟ قال : " فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ " (٢) .

كما دل حديث أبي سعيد الخدري ﵁ على أن آخر من يعبر الصراط من يسحب عليه سحباً ، وذلك في قوله ﷺ كما عند البخاري : " حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْباً " .

قال الملّا علي القاري – رحمه الله – : " أي لضعف عمله وتقاعده عـن السـبق في الدنيا " (٣) .

ومما جاء في صفة آخر من يجوز الصراط إلى الجنة – إضافةً إلى ما سبق – :

ما رواه عبد الله بن مسعود ﵁ أن رسول الله ﷺ قال :"آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ : فَهْوَ يَمْشِي مَرَّةً ، وَيَكْبُو مَرَّةً ، وَتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً ؛ فَإِذَا مَا جَاوَزَهَا الْتَفَتَ إِلَيْهَا ، فَقَـالَ : تَبَارَكَ الَّذِي نَجَّانِي مِنْكِ،لَقَدْ أَعْطَانِي اللَّهُ شَيْئاً مَا أَعْطَاهُ أَحَداً مِنْ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ " (٤) .

وفي هذا إشارة إلى أن عبور الصراط والنجاة من النار من أعظم عطايـا الله تعـالى في الآخرة .

---

(١) سورة إبراهيم ، من الآية : ٤٨ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الحيض ، باب بيان صفة مني الرجل (١ / ٢٥٢ ، رقم ٣١٥) .

(٣) مرقاة المفاتيح (١٠ / ٢٧٩) .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب آخر أهل النار خروجاً (١ / ١٧٤ ، رقم ١٨٧) .

المبحث الرابع

الدعاء على الصراط

دل حديثا أبي هريرة وأبي سعيد الخدري – رضي الله عنهما – على أنه من شدة هول الصراط ؛ يتكلم الرسل والأنبياء – عليهم السلام – فيدعون الله تعالى بالسلامة – حيث أمنوا بأمان الله تعالى لهم – لمن يعبر الصراط من أتباعهم ؛ وذلك لكمال شفقتهم ورحمتهم بالخلق ، في قوله ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه كما عند النسائي : " وَلَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا الرُّسُلُ ، وَدَعْوَةُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ : اللَّهُمَّ سَلَّمْ سَلِّمْ " .

وفي قوله ﷺ من حديث أبي سعيد رضي الله عنه كما عند أحمد : " ثُمَّ يُوضَعُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ ، وَالْأَنْبِيَاءُ بِنَاحِيَتَيْهِ قَوْلُهُمْ : اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ ، اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ " .

وهذا صريح في اختصاص الرسل والأنبياء – عليهم السلام – بهذا الدعاء .

وفي اقتصارهم على طلب السلامة إشارة إلى عظم شأنها ؛ لأنها عين الغنيمة والكرامة [(١)] .

كما أفادت رواية أخرى من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : بأن المؤمنين يتكلمون أيضاً ؛ فيدعون الله تعالى بالسلامة ، وذلك في قوله ﷺ كما عند الترمذي : " فَيَقُومُ الْمُسْلِمُونَ وَيُوضَعُ الصِّرَاطُ ؛ فَيَمُرُّونَ عَلَيْهِ مِثْلَ : جِيَادِ الخَيْلِ وَالرِّكَابِ ، وَقَوْلُهُمْ عَلَيْهِ : سَلِّمْ سَلِّمْ " .

وهذا يدل على أن المؤمنين يقولون هذا الدعاء لشدة الموقف ، كما قال معاذ بن جبل رضي الله عنه : " إن المؤمن لا يسكن روعه حتى يترك جسر جهنم وراءه " [(٢)] .

وقد جمع الإمام النووي – رحمه الله – بين الروايات التي تفيد عدم كلام الأمم على الصراط ، واختصاص الرسل – عليهم السلام – بهذا الدعاء – اللهم سلّم سلّم – وبين ما جاء في كلام المؤمنين ودعائهم به : بأن ما ورد من عدم كلام الأمم خاص بحال الإجازة على الصراط ؛ وما ورد من كلامهم بأنه في مواطن القيامة الأخرى ، وذلك عند شرحه لقول النبي ﷺ : " وَلاَ يَتَكَلَّمُ إِلَّا الرُّسُلُ " ، حيث قال : " معناه : لشدة الأهوال والمراد : لا

---

(١) انظر : البحور الزاخرة في علوم الآخرة ، محمد بن أحمد السفاريني ، تحقيق : محمد إبراهيم شومان ، ط١ (الكويت : دار غراس ، ١٢٤٨هـ = ٢٠٠٧م) ، (١ / ٧٣٨) .

(٢) انظر : إحياء علوم الدين (٤ / ١٨٨) .

يتكلم في حال الإجازة ؛ وإلا ففي يوم القيامة مواطن يتكلم الناس فيها : وتجادل كل نفس عن نفسها ، ويسأل بعضهم بعضاً ويتلاومون ، ويخاصم التابعون المتبوعين "[١] .

والظاهر – والله تعالى أعلم – :

أن المؤمنين يتكلمون ويدعون في حال الإجازة على الصراط ؛ كما نص الحديث .

ولعل اختصاص الرسل – عليهم السلام – بالكلام والدعاء على الصراط إنما يكون ابتداءً ؛ ثم يجعل للمؤمنين منه بعد ذلك حظ ونصيب .

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٣ / ٢١) .

المبحث الخامس

المرور على الصراط

دل حديثا أبي هريرة وأبي سعيد الخدري – رضي الله عنهما – على أن النـــاس علـــى أصناف حال المرور على الصراط ، وذلك في قوله ﷺ من حديث أبي هريرة ﷺ كما عنـــد البخاري : " مِنْهُمُ الْمُوبَقُ بِعَمَلِهِ ، وَمِنْهُمُ الْمُخَرْدَلُ ثُمَّ يَنْجُو " .

وفي قوله ﷺ من حديث أبي سعيد ﷺ كما عند مسلم : " فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ ، وَمَخْـــدُوشٌ مُرْسَلٌ ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ " .

قال الإمام النووي – رحمه الله – : " إنهم ثلاثة أقسام:قسم يسلم فلا يناله شيء أصلاً ، وقسم يخدش ثم يرسل فيخلّص ، وقسم يلقى فيسقط في جهنم " [1] .

وقال الحافظ ابن حجر – رحمه الله – نقلاً عن بعض العلماء : " المارين على الصراط ثلاثـــة أصناف : نـــاجٍ بلا خدوش ، وهالك من أول وهلة ، ومتوسط بينهمـــا يصاب ثم ينجو " [2] .

ويتضح من خلال النقلين السابقين :

أن المارين على الصراط على ثلاثة أصناف :

الصنف الأول : ناجٍ بلا خدش ؛ لا تمس منه الكلاليب والخطاطيف شيئاً ، مـــسلّم لا تصيبه النار مطلقاً .

الصنف الثاني : من يصاب ثم ينجو ؛ فهو في النهاية يعبر لكن بعد خدوش تصيبه من هذه الكلاليب .

الصنف الثالث : هالك من أول وهلة ؛ مكدوس ساقط في النار .

ولا شك أن السير على الصراط الحسي في الآخرة ؛ يكون على قدر السير على الصراط المعنوي في الدنيا .

قال سهل التستري [3] – رحمه الله – : " من دق الصراط عليه في الدنيا ؛ عَرُض عليه

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٣ / ٢٩) .

(٢) فتح الباري (١١ / ٤٥٤) .

(٣) هو : سهل بن عبد الله بن يونس التستري ، أبو محمد ، أحد أئمة الصوفية وعلمائهم ،والمتكلمين في علوم : الرياضات ، والإخلاص ، وعيوب الأفعال ، من مؤلفاته : (جوابات أهل اليقين) ،و(مواعظ العارفين) ، توفي سنة ٢٨٣هـــ . انظر : طبقات الصوفية ، محمد بن الحسين الأزدي ، تحقيق : مصـــطفى عبـــد القـــادر =

في الآخرة ، ومن عَرُض عليه الصراط في الدنيا ؛ دق له في الآخرة " (١) .

وقال ابن رجب – رحمه الله – معلّقاً على القول السابق : " ومعنى هذا : أن من ضيّق على نفسه في الدنيا باتّباع الأمر واجتناب النهي ، وهو حقيقة الاستقامة على الصراط المستقيم في الدنيا ؛ كان جزاؤه أن يتسع له الصراط في الآخرة ، ومن وسّع على نفسه في الدنيا باتّباع الشهوات المحرّمة والشبهات المضلّة حتى خرج عن الصراط المستقيم ؛ ضاق عليه الصراط في الآخرة بحسب ذلك ؛ والله أعلم " (٢) .

كما دل حديث أبي سعيد الخدري ﷺ على أن الخلق يتفاوتون في مرورهم على الصراط تفاوتاً عظيماً ؛ كل بحسب عمله ، وذلك في قوله ﷺ كما عند مسلم : " فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ : كَطَرْفِ الْعَيْنِ ، وَكَالْبَرْقِ ، وَكَالرِّيحِ ، وَكَالطَّيْرِ،وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ " .

وبيان أقسام مرور الخلق على الصراط كالآتي :

القسم الأول : من يمرون عليه مثل : طرف العين .

القسم الثاني : من يمرون عليه : كالبرق .

القسم الثالث : من يمرون عليه : كالريح .

القسم الرابع : من يمرون عليه : كالطير .

القسم الخامس : من يمرون عليه : كأجود الخيل .

القسم السادس : من يمرون عليه : كأجود الركاب .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : " والصراط منصوب على متن جهنم ، وهو الجسر الذي بين الجنة والنار ؛ يمرّ الناس عليه على قدر أعمالهم : فمنهم من يمرّ كلمح البصر ، ومنهم من يمرّ كالبرق الخاطف ، ومنهم من يمرّ كالريح ، ومنهم من يمرّ كالفرس الجواد ، ومنهم من يمرّ كركاب الإبل ، ومنهم من يعدو عدواً ، ومنهم من يمشي مشياً ، ومنهم من يزحف زحفاً ، ومنهم من يخطف خطفاً ويلقى في جهنم ؛ فإن الجسر عليه كلاليب تخطف الناس بأعمالهم ؛ فمن مرّ على الصراط دخل الجنة " (٣) .

= عطا ، ط١ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م) ، (ص ١٦٦- ١٦٧) . والفهرست (ص ٢٦٣) .

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (١٠ / ١٩٧) .

(٢) التخويف من النار (ص ١٧٦) .

(٣) مجموع الفتاوى (٣ / ١٤٦- ١٤٧) .

ومما ورد في صفة مرور المؤمنين على الصراط – زيادةً على ما سبق – وتوزيع الأنوار عليهم :

ما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : " فَيُعْطَوْنَ نُورَهُمْ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ " ، قال : " فَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ مِثْلَ : الْجَبَلِ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ فَوْقَ ذَلِكَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ مِثْلَ : النَّخْلَةِ بِيَمِينِهِ ،وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى دُونَ ذَلِكَ بِيَمِينِهِ ، حَتَّى يَكُونَ آخِرُ ذَلِكَ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ عَلَى إِبْهَامِ قَدَمِهِ : يُضِيءُ مَرَّةً ، وَيُطْفِئُ مَرَّةً ؛ فَإِذَا أَضَاءَ قَدَمُهُ ؛ وَإِذَا طُفِئَ قَامَ ؛ فَيَمُرُّ وَيَمُرُّونَ عَلَى الصِّرَاطِ ، وَالصِّرَاطُ كَحَدِّ السَّيْفِ ، دَحْضٌ مَزِلَّةٍ ، فَيُقَالُ : انْجُوا عَلَى قَدْرِ نُورِكُمْ : فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَانْقِضَاضِ الْكَوْكَبِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالطَّرْفِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالرِّيحِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَشَدِّ الرَّجُلِ وَيَرْمُلُ رَمَلاً ؛ فَيَمُرُّونَ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ " [(١)] .

فبقدر الأعمال يكون الجواز وسرعة المرور ؛ ثم يعطون من النور ما يناسب أحوالهم وبه يكون المرور على الصراط ؛ فكلما كانت الأعمال الصالحة أكثر كلما كان العبور أسرع والنور أكثر ؛ والعكس صحيح .

وقد اختلف العلماء في إعطاء المنافقين أنواراً يمشون بها على الصراط : كالمؤمنين ، وذلك على قولين [(٢)] :

أحدهما : أنه لا يقسم لهم نور بالكلّية .

والثاني : أنه يقسم لهم النور مع المؤمنين كما كانوا معهم في الدنيا ؛ ثم يطفأ نور المنافقين إذا بلغوا السور ، وهذا قول مجاهد [(٣)] رحمه الله .

والقول الثاني هو الصحيح ؛لما ثبت من حديث جابر بن عبد لله – رضي الله عنهما – مرفوعاً ، وفيه : " وَيُعْطَى كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ مُنَافِقٍ أَوْ مُؤْمِنٍ نُوراً ، ثُمَّ يَتَّبِعُونَهُ ، وَعَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ: كَلَالِيبُ وَحَسَكٌ؛تَأْخُذُ مَنْ شَاءَ اللَّهُ ،ثُمَّ يُطْفَأُ نُورُ الْمُنَافِقِينَ؛ثُمَّ يَنْجُو الْمُؤْمِنُونَ " [(٤)] .

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢ / ٤٠٨ ، رقم ٣٤٢٤) ، وقال : " هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه بهذا اللفظ " . وصححه محمد بن ناصر الدين الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ، ط١ (الرياض : مكتبة المعارف ، ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م) ، (٣ / ٤٩٤ ، رقم ٣٧٠٤) .

(٢) انظر : التخويف من النار (ص ١٧٢ – ١٧٣) .

(٣) انظر : تفسير مجاهد (٢ / ٦٥٧) .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة مترلةً فيها (١ / ١٧٧ ، رقم ١٩١) .

وتظهر الحكمة من مرور المؤمنين على الصراط من وجهين [(١)] :

الوجه الأول : ظهور النجاة من النار لأهل الجنة .

الوجه الثاني : تحسر الكفار بفوز المؤمنين .

ومن الناس من لا يجوز الصراط بل يسقط في جهنم : وهم الكفار والمشركون ، كما دل على ذلك حديثا أبي هريرة وأبي سعيد الخدري – رضي الله عنهما – وذلك في قوله ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه كما عند الترمذي : " فَيَقُومُ الْمُسْلِمُونَ وَيُوضَعُ الصِّرَاطُ ؛ فَيَمُرُّونَ عَلَيْهِ مِثْلَ : جِيَادِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ ، وَقَوْلُهُمْ عَلَيْهِ : سَلِّمْ سَلِّمْ " .

وفي قوله ﷺ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه كما عند البخاري : " إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ : تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ ؛ فَلاَ يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللَّـهِ مِنَ الأَصْنَامِ وَالأَنْصَابِ إِلَّا يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ : بَرٌّ أَوْ فَاجِرٌ " .

ففي هذين الحديثين تصريح بأن أهل الكفر والشرك لا ينصب لهم صراط أصلاً ؛ وإنما يلقون في النار ابتداءً ؛ وأن الصراط إنما ينصب لأتباع الرسل – عليهم السلام – من الموحدين : طائعهم وعاصيهم .

قال ابن رجب – رحمه الله – : " واعلم أن الناس منقسمون : إلى مؤمن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً ، ومشرك يعبد مع الله غيره ؛ فأمّا المشركون فإنهم لا يمرون على الصراط ؛ وإنما يقعون في النار قبل وضع الصراط " [(٢)] .

ومما يدل على ذلك أيضاً :

أن الصراط : عبارة عن جسر منصوب للعبور إلى الجنة ، فلا يمرّ عليه الكفار لأنهم ليسوا من أهل الجنة .



(١) انظر : تحفة المريد (ص ٢٩٥) .

(٢) التخويف من النار (ص ١٧٦) .


الفصل الرابع

الفصل الرابع

دلالة الحديثين على الشفاعة

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : تعريف الشفاعة

المبحث الثاني : شروط الشفاعة

المبحث الثالث : أنواع الشفاعة والمخالفون فيها

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أنواع الشفاعة

المطلب الثاني : المخالفون في الشفاعة

المبحث الرابع : أقسام الشفعاء

المبحث الأول

تعريف الشفاعة

الشفاعة في اللغة :

مشتقة من الشفع .

والشفع : " أصل صحيح يدل على مقارنة الشيئين "[١] ، وهو : " خلاف الوتر ، تقول : كان وتراً فشفعته شفعاً ، وشفع الوتر من العدد شفعاً صيّره زوجاً .

وشفع لي يشفع شفاعةً وتشفّع طلب ، والشفيع : الشافع ، والجمع : شفعاء ، واستشفع بفلان على فلان ، وتشفّع له إليه فشفّعه فيه ، واستشفعه : طلب منه الشفاعة ، أي قال له : كن لي شافعاً "[٢] .

" وقوله تعالى : ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ[٣] مِّنْهَا ۗ ﴾[٤] .

أي من يزد عملاً إلى عمل ، من الشفع : وهو الزيادة "[٥] .

" وروي عن المبرّد[٦] وثعلب[٧] أنهما قالا في قول الله تبارك وتعالى : ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى

(١) معجم مقاييس اللغة ، مادة (شفع) ، (٣ / ٢٠١) .

(٢) لسان العرب ، مادة (شفع) ، (٨ / ١٨٣ – ١٨٤) .

(٣) الكفل معناه : النصيب الوافي ، وقيل : الوزر والإثم . انظر : كتاب غريب القرآن (ص ٣٩٧) . والتبيان في تفسير غريب القرآن (ص ١٧١) .

(٤) سورة النساء ، من الآية : ٨٥ .

(٥) تاج العروس ، مادة (شفع) ، (٢١ / ٢٨٢) .

(٦) هو : محمد بن يزيد بن عمير الأزدي ، أبو العباس ، المعروف بالمبرد ، النحوي اللغوي الأديب ، إمام العربية ببغداد ، كان حسن المحاضرة ، فصيحاً بليغاً ، مليح الأخبار ، ثقةً فيما يرويه ،حسن النوادر ،من تصانيفه : (الكامل) ، و (المقتضب) ، توفي سنة ٢٨٦ هـ . انظر : معجم الأدباء (٥ / ٤٧٩– ٤٨٦) . ووفيات الأعيان (٤ / ٣١٣ – ٣٢١) .

(٧) هو : أحمد بن يحيى بن يسار الشيباني ، أبو العباس ، المعروف بثعلب ، إمام الكوفيين في النحو ، واللغة ، والفقه ، والديانة ، عني بالنحو أكثر من غيره ، فلما أتقنه أكب على الشعر ، والمعاني ، والغريب ، وكان ثقةً متقناً ، من كتبه : (اختلاف النحويين) ، و (الوقف والابتداء) ، توفي سنة ٢٩١هـ . انظر : معجم الأدباء (٢ / ٥٥– ٧٨) . وبغية الوعاة (١ / ٣٩٦– ٣٩٨) .

يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [١] : " الشفاعة : الدعاء هاهنا " " [٢] .

" والشفاعة : كلام الشفيع للملِك في حاجة يسألها لغيره ، وشفع إليه في معنى : طلب إليه ، والشافع : الطالب لغيره يتشفع به إلى المطلوب ، وتقول : تشفّعت بفلان إلى فلان فشفّعني فيه ، واسم الطالب : شفيع ، واستشفعته إلى فلان ، أي سألته أن يشفع لي إليه ، وتشفّعت إليه في فلان فشفّعني فيه تشفيعاً ، والمشفِّع : الذي يقبل الشفاعة ، والمشفَّع : الذي تقبل شفاعته " [٣] .

ويستخلص من التعريف اللغوي السابق ما يلي :

١– أن الشفاعة : هي الطلب من الغير أن يشفع له لدى المشفوع عنده .

٢– أن الشفاعة تطلق أحياناً ويراد بها : العمل .

٣– أن الشفاعة تطلق ويراد بها أحياناً : الدعاء ، كما في قول المبرّد وثلعب .

٤– أن الشفاعة : هي كلام الشفيع للملِك يسأله حاجةً لغيره .

الشفاعة في الاصطلاح :

لقد وردت للشفاعة في الاصطلاح عدة تعريفات ، ومنها ما يأتي :

١– قال ابن الأثير الجزري – رحمه الله – هي : " السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم " [٤] .

وهذا التعريف قاصر ؛ لكونه قصر الشفاعة في نوع واحد : وهو العفو والتجاوز عن الذنوب ؛ بينما الشفاعة أعم من ذلك؛فإن من المعلوم أن من أنواع الشفاعة عند الله تعالى – كما سيأتي – : الشفاعة في رفع درجات بعض المؤمنين ؛ وهذا النوع ليس فيه تجاوز عن ذنوب بل رفع درجات .

٢– وعرّفها السّفّاريني – رحمه الله – بقوله : " هي سؤال الخير للغير " [٥] .

٣– وقال الشيخ العثيمين – رحمه الله – في تعريفها : " إنها التوسط للغير بجلب منفعة

---

(١) سورة البقرة ، من الآية : ٢٥٥ .

(٢) تهذيب اللغة ، مادة (شفع) ، (١ / ٢٧٨) .

(٣) لسان العرب ، مادة (شفع) ، (٨ / ١٨٤) .

(٤) النهاية في غريب الحديث ، مادة (شفع) ، (٢ / ٤٨٥) .

(٥) لوامع الأنوار (٢ / ٢٠٤) .

أو دفع مضرة " [١] .

وهذان التعريفان جيدان ؛ لكونهما جامعان لكافة أنواع الشفاعة : سواء أكانت رفع درجات ، أم تجاوزاً عن ذنوب .

فتعريف السّفّاريني – رحمه الله – عام يتضمن كل خير للمشفوع له : من دفع ضر أو جلب نفع ؛ وهذا ما دل عليه تعريف الشيخ العثيمين – رحمه الله – فإنه اشتمل على طلب أحد أمرين أو كلاهما : وهما جلب المنفعة ، ودفع المضرة .



(١) القول المفيد (١ / ٣٣٠) .

المبحث الثاني

شروط الشفاعة

إن المتأمل في حديث أبي سعيد الخدري ﷺ ؛ ليظهر له أنه قد جاء فيه ما يشير إلى إثبات الشفاعة بشروطها ، وذلك في قوله ﷺ كما عند مسلم : " ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ ، وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ ، وَيَقُولُونَ : اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ " .

وكما عند ابن ماجه : " أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا ؛ فلا يَمُوتُونَ فيها ولا يَحْيَوْنَ ، وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمْ نَارٌ بِذُنُوبِهِمْ أو بِخَطَايَاهُمْ ؛ فَأَمَاتَتْهُمْ إِمَاتَةً ، حتى إذا كَانُوا فَحْماً ؛ أُذِنَ لهم في الشَّفَاعَةِ " .

فالشفاعة لا تحلّ إلا إذا توافرت فيها ثلاثة شروط ، وهي :

الشرط الأول : إذن الله تعالى للشافع أن يشفع .

الشرط الثاني : رضا الله تعالى عن المشفوع له .

الشرط الثالث : أن الله تعالى لا يرضى إلا عن أهل التوحيد .

وقد ذكر الإمام ابن القيّم – رحمه الله – هذه الشروط الثلاثة وسمّاها : أصولاً ، حيث قال : " فهذه ثلاثة أصول تقطع شجرة الشرك من قلب من وعاها وعقلها : لا شفاعة إلا بإذنه ، ولا يأذن إلا لمن رضي قوله وعمله ، ولا يرضى من القول والعمل إلا توحيده واتّباع رسوله " (١) .

وتفصيل هذه الشروط فيما يلي :

الشرط الأول : إذن الله تعالى للشافع أن يشفع :

فالشفاعة عند الله تعالى مقيّدة بإذنه ؛ لا يتقدم إليها أحد من الشفعاء يوم القيامة إلا بعد إذن الله سبحانه له ؛ لكمال سلطانه وعظمته ، كما دلت على ذلك النصوص الشرعية ، قال تعالى : ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ (٢) .

قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله – في تفسيرها : " وهذا من عظمته ، وجلاله ، وكبريائه ﷻ ؛ أنه لا يتجاسر على أن يشفع لأحد عنده إلا بإذنه له في الشفاعة " (٣) .

(١) مدارج السالكين (١ / ٣٤١) .

(٢) سورة البقرة ، من الآية : ٢٥٥ .

(٣) تفسير القرآن العظيم (١ / ٣١٠) .

وقال سبحانه : ﴿ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦ ﴾ (١) .

وقال عز من قائل : ﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ ﴾ (٢) .

والشفاعة لله تعالى وحده ؛ لأنها ملكه ، كما قال ﷻ : ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ﴾ (٣) .

فهي ليست لغيره سبحانه بل هي له ؛ يهبها من يشاء ، ويمنّ بها على من يصطفي من عباده ؛ وليس للشافع حق في طلبها إلا بعد الإذن من المالك لها وهو الله تعالى .

قال الإمام ابن القيّم – رحمه الله – مفسّراً الآية الأخيرة : " فأخبر : أن حال ملكه للسماوات والأرض يوجب أن تكون الشفاعة كلها له وحده ؛ وأن أحداً لا يشفع عنده إلا بإذنه ؛ فإنه ليس بشريك بل مملوك محض ؛ بخلاف شفاعة أهل الدنيا بعضهم عند بعض " (٤) .

فالشفاعة عند الله تعالى بإذنه ؛ بخلاف الشفاعة عند البشر فإنها ليست بالإذن .

والإذن يتعلّق بأطراف ثلاثة :

الطرف الأول : الشافع .

الطرف الثاني : المشفوع فيه .

الطرف الثالث : وقت الشفاعة .

كما وضّح ذلك الشيخ حافظ حكمي – رحمه الله – عندما قال : " فليس يشفع إلا من أذن الله له بالشفاعة ، وليس له أن يشفع إلا بعد أن يأذن الله له ، وليس له أن يشفع إلا فيمن أذن الله تعالى له أن يشفع فيه " (٥) .

والإذن بالشفاعة على نوعين (٦) :

النوع الأول : إذن بمعنى المشيئة والخلق ؛ وهو الإذن القدري ، ومنه قوله تعالى عن

---

(١) سورة يونس ، من الآية : ٣ .

(٢) سورة سبأ ، من الآية : ٢٣ .

(٣) سورة الزمر ، من الآية : ٤٤ .

(٤) إغاثة اللهفان (١ / ٢٢٢) .

(٥) معارج القبول (٢ / ٨٨٨) .

(٦) انظر : مجموع الفتاوى (١٤ / ٣٨٣ – ٣٨٥) .

السحر : ﴿ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ (١) .

فهذا بمشيئته وقدرته ؛ وإلا فهو لم يبح السحر .

النوع الثاني : إذن بمعنى الإباحة والإجازة ؛ وهو الإذن الشرعي ، ومنه قوله ﷻ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ (٢) .

فإن هذا يتضمن إباحته لذلك ، وإجازته له ، ورفع الحرج عن فاعله ؛ مع كونه بمشيئته وقضائه .

أمّا قوله تعالى : ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ (٣) فالمقصود به : الإذن الشرعي القدري ؛ فمن سأل الله تعالى بغير إذنه الشرعي فقد شفع عنده بغير إذن قدري ولا شرعي .

الشرط الثاني : رضا الله تعالى عن المشفوع له :

بما أنه لابد من إذن الله تعالى للشافع أن يشفع ؛ فلابد أيضاً من رضى الله تعالى عن المشفوع له .

ومن الأدلة على ذلك :

قوله سبحانه : ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴾ (٤) .

وقوله ﷻ : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ (٥) .

وقوله تعالى : ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾ (٦) .

ففي هذه الآيات توكيد على أن الشفاعة لا تتحقق إلا بعد الحصول على رضا الله تعالى

---

(١) سورة البقرة ، من الآية : ١٠٢ .

(٢) سورة الأحزاب ، الآيات : ٤٥– ٤٦ .

(٣) سورة البقرة ، من الآية : ٢٥٥ .

(٤) سورة طه ، الآية : ١٠٩ .

(٥) سورة الأنبياء ، من الآية : ٢٨ .

(٦) سورة النجم ، الآية : ٢٦ .

عن المشفوعين .

بل إن سيد الشفعاء نبينا محمد ﷺ يقول عندما يأتيه الناس يوم القيامة طلباً للشفاعة ، كما في حديث أنس بن مالك ؓ : " فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي ؛ فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجداً ، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ يُقَالُ لِي : ارْفَعْ رَأْسَكَ : سَلْ تُعْطَهْ ، وَقُلْ يُسْمَعْ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ ؛ فَأَرْفَعُ رَأْسِي ، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِي ، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدّاً ؛ ثُمَّ أُخْرِجُهُمْ مِنْ النَّارِ وَأُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ ، ثُمَّ أَعُودُ " (١) .

وفي هذا إشارة إلى أنه ﷺ لا يشفع إلا لمن رضي الله تعالى عنه .

فإذا رضي الله ﷻ وقعت تلك الشفاعة وإلا لم تقع ؛ ولم يتقدم إلى طلبها أحد : سواء أكان ملكاً مقرّباً أم نبياً مرسلاً .

الشرط الثالث : أن الله تعالى لا يرضى إلا عن أهل التوحيد :

فالشفاعة في الآخرة خاصة بالمؤمنين الذين ماتوا على التوحيد ؛ لأن الله تعالى لا يرضى لعباده الكفر ؛ وقد توعد الكفار بالخلود في النار يوم القيامة .

ومن الأدلة على أن الشفاعة خاصة بأهل التوحيد الذين سلموا مما يناقض الإسلام ؛ وأنه ليس للكفار والمشركين فيها نصيب :

قوله تعالى : ﴿ لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدًا ﴾ (٢) .

والعهد كما قال ابن عباس – رضي الله عنهما – هو : " شهادة : أن لا إله إلا الله " (٣) .

وقوله ﷻ : ﴿ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ (٤) .

قال الإمام ابن جرير الطّبري – رحمه الله – : " ما للكافرين بالله يومئذ من حميم يحـمّ لهم ؛ فيدفع عنهم عظيم ما نزل بهم من عذاب الله ، ولا شفيع يشفع لهم عند ربهم ؛ فيطاع

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ،كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار (٥ / ٢٤٠١ ، رقم ٦١٩٧) ، واللفظ له . ومسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة مترلةً فيها (١ / ١٨٠ ، رقم ١٩٣) .

(٢) سورة مريم ، الآية : ٨٧ .

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٦ / ١٢٨) . وسليمان بن أحمد الطبراني في الدعاء ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، ط١ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٣هـ) ، (ص ٤٥٤ ، رقم ١٥٧٠) .

(٤) سورة غافر ، من الآية : ١٨ .

فيما شفع ، ويجاب فيما سأل "[١] .

وقوله سبحانه : ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾[٢] .

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي – رحمه الله – مبيّناً وجه الدلالة من هذه الآية : " فيها : أن الكفار لا تنفعهم شفاعة الشافعين ؛ ومفهوم كونها لا تنفع الكفار أنها تنفع غيرهم "[٣] .

وعن أبي هريرة ﷺ أنه قال : " قلت : يا رسول الله ، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ فقال ﷺ:" لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ ؛ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ ؛ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصاً مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ "[٤] .

قال ابن بطّال – رحمه الله – عند شرحه للحديث : " وفيه : أن الشفاعة إنما تكون في أهل الإخلاص خاصة "[٥] .

وعنه ﷺ أيضاً أن رسول الله ﷺ قال : " لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ ؛ فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ ؛ وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؛ فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً "[٦] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – مبيّناً اقتصار الشفاعة على أهل الجنة بخلاف من أشرك بالله تعالى بأي وجه كان : " فالذي تنال به الشفاعة هي الشهادة بالحق : وهي شهادة أن لا إله إلا الله ؛ لا تنال بتولي غير الله : لا الملائكة ، ولا الأنبياء ، ولا الصالحين "[٧] .

---

(١) جامع البيان (٢٤ / ٥٣) .

(٢) سورة المدثر ، الآية : ٤٨ .

(٣) أضواء البيان (٨ / ٣٦٧) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار (٥ / ٢٤٠٢ ، رقم ٦٢٠١) .

(٥) شرح صحيح البخاري (١ / ١٧٦) .

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الدعوات ، باب لكل نبي دعوة مستجابة (٥ / ٢٣٢٣ ، رقم ٥٩٤٥) . ومسلم في صحيحه ،كتاب الإيمان ، باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته (١ / ١٨٩ ، رقم ١٩٩) ، واللفظ له .

(٧) الحسنة والسيئة ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، تحقيق : د. محمد جميل غازي ، د.ط (القاهرة : مطبعة المدني ، د.ت) ، (ص ١٥٢) .

وقال عن امتناع الشفاعة في الكفار : " فالشفاعة للكفار بالنجاة من النار ، والاستغفار لهم مع موتهم على الكفر ؛ لا تنفعهم ولو كان الشفيع أعظم الشفعاء جاهاً " [(١)] .

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، تحقيق : زهير الشاويش ، د.ط(بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٣٩٠هـ = ١٩٧٠م) ، (ص ٧) .

المبحث الثالث

أنواع الشفاعة والمخالفون فيها

المطلب الأول : أنواع الشفاعة

الشفاعة يوم القيامة مظهر من مظاهر رحمة الله ﷻ ؛ يتفضّل بها على من يشاء من عباده لينفعهم بها ؛ وهي على أنواع متعددة كما يفيد قوله تعالى : ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَـٰعَةُ جَمِيعًا ﴾ [1] .

وقد ذُكر في حديثي أبي هريرة وأبي سعيد الخدري – رضي الله عنهما – نوعان من أنواع الشفاعة ، وهما :

النوع الأول : الشفاعة فيمن استحق النار أن لا يدخلها .

النوع الثاني : الشفاعة في مرتكبي الكبائر .

وفيما يلي الحديث عنهما وعن غيرهما من أنواع الشفاعة [2] :

النوع الأول : الشفاعة فيمن استحق النار أن لا يدخلها :

وهذا النوع دل عليه قوله ﷺ من حديث أبي هريرة ﷺ كما عند الترمذي : " فَيَقُومُ الْمُسْلِمُونَ وَيُوضَعُ الصِّرَاطُ ؛ فَيَمُرُّونَ عَلَيْهِ مِثْلَ : جِيَادِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ ، وَقَوْلُهُمْ عَلَيْهِ : سَلِّمْ سَلِّمْ " .

وقد توقف الإمام ابن القيّم – رحمه الله – في إثبات هذه الشفاعة ، حيث قال في معرض الحديث عن هذا النوع : " ويبقى نوعان يذكرهما كثير من الناس :

أحدهما :في قوم استوجبوا النار فيشفع فيهم أن لا يدخلوها ؛ وهذا النوع لم أقف إلى الآن على حديث يدل عليه " [3] .

ولكن أكثر العلماء أكّدوا على إثباتها وعدّها نوعاً من أنواع الشفاعة، ومن أقوالهم في ذلك :

---

(١) سورة الزمر ، من الآية : ٤٤ .

(٢) انظر : شرح العقيدة الطحاوية (١ / ٣٤٩ – ٣٥٩) . وأعلام السنة المنشورة (ص ١٣٤ – ١٣٦) .

(٣) حاشية ابن القيم على سنن أبي داود ، محمد بن أبي بكر الزرعي (ابن القيم) ، ط٢ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م) ، (١٣ / ٥٥) .

قال الإمام النووي – رحمه الله – : " الثالثة : الشفاعة لقوم استوجبوا النار ؛ فيشفع فيهم نبينا ﷺ ومن شاء الله تعالى " [١] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : " وأمّا الشفاعة الثالثة : فيشفع فيمن استحق النار ؛ وهذه الشفاعة له ، ولسائر النبيين ، والصّدّيقين ، وغيرهم ، فيشفع فيمن استحق النار أن لا يدخلها " [٢] .

وقال الحافظ ابن كثير – رحمه الله – : " النوع الثالث من الشفاعة : شفاعته ﷺ في أقوام آخرين قد أمر بهم إلى النار أن لا يدخلوا " [٣] .

وقال الحافظ ابن حجر – رحمه الله – : " فإنه ﷺ يشفع في بعض المؤمنين بالخروج من النار بعد أن دخلوها ؛ وفي بعضهم بعدم دخولها بعد أن استوجبوا دخولها " [٤] .

وقد ذكر أن دليل هذه الشفاعة – فضلاً عمّا تقدم – ما جاء في حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه مرفوعاً ، وفيه : " وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ ، يَقُولُ : رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ" [٥] [٦] .

ومعنى هذا :

أن دعاء الرسول ﷺ وغيره على الصراط ، وقولهم : " سَلِّمْ سَلِّمْ " إنما هو في الحقيقة شفاعة ؛ لأن الدعاء شفاعة ؛ وذلك لمن استحق دخول النار وشاء الله تعالى أن ينفعه بهذا الدعاء فلا يقع فيها .

النوع الثاني : الشفاعة في مرتكبي الكبائر :

وقد جاءت الدلالة على هذا النوع في حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وذلك في قوله ﷺ كما عند البخاري : " حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللَّهُ مِنَ القَضَاءِ بَيْنَ العِبَادِ ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ؛ أَمَرَ المَلاَئِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً ، مِمَّنْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَرْحَمَهُ ، مِمَّنْ يَشْهَدُ : أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَيَعْرِفُونَهُمْ فِي النَّارِ بِأَثَرِ السُّجُودِ ، تَأْكُلُ

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٣ / ٣٥) .

(٢) مجموع الفتاوى (٣ / ١٤٧) .

(٣) النهاية في الفتن والملاحم ، إسماعيل بن عمر بن كثير ، تحقيق : عبد الشافعي ، ط١ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م) ، (٢ / ٣١٣) .

(٤) فتح الباري (١ / ١٩٤) .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلةً فيها (١ / ١٨٧ ، رقم ١٩٥) .

(٦) انظر : فتح الباري (١١ / ٤٢٨) .

النَّارُ ابْنَ آدَمَ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ ؛ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ ؛ فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ ؛ قَدْ امْتُحِشُوا ؛ فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الحَيَاةِ ؛ فَيَنْبُتُونَ تَحْتَهُ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ " .

وفي حديث أبي سعيد ﷺ في مواضع كثيرة ، وفيما يلي بيانها :

في قوله ﷺ كما عند البخاري : " فَمَا أَنْتُمْ بِأَشَدَّ لِي مُنَاشَدَةً فِي الحَقِّ ، قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِ يَوْمَئِذٍ لِلْجَبَّارِ ، وَإِذَا رَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ نَجَوْا فِي إِخْوَانِهِمْ ، يَقُولُونَ : رَبَّنَا ، إِخْوَانُنَا كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا ، وَيَصُومُونَ مَعَنَا ، وَيَعْمَلُونَ مَعَنَا ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ ،وَيُحَرِّمُ اللَّهُ صُوَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ، فَيَأْتُونَهُمْ ، وَبَعْضُهُمْ قَدْ غَابَ فِي النَّارِ إِلَى قَدَمِهِ ، وَإِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ ؛ فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا ، ثُمَّ يَعُودُونَ ، فَيَقُولُ : اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ فَأَخْرِجُوهُ ؛ فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا ، ثُمَّ يَعُودُونَ ،فَيَقُولُ:اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ ؛ فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا " .

قال أبو سعيد : فإن لم تصدّقوني ، فاقرءوا : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا ﴾[1] .

" فَيَشْفَعُ : النَّبِيُّونَ ، وَالْمَلَائِكَةُ ، وَالْمُؤْمِنُونَ ، فَيَقُولُ الجَبَّارُ : بَقِيَتْ شَفَاعَتِي ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ ؛ فَيُخْرِجُ أَقْوَاماً قَدْ امْتُحِشُوا ؛ فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرٍ بِأَفْوَاهِ الجَنَّةِ ، يُقَالُ لَهُ : مَاءُ الحَيَاةِ ؛ فَيَنْبُتُونَ فِي حَافَتَيْهِ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ " .

وكما عند مسلم : " أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ ، وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ – أو قال : بِخَطَايَاهُمْ – فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً ، حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْماً ؛ أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ ، فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ ، فَبُثُّوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ ، ثُمَّ قِيلَ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ، أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ ؛ فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ"،فقال رجل من القوم : كأن رسول الله ﷺ قد كان بالبادية .

وكما عند أحمد : " إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ " ، قال : " يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ "، قال : " فَيُخْرَجُونَ

---

(١) سورة النساء ، من الآية : ٤٠ .

قَدِ امْتَحَشُوا وَعَادُوا فَحْماً ؛ فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرٍ ، يُقَالُ لَهُ : نَهَرُ الْحَيَاةِ ؛ فَيَنْبُتُونَ فِيهِ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ أو قال : فِي حَمِيلَةِ السَّيْلِ " ، فقال رسول الله ﷺ : " أَلَمْ تَرَوْا أَنَّهَا تَنْبُتُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً " .

وهذه الشفاعة خاصة بعصاة أهل التوحيد الذين دخلوا النار بسبب كبائر ذنوبهم ومهلكات أعمالهم ؛ فيشفع فيهم الشفعاء لإخراجهم من النار بعد انقضاء المدة المقرّرة لهم في علم الله تعالى .

والشفاعة لأهل الكبائر يكون للنبي ﷺ فيها أوفر الحظ والنصيب ؛ ويشارك النبي ﷺ فيها غيره من الأنبياء – عليهم السلام – والملائكة ، والمؤمنين أيضاً ؛ كما دلت على ذلك النصوص .

وأمّا الأحاديث الواردة في إثبات هذا النوع من الشفاعة فكثيرة جداً ؛ قد بلغت حد التواتر كما نص بعض أهل العلم على ذلك .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في مستهل جوابه حين سُئل عن الشفاعة في أهل الكبائر من أمة محمد ﷺ ، وهل يدخلون الجنة أم لا ؟ : " إن أحاديث الشفاعة في أهل الكبائر ثابتة متواترة عن النبي ؛ وقد اتفق عليها السلف : من الصحابة ، وتابعيهم بإحسان ، وأئمة المسلمين ؛ وإنما نازع في ذلك أهل البدع : من الخوارج ، والمعتزلة ، ونحوهم " (١) .

وقال الحافظ ابن كثير – رحمه الله – في النوع الثامن من الشفاعة : " شفاعته في أهل الكبائر من أمة محمد ممن دخل النار فيخرجون منها ؛ وقد تواترت بهذا النوع الأحاديث ؛ وقد خفي علم ذلك على الخوارج والمعتزلة ؛ فخالفوا في ذلك جهلاً منهم بصحة الأحاديث ، وعناداً ممن علم ذلك واستمر على بدعته " (٢) .

وقال الخفاجي (٣) – رحمه الله – عن شفاعة النبي ﷺ في بعض المذنبين ممن استوجب دخول النار ما نصه : " وهذه الشفاعة ثابتة بأحاديث كثيرة ؛ بلغ مجموع طرقها التواتر ؛ ولا يعتدّ بمن أنكرها من الخوارج والمعتزلة " (٤) .

---

(١) مجموع الفتاوى (٤ / ٣٠٩) .

(٢) النهاية في الفتن والملاحم (٢ / ٣١٥ – ٣١٦) .

(٣) هو : أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي ، القاضي ، من الأفراد المجمع على تفوقهم وبراعتهم ، اتصل بالسلطان مراد العثماني ؛ فولاه قضاء مصر ثم عزله عنها ، من كتبه : (شفاء الغليل) ،و(نسيم الرياض) ، توفي سنة ١٠٦٩هـ . انظر : خلاصة الأثر (ص ٣٣١ – ٣٤٢) . والأعلام (١ / ٢٣٨ – ٢٣٩) .

(٤) نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض ، أحمد بن محمد الخفاجي ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، ط١ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢١هـ = ٢٠٠١م) ، (٣ / ٢٠٠) .

ومن الأحاديث الدالة على الشفاعة في أهل الكبائر – زيادةً على ما سبق – :

ما جاء في حديث أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ قال : " يَخْرُجُ مِنْ النَّارِ مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنْ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً ، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْ النَّارِ مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنْ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً ، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْ النَّارِ مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنْ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ ذَرَّةً " (١) .

وعنه ﷺ أيضاً : أن رسول الله ﷺ قال : " شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي " (٢) .

وعن عمران بن حصين – رضي الله عنهما – عن النبي ﷺ أنه قال : " يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنْ النَّارِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ ؛ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ، يُسَمَّوْنَ : الْجَهَنَّمِيِّينَ " (٣) .

وقد أجمع المحققون من أهل العلم على ثبوت هذه الشفاعة .

قال أبو الحسن الأشعري – رحمه الله – : " وأجمعوا على أن شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر من أمته ؛ وعلى أنه يخرج من النار قوماً من أمته بعدما صاروا حُمماً ؛ فيطرحون في نهر الحياة ؛ فينبتون كما تنبت الحِبّة في حميل السيل " (٤) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : " وأمّا شفاعته لأهل الذنوب من أمته ؛ فمتفق عليها بين الصحابة ، والتابعين لهم بإحسان ، وسائر أئمة المسلمين الأربعة ،وغيرهم ؛ وأنكرها كثير من أهل البدع " (٥) .

ومن الشواهد أيضاً على إجماع أهل السنة على إثبات الشفاعة في إخراج عصاة

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [سورة ص ، من الآية : ٧٥] (٦ / ٢٦٩٦ ، رقم ٦٩٧٥) . ومسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلةً فيها (١ / ١٨٢ ، رقم ١٩٣) ، واللفظ له .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب السنة ، باب في الشفاعة (٤ / ٢٣٦ ، رقم ٤٧٣٩) . والترمذي في جامعه ، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع ، باب منه (٤ / ٦٢٥ ، رقم ٢٤٣٥) وقال : " هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه " . وأحمد في مسنده – ط ١٤١٨هـ = ١٩٩٧م – (٢٠ / ٤٣٩ ، رقم ١٣٢٢٢) . والحاكم في المستدرك (١ / ١٣٩ ، رقم ٢٢٨) وقال : " هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذا اللفظ " .وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣ / ١٦٠ ، رقم ٤٧٣٩) ، وصحيح سنن الترمذي (٢ / ٥٨١ ، رقم ٢٤٣٥) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار (٥ / ٢٤٠١ ، رقم ٦١٩٨) .

(٤) رسالة إلى أهل الثغر (ص ٢٨٨) .

(٥) مجموع الفتاوى (١ / ١٤٨) .

الموحدين من النار : تنصيص أئمتهم عليها ؛ وإثباتها في مؤلفاتهم وكتبهم ؛ وأنها حق خلافاً للمبتدعة .

ومما تقدم يتضح :

أن أهل السنة قرّروا الشفاعة لأهل الكبائر بالإجماع ؛ بناءً على الأحاديث الثابتة عنه عليه الصلاة والسلام .

النوع الثالث : الشفاعة العظمى :

وهي شفاعة النبي ﷺ لجميع الخلائق من أجل فصل القضاء ؛ بأن يقضي سبحانه بين خلقه ، ويريحهم من طول مقامهم في موقف القيامة .

وهي المقام المحمود المذكور في قوله تعالى : ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ﴾ [(١)] ؛ وهذا هو قول أكثر أهل العلم .

قال الإمام ابن جرير الطّبري – رحمه الله – في تفسير الآية : " فقال أكثر أهل العلم : ذلك هو المقام الذي هو يقومه ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس ؛ ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم " [(٢)] .

كما نقل الإمام ابن عبد البرّ – رحمه الله – إجماع أهل السنة على ذلك ، حيث قال : " إثبات الشفاعة وهو ركن من أركان اعتقاد أهل السنة ؛ وهم مجمعون أن تأويل قول الله ﷻ : ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ﴾ [(٣)] المقام المحمود : هو شفاعته ﷺ " [(٤)] .

وهذه الشفاعة يعتذر عنها أولو العزم من الرسل – عليهم السلام – ويتصدّى لها النبي ﷺ .

ومن الأحاديث الثابتة الدالة عليها :

حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعاً ، وفيه : " فَيَأْتُونِّي ، فَيَقُولُونَ : يَا مُحَمَّدُ : أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ ، وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ ، وَغَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ؛ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ؛ أَلَا

(١) سورة الإسراء ، من الآية : ٧٩ .

(٢) جامع البيان (١٥ / ١٤٣- ١٤٤) .

(٣) سورة الإسراء ، من الآية : ٧٩ .

(٤) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار ، يوسف بن عبد الله بن عبد البر ، تحقيق : سالم محمد عطا ؛ ومحمد علي معوض ، ط١ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٠م) ، (٢ / ٥٢٠) .

تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا ؟ فَأَنْطَلِقُ ، فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ ؛ فَأَقَعُ سَاجداً لِرَبِّي ؛ ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئاً لَمْ يَفْتَحْهُ لِأَحَدٍ قَبْلِي ، ثُمَّ يُقَالُ : يَا مُحَمَّدُ ، ارْفَعْ رَأْسَكَ : سَلْ تُعْطَهْ ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ ؛ فَأَرْفَعُ رَأْسِي ،فَأَقُولُ : يَا رَبِّ ، أُمَّتِي أُمَّتِي ، فَيُقَالُ : يَا مُحَمَّدُ ؛ أَدْخِلْ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ مِنْ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ؛ وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنْ الْأَبْوَابِ " (١) .

قال الإمام ابن خزيمة – رحمه الله – مبيّناً وجه الاستدلال بهذا الحديث على الشفاعة الكبرى : " الشفاعة التي وصفنا أنها أول الشفاعات هي التي يشفع بها النبي ليقضي الله بين الخلق ؛ فعندها يأمره الله ﷻ أن يدخل من لا حساب عليه من أمته الجنة من الباب الأيمن " (٢) .

والسبب في تأخر أهل الموقف عن المجيء إلى النبي ﷺ لطلب الشفاعة من البداية ، والتردد إلى غيره من الأنبياء – عليهم السلام – قبله مع علمهم بأنها خاصة به ؛ لإظهار شرفه ﷺ للناس ، وإعلاءً لقدره في ذلك الموطن .

يقول الحافظ ابن حجر – رحمه الله – : " ولعل الله تعالى أنساهم ذلك ؛ للحكمة التي تترتّب عليه من إظهار فضل نبينا ﷺ " (٣) .

والشفاعة العظمى مجمع عليها لا اختلاف فيها بين المسلمين .

قال السّفّاريني – رحمه الله – : " لكن هذه الشفاعة العظمى مجمع عليها ؛ لم ينكرها أحد ممن يقول بالحشر ؛ إذ هي للإراحة من طول الوقوف حين يتمنون الانصراف من موقفهم ذلك ولو إلى النار " (٤) .

النوع الرابع : الشفاعة في استفتاح باب الجنة لأهلها :

وقد دل على هذا النوع :

حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال : قال النبي ﷺ : " أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الْجَنَّةِ " (٥) .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، باب : ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [سورة الإسراء ، الآية : ٣] (٤ / ١٧٤٦ ، رقم ٤٤٣٥) . ومسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلةً فيها (١ / ١٨٥ ، رقم ١٩٤) ، واللفظ له .

(٢) كتاب التوحيد (٢ / ٥٩٦) .

(٣) فتح الباري (١١ / ٤٤١) .

(٤) لوامع الأنوار (٢ / ٢٠٨) .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب في قول النبي ﷺ : " أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ " (١ / ١٨٨ ، رقم ١٩٦) .

كما جاء توضيح هذا الحديث بالرواية الأخرى له ، وفيها : " آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؛ فَأَسْتَفْتِحُ ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَأَقُولُ : مُحَمَّدٌ ، فَيَقُولُ : بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ " (١) .

وفي هذا دليل على أن أهل الجنة لا يدخلونها إلا بعد شفاعته – عليه الصلاة والسلام – وعلى أن النبي ﷺ هو أول من يدخلها .

وقد نص شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – على اختصاص النبي ﷺ بهذه الشفاعة والتي قبلها ، حيث قال عند تعداده لأنواع الشفاعة : "وهاتان الشفاعتان خاصتان له " (٢) .

وقال الشيخ حافظ حكمي – رحمه الله – : " وهاتان الشفاعتان المذكورتان جعلهما الله تعالى خاصتين بنبينا محمد ﷺ ؛ وليستا لأحد غيره بلا نكران بين أهل السنة والجماعة " (٣) .

النوع الخامس : شفاعة النبي ﷺ في تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب :

وقد دل على هذا النوع :

ما جاء في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : أنه لمّا ذُكر عند رسول الله ﷺ أبو طالب ، قال : " لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؛ فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ (٤) مِنْ نَارٍ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ ؛ يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ " (٥) .

وعن ابن عباس – رضي الله عنهما – مرفوعاً : " أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً أَبُو طَالِبٍ ؛ وَهُوَ مُنْتَعِلٌ بِنَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ " (٦) .

ومع أن النبي ﷺ يشفع لعمه أبي طالب في تخفيف العذاب عنه – لما كان يقوم به من

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب في قول النبي ﷺ : " أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ " (١ / ١٨٨ ، رقم ١٩٧) .

(٢) مجموع الفتاوى (٣ / ١٤٧) .

(٣) معارج القبول (٢ / ٨٩٦) .

(٤) الضحضاح : هو ما يبلغ الكعبين من الماء أو النار ، وكل ما رق من الماء على وجه الأرض . انظر : تفسير غريب ما في الصحيحين (ص ٢٣٤) . وغريب الحديث لابن الجوزي (٢ / ٦) .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة ، باب قصة أبي طالب (٣ / ١٤٠٩ ، رقم ٣٦٧٢) . ومسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب (١ / ١٩٥ ، رقم ٢١٠) ، واللفظ له .

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب أهون أهل النار عذاباً (١ / ١٩٦ ، رقم ٢١٢) .

حمايته والدفاع عنه – إلا أن شفاعته ﷺ لا تنفعه في الخروج من النار ؛ بسبب موته على الكفر .

قال القرطبي – رحمه الله – بعد أن ذكر هذا النوع : " فإن قيل : فقد قال تعالى : ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾[(١)] ، قيل له: لا تنفعه في الخروج من النار ؛كما تنفع عصاة الموحدين الذين يخرجون منها ويدخلون الجنة "[(٢)] .

وقد أجاب الحافظ ابن حجر – رحمه الله – عن الاستشكال الواقع بين قوله ﷺ : "لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي " ، وقوله ﷻ :﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾[(٣)] بقوله : " بأنه خُص ؛ ولذلك عدّوه في خصائص النبي ﷺ ، وقيل : معنى المنفعة في الآية يخالف معنى المنفعة في الحديث ؛ والمراد بها في الآية : الإخراج من النار ، وفي الحديث : المنفعة بالتخفيف"[(٤)] .

النوع السادس : الشفاعة في دخول بعض المؤمنين الجنة بغير حساب :

وقد دل على هذا النوع :

ما جاء في حديث عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : " يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفاً بِغَيْرِ حِسَابٍ " ، قالوا : ومن هم يا رسول الله ؟ قال : " هُمْ الَّذِينَ لَا يَكْتَوُونَ ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ ؛ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ " ، فقام عكّاشة فقال : ادع الله أن يجعلني منهم ، قال : " أَنْتَ مِنْهُمْ " ، قال : فقام رجل ، فقال : يا نبي الله ، ادع الله أن يجعلني منهم ، قال : " سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ "[(٥)] .

واستحقاق هذا الجزاء ؛ إنما كان بسبب ما قدموه من أعمال أهلتهم لهذا الإكرام بعد رحمة الله تعالى .

النوع السابع : الشفاعة في رفع درجات بعض أهل الجنة :

وقد دل على هذا النوع :

(١) سورة المدثر ، الآية : ٤٨ .

(٢) التذكرة (١ / ٢٨٧) .

(٣) سورة المدثر ، الآية : ٤٨ .

(٤) فتح الباري (١١ / ٤٣١) .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الطب ، باب من اكتوى أو كوى غيره (٥ / ٢١٥٧ ، رقم ٥٣٧٨) . ومسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب (١ / ١٩٨ ، رقم ٢١٨) ، واللفظ له .

قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٍ ﴾ (١) .

قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله – في تفسير الآية : " إن المؤمنين إذا اتّبعتهم ذرياتهم في الإيمان يلحقهم بآبائهم في المترلة – وإن لم يبلغوا عملهم – لتقرّ أعين الآباء بالأبناء في منازلهم ؛ فيجمع بينهم على أحسن الوجوه ؛ بأن يرفع الناقص العمل بكامل العمل ولا ينقص ذلك من عمله ومترلته ؛ للتساوي بينه وبين ذاك " (٢) .

وفي هذا بشارة للمؤمنين مما يشير إلى فضل الله تعالى وكرمه ؛ ولطفه بخلقه وإحسانه .

كما تؤخذ هذه الشفاعة من دعاء المؤمنين بعضهم لبعض .

فعن أم سلمة – رضي الله عنها – أن النبي ﷺ قال في دعائه لأبي سلمة ﷺ حين توفي : " اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ ، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ ، وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَابِرِينَ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ ، وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ ، وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ " (٣) .

وقد وافقت المعتزلة على الشفاعة في رفع الدرجات و لم تنكرها .

قال القاضي عِياض (٤) – رحمه الله – : " وهذه لا تنكرها المعتزلة ، ولا تنكر شفاعة الحشر الأول " (٥) .



(١) سورة الطور ، من الآية : ٢١ .

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤ / ٢٤٢) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الجنائز ، باب في إغماض الميت (٢ / ٦٣٤ ، رقم ٩٢٠) .

(٤) هو : عياض بن موسى بن عياض اليحصبي ، أبو الفضل ، كان إمام وقته في الحديث وعلومه ، عالماً بالتفسير ، فقيهاً أصولياً ، عارفاً بالنحو ، واللغة ، وكلام العرب ، وأيامهم ، حافظاً لمذهب الإمام مالك ، ولي قضاء سبتة ثم غرناطة ، من مصنفاته : (ترتيب المدارك) ، و (الشفا) ، توفي سنة ٥٤٤هـ . انظر : العبر في خبر من غبر (٤ / ١٢٢– ١٢٣) . والديباج المذهب (ص ١٦٨– ١٧٢) .

(٥) كتاب الإيمان من إكمال المعلم بفوائد صحيح مسلم ، عياض بن موسى اليحصبي ، تحقيق : د. الحسين بن محمد شواط ، ط١ (الرياض : دار الوطن ، ١٤١٧هـ) ، (١ / ٨٢٤) .

المطلب الثاني

المخالفون في الشفاعة

وسيكون الحديث عنهم من خلال المسائل التالية :

المسألة الأولى : مذهب المخالفين في الشفاعة لمرتكبي الكبائر :

لقد أنكرت المبتدعة من الوعيدية الشفاعة لمرتكبي الكبائر، والمقصود بالوعيدية : الخوارج والمعتزلة ؛ وهذا هو محكّ الخلاف بينهم وبين أهل السنة .

وقد انبنى هذا على مذهبهم المشهور في تخليد المذنبين وعصاة الموحدين في النار إذا ماتوا من دون توبة ؛ فلا يخرجون منها لا بشفاعة الشافعين ولا بغيرها .

وفيما يلي عرض لأقوال بعض علماء الإسلام في تقرير مذهب الوعيدية :

قال الباقلّاني [(١)] – رحمه الله – محرّراً معتقد المعتزلة في الشفاعة للمذنبين : " فأمّا صاحب الكبيرة الذي مات من غير توبة ؛ فلا شفاعة له عندهم " [(٢)] .

وقال الإمام ابن حزم – رحمه الله – : " اختلف الناس في الشفاعة : فأنكرها قوم ، وهم المعتزلة ، والخوارج ، وكل من تبع ؛ أن لا يخرج أحد من النار بعد دخوله فيها " [(٣)] .

كما قصرت الوعيدية معاني النصوص الواردة في الشفاعة على التائبين من المؤمنين دون الفسّاق .

يقول أبو الحسن الأشعري – رحمه الله – عند عرضه لاختلاف الفرق وأصحاب المقالات في شفاعة الرسول ﷺ هل هي ثابتة لأهل الكبائر أم لا ؟ :"فأنكرت المعتزلة ذلك ؛ وقالت بإبطاله ، وقال بعضهم : الشفاعة من النبي ﷺ للمؤمنين أن يزادوا في منازلهم من باب التفضيل " [(٤)] .

---

(١) هو : محمد بن الطيب بن محمد الباقلاني ، أبو بكر ، قاضي ثقة ، أعرف الناس بعلم الكلام ، مع سعة علمه وكثرة حفظه ، وكان غاية في الذكاء والفطنة ، من مؤلفاته : (دقائق الحقائق) ، و (كشف الأسرار) ، توفي سنة ٤٠٣هـ . انظر : تاريخ بغداد (٥ / ٣٧٩ – ٣٨٢) . والبداية والنهاية (١١ / ٣٥٠ – ٣٥١) .

(٢) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ،محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق :عماد الدين أحمد حيدر ، ط١ (بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٦م) ، (ص ٢٣١) .

(٣) الفصل في الملل (٤ / ٥٣) .

(٤) مقالات الإسلاميين (ص ٤٧٤) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : " وأمّا الخوارج والمعتزلة فأنكروا شفاعته لأهل الكبائر ؛ ولم ينكروا شفاعته للمؤمنين ؛ وهؤلاء مبتدعة ضلّال " (١) .

وتوثيقاً لأقوالهم ؛ فإني سأعرضها من كتبهم وأكابر علمائهم مبيّنة أدلتهم على قولهم هذا ؛ وموضّحة ردود أهل السنة عليهم :

يقول القاضي عبد الجبّار مقرّراً أن الشفاعة لا تكون إلا للتائبين من المؤمنين فقط دون غيرهم : " فعندنا أن الشفاعة للتائبين من المؤمنين ؛ وعند المرجئة (٢) أنها للفسّاق من أهل الصلاة " (٣) .

وقال الزمخشري (٤) المعتزلي في ثنايا تفسير قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞ ﴾ (٥) : " وإن أردتم أن يحطّ عنكم ما في ذمتكم من الواجب ؛ لم تجدوا شفيعاً يشفع لكم في حطّ الواجبات ؛ لأن الشفاعة ثمّة في زيادة الفضل لا غير " (٦) .

---

(١) مجموع الفتاوى (١ / ١٠٨) .

(٢) يقصد القاضي عبد الجبار بالمرجئة هنا : أهل السنة والجماعة ، ولكن الحقيقة أن المرجئة كما عند علماء الفرق ثلاثة أصناف افترقت في حقيقة الإيمان :

الصنف الأول : الذين يقولون : الإيمان مجرد ما في القلب ، ثم من هؤلاء من يدخل في الإيمان أعمال القلوب ، وهم أكثر المرجئة ، ومنهم من لا يدخلها فيه : كجهم ومن اتبعه .

الصنف الثاني : الذين يقولون : هو مجرد قول اللسان ، وهذا لا يعرف لأحد قبل الكرامية .

الصنف الثالث : الذين يقولون : هو تصديق القلب وقول اللسان ، وهذا هو المشهور عن أهل الفقه والعبادة منهم .

وقد سموا مرجئة ؛ لأنهم يؤخرون العمل عن الإيمان ؛ على معنى أنهم يقولون : لا تضر المعصية مع الإيمان ، كما لا تنفع الطاعة مع الكفر ؛ وقولهم بالإرجاء خلاف قول المسلمين قبلهم . انظر : التبصير في الدين (ص ٩٧ – ١٠٠) . ومجموع الفتاوى (٧ / ١٩٥) .

(٣) شرح الأصول الخمسة (ص ٦٨٨) .

(٤) هو : محمود بن عمر بن محمد الزمخشري ، أبو القاسم ، النحوي اللغوي ، المتكلم المفسر ، كان متظاهراً بالاعتزال داعيةً إليه ، واسع العلم ، متفنناً في علوم شتى ،من تصانيفه :(أساس البلاغة) ، و(الكشاف) ، توفي سنة ٥٣٨هـ . انظر : معجم الأدباء (٥ / ٤٨٩– ٤٩٥) . وطبقات المفسرين للسيوطي (ص١٢٠– ١٢١) .

(٥) سورة البقرة ، من الآية : ٢٥٤ .

(٦) الكشاف بحاشية ابن المنير (١ / ٤٧٩ – ٤٨٠) .

ويقول عبد الله السالمي [١] من الخوارج الإباضية [٢] :" شفاعة نبينا محمد ﷺ مقصورة على التقي من المكلّفين ، والتقي : هو من جانب المحرّمات وأدّى الواجبات ؛ فلا شفاعة لغيره من الأشقياء " [٣] .

وهذا صريح في نفي الشفاعة عن أهل الكبائر .

والذي دعا الخوارج والمعتزلة إلى نفي الشفاعة عن العصاة والمذنبين من أهل الصلاة ؛ لأن إثبات الشفاعة لهم ينافي مبدأ الوعيد في مذهبهم الباطل ؛ فهم يرون وجوب إنفاذ الوعيد لمن يستحقه .

يقول ابن المنيّر [٤] – رحمه الله – عند تعليقه على الزمخشري : " وما أنكرها القدرية – أي الشفاعة – إلا لإيجابهم مجازاة الله تعالى للمطيع على الطاعة ؛ وللعاصي على المعصية إيجاباً عقلياً على زعمهم ؛ فهذه الحالة في إنكار الشفاعة نتيجة تلك الضلالة " [٥] .

المسألة الثانية : شبه المخالفين في الشفاعة لمرتكبي الكبائر والرد عليها :

لقد استدل الخوارج والمعتزلة على معتقدهم الفاسد في نفي الشفاعة عن أهل الكبائر بشبه : نقلية وعقلية ؛ ظنوها أدلة على ما يعتقدون ، وفيما يلي بيان ذلك :

---

(١) هو : عبد الله بن حميد بن سلوم السالمي ، أبو محمد ، مؤرخ فقيه ، من أعيان الإباضية ، مشارك في أنواع من العلوم ، كان ضريراً ، من مؤلفاته : (بهجة الأنوار) ، و (تحفة الأعيان) ، توفي سنة ١٢٩٦هـ . انظر : الأعلام (٤ / ٨٤) . ومعجم المؤلفين (٢ / ٢٤٠) .

(٢) الإباضية : فرقة من فرق الخوارج ، وهم أصحاب عبد الله بن إباض الذي خرج في أيام مروان بن محمد . والإباضية افترقت فيما بينها فرقاً ، يجمعها القول بتكفير مخالفيهم من أهل القبلة ، وبراءتهم من الشرك والإيمان ، وتحريم دمائهم في السر ، واستحلالها في العلانية ، ومع ذلك فقد جوزوا مناكحتهم وموارثتهم . انظر : الفرق بين الفرق (ص ٨٢ – ٨٣) . والملل والنحل (١ / ١٣٤– ١٣٦) .

(٣) مشارق أنوار العقول ، عبد الله بن حميد السالمي ، تحقيق : عبد الرحمن عميرة ، ط١ (بيروت : دار الجيل ، ١٩٨٩م) ، (٢ / ١٣٢) .

(٤) هو : أحمد بن محمد بن منصور الجذامي ، أبو العباس ، المعروف بابن المنير،أحد الأئمة المتبحرين في العلوم : من التفسير ، والفقه ، والأصلين ، والنظر ، والعربية ، والبلاغة ، والإنشاء ، ولي قضاء الإسكندرية وخطابتها ، من تصانيفه : (أسرار الأسرار) ، و(مناسبات تراجم البخاري) ، توفي سنة ٦٨٣هـ . انظر : فوات الوفيات ، محمد بن شاكر الكتبي ، تحقيق : علي محمد بن يعوض الله ؛ وعادل أحمد عبد الموجود ، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٠م) ، (١ / ١٨٥– ١٨٨) . وطبقات المفسرين للداودي (ص ٢٥٢ – ٢٥٣) .

(٥) الكشاف بحاشية ابن المنير (١ / ٤٧٩) .

أولاً – الشبه النقلية :

وهي على نوعين :

النوع الأول : الآيات التي تنفي الشفاعة عن العصاة يوم القيامة :

ومما احتج به الخوارج والمعتزلة منها :

١- قوله تعالى : ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ ﴾ (١) .

٢- قوله سبحانه : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ (٢) .

٣- قوله ﷻ : ﴿ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ (٣) .

قال عبد الله السالمي مبيّناً وجه استدلالهم بالآيات السابقة : " وهذه الآيات عامة كما رأيت .

ففي الأولى : تصريح بأن الشفاعة مقصورة على من ارتضاه الله .

وفي الثالثة : دليل على نفيها عن الظالم ، والظالم : اسم لكل من ظلم نفسه أو ظلم غيره ؛ فلا تخص المشركين كما زعموا ؛ فإنها وإن كان سبب نزولها فيهم فلا عبرة بخصوص السبب مع عموم اللفظ " (٤) .

النوع الثاني : آيات الوعيد الدالة على عموم تعذيب أصحاب الذنوب والمعاصي في النار وعدم إخراجهم منها :

ومما احتجوا به منها :

١- قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ (٥) .

---

(١) سورة البقرة ، من الآية : ٤٨ .

(٢) سورة الأنبياء ، من الآية : ٢٨ .

(٣) سورة غافر ، من الآية : ١٨ .

(٤) مشارق أنوار العقول (٢ / ١٣٢) .

(٥) سورة آل عمران ، الآية : ١٩٢ .

قال القاضي عبد الجبّار : " تدل الآية على أن الظالم لا تلحقه شفاعة رسول الله ﷺ ؛ ولا يتخلص من النار إذا مات على ظلمه وإصراره " (١) .

٢- قوله سبحانه : ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا ﴾ (٢) .

قال القاضي عبد الجبّار في بيان وجه الدلالة من الآية :"لو كان الفاسق يخرج من النار : إمّا بانقطاع ما يستحقه من النار ، أو بالشفاعة ؛ لما صحّ ما ذكره الله تعالى من أنه كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها " (٣) .

٣- قوله ﷻ : ﴿ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ﴾ (٤) .

قال القاضي عبد الجبّار : " الآية تدل على أنه ﷺ لا يشفع لهم – أي للفجّار والفسّاق – لأنه لو شفع لهم لوجب أن يكون منقذاً من النار ؛وقد نفى الله تعالى عنه ذلك " (٥) .

والرد على تلك الشبه النقلية يكون بما يأتي :

١- أنها تأويل للنصوص بما لا تدل عليه ؛ فالآيات التي احتج بها المنكرون للشفاعة قد ذكر العلماء فيها أنها خاصة بالكفار .

قال الإمام أبو بكر الآجرّي – رحمه الله – : " إن المكذّب بالشفاعة أخطأ في تأويله خطأً فاحشاً خرج به عن الكتاب والسنة ؛ وذلك أنه عمد إلى آيات من القرآن نزلت في أهل الكفر ، أخبر الله ﷻ : أنهم إذا دخلوا النار أنهم غير خارجين منها ؛ فجعلها المكذّب بالشفاعة في الموحدين ؛ ولم يلتفت إلى أخبار رسول الله في إثبات الشفاعة أنها إنما هي لأهل الكبائر ؛ والقرآن يدل على هذا " (٦) .

---

(١) متشابه القرآن ، عبد الجبار بن أحمد الهمداني ، تحقيق : عدنان محمد زرزور ، د.ط (القاهرة : دار التراث ، ١٩٦٩م) ، (ص ١٧٧) .

(٢) سورة السجدة ، من الآية : ٢٠ .

(٣) متشابه القرآن (ص ٥٦١) .

(٤) سورة الزمر ، الآية : ١٩ .

(٥) متشابه القرآن (ص ٥٩٢) .

(٦) الشريعة (٣ / ١٢٠٥) .

٢– أن ذلك مخالف للمتواتر من الأحاديث عن النبي ﷺ ، وقد تقدم من الأدلة المستفيضة من أحاديث رسول الله ﷺ ما يبطل ما ذهب إليه الخوارج والمعتزلة ويدحض شبههم ؛ مما فيه الغنية لمن أراد الحق .

٣– أن ذلك مخالف لإجماع السلف .

ويؤيد هذا ما نقله الحافظ ابن حجر – رحمه الله – عن الصحابة – رضوان الله عليهم – من أنهم كانوا ينكرون على من أنكر الشفاعة في أهل الكبائر ؛ حيث ذكر من الآثار ما يوضّح ذلك [١] ؛ مما يدل على أن مسألة التكذيب بالشفاعة مسألة قديمة ، تصدّى لها الصحابة – رضوان الله عليهم – وبيّنوا زيفها وبطلانها .

ومن خلال ما سبق يتبيّن :

أن أدلة الخوارج والمعتزلة ؛ إنما هي الأدلة التي يستدل بها كلها على الكفرة .

ثانياً – الشبه العقلية :

وتتضح فيما أورده القاضي عبد الجبّار ، حيث قال : " وقد تعلّقوا في ذلك بما روي عن النبي ﷺ أنه قال : " شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي " [٢] ، وقالوا : إن النبي ﷺ قد نص على صريح ما ذهبنا إليه .

والجواب : أن هذا الخبر لم تثبت صحته أولاً ؛ ولو صحّ فإنه منقول بطريق الآحاد عن النبي ؛ ومسألتنا طريقها العلم فلا يصحّ الاحتجاج به " [٣] .

وقال عبد الله السالمي : " إنه خبر واحد لا يعارض القطعي " [٤] .

وللرد على هذه الشبه العقلية أقول :

١– إن هذا الحديث قد تقدم الاحتجاج به على إثبات الشفاعة في أهل الكبائر ؛ وقد أخرجه جمع من أصحاب السنن والمسانيد ؛ كما أن بعض أئمة الحديث نصوا على صحته .

٢– إن اعتبار كون أحاديث الشفاعة أحاديث آحاد لا تثبت بها العقائد ؛ دعوى مردودة من وجهين :

---

(١) انظر : فتح الباري (١١ / ٤٢٦) .

(٢) تقدم تخريجه ص ٣٠٨ .

(٣) شرح الأصول الخمسة (ص ٦٩٠) .

(٤) مشارق أنوار العقول (٢ / ١٣٢) .

الوجه الأول : أنه قد نص أهل العلم على تواترها ، كما أشرت إلى ذلك سابقاً [١] .

الوجه الثاني : أن الصحيح عند المحققين من أهل العلم ؛ أن العقائد تثبت بأخبار الآحاد إذا صحّت : كثبوتها بالمتواتر ولا فرق .

ويتضح من خلال ما تقدم :

أن تقرير الوعيدية لهذا الأصل الفاسد – أعني : تخليد عصاة الموحدين في النار – جعلهم يردّون النصوص التي تنقض مذهبهم : إمّا بتأويلها تأويلاً فاسداً ؛ يحرفون به الكلم عن مواضعه ، أو بحجة أنها خبر آحاد ؛ وهذا هو شأن المبتدعة في كل زمان ومكان .

وبهذا يتقرّر بالدليل والبرهان :

أن الشفاعة ثابتة لعصاة الموحدين ؛ وأنه ليس مع من أنكرها أي دليل : نقلي أو عقلي صحيح .

---

(١) انظر : ص ٣٠٧ .

المبحث الرابع
أقسام الشفعاء

كما أن الشفاعة رحمة بالمشفوع لهم ؛ فهي كذلك تكريم من الله تعالى للشفعاء ، وإظهار لشرفهم ، وبيان لمترلتهم ومكانتهم العالية التي تفضّل ﷻ بها عليهم ؛ وإلا فليس للشفعاء من الأمر شيء .

قال تعالى على لسان رسوله محمد ﷺ : ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ (١) .

ولقد دل حديثا أبي هريرة وأبي سعيد الخدري – رضي الله عنهما – على بعض أصناف الشفعاء الذين ثبتت شفاعتهم يوم القيامة ، وهم :

الملائكة ، والأنبياء – عليهم السلام – وعلى رأسهم سيدنا محمد ﷺ ، والمؤمنون ، وأرحم الراحمين ، وذلك في قوله ﷺ كما عند النسائي : " فَإِذَا فَرَغَ اللَّهُ ﷻ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ خَلْقِهِ ، وَأَخْرَجَ مِنَ النَّارِ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَ ، أَمَرَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ وَالرُّسُلَ أَنْ تَشْفَعَ " .

وفي قوله ﷺ من حديث أبي سعيد ﷺ كما عند البخاري : " فَمَا أَنْتُمْ بِأَشَدَّ لِي مُنَاشَدَةً فِي الحَقِّ ، قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِ يَوْمَئِذٍ لِلْجَبَّارِ ، وَإِذَا رَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ نَجَوْا فِي إِخْوَانِهِمْ ، يَقُولُونَ : رَبَّنَا ، إِخْوَانُنَا كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا ، وَيَصُومُونَ مَعَنَا ، وَيَعْمَلُونَ مَعَنَا " .

وكما عند مسلم : " حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ ، يَقُولُونَ : رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا ، وَيُصَلُّونَ ، وَيَحُجُّونَ ، فَيُقَالُ لَهُمْ : أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ ، فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَى النَّارِ ؛ فَيُخْرِجُونَ خَلْقاً كَثِيراً قَدْ أَخَذَتِ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ ، وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ ، ثُمَّ يَقُولُونَ : رَبَّنَا مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ ، فَيَقُولُ : ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ ؛ فَيُخْرِجُونَ خَلْقاً كَثِيراً ، ثُمَّ يَقُولُونَ : رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَداً مِمَّنْ أَمَرْتَنَا ، ثُمَّ يَقُولُ : ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٨٨ .

نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ ؛ فَيُخْرِجُونَ خَلْقاً كَثِيراً ، ثُمَّ يَقُولُونَ : رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا أَحَداً ، ثُمَّ يَقُولُ : ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ ؛ فَيُخْرِجُونَ خَلْقاً كَثِيراً ، ثُمَّ يَقُولُونَ : رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْراً " .

وكان أبو سعيد الخدري يقول : إن لم تصدّقوني بهذا الحديث ، فاقرءوا إن شئتم : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (١) .

" فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ : شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ ؛ فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْماً لَمْ يَعْمَلُوا خَيْراً قَطُّ " .

ففي هذين الحديثين توكيد على شفاعة الملائكة ، والأنبياء – عليهم السلام–والمؤمنين ؛ وبيان سعة رحمة الله تعالى التي تتدارك أهل لا إله إلا الله .

وفيما يلي توضيح لأقسام الشفعاء المذكورين في الحديثين وغيرهم مما جاءت النصوص الشرعية الأخرى بإثبات شفاعتهم (٢) :

القسم الأول : شفاعة الملائكة :

وهذا القسم من الشفعاء قد ورد في القرآن الكريم ما يبيّنه ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾ (٣) .

فالآية تدل على أن الملائكة يشفعون ؛ وأن شفاعتهم تقبل يوم القيامة بعد الإذن من الله ﷻ ، وفي حالة الرضا عن المشفوع .

والسر في استشفاع الملائكة إلى الله تعالى للمؤمنين كما يقول الرازي– رحمه الله – فيما نقله عن أهل التحقيق : " إن هذه الشفاعة الصادرة عن الملائكة في حق البشر تجري مجري اعتذار عن ذلّة سبقت ؛ وذلك لأنهم قالوا في أول تخليق البشر : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ (٤) ، فلمّا سبق منهم هذا الكلام تداركوا في آخر الأمر

(١) سورة النساء ، الآية : ٤٠ .
(٢) انظر : التذكرة (٢ / ٤٠٠ – ٤٠١) . والبحور الزاخرة (٢ / ٢٢ – ٢٨) .
(٣) سورة النجم ، الآية : ٢٦ .
(٤) سورة البقرة ، من الآية : ٣٠ .

بأن قالوا : ﴿ فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ (١) ؛ وهذا : كالتنبيه على من آذى غيره فالأولى أن يجبر ذلك الإيذاء بإيصال نفع عليه " (٢) .

القسم الثاني : شفاعة الأنبياء عليهم السلام :

ومن إكرام الله تعالى لأنبيائه ورسله – عليهم السلام – أنه يقبل شفاعتهم فيمن يشفعون لهم ؛ ومما يستدل به على هذا القسم – غير ما تقدم – :

ما جاء في حديث جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – قال : قال رسول الله ﷺ : " إِذَا مُيِّزَ أَهْلُ الْجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّارِ ؛ فَدَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ ؛ قَامَتْ الرُّسُلُ فَشَفَعُوا ،فَيَقُولُ : انْطَلِقُوا – أو اذْهَبُوا – فَمَنْ عَرَفْتُمْ فَأَخْرِجُوهُ ؛فَيُخْرِجُونَهُمْ قَدْ امْتُحِشُوا ؛ فَيُلْقُونَهُمْ فِي نَهَرٍ – أو عَلَى نَهَرٍ – يُقَالُ لَهُ : الْحَيَاةُ " (٣) .

وطالما أن الشفاعة مترلة تكريم وتفضيل ؛ فإن أول الشفعاء المقبولين من الأنبياء – عليهم السلام – وغيرهم سيدنا محمد ﷺ .

وقد اختلف العلماء في شفاعاته ﷺ يوم القيامة على أقوال :

القول الأول: قال ابن عطية (٤) – رحمه الله – : "والمشهور أهما شفاعتان فقط " (٥) .

ويقصد بهما : الشفاعة العظمى ، وشفاعته ﷺ في أهل الكبائر (٦) .

القول الثاني : أنها ثلاث ، ومال إليه شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – وهي على النحو التالي (٧) :

١– شفاعته ﷺ في أهل الموقف .

٢– شفاعته ﷺ في دخول أهل الجنة الجنة .

---

(١) سورة غافر ، من الآية : ٧ .

(٢) مفاتيح الغيب (٢٧ / ٣١) .

(٣) أخرجه أحمد في مسنده – ط١٤١٩هـ = ١٩٩٨م – (٢٢ / ٣٧٤ ، رقم ١٤٤٩١) . وقال محققوه (٢٢ / ٣٧٥ ، رقم ١٤٤٩١، هامش ٣) : " إسناده صحيح على شرط مسلم " .

(٤) هو : عبد الحق بن غالب بن عبد الملك بن عطية ، أبو محمد ، الإمام والقاضي الكبير ، قدوة المفسرين ، كان فقهياً عارفاً بالأحكام ، والحديث ، والتفسير ، بارع الأدب ، واسع المعرفة ، له يد في الإنشاء ، والنظم ، والنثر ، ولي قضاء المرية ، من مؤلفاته : (المجموع) ، و (المحرر الوجيز) ، توفي سنة ٥٤١هـ . انظر : طبقات المفسرين للسيوطي (ص٦٠ – ٦١) . والأعلام (٣ / ٢٨٢) .

(٥) المحرر الوجيز (٣ / ٤٧٩) .

(٦) انظر : المرجع السابق (٣ / ٤٧٩) .

(٧) انظر : مجموع الفتاوى (٣ / ١٤٧) .

٣- شفاعته ﷺ فيمن استحق النار أن لا يدخلها ؛ وفيمن دخلها أن يخرج منها .

القول الثالث : وذهب ابن رجب – رحمه الله – إلى أن الشفاعات التي يختص بها ﷺ من دون الأنبياء – عليهم السلام – أربع ، وهي [1] :

١- شفاعته ﷺ للخلق في فصل القضاء بينهم .

٢- شفاعته ﷺ لأهل الجنة في دخولها .

٣- شفاعته ﷺ في أهل الكبائر .

٤- كثرة من يشفع له من أمته ؛ فإنه ﷺ وفّر شفاعته وادّخرها إلى يوم القيامة .

القول الرابع : وقرّر القاضي عِياض – رحمه الله – أن للنبي ﷺ يوم القيامة من الشفاعات خمس ، وهي [2] :

١- الشفاعة العامة .

٢- شفاعته ﷺ في إدخال قوم الجنة بغير حساب .

٣- شفاعته ﷺ لقوم استوجبوا النار بذنوبهم أن يخرجوا منها .

٤- شفاعته ﷺ لأقوام آخرين استحقوا النار أن لا يدخلوها .

٥- شفاعته ﷺ في زيادة رفع الدرجات في الجنة .

القول الخامس : وذكر الحافظ ابن كثير – رحمه الله – أنها ثمان [3] :

١- الشفاعة العظمى .

٢- شفاعته ﷺ لأقوام تساوت حسناتهم وسيئاتهم ليدخلوا الجنة .

٣- شفاعته ﷺ لأقوام أمر بهم إلى النار أن لا يدخلوا .

٤- شفاعته ﷺ في رفع درجات أهل الجنة فوق ما يقتضيه ثواب أعمالهم .

٥- شفاعته ﷺ في دخول أقوام الجنة بغير حساب .

٦- شفاعته ﷺ في تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب .

٧- شفاعته ﷺ للمؤمنين بدخول الجنة .

٨- شفاعته ﷺ في أهل الكبائر من أمته .

---

(١) انظر : فتح الباري (٢ / ٢٢ – ٢٣) .

(٢) انظر : كتاب الإيمان من إكمال المعلم (١ / ٨٢٤) .

(٣) انظر : النهاية في الفتن والملاحم (٢ / ٣١٢ – ٣١٥) .

القسم الثالث : شفاعة المؤمنين بعضهم لبعض :

فالمؤمنون من الشفعاء المقبولين يوم القيامة ؛ وكلما كان المؤمن أكثر إيماناً وتقى كان أحرى بالشفاعة لإخوانه المؤمنين ؛ والعكس بالعكس ؛ ولهذا جاء عن أبي الدرداء ﷺ أن النبي ﷺ قال : " إِنَّ اللَّعَّانِينَ لَا يَكُونُونَ شُهَدَاءَ وَلَا شُفَعَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " [(١)] .

ومن الأحاديث التي يستشهد بها على هذا القسم – فضلاً عمّا سبق – :

ما رواه عبد الله بن أبي الجدعاء ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : " يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَكْثَرُ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ " ، قيل : يا رسول الله سواك ؟ قال : " سِوَايَ " [(٢)] .

القسم الرابع : شفاعة أرحم الراحمين :

فالله تعالى أعظم الشفعاء ، وتكون شفاعته بعد انتهاء شفاعة الشافعين ، حتى إذا مكث الذين استغرقوا في الذنوب والخطايا من أهل لا إله إلا الله في النار ما مكثوا ؛ تتداركهم في النهاية رحمة الله تعالى ؛ فيأمر الله ﷻ بإخراجهم من النار – وقد صاروا كقطع الفحم – بعد أن تتخطاهم جميع الشفاعات السابقة .

القسم الخامس : شفاعة القرآن الكريم :

من فضل الله تعالى على عباده أن جعل كتابه الكريم من الشفعاء يوم القيامة لأهله العاملين به في الدنيا ؛ ومما يستدل به على هذا القسم :

ما جاء في حديث أبي أمامة الباهلي ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " اقْرَءُوا الْقُرْآنَ ؛ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعاً لِأَصْحَابِهِ " [(٣)] .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها (٤ / ٢٠٠٦ ، رقم ٢٥٩٨) .

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه ،كتاب صفة القيامة والرقائق والورع ، باب منه (٤/ ٦٢٦ ، رقم ٢٤٣٨) ،وقال : " هذا حديث حسن صحيح غريب " ، واللفظ له . وابن ماجه في سننه ، كتاب الزهد ، باب ذكر الشفاعة (٢ / ١٤٤٣ ، رقم ٤٣١٦) . وأحمد في مسنده – ط١٤١٩هـ = ١٩٩٨م – (٢٥/ ١٨٨ ، رقم ١٥٨٥٧) . والحاكم في المستدرك (١ / ١٤٢ ، رقم ٢٣٧) وقال : " هذا حديث صحيح " . وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢ / ٥٨٢ ، رقم ٢٤٣٨) ، وصحيح سنن ابن ماجه (٣ / ٤٠٥ ، رقم ٣٥٠٢) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة (١ / ٥٥٣ ، رقم ٨٠٤) .

ومن سور القرآن ما خصها رسول الله ﷺ بالذكر ، وأخبر : أنها تشفع لأصحابها ، كما ورد في سورة الملك في الحديث الذي رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : " إِنَّ سُورَةً مِنْ الْقُرْآنِ ثَلَاثُونَ آيَةً شَفَعَتْ لِرَجُلٍ حَتَّى غُفِرَ لَهُ ؛ وَهِيَ سُورَةُ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ " [١] .

القسم السادس : شفاعة الشهداء :

فالشهداء من الشفعاء الذين أكرمهم الله تعالى بقبول شفاعتهم لذويهم من المؤمنين .

ولفظة الشهيد إنما تطلق حقيقة على من قُتل في سبيل الله تعالى في حربه ضد الكفار ، كما ذهب إلى ذلك الحافظ ابن حجر [٢] رحمه الله .

ومما يستدل به على هذا القسم :

ما جاء في حديث المقدام بن معدي كَرِب ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ : ... " وفي آخره : " وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ " [٣] .

وعن أبي الدرداء ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " يُشَفَّعُ الشَّهِيدُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ " [٤] .

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الصلاة ، باب في عدد الآي (٢ / ٥٧ ، رقم ١٤٠٠) . والترمذي في جامعه ، كتاب فضائل القرآن ، باب ما جاء في فضل سورة الملك (٥ / ١٦٤ ، رقم ٢٨٩١) وقال : " هذا حديث حسن " ، واللفظ له . والنسائي في سننه الكبرى ، كتاب التفسير ، باب سورة الملك (٦ / ٤٩٦ ، رقم ١١٦١٢) . وابن ماجه في سننه ، كتاب الأدب ، باب ثواب القرآن (٢ / ١٢٤٤ ، رقم ٣٧٨٦) . وأحمد في مسنده – ط١٤١٧هـ = ١٩٩٧م – (١٣ / ٣٥٣ ، رقم ٧٩٧٥) . والحاكم في المستدرك (١ / ٧٥٣ ، رقم ٢٠٧٥) ، وقال : " هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه " . وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١ / ٣٨٧ ، رقم ١٤٠٠) ، وصحيح سنن الترمذي (٣ / ١٥٧ ، رقم ٢٨٩١) .وصححه في صحيح سنن ابن ماجه (٣ / ٢٤١ ، رقم ٣٠٦٨) .

(٢) انظر : فتح الباري (٦ / ٤٤) .

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه ، كتاب فضائل الجهاد ، باب في ثواب الشهيد (٤ / ١٨٧ ، رقم ١٦٦٣) وقال : " هذا حديث حسن صحيح غريب " ، واللفظ له . وابن ماجه في سننه ، كتاب الجهاد ، باب فضل الشهادة في سبيل الله (٢ / ٩٣٥ ، رقم ٢٧٩٩) . وأحمد في مسنده – ط١٤١٩هـ = ١٩٩٩م – (٢٨ / ٤١٩ ، رقم ١٧١٨٢) . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥ / ٢٩٣) : " ورجال أحمد ثقات " . وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢ / ٢٤٠ ، رقم ١٦٦٣) ، وصحيح سنن ابن ماجه (٢ / ٣٩٢ ، رقم ٢٢٧٥) .

(٤) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الجهاد ، باب في الشهيد يشفع (٣ / ١٥ ، رقم ٢٥٢٢) . وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢ / ١٠٣، رقم ٢٥٢٢) .

وقــد بــوّب الإمــام أبو داود – رحمه الله – هذا الحديث في كتاب الجهاد من سننه بقوله : " باب في الشهيد يشفع " [١] .

القسم السابع : شفاعة أولاد المؤمنين :

فأولاد المؤمنين من الشفعاء الذين تفضّل الله تعالى بقبول شفاعتهم ؛ تطيباً لنفوس الآباء والأمهات المحتسبين ، وتعويضاً لما لحقهم من مصاب فقدان فلذات أكبادهم في الدنيا .

ومن الأدلة على هذا القسم :

حديث أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " مَا مِنَ النَّاسِ مِنْ مُسْلِمٍ يُتَوَفَّى لَهُ ثَلَاثٌ لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْثَ [٢] ؛ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ " [٣] .

ومن الجدير بالذكر: أن الإمام البخاري – رحمه الله – قد بوّب هذا الحديث في كتاب الجنائز من صحيحه بقوله : " باب فضل من مات له ولد فاحتسب " [٤] ؛ مما يدل صراحةً على أن تحقق هذه الشفاعة للآباء والأمهات مقيّد بشرط الاحتــساب والــصبر ، وعــدم التسخط والجزع .

يقول الحافظ ابن حجر – رحمه الله – في بيان ذلك : " وقد عُرف من القواعد الشرعية أن الثواب لا يترتّب إلا على النية ؛ فلا بد من قيد الاحتساب ؛ والأحاديث المطلقة محمولة على المقيّدة " [٥] .

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : "مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَمُوتُ لَهُمَا ثَلَاثَةُ أَوْلَادٍ لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْثَ ؛ إِلَّا أَدْخَلَهُمَا اللَّهُ وَإِيَّاهُمْ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ الْجَنَّةَ "، قال : " يُقَــالُ لَهُــمْ : ادْخُلُوا الْجَنَّةَ " ، قال : " فَيَقُولُونَ : حَتَّى يَجِيءَ أَبَوَانَا " ، قال ثلاث مرات ، " فَيَقُولُــونَ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَيُقَالُ لَهُمْ : ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَبَوَاكُمْ " [٦] .

ولعل هذا الموقف من الأبناء من باب البرّ وردّ الجميل لوالديهم ؛ لعظيم فضلهم عليهم

(١) سنن أبي داود (٣ / ١٥) .

(٢) الحنث : أي لم يبلغوا مبلغ الرجال ويجري عليهم القلم ؛ فيكتب علـيهم الإثم . انظـر : النهايـة في غريـب الحديث ، مادة (حنث) ، (١ / ٤٤٩) . ولسان العرب ، مادة (حنث) ، (٢ / ١٣٨) .

(٣) أخرجــه البخاري في صحيحــه ، كتــاب الجنائز ، باب فضــل من مات له ولد فاحتــسب (١ / ٤٢١ ، رقم ١١٩١) .

(٤) صحيح البخاري (١ / ٤٢١) .

(٥) فتح الباري (٣ / ١١٩) .

(٦) أخرجه النسائي في سننه الصغرى ، كتاب الجنائز ، باب من يتوفى لــه ثلاثــة (٤ / ٢٥ ، رقــم ١٨٧٦) . وأحمد في مسنده – ط١٤١٨هـ = ١٩٩٧م – (١٦ / ٣٦٤ ، رقم ١٠٦٢٢) ، واللفظ لــه . وصــححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٢ / ٢٢ ، رقم ١٨٧٥) .

في الدنيا .

هذا ويستنتج من كثرة أقسام الشفعاء الذين اختصهم الله تعالى بقبول شفاعتهم : عظيم فضله سبحانه على عباده ورحمته الواسعة بهم .





الفصل الخامس

الفصل الخامس

دلالة الحديثين على الجنة والنار

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : تعريف الجنة والنار

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : تعريف الجنة

المطلب الثاني : تعريف النار

المبحث الثاني : صفة نعيم الجنة

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : أبواب الجنة

المطلب الثاني : أنهار الجنة

المطلب الثالث : آخر أهل الجنة دخولاً لها

المبحث الثالث : صفة عذاب النار

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : حرارة النار

المطلب الثاني : دخان النار

المطلب الثالث : كلام النار

المبحث الرابع : أبدية الجنة والنار

وفيه تمهيد ومطلبان :

المطلب الأول : الأقوال في أبدية الجنة والنار

المطلب الثاني : الأقوال في أبدية النار

المبحث الأول

تعريف الجنة والنار

المطلب الأول : تعريف الجنة

الجنة في اللغة :

مشتقة من مادة : (جنن) التي هي بمعنى : الستر .

" يقال : جنّ الشيء يجنّه جنّاً ستره ، وكل شيء سُتر عنك فقد جُنّ عنك " [(١)] ، " وبه سمّي الجن ؛ لاستتارهم واختفائهم عن الأبصار ، ومنه: سمّي الجنين ؛ لاستتاره في بطن أمه " [(٢)] ، " ويقال أيضاً : جنون الليل ، أي ما ستر من ظلمته " [(٣)] .

والجنة تطلق على معنيين ، وهما :

المعنى الأول : " كل بستان ذي شجر يستر بأشجاره الأرض ، قال ﷻ : ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ ﴾ [(٤)] .

وقال سبحانه : ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ﴾ [(٥)] " [(٦)] .

المعنى الثاني : النخيل ، " والعرب تسمّي النخيل : جنة .

قال زهير بن أبي سلمى :

كأنَّ عينيَّ في غَرْبَيْ مُقَتَّلةٍ   من النَّواضِحِ [(٧)] تَسقِي جَنَّةً سُحُقاً [(٨)] [(٩)] " [(١٠)] .

---

(١) لسان العرب ، مادة (جنن) ، (١٣ / ٩٢) .

(٢) النهاية في غريب الحديث ، مادة (جنن) ، (١ / ٣٠٧) .

(٣) الصحاح ، مادة (جنن) ، (٥ / ٢٠٩٤) .

(٤) سورة الكهف ، من الآية : ٣٩ .

(٥) سورة سبأ ، من الآية : ١٥ .

(٦) المفردات في غريب القرآن ، مادة (جن) ، (ص ٩٨) .

(٧) النواضح : الإبل التي يستقى عليها ، وواحدها : ناضح . انظر : تهذيب اللغة ، مادة (نضح) ، (٤ / ١٢٦) . والنهاية في غريب الحديث ، مادة (نضح) ، (٥ / ٦٨) .

(٨) السحق : النخلة الطويلة التي بعد ثمرها عن المجتني . انظر : النهاية في غريب الحديث ، مادة (سحق) ، (٢ / ٣٤٧) . ولسان العرب ، مادة (سحق) ، (١٠ / ١٥٤) .

(٩) ديوان زهير بن أبي سلمى (ص ٧٣) .

(١٠) لسان العرب ، مادة (جنن) ، (١٣ / ٩٩) .

وسمّيت الجنة بذلك كما يقول الرّاغب الأصفهاني – رحمه الله – : " إمّا تشبيهاً بالجنة في الأرض وإن كان بينهما بون ؛ وإمّا لستره نعمها عنّا المشار إليها بقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [(١)] " [(٢)] .

فالحاصل :

أن أصل الجنة : البستان العظيم الذي يستر ما بداخله .

الجنة في الاصطلاح :

هي دار النعيم والكرامة التي أعدّها الله تعالى في الآخرة للمؤمنين المتقين المخلصين له ؛ والمتّبعين لرسله عليهم السلام [(٣)] .

---

(١) سورة السجدة ، الآية : ١٧ .

(٢) المفردات في غريب القرآن ، مادة (جن) ، (ص ٩٨) .

(٣) انظر : شرح لمعة الاعتقاد (ص ١٣١) . والجنة والنار ، عمر بن سليمان الأشقر ، ط٧ (عمان : دار النفائس ، ١٤١٨هـ = ١٩٩٨م) ، (ص ١١٧) .

المطلب الثاني

تعريف النار

النـــار في اللغـــة :

قال ابن فارس : " النون ، والواو ، والراء أصل صحيح يدل على إضاءة ، واضطراب ، وقلة ثبات" [١] .

وتطلق النار على عدة معانٍ ، منها :

المعنى الأول : " اللهيب الذي يبدو للحاسة ، نحو قوله تعـــالى : ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ [٢] ﴾ [٣] " [٤] .

المعنى الثاني : " الحرارة المحرقة " [٥] .

المعـــنى الثـــالث : " نار الحـــرب المذكورة في قولـــه سبحانه : ﴿ كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ ﴾ [٦] .

المعـــنى الـــرابع : نار جهنم المذكورة في قولـــه ﷻ : ﴿ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ [٧] " [٨] .

وجميع هذه المعاني تحمل معنى : الإضاءة والظهور .

النار في الاصطلاح :

هي دار العذاب والإهانة التي أعدّها الله تعالى في الآخرة للكافرين الذين كفروا بـــه ؛

---

(١) معجم مقاييس اللغة ، مادة (نور) ، (٥ / ٣٦٨) .

(٢) تورون : أي تستخرجون نارها . انظر : كتاب غريب القرآن (ص ١٦٦) . وتذكرة الأريب (ص ٣٨٩) .

(٣) سورة الواقعة ، الآية : ٧١ .

(٤) تاج العروس ، مادة (نور) ، (١٤ / ٣٠٤) .

(٥) المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، ط٣ (القاهرة : دار عمران ، ١٤٠٥هـــ = ١٩٨٥م) ، مـــادة (نار) ، (٢ / ١٠٠٠) .

(٦) سورة المائدة ، من الآية : ٦٤ .

(٧) سورة الحج ، من الآية : ٧٢ .

(٨) المفردات في غريب القرآن ، مادة (نور) ، (ص ٥٠٨) .

وعصوا رسله عليهم السلام[1] .

(١) انظر : شرح لمعة الاعتقاد (ص ١٣١) . والجنة والنار (ص ١١) .

المبحث الثاني

صفة نعيم الجنة

المطلب الأول : أبواب الجنة

دل حديث أبي هريرة ﷺ على أن للجنة أبواباً ، وذلك في قوله ﷺ عن آخر أهل الجنة كما عند مسلم : " فَإِذَا أَقْبَلَ عَلَى الْجَنَّةِ وَرَآهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ ، ثُمَّ يَقُولُ : أَيْ رَبِّ ، قَدِّمْنِي إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ : أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ عُهُودَكَ وَمَوَاثِيقَكَ لَا تَسْأَلُنِي غَيْرَ الَّذِي أَعْطَيْتُكَ ؟ وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ ، مَا أَغْدَرَكَ ، فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ ، يَدْعُو اللَّهَ حَتَّى يَقُولَ لَهُ : فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ أَعْطَيْتُكَ ذَلِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ ؟ فَيَقُولُ : لَا ، وَعِزَّتِكَ ، فَيُعْطِي رَبَّهُ مَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ ؛ فَيُقَدِّمُهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ ، فَإِذَا قَامَ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ ؛ انْفَهَقَتْ لَهُ الْجَنَّةُ " .

كما ذُكر في القرآن الكريم أن الملائكة والمؤمنين يدخلون من أبواب الجنة ، قال تعالى : ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴾ [(١)] .

قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله – في معنى الآية : " أي وتدخل عليهم الملائكة من هاهنا وهاهنا للتهنئة بدخول الجنة ؛ فعند دخولهم إياها تفد عليهم الملائكة مسلّمين مهنئين لهم بما حصل لهم من الله من التقريب ، والإنعام،والإقامة في دار السلام في جوار الصدّيقين ، والأنبياء ، والرسل الكرام " [(٢)] .

وقال سبحانه: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا ﴾ [(٣)] .

قال الإمام ابن القيّم – رحمه الله – مبيّناً ما في هذه الآية من المعاني والإشارات الدقيقة : " فإن في تفتيح الأبواب لهم إشارة إلى تصرفهم ، وذهابهم ، وإيابهم ، وتبوئهم في الجنة حيث

(١) سورة الرعد ، الآية : ٢٣ .

(٢) تفسير القرآن العظيم (٢ / ٥١١) .

(٣) سورة الزمر ، من الآية : ٧٣ .

شاءوا ؛ ودخول الملائكة عليهم كل وقت بالتحف والألطاف من رهم ؛ ودخول ما يسرّهم عليهم كل وقت ؛ وأيضاً إشارة إلى أنها دار أمن لا يحتاجون فيها إلى غلق الأبواب ، كما كانوا يحتاجون إلى ذلك في الدنيا " (١) .

وعدد أبواب الجنة ثمانية ، كما بيّن ذلك النبي ﷺ في قوله من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه : " مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ ؛ فَيُبْلِغُ أَوْ فَيُسْبِغُ الْوَضُوءَ ، ثُمَّ يَقُولُ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ؛ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ " (٢) .

وفي الحديث دلالة على أن إسباغ الوضوء مع الإتيان بالشهادتين ؛ موجب لفتح أبواب الجنة .

ولهذه الأبواب أسماء تعرف بها : فمنها ما يسمّى : بباب الصلاة ، ومنها ما يسمّى : بباب الجهاد ، ومنها ما يعرف : بباب الريان ، ومنها ما يدعى : بباب الصدقة ، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : " مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ؛ نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ : يَا عَبْدَ اللَّهِ ، هَذَا خَيْرٌ ؛ فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ ؛ وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ ؛ وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ ؛ وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ " (٣) .

قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله – : " ومعنى الحديث : أن كل عامل يدعى من باب ذلك العمل " (٤) .

وفي كلام الحافظ إشارة إلى أن الجزاء من جنس العمل .

ومن أبواب الجنة باب خاص بالذين لا يحاسبون من أمة محمد ﷺ ، وهو باب الجنة الأيمن ، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه في قوله ﷺ : " فَيُقَالُ : يَا مُحَمَّدُ ، أَدْخِلْ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ مِنْ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ؛ وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنْ الْأَبْوَابِ " (٥) .

---

(١) حادي الأرواح (ص ٤٠) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الطهارة ، باب الذكر المستحب عقب الوضوء (١ / ٢٠٩ ، رقم ٢٣٤) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الصوم ، باب الريان للصائمين (٢ / ٦٧١ ، رقم ١٧٩٨) ، واللفظ له . ومسلم في صحيحه ، كتاب الزكاة ، باب من جمع الصدقة وأعمال البر (٢ / ٧١١ ، رقم ١٠٢٧) .

(٤) فتح الباري (٧ / ٢٨) .

(٥) تقدم تخريجه ص ٣٠٩-٣١٠ .

وأبواب الجنة في غاية الوسع والكبر ؛ والسعة كما هو معلوم دليل النعيم ، وقد وردت في شأن المسافة التي تكون ما بين جانبي الباب عدة أحاديث ، منها :

ما رواه عتبة بن غزوان ﷺ قال : قال النبي ﷺ : " إِنَّ مَا بَيْنَ مِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ سَنَةً " (١) .

وعن أبي هريرة ﷺ مرفوعاً : " إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرٍ (٢) ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى (٣) " (٤) .

ويلاحظ في هذين الحديثين :

اختلاف المسافات بين أبواب الجنة ؛ ولعل هذا يرجع إلى اختلاف سعة أبوابها .

قال المناوي (٥) – رحمه الله – في التوفيق بين الحديثين : " بأن المذكور في هذا الخبر – أي حديث عتبة – أوسع الأبواب ، وهو الباب الأعظم ؛ وما عداه هو المراد في خبر أبي هريرة ؛ وبأن الجنان درجات بعضها فوق بعض فأبوابها كذلك ، فباب الجنة العالية فوق باب الجنة التي تحتها ؛ وكلما علت الجنة اتسعت ، فعاليها أوسع مما دونه ؛ وسعة الباب بحسب وسع الجنة ؛ فاختلاف الأخبار لاختلاف الأبواب " (٦) .

وبهذا النقل يتبيّن :

أنه لا تعارض بين الحديثين السابقين .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الزهد والرقائق (٤ / ٢٢٧٨ ، رقم ٢٩٦٧) .

(٢) هجر : مدينة عظيمة ، وهي الاسم القديم للأحساء . انظر : معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، عبد الله بن عبد العزيز البكري ، تحقيق : مصطفى السقا ، ط٣ (بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٣هـ) ، (٤ / ١٣٤٦) . ومعجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ، عاتق بن غيث البلادي ، ط١ (مكة المكرمة : دار مكة ، ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م) ، (ص ٤٠ – ٤١) .

(٣) بصرى : مدينة حوران من بلاد الشام . انظر : الروض المعطار في خبر الأقطار ، محمد بن عبد الله الحميري ، تحقيق : إ. لافي بروفنصال ، ط٢ (بيروت : دار الجيل ، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م) ، (ص ١٠٩) . ومعجم المعالم الجغرافية (ص ٤٣ – ٤٤) .

(٤) تقدم تخريجه ص ٣٠٩-٣١٠ .

(٥) هو : محمد بن عبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي ، كان إماماً فاضلاً ، وزاهداً عابداً ، انزوى للبحث والتصنيف ، وجمع من العلوم والمعارف على اختلاف أنواعها وتباين أقسامها ما لم يجتمع في أحد ممن عاصره ، من مؤلفاته : (فيض القدير) ، و (الكواكب الدرية) ، توفي سنة ١٠٣١هـ . انظر : خلاصة الأثر (٢ / ٤١٢ – ٤١٦) . والأعلام (٦ / ٢٠٤) .

(٦) فيض القدير شرح الجامع الصغير ، محمد بن عبد الرؤوف المناوي ، ط١ (القاهرة : المكتبة التجارية الكبرى ، ١٣٥٦هـ) ، (٥ / ٤٣٤) .

وقد أخبرنا الرسول الكريم ﷺ : أن أبواب الجنة تفتح في رمضان ، وذلك في قولــه ﷺ من حديث أبي هريرة ﷺ : " إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فُتِحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ " (١) .

وفي هذا إشارة إلى أن أبواب الجنة تفتح وتغلق (٢) .

---

(١) أخرجه البخـــاري في صحيحه ، كتـــاب الصوم ، بـــاب هـــل يقال : رمضان أو شهر رمضان (٢ / ٦٧١ ، رقم ١٧٩٩) . ومسلم في صحيحه ،كتاب الصيام ، باب فضل شهر رمضان (٢ / ٧٥٨ ، رقم ١٠٧٩) .

(٢) انظر : التذكرة (٢ / ٥٣٣ – ٥٣٧) . والجنة والنار (ص ١٥٠ – ١٥٣) .

المطلب الثاني

أنهار الجنة

إن من جملة النعيم الذي أعدّه الله تعالى لعباده المؤمنين في الجنة الأنهار ،كما قال تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ ﴾ (١) .

قال الإمام ابن القيّم – رحمه الله – : " وقد تكرر في القرآن في عدة مواضع : قوله تعالى : ﴿ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ ﴾ (٢) ، وفي موضع : ﴿ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ (٣) ، وفي موضع : ﴿ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ (٤) ؛ وهذا يدل على أمور :

أحدها : وجود الأنهار فيها حقيقية .

والثاني : أنها جارية لا واقفة .

والثالث :أنها تحت غرفهم وقصورهم وبساتينهم ؛كما هو المعهود في أنهار الدنيا " (٥) .

ولقد دل حديث أبي سعيد الخدري ﷺ على نهر من أنهار الجنة ، يقال له : نهر الحيا ، أو الحيوان ، أو الحياة ، كما جاء في روايات الحديث ، وهو نهر خاص بالجهنميين ؛ حيث يغتسلون فيه بعد خروجهم من النار فيصير الواحد منهم : كاللؤلؤة في رقابهم الخواتيم ، وذلك في قوله ﷺ كما عند البخاري : " فَيَشْفَعُ : النَّبِيُّونَ ، وَالمَلائِكَةُ ، وَالمُؤْمِنُونَ ، فَيَقُولُ الجَبَّارُ : بَقِيَتْ شَفَاعَتِي ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ ؛ فَيُخْرِجُ أَقْوَاماً قَدْ امْتُحِشُوا ؛ فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرٍ بِأَفْوَاهِ الجَنَّةِ ، يُقَالُ لَهُ : مَاءُ الحَيَاةِ؛فَيَنْبُتُونَ فِي حَافَتَيْهِ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ ، قَدْ رَأَيْتُمُوهَا إِلَى جَانِبِ الصَّخْرَةِ وَإِلَى جَانِبِ الشَّجَرَةِ ، فَمَا كَانَ إِلَى الشَّمْسِ مِنْهَا كَانَ أَخْضَرَ ، وَمَا كَانَ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ كَانَ أَبْيَضَ ؛ فَيَخْرُجُونَ : كَأَنَّهُمُ اللُّؤْلُؤُ ؛ فَيُجْعَلُ فِي

(١) سورة البقرة ، من الآية : ٢٥ .

(٢) سورة البقرة ، من الآية : ٢٥ .

(٣) سورة التوبة ، من الآية : ١٠٠ .

(٤) سورة الأعراف ، من الآية : ٤٣ .

(٥) حادي الأرواح (ص ١٢١) .

رِقَابِهِمُ الخَوَاتِيمُ ؛ فَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ " .

ومن أنهار الجنة – غير ما سبق – :

نهر الكوثر : وقد خص الله تعالى به نبيه محمداً ﷺ إكراماً له وتشريفاً ؛ وهو أعظم أنهار الجنة وأحسنها ، وجاء الوعد به في القرآن الكريم حيث قال سبحانه : ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾ (١) .

كما بيّن النبي ﷺ صفته عندما قال ﷺ في الحديث الذي رواه عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – : " الْكَوْثَرُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ ، حَافَّتَاهُ مِنْ ذَهَبٍ ، وَمَجْرَاهُ عَلَى الدُّرِّ وَالْيَاقُوتِ ، تُرْبَتُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ ، وَمَاؤُهُ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ ، وَأَبْيَضُ مِنَ الثَّلْجِ " (٢) .

ونهر بارق : وهو على باب الجنة يجلس عنده الشهداء .

فعن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : قال رسول الله ﷺ :" الشُّهَدَاءُ عَلَى بَارِقٍ ، نَهَرٍ بِبَابِ الْجَنَّةِ فِي قُبَّةٍ خَضْرَاءَ ؛ يَخْرُجُ عَلَيْهِمْ رِزْقُهُمْ مِنْ الْجَنَّةِ بُكْرَةً وَعَشِيّاً " (٣) .

وتخصيص الشهداء بهذا النهر ؛ لأعظم دليل على فضل الشهادة في سبيل الله تعالى .

وأنهار الجنة على أنواع : فمنها نهر الماء ، ونهر اللبن ، ومنها نهر الخمر ، ونهر العسل ، كما جاء في قول الله ﷻ : ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ﴾ (٤) .

وقد نفى الله سبحانه عن هذه الأنواع الأربعة الآفات التي تعرض لها في الدنيا :

---

(١) سورة الكوثر ، الآية : ١ .

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه ، كتاب تفسير القرآن ، باب ومن سورة الكوثر (٥ / ٤٤٩ ، رقم ٣٣٦١) ، وقال : " هذا حديث حسن صحيح " ، واللفظ له . وابن ماجه في سننه ، كتاب الزهد ، باب صفة الجنة (٢ / ١٤٥٠ ، رقم ٤٣٣٤).وأحمد في مسنده – ط١٤١٦هـ = ١٩٩٦م – (٩/ ٢٥٧ ، رقم ٥٣٥٥) . وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣ / ٣٧٧ ، رقم ٣٣٦١) ، وصحيح سنن ابن ماجه(٣ / ٤٠٩ ، رقم ٣٥١٤) .

(٣) أخرجه أحمد في مسنده – ط١٤١٦هـ = ١٩٩٥م – (٤ / ٢٢٠ ، رقم ٢٣٩٠) . والحاكم في المستدرك (٢ / ٨٤ ، رقم ٢٤٠٣) ، وقال : " هذا حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه " . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥ / ٢٩٤) : " رواه أحمد وإسناده رجاله ثقات " .وقال محققو المسند (٤ / ٢٢٠ ، رقم ٢٣٩٠ ، هامش ١) : " إسناده حسن " .

(٤) سورة محمد ، من الآية : ١٥ .

فآفة الماء أن يأسن ، أي ينتن من طول مكثه ، وآفة اللبن أن يتغير طعمه إلى الحموضة ، وآفة الخمر كراهية مذاقها المنافي للذّة شربها ، وآفة العسل عدم تصفيته ؛ ومثل هذه الآفات منتفية عن أنهار الجنة (١) .

ويستنتج من تخصيص هذا الأنهار بالذكر : كونها أفضل أشربة النوع الإنساني .

وأنهار الجنة الأربعة تنبع من الفردوس الأعلى ، كما ثبت من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : " فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ ؛ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ ، أُرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ " (٢) .

ومن أنهار الدنيا ما أصله من أنهار الجنة : كنهر سيحان ، وجيحان ، والفرات ،والنيل ؛ لقوله ﷺ في الحديث الذي رواه أبو هريرة ﷺ : " سَيْحَانُ ، وَجَيْحَانُ ، وَالْفُرَاتُ ، وَالنِّيلُ كُلٌّ مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ " (٣) .

قال الإمام النووي – رحمه الله – في شرح الحديث : " سيحان وجيحان المذكوران في هذا الحديث – اللذان هما من أنهار الجنة – في بلاد الأرمن (٤) ؛ وهما نهران عظيمان جداً ، أكبرهما جيحان ؛ فهذا هو الصواب في موضعهما " (٥) .

وأمّا الفرات والنيل فمعروفان مشهوران : الفرات بالعراق والشام ، والنيل بمصر .

أمّا الحكمة في كونهم من أنهار الجنة كما قال الملّا علي القاري – رحمه الله – : " إنما جعل الأنهار الأربعة من أنهار الجنة ؛ لما فيها من العذوبة والهضم ، ولتضمنها البركة الإلهية ، وتشرفها بورود الأنبياء إليها وشربهم منها " (٦) (٧) .

---

(١) انظر : حادي الأرواح (ص ١٢٢) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير ، باب درجات المجاهدين في سبيل الله (٣ / ١٠٢٨ ، رقم ٢٦٣٧) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب ما في الدنيا من أنهار الجنة (٤ / ٢١٨٣ ، رقم ٢٨٣٩) .

(٤) بلاد الأرمن : هي دولة أرمينيا .

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم (١٧ / ١٧٦) .

(٦) مرقاة المفاتيح (١٠ / ٢٩٩) .

(٧) انظر : التذكرة (٢ / ٥٢٢ – ٥٢٥) . والجنة والنار (ص ١٦٥ – ١٦٨) .

المطلب الثالث

آخر أهل الجنة دخولاً لها

دل حديث أبي هريرة ﷺ على آخر رجل يخرج من النار ويدخل الجنة ، وما جرى بينه وبين ربه ﷻ من حوار ؛ وما أعطاه الله تعالى من الكرامة العظيمة بتحقيق أمانيه في الجنة ، وذلك في قوله ﷺ كما عند أحمد : " وَيَبْقَى رَجُلٌ يُقْبِلُ بِوَجْهِهِ إِلَى النَّارِ،فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ ، قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا ، وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُهَا ؛ فَاصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ ، فَلَا يَزَالُ يَدْعُو اللَّهَ حَتَّى يَقُولَ : فَلَعَلِّي إِنْ أَعْطَيْتُكَ ذَلِكَ أَنْ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ ؟ فَيَقُولُ : لَا ، وَعِزَّتِكَ ، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ ؛ فَيَصْرِفُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ ، فَيَقُولُ بَعْدَ ذَلِكَ : يَا رَبِّ ، قَرِّبْنِي إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ ، فَيَقُولُ : أَوَلَيْسَ قَدْ زَعَمْتَ أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ ؟ وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ ، مَا أَغْدَرَكَ ، فَلَا يَزَالُ يَدْعُو حَتَّى يَقُولَ : فَلَعَلِّي إِنْ أَعْطَيْتُكَ ذَلِكَ أَنْ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ ؟ فَيَقُولُ : لَا ، وَعِزَّتِكَ ، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ ، وَيُعْطِي اللَّهَ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ أَنْ لَا يَسْأَلَ غَيْرَهُ ؛ فَيُقَرِّبُهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ ، فَإِذَا دَنَا مِنْهَا ؛ انْفَهَقَتْ لَهُ الْجَنَّةُ ؛ فَإِذَا رَأَى مَا فِيهَا مِنَ الْحِبَرَةِ وَالسُّرُورِ ، سَكَتَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ ، ثُمَّ يَقُولُ : يَا رَبِّ ، أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ ، فَيَقُولُ : أَوَلَيْسَ قَدْ زَعَمْتَ أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ ؟ وَقَدْ أَعْطَيْتَ عُهُودَكَ وَمَوَاثِيقَكَ أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ ؟ فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ،لَا تَجْعَلْنِي أَشْقَى خَلْقِكَ ؛ فَلَا يَزَالُ يَدْعُو اللَّهَ حَتَّى يَضْحَكَ ، فَإِذَا ضَحِكَ مِنْهُ أَذِنَ لَهُ بِالدُّخُولِ فِيهَا ؛ فَإِذَا أُدْخِلَ ، قِيلَ لَهُ : تَمَنَّ مِنْ كَذَا ؛ فَيَتَمَنَّى ، ثُمَّ يُقَالُ : تَمَنَّ مِنْ كَذَا ؛ فَيَتَمَنَّى حَتَّى تَنْقَطِعَ بِهِ الْأَمَانِيُّ ، فَيُقَالُ لَهُ : هَذَا لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ " .

قال عطاء بن يزيد : وأبو سعيد جالس مع أبي هريرة ولا يغيّر عليه شيئاً من قوله ؛ حتى إذا انتهى إلى قوله : " هَذَا لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ " .

قال أبو سعيد : سمعت النبي ﷺ يقول : " هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ مَعَهُ " .

قال أبو هريرة : حفظت : " مِثْلُهُ مَعَهُ " .

قال أبو هريرة : وذلك الرجل آخر أهل الجنة دخولاً الجنة .

وقد جمع العلماء بين روايتي أبي هريرة وأبي سعيد الخدري – رضي الله عنهما – بأن النبي ﷺ أعلم أولاً بما في حديث أبي هريرة ﷺ ؛ ثم تكرّم الله تعالى فأوحى إلى نبيه ﷺ بالزيادة الواردة في رواية أبي سعيد ﷺ ؛ فأخبر بها النبي ﷺ و لم يسمعها أبو هريرة ﷺ [1] .

(١) انظر : شرح النووي على صحيح مسلم (٣ / ٢٤ ، ٢٦) .

وفي هذا إشارة إلى عظيم رحمته سبحانه وتعالى بعباده .

ومما جاء في صفة آخر من يدخل الجنة – علاوةً على ما تقدم – :

ما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ : فَهْوَ يَمْشِي مَرَّةً ، وَيَكْبُو مَرَّةً ، وَتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً ؛ فَإِذَا مَا جَاوَزَهَا الْتَفَتَ إِلَيْهَا ، فَقَالَ : تَبَارَكَ الَّذِي نَجَّانِي مِنْكِ ، لَقَدْ أَعْطَانِي اللَّهُ شَيْئاً مَا أَعْطَاهُ أَحَداً مِنْ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ؛ فَتُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ ، فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ ؛ أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَلِأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا ، فَيَقُولُ اللَّهُ عز وجل : يَا ابْنَ آدَمَ ، لَعَلِّي إِنْ أَعْطَيْتُكَهَا سَأَلْتَنِي غَيْرَهَا ، فَيَقُولُ : لَا ، يَا رَبِّ ، وَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا ؛ وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ ؛ فَيُدْنِيهِ مِنْهَا فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا ، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ هِيَ أَحْسَنُ مِنْ الْأُولَى ، فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ ؛ أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ لِأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا وَأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا ، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا ، فَيَقُولُ : يَا ابْنَ آدَمَ ، أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا ، فَيَقُولُ : لَعَلِّي إِنْ أَدْنَيْتُكَ مِنْهَا تَسْأَلُنِي غَيْرَهَا ، فَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا ؛ وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ؛ فَيُدْنِيهِ مِنْهَا فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا ، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ هِيَ أَحْسَنُ مِنْ الْأُولَيَيْنِ ، فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ ؛ أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ لِأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا ، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا ، فَيَقُولُ : يَا ابْنَ آدَمَ ، أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا ، قَالَ : بَلَى ، يَا رَبِّ ، هَذِهِ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا ؛ وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهَا ؛ فَيُدْنِيهِ مِنْهَا؛فَإِذَا أَدْنَاهُ مِنْهَا فَيَسْمَعُ أَصْوَاتَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ ، أَدْخِلْنِيهَا ، فَيَقُولُ : يَا ابْنَ آدَمَ ، مَا يَصْرِينِي مِنْكَ أَيُرْضِيكَ أَنْ أُعْطِيَكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا ؟ قَالَ : يَا رَبِّ ، أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ! " .

فضحك ابن مسعود ، فقال : ألا تسألوني مم أضحك ؟ فقالوا : مم تضحك ؟ قال : هكذا ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : مم تضحك يا رسول الله ؟ قال : " مِنْ ضِحْكِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حِينَ قَالَ : أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ! فَيَقُولُ : إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ مِنْكَ ؛ وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ " (١) .

وفي هذا الحديث بيان عظم الجنة وأنها غالية .

وأمّا قول الرجل : " أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي ! " ؛ ففيه تفسيران (٢) :

---

(١) تقدم تخريجه ص ٢٨٦ .

(٢) انظر : التذكرة (٢ / ٥٠٠ – ٥٠١) .

أحدهما : أنه صدر منه هذا القول عند غلبة الفرح عليه ، كما غلط الذي قال : " اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ "(١) .

والثاني : أن يكون معناه: أتجازيني على ما كان مني في الدنيا من عدم مبالاتي بأعمالي ؟ فيكون هذا على وجه المقابلة ، كما قال الله تعالى مخبراً عن المنافقين : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ۝ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾(٢) ، أي ينتقم منهم ويجازيهم على استهزائهم .

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، من حديث أنس بن مالك ﷺ ، كتاب التوبة ، باب في الحض على التوبة والفرح بها (٤ / ٢١٠٤ ، رقم ٢٧٤٧) .

(٢) سورة البقرة ، من الآيات : ١٤- ١٥ .

المبحث الثالث

صفة عذاب النار

المطلب الأول : حرارة النار

دل حديثا أبي هريرة وأبي سعيد الخدري – رضي الله عنهما – على أن نار جهنم شديدة الحرارة ، وذلك في قوله ﷺ من حديث أبي هريرة ﷺ كما عند أحمد : " وَيَبْقَى رَجُلٌ يُقْبِلُ بِوَجْهِهِ إِلَى النَّارِ ، فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ ، قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا ، وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُهَا " . وفي قوله ﷺ من حديث أبي سعيد ﷺ كما عند مسلم : " فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضاً " .

ونار جهنم ليست كنار الدنيا ؛ فنار الدنيا على شدة حرها واستعارها ، وعظيم لهبها وشررها ما هي إلا جزء يسير منها ؛ لما ثبت من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : " نَارُكُمْ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءاً مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ " (١) .

قال القرطبي – رحمه الله – : " يعني : أنه لو جمع كل ما في الوجود من النار التي يوقدها بنو آدم ؛ لكانت جزءاً من جزء من أجزاء جهنم المذكورة ؛ وبيانه : أنه لو جمع حطب الدنيا فأوقد كله حتى صار ناراً ؛ لكان الجزء الواحد من أجزاء نار جهنم – الذي هو من سبعين جزءاً – أشد من حر الدنيا " (٢) .

فأشد حر في الصيف ما هو إلا نفس من أنفاس النار ؛ وأشد برد في الشتاء ما هو إلا نفس من أنفاسها أيضاً ، كما جاء في حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : " اشْتَكَتْ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا ، فَقَالَتْ : رَبِّ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضاً ؛ فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَيْنِ : نَفَسٍ فِي الشِّتَاءِ ، وَنَفَسٍ فِي الصَّيْفِ ؛ فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنْ الْحَرِّ ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنْ الزَّمْهَرِيرِ " (٣) .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب بدء الخلق ، باب صفة النار وأنها مخلوقة (٣ / ١١٩١ ، رقم ٣٠٩٢) ، واللفظ له . ومسلم في صحيحه ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب في شدة حر نار جهنم (٤ / ٢١٨٤ ، رقم ٢٨٤٣) .

(٢) التذكرة (٢ / ٤٦٢) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب بدء الخلق ، باب صفة النار وأنها مخلوقة (٣ / ١١٩٠ ، رقم ٣٠٨٧) ، واللفظ له . ومسلم في صحيحه ،كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب استحباب الإبراد بالظهر (١ / ٤٣١ ، رقم ٦١٧) .

قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله – : " النفس المذكور ينشأ عنه أشد الحر في الصيف " [١] .

ونار جهنم تتأجج وتستعر باستمرار ؛ فلا تنطفئ ولا تخمد ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾ [٢] .

قال ابن عباس – رضي الله عنهما – في تفسير قوله سبحانه : ﴿ كُلَّمَا خَبَتْ ﴾ [٣] : " أي سكنت " [٤] .

ومن شدة حرارة جهنم : أن بعضها يأكل بعضاً ، ويحطم بعضها بعضاً ؛ ولذلك يطلق عليها اسم : الحطمة ، كما قال تعالى : ﴿ كَلَّا ۖ لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ۞ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴾ [٥] .

ومن شدة حرها : أنها تلفح الوجوه ؛ فتتركها عظاماً لا لحم فيها ، قال سبحانه : ﴿ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [٦] .

ومن شدة حرها كذلك : أنها تصهر البطون وما في أحشائها من أمعاء ، قال ﷻ : ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ۖ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ۞ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴾ [٧] .

قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله – في تفسير الآية : " أي إذا صب على رؤوسهم

---

(١) فتح الباري (٢ / ١٩) .

(٢) سورة الإسراء ، من الآية : ٩٧ .

(٣) سورة الإسراء ، من الآية : ٩٧ .

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٥ / ١٦٨) .

(٥) سورة الهمزة ، الآيات : ٤– ٦ .

(٦) سورة الأنبياء ، الآية : ٣٩ .

(٧) سورة الحج ، الآيات : ١٩– ٢٠ .

الحميم – وهو الماء الحار في غاية الحرارة – أذاب ما في بطونهم من الشحم والأمعاء " [١] .

أسأل الله تعالى بمنّه وكرمه أن يجيرنا من النار .

(١) تفسير القرآن العظيم (٣ / ٢١٣) .

المطلب الثاني

دخان النار

من ألوان العذاب التي أعدّها الله تعالى لأهل النار دخانها المتصاعد منها ، كما دل على ذلك حديث أبي هريرة ﷺ في قوله ﷺ على لسان آخر من يخرج من النار كما عند أحمد : " وَيَبْقَى رَجُلٌ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ ؛ وَهُوَ آخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولاً ، فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ ، اصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ ؛ فَإِنَّهُ قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا ، وَأَحْرَقَنِي دُخَانُهَا " .

ودخان النار يختلف عن دخان الدنيا ؛ كما وصفه الله تعالى في كتابه العزيز بقوله سبحانه : ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ۝ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ۝ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ۝ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾ [1] .

فهذه الآية تضمنت ذكر ثلاثة أصناف من العقوبة : وهي الماء ، والهواء ، والظل .

فهواء جهنم السموم ، وهو الريح الحارة الشديدة الحر ، وماؤها الحميم الذي قد اشتد حره ، وظلها اليحموم ، وهو كما قال ابن عباس – رضي الله عنهما – : " ظل الدخان " [2] .

وهذا الظل من الدخان ليس ببارد كما هو معروف عن ظلال الأشياء في الدنيا ؛ بل هو حار ؛ لأنه دخان من سعير جهنم .

وهو يحيط بالكفار من جميع الجهات ، كما وصفه الله ﷻ بقوله سبحانه : ﴿ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ۝ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴾ [3] .

فالآية تقرّر أن الظل وهو كما قال مجاهد – رحمه الله – : " دخان جهنم " [4] ينقسم لهوله وضخامته إلى ثلاثة أقسام ؛ وهو مع ذلك لا يظل من يكون تحته ، ولا يقيه حر الشمس كما هو حال الظل الممدود ، ولا هو يدفع عنه أيضاً ألسنة النار المندلعة من كل

(١) سورة الواقعة ، الآيات : ٤١ – ٤٤ .

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان (٢٧ / ١٩٢)،واللفظ له .والحاكم في المستدرك (٢ / ٥١٨ ، رقم ٣٧٧٩) ، وقال : " هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين و لم يخرجاه " .

(٣) سورة المرسلات ، الآيات : ٣٠ – ٣١ .

(٤) تفسير مجاهد (٢ / ٧١٦) .

جانب .

قال الإمام ابن جرير الطّبري – رحمه الله – : " لا هو يظلهم من حرها ، ولا يكنهم من لهبها ؛ وذلك أن الدخان يرتفع من وقود جهنم؛ فإذا تصاعد تفرّق شعباً ثلاثة " (١) (٢) .

هذا وقد بيّن الرسول الكريم ﷺ بعض الأعمال المنجية من دخان جهنم ، وذلك في قوله ﷺ من حديث أبي هريرة ﷺ : " لَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ فِي جَوْفِ عَبْدٍ مُسْلِمٍ " (٣) .

وفي هذا حث على الجهاد والترغيب فيه .



(١) جامع البيان (٢٩ / ٢٣٩) .

(٢) انظر : الجنة والنار (ص ٣٢ – ٣٣) .

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه ، كتاب فضائل الجهاد ، باب ما جاء في فضل الغبار في سبيل الله (٤ / ١٧١ ، رقم ١٦٣٣) ، وقال : " هذا حديث حسن صحيح " . والنسائي في سننه الكبرى ، كتاب الجهاد ، باب فضل من عمل في سبيل الله على قدمه (٣ / ٩ ، رقم ٤٣١٦) . وابن ماجه في سننه ، كتاب الجهاد ، باب الخروج في النفير (٢ / ٩٢٧ ، رقم ٢٧٧٤) ، واللفظ له . وأحمد في مسنده – ط١٤١٧هـ = ١٩٩٧م – (١٤ / ٢٠٣ ، رقم ٨٥١٢) . والحاكم في المستدرك (٤ / ٢٨٨ ، رقم ٧٦٦٧) ، وقال : " هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه " . وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢ / ٢٢٧ ، رقم ١٦٣٣) ، وصحيح سنن ابن ماجه (٢ / ٣٨٥ ، رقم ٢٢٥٦) .

المطلب الثالث

كلام النار

دل حديث أبي هريرة ﷺ على أن من صفات النار أنها تتكلم ، وذلك في قوله ﷺ كما عند الترمذي : " وَيَبْقَى أَهْلُ النَّارِ ؛ فَيُطْرَحُ مِنْهُمْ فِيهَا فَوْجٌ ،ثُمَّ يُقَالُ:هَلْ امْتَلَأْتِ ؟ فَتَقُولُ : ﴿ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾[1] ، ثُمَّ يُطْرَحُ فِيهَا فَوْجٌ ، فَيُقَالُ : هَلْ امْتَلَأْتِ ؟ فَتَقُولُ : ﴿ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾[2] ، حَتَّى إِذَا أُوعِبُوا فِيهَا ؛ وَضَعَ الرَّحْمَنُ قَدَمَهُ فِيهَا وَأَزْوَى بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ ، ثُمَّ قَالَ : قَطْ ، قَالَتْ : قَطْ قَطْ " .

كما صرّح الله تعالى بذلك في كتابه العزيز ، حيث قال ﷻ : ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾[3] .

وأمّا قوله سبحانه : ﴿ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾[4] ؛ فإن أهل التفسير اختلفوا في ذلك على قولين :

القول الأول : أنه استفهام إنكاري ، معناه : ما من مزيد ؛ وذلك لشدة امتلاء النار ، وتضايق بعضها إلى بعض .

وممن ذكر هذا الرأي من المفسّرين : الثعالبي [5] [6] رحمه الله .

القول الثاني : أن الاستفهام يحمل على الحقيقة ، وهو طلب الزيادة ؛ وأن النار لا تزال تطلب الزيادة من المجرمين غضباً لربها وغيظاً على الكافرين ؛ حتى يضع رب العزة فيها قدمه فيترزوي بعضها إلى بعض ، وتقول : قط قط .

---

(١) سورة ق ، من الآية : ٣٠ .

(٢) سورة ق ، من الآية : ٣٠ .

(٣) سورة ق ، الآية : ٣٠ .

(٤) سورة ق ، من الآية : ٣٠ .

(٥) هو : عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي ، أبو زيد ، من أعيان الجزائر ، كان إماماً علامةً مفسراً ،له كتب ، منها : (الجواهر الحسان) ، و (روضة الأنوار) ، توفي سنة ٨٧٥هـ . انظر : الضوء اللامع (٤ / ١٥٢) . والأعلام (٣ / ٣٣١) .

(٦) انظر : الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، عبد الرحمن بن محمد الثعالبي ، د.ط (بيروت : مؤسسة الأعلمي ، د.ت) ، (٩ / ١٠٣) .

وممن قال بهذا الرأي من المفسّرين ورجّحه : الإمام ابن جرير الطّبري [(١)] ، والحافظ ابن كثير [(٢)] رحمهما الله .

ومما يدل على كلام النار – غير ما سبق – :

ما رواه الصحابي الجليل أبو هريرة ﷺ في عدة أحاديث تخبر : أن للنار لساناً تنطق به ، وأنها تتحاجج مع الجنة ، وتشتكي إلى ربها تبارك وتعالى .

فمن الأول :

قوله ﷺ : " تَخْرُجُ عُنُقٌ مِن النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : لَهَا عَيْنَانِ تُبْصِرَانِ ، وَأُذُنَانِ تَسْمَعَانِ ، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ ، يَقُولُ : إِنِّي وُكِّلْتُ بِثَلَاثَةٍ : بِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ، وَبِكُلِّ مَنْ دَعَا مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ ، وَبِالْمُصَوِّرِينَ " [(٣)] .

ومن الثاني :

قوله ﷺ : " تَحَاجَّتْ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ ، فَقَالَتْ النَّارُ : أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ ، وَقَالَتْ الْجَنَّةُ : مَا لِي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ " [(٤)] .

ومن الثالث :

قوله ﷺ : " اشْتَكَتْ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا ، فَقَالَتْ : رَبِّ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضاً ؛ فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَيْنِ : نَفَسٍ فِي الشِّتَاءِ ، وَنَفَسٍ فِي الصَّيْفِ ؛ فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنْ الْحَرِّ ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنْ الزَّمْهَرِيرِ " [(٥)] .

وقد ذهب المحققون من العلماء إلى أن كلام النار ، وتحاجها ، وشكواها بلسان المقال لا الحال .

---

(١) انظر : جامع البيان (٢٦ / ١٧٠) .

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم (٤ / ٢٢٧) .

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه ، كتاب صفة جهنم ، باب ما جاء في صفة النار (٤ / ٧٠١ ، رقم ٢٥٧٤) ، وقال : " هذا حديث حسن غريب صحيح " ، واللفظ له . وأحمد في مسنده – ط١٤١٧هـ = ١٩٩٧م – (١٤ / ١٥٢ ، رقم ٨٤٣٠) . وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣ / ٢٥ ، رقم ٢٥٧٤) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، باب قوله : ﴿ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾ [سورة ق ، من الآية : ٣٠] (٤ / ١٨٣٦ ، رقم ٤٥٦٩) . ومسلم في صحيحه ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء (٤ / ٢١٨٦ ، رقم ٢٨٤٦) ، واللفظ له .

(٥) تقدم تخريجه ص ٣٤٥ .

قال الإمام ابن عبد البرّ – رحمه الله – : " وأمّا قوله في هذا الحديث : " اشْتَكَتْ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا ، فَقَالَتْ : رَبِّ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضاً ... " الحديث؛ فإن قوماً حملوه على الحقيقة، وأنها أنطقها الذي أنطق كل شيء ؛ واحتجوا بقول الله ﷻ : ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم ﴾ [١] ، وبقوله : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ [٢] ، وقوله : ﴿ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ ﴾ [٣] ، أي سبّحي " [٤] .

إلى أن قال : " وحمل كلام الله تعالى وكلام نبيه ﷺ على الحقيقة أولى بذوي الدين والحق ؛ لأنه يقص الحق ، وقوله الحق ؛ تبارك وتعالى علواً كبيراً " [٥] .

وقال النووي – رحمه الله – في شرح حديث : " تَحَاجَّتْ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ ... " [٦] : "هذا الحديث على ظاهره؛وأن الله تعالى جعل في النار والجنة تمييزاً تدركان به فتحاجتا"[٧] .

وقال ابن رجب – رحمه الله – : " فالمحققون من العلماء على أن الله أنطقها بذلك نطقاً حقيقياً ،كما ينطق الأيدي ، والأرجل ، والجلود يوم القيامة ، وكما أنطق الجبال وغيرها من الجمادات : بالتسبيح ، والسلام على رسول الله ﷺ ، وغير ذلك مما يسمع نطقه في الدنيا " [٨] .

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي – رحمه الله – في الرد على من زعم أن ذلك من قبيل المجاز :"واعلم أن ما يزعمه كثير من المفسّرين وغيرهم من المنتسبين للعلم من أن النار لا تبصر ، ولا تتكلم ، ولا تغتاظ ؛وأن ذلك كله من قبيل المجاز أو أن الذي يفعل ذلك خزنتها ؛ كله باطل ولا معوّل عليه لمخالفته نصوص الوحي الصحيحة بلا مستند؛والحق : هو ما ذكرنا .

وقد أجمع من يعتد به من أهل العلم على أن النصوص: من الكتاب والسنة لا يجوز

---

(١) سورة النور ، من الآية : ٢٤ .
(٢) سورة الإسراء ، من الآية : ٤٤ .
(٣) سورة سبأ ، من الآية : ١٠ .
(٤) التمهيد (٥ / ١١) .
(٥) المرجع السابق (٥ / ١٦) .
(٦) تقدم تخريجه ص ٣٥١ .
(٧) شرح النووي على صحيح مسلم (١٧ / ١٨١) .
(٨) فتح الباري (٣ / ٧٠) .

صرفها عن ظاهرها إلا لدليل يجب الرجوع إليه ؛ كما هو معلوم في محلّه " [(١)] .

ومن خلال ما تم نقله من كلام العلماء يتضح :

أن كلام النار حقيقة ، وأنه يكون بصوت مسموع ؛ ينطقها الله تعالى به – بقدرته العظيمة – كما ينطق جل وعلا الجوارح وغيرها ؛ وهذا هو الصواب في موضعه .

---

(١) أضواء البيان (٦ / ٢٥) .

المبحث الرابع
أبدية الجنة والنار

تمهيد :

دل حديثا أبي هريرة وأبي سعيد الخدري – رضي الله عنهما – على أبدية الجنة والنار ؛ ودوام نعيم الجنة وعذاب النار ، وذلك في قوله ﷺ من حديث أبي هريرة ﷺ كما عند الترمذي : " فَإِذَا أَدْخَلَ اللَّهُ أَهْلَ الجَنَّةِ الجَنَّةَ وَأَهْلَ النَّارِ النَّارَ "، قال : " أُتِيَ بِالمَوْتِ مُلَبَّباً ؛ فَيُوقَفُ عَلَى السُّورِ الَّذِي بَيْنَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ ، ثُمَّ يُقَالُ : يَا أَهْلَ الجَنَّةِ ، فَيَطَّلِعُونَ خَائِفِينَ ، ثُمَّ يُقَالُ : يَا أَهْلَ النَّارِ ، فَيَطَّلِعُونَ مُسْتَبْشِرِينَ يَرْجُونَ الشَّفَاعَةَ ، فَيُقَالُ لِأَهْلِ الجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ : هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا ؟ فَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ : قَدْ عَرَفْنَاهُ ، هُوَ المَوْتُ الَّذِي وُكِّلَ بِنَا ؛ فَيُضْجَعُ فَيُذْبَحُ ذَبْحاً عَلَى السُّورِ الَّذِي بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ ، ثُمَّ يُقَالُ : يَا أَهْلَ الجَنَّةِ ؛ خُلُودٌ لَا مَوْتَ ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ ؛ خُلُودٌ لَا مَوْتَ " .

وفي قوله ﷺ من حديث أبي سعيد ﷺ كما عند ابن ماجه : " أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا ؛ فَلَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ " .

ففي حديث أبي هريرة ﷺ إشارة إلى أن الموت سيُذبح يوم القيامة ؛ وآنذاك سينقطع رجاء أهل النار في الخروج منها ، وتعظم عليهم الحسرة .

وذبح الموت ليس المراد به : المَلَك الموكل به ، وهو ملَك الموت ، وإنما المراد : حقيقة الموت الذي هو الفناء ، كما بيّن ذلك الإمام ابن القيّم – رحمه الله – في أثناء الرد على من اعترض على هذا الحديث بعقله ، حيث قال : " وهذا الكبش ، والإضجاع ، والذبح ، ومعاينة الفريقين ؛ ذلك حقيقة لا خيال ولا تمثيل ، كما أخطأ فيه بعض الناس خطأ قبيحاً ، وقال: الموت عَرَض [1] والعَرَض لا يتجسّم فضلاً عن أن يُذبح ؛ وهذا لا يصحّ ؛ فإن الله سبحانه ينشئ من الموت صورة كبش يُذبح ، كما ينشئ من الأعمال صوراً معاينة يثاب بها ويعاقب ، والله تعالى ينشئ من الأعراض أجساما ًتكون الأعراض مادة لها ، وينشئ من الأجسام أعراضاً ومن الأجسام أجساماً ؛فالأقسام الأربعة ممكنة مقدورة للرب تبارك وتعالى ؛ ولا يستلزم جمعاً بين النقيضين ولا شيئاً من المحال ؛ ولا حاجة إلى تكلّف من قال :

---

(١) العرض : هو ما يعرض في الجوهر ، ولا يقوم بنفسه ؛ولا يوجد إلا في محل يقوم به ، مثل : الألوان ، والطعوم ، والذوق ، واللمس ، وغيرها . انظر : المصباح المنير (٢ / ٤٠٤) . والتعريفات (ص ١٩٣) .

إن الذبح لمَلَك الموت ؛ فهذا كله من الاستدراك الفاسد على الله ورسوله ، والتأويل الباطل الذي لا يوجبه عقل ولا نقل ؛ وسببه : قلة الفهم لمراد الرسول من كلامه ؛ فظن هذا القائل أن لفظ الحديث دل على أن نفس العَرَض يُذبح ، وظن غالط آخر أن العَرَض يعدم ويزول ويصير مكانه جسم يُذبح ؛ و لم يهتد الفريقان إلى هذا القول الذي ذكرناه "(١) .

وحقيقة الأمر :

أن هذا الحديث وأمثاله مما يجب الإيمان به وترك الخوض في كيفيته ؛ لأن قدرة الله تعالى فوق مدارك العقول ، ولا يستبعد على قدرة الله ﷻ شيء .

وللعلماء في مسألة أبدية الجنة والنار عدة أقوال : منها ما يتعلّق بالجنة والنار معاً ، ومنها ما يختص بالنار ، وبيان ذلك في المطالب التالية :

(١) حادي الأرواح (ص ٢٨٣ – ٢٨٤) .

المطلب الأول

الأقوال في أبدية الجنة والنار

فأمّا ما يتعلّق بأبدية الجنة والنار ؛ ففيه أربعة أقوال [١] :

القول الأول : القول بخلود الجنة والنار وأبديتهما ؛ وأن نعيم الجنة دائم لا ينقطع وكذا عذاب النار دائم لا ينقطع ، وهذا قول أهل السنة والجماعة ؛ وهو القول الحق وسيأتي مزيد بيانه .

القول الثاني : القول بفناء الجنة والنار وفناء أهلهما ، وهذا القول تفرّد به الجهم بن صفوان .

القول الثالث : القول بفناء حركات أهل الجنة وأهل النار ؛ وأنهم يأتي عليهم زمان يصبحون بمنزلة الجماد الذي لا حركة له ، وهذا قول محمد بن الهذيل العلّاف [٢] .

القول الرابع : القول بخروج أهل الجنة وأهل النار ، وهذا قول بعض الروافض [٣] .

ولقد استدل أهل السنة والجماعة على ما ذهبوا إليه من القول بخلود الدارين وعدم فنائهما بأنواع من الأدلة ، وبيانها على النحو التالي :

أ – دلالة الكتاب :

ومن أدلة الكتاب القطعية على أبدية الجنة والنار :

قوله تعالى عن أهل الجنة : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ ﴾ [٤] .

(١) انظر : الفصل في الملل (٤ / ٧٠) . وحادي الأرواح (ص ٢٤٩) .

(٢) هو : محمد بن الهذيل بن عبد الله العلاف ، أبو الهذيل ، رأس المعتزلة ،فارق إجماع المسلمين،وكان من ضلالاته : الزعم بنهاية نعيم الجنة وعذاب النار ، وإنكار صفات الله تعالى ، وله كتاب يعرف باسم : (ميلاس) ، توفي سنة ٢٢٧هـ . انظر : وفيات الأعيان (٤ / ٢٦٥ – ٢٦٧) .وسير أعلام النبلاء (١٠ / ٥٤٢ – ٥٤٣) .

(٣) الروافض : فرقة من الشيعة ، سموا بذلك ؛ لرفضهم أبي بكر وعمر – رضي الله عنهما – في عهد زيد بن علي . وأجمعت الرافضة على الإمامة ، والعصمة ، والرجعة ، وقالوا : بتفضيل علي ﷺ على سائر الصحابة ، وإنه الإمام بعد رسول الله ﷺ . انظر : التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ، محمد بن أحمد الملطي ، تحقيق : محمد زاهد الكوثري ، د.ط (القاهرة : المكتبة الأزهرية للتراث ، ١٤١٨هـ = ١٩٩٧م) ، (ص ١٨ – ٣٥) . والتبصير في الدين (ص ٢٧– ٤٤) .

(٤) سورة النساء ، من الآية : ١٢٢ .

وقوله ﷻ عن أهل النار : ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ (١) .

ففي هاتين الآيتين من كتاب الله تعالى تصريح بالبقاء في النعيم أو العذاب ؛ وذكر الخلود وتوكيده بالتأبيد .

وقوله سبحانه: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ (٢) .

وهنا إخبار من الله تبارك وتعالى بعدم خروج الكفار من النار ؛ مؤكّداً أن العذاب مقيم ودائم معهم .

ب – دلالة السنة :

وقد تقدم بيان أدلتها .

ج – دلالة الإجماع :

انعقد الإجماع بين أئمة السلف الصالح على التصريح بأن الجنة والنار لا تفنيان بل هما دائمتان ؛ وعلى أن ما يُذكر عن فنائهما إنما يُذكر عن أهل البدع .

قال عبد القاهر البغدادي – رحمه الله – في بيان الأصول التي اجتمع عليها أهل السنة : " وقالوا : بدوام نعيم الجنة على أهلها ؛ ودوام عذاب النار على المشركين والمنافقين ؛ خلاف قول من زعم أنهما يفنيان كما زعم جهم ، وخلاف قول أبي الهذيل القدري بفناء مقدورات الله تعالى فيهما وفي غيرهما ، وقالوا : بأن الخلود في النار لا يكون إلا للكفرة " (٣) .

وقال الإمام ابن حزم – رحمه الله – : " اتفقت فرق الأمة كلها على أن لا فناء للجنة ولا لنعيمها ؛ ولا للنار ولا لعذابها إلا الجهم بن صفوان ، وأبا الهذيل العلّاف ، وقوماً من الروافض " (٤) .

---

(١) سورة الجن ، من الآية : ٢٣ .
(٢) سورة المائدة ، الآية : ٣٧ .
(٣) الفرق بين الفرق (ص ٣٣٩) .
(٤) الفصل في الملل (٤ / ٦٩ – ٧٠) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : " وقد اتفق سلف الأمة ، وأئمتها ، وسائر أهل السنة والجماعة على أن من المخلوقات ما لا يعدم ولا يفنى بالكلّية : كالجنة ، والنار ، والعرش ، وغير ذلك " (١) .

وقال الحافظ ابن حجر – رحمه الله – : " فمن زعم أنهم يخرجون منها ، أو أنها تبقى خالية ، أو أنها تفنى وتزول ؛ فهو خارج عن مقتضى ما جاء به الرسول ﷺ ، وأجمع عليه أهل السنة " (٢) .

د – دلالة العقل :

دل العقل على أبدية الجنة والنار .

أمّا النار ؛ فلأنها جزاء الكفر ؛ وهذا الكفر دائم لا نهاية له فناسب أن يكون العذاب دائماً بلا انقطاع .

والنار لا تطهّر أهلها ؛ إذ قد أخبر الله ﷻ عنهم : بأنهم لو ردوا إلى الحياة لعادوا لكفرهم وعنادهم ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ (٣) .

فأهل النار قد ذاقوا العذاب وباشروه و لم يزل سببه ومقتضاه من نفوسهم ؛ بل خبثها وكفرها قائم بها لم يفارقها ؛ بحيث لو ردوا لعادوا كفاراً كما كانوا ؛ وهذا يدل على أن دوام تعذيبهم يقضي به العقل كما جاء به السمع (٤) .

فأهل النار إذن مخلّدون فيها أبد الآباد ؛ وكذا أهل الجنة خالدون فيها أبداً .

هذا ما يتعلّق بأدلة أهل السنة على الأبدية وعدم الفناء .

والمتصفح في الكتب المصنّفة في أبواب الاعتقاد ؛ يجد أن أقوال العلماء المنثورة في تلك المصنّفات تقرّر معتقد أهل السنة والجماعة في القول ببقاء الجنة والنار أبد الآبدين وعدم فنائهما ، وهذه بعض أقوالهم :

---

(١) بيان تلبيس الجهمية (١ / ٥٨١) .

(٢) فتح الباري (١١ / ٤٢١) .

(٣) سورة الأنعام ، الآيات : ٢٧ – ٢٨ .

(٤) انظر : حادي الأرواح (ص ٢٥٤ – ٢٥٥) .

قال الإمام البربهاري [(١)] – رحمه الله – : "وكل شيء مما أوجب الله عليه الفناء يفنى إلا الجنة ، والنار ، والعرش ، والكرسي ، والصّور ، والقلم ، واللوح ؛ ليس يفنى شيء من هذا أبداً " [(٢)] .

وقال الإمام أبو جعفر الطّحاوي – رحمه الله – في ثنايا تقرير عقيدة أهل السنة والجماعة : " والجنة والنار لا تفنيان أبداً ولا تبيدان " [(٣)] .

وقال الإمام أبو بكر الآجرّي – رحمه الله – : " إن المتقين في الجنة خالدين آمنين ؛ لا يذوقون فيها الموت أبداً ، ولا يخرجون من الجنة أبداً ؛ وقد ذكر الله عَجَّلَ في كتابه أهل النار الذين هم أهلها يخلّدون فيها أبداً " [(٤)] .

وقال شيخ الإسلام أبو عثمان الصابوني – رحمه الله – في رسالته في الاعتقاد : "ويشهد أهل السنة أن الجنة والنار باقيتان لا يفنيان أبداً؛وأن أهل الجنة لا يخرجون منها أبداً؛ وكذلك أهل النار – الذين هم أهلها خُلقوا لها – لا يخرجون أبداً " [(٥)] .

أمّا قول الجهم بن صفوان بفناء الجنة والنار ؛ فهو قول ظاهر البطلان ؛ قد أنكره عليه أهل السنة وكفّروه به لإنكاره ما هو معلوم من الدين بالضرورة [(٦)] ، كما بيّنوا أن القياس الذي تمسك به في مقولته هذه ، وهو أن ما ثبت حدوثه استحال بقاؤه وأبديته ؛ قياس فاسد لا أساس له من الكتاب والسنة [(٧)] .

وهكذا الحال بالنسبة لبقية الأقوال الواردة في المسألة ؛ والتي يكتفى في الرد عليها وبيان غثاثتها وسقوطها بأدلة أهل السنة السابقة .



---

(١) هو : الحسن بن علي بن خلف البربهاري ، أبو محمد ، كان أحد الأئمة العارفين والحفاظ المتقنين ، معروفاً بالإنكار على أهل البدع ، والمباينة لهم باليد واللسان ، وكان له صيت عند السلطان ، من مؤلفاته : (كتاب شرح السنة) ، توفي سنة ٣٢٩هـ . انظر : طبقات الحنابلة (٢ / ١٨ – ٤٥) . والمقصد الأرشد (١ / ٣٢٨ – ٣٣٠) .

(٢) كتاب شرح السنة ، الحسن بن علي البربهاري ، تحقيق :د. محمد سعيد القحطاني ، ط١(الدمام : دار ابن القيم ، ١٤٠٨هـ) ، (ص ٣٣) .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية (٢ / ٦٤١) .

(٤) الشريعة (٣ / ١٣٧٨) .

(٥) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص ٢٦٤) .

(٦) انظر : السنة لعبد الله بن أحمد (١ / ١٣٠ – ١٣١ ، رقم ٧٧) . ومنهاج السنة النبوية (١ / ٣١٠) .

(٧) انظر : مجموع الفتاوى (٦ / ٢٩٩) . وحادي الأرواح (ص ٢٤٧ ، ٢٤٩) .

المطلب الثاني

الأقوال في أبدية النار

وأمّا ما يختص بالنار فقط ؛ ففيه – علاوةً على ما سبق – ثلاثة أقوال [١] :

القول الأول : القول بخلود النار ؛ فمن دخلها لا يخرج منها حتى ولو كان من عصاة الموحدين ، وهذا قول الخوارج والمعتزلة .

القول الثاني: القول بأن أصحاب النار تنقلب طبيعتهم إلى طبيعة نارية تتلذذ بالعذاب ، وهذا قول الاتحادية [٢] ، وزعيمهم ابن عربي الطائي [٣] .

القول الثالث : القول بأن أهل النار يتعذّبون فيها مدة معينة ؛ ثم يخرجون ويخلفهم آخرون ، وهذا القول حكاه الله جل وعلا عن اليهود في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً ۚ قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدًا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓ ۖ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [٤] .

القول الرابع : القول بفناء النار ، ونسب لجماعة من السلف [٥] .

---

(١) انظر : حادي الأرواح (ص ٢٤٨ – ٢٤٩) . وفتح الباري لابن حجر (١١ / ٤٢١ – ٤٢٢) .

(٢) الاتحادية : هم أصحاب القول بوحدة الوجود ، وأن الله تعالى هو عين هذا العالم .

وزعيم هؤلاء : ابن عربي ، وابن سبعين ، وابن الفارض . انظر : تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي (مصرع التصوف) ، برهان الدين البقاعي ، تحقيق : عبد الرحمن الوكيل ، (مكة المكرمة : مكتبة عباس أحمد الباز ، ١٤٠٠هـ =١٩٨٠م) ، (ص ١٦٢) . والرد على القائلين بوحدة الوجود ، علي بن محمد الهروي (القاري) ، تحقيق : علي رضا بن عبد الله ، ط١ (دمشق : دار المأمون للتراث ، ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م) ، (ص ١٣) .

(٣) هو : محمد بن علي بن محمد الطائي ، أبو بكر ، المعروف بابن عربي ، قدوة أهل الوحدة ، كان ظاهري المذهب في العبادات ، باطني النظر في الاعتقادات ، وكان يقول بقدم العالم ، من مؤلفاته : (الفتوحات المكية) ، و (فصوص الحكم) ، توفي سنة ٦٣٨هـ .انظر : تاريخ الإسلام (٤٦ / ٣٧٤ – ٣٨١) . والوافي بالوفيات (٤ / ١٢٤– ١٢٧) .

(٤) سورة البقرة ، الآية : ٨٠ .

(٥) والحق : أن هذا القول لم يثبت عن أحد من السلف ، وأنه ليس عندهم في هذه المسألة إلا قول واحد ، وهو أبدية النار وعدم فنائها . انظر : رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار ، محمد بن إسماعيل الصنعاني ، تحقيق : محمد بن ناصر الدين الألباني ، ط١ (بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٤م) ، (ص ١١٦) .

أمّا قول الخوارج والمعتزلة ؛ فسيأتي الرد عليه مفصّلاً في الفصل المتعلّق بحكم مرتكب الكبيرة .

وأمّا قول الاتحادية – قبّحهم الله تعالى – فتصوره كافٍ في بطلانه ؛ إذ هو إنكار للحس ومكابرة للعقل .

وكذلك قول اليهود الذي لا يستند إلى أي دليل ؛ وقد كذّبهم الله تعالى في دعواهم هذه ، وطالبهم بالبرهان كما تقدم في الآية .

وما يهمني هاهنا : القول الأخير ، وهو القول بفناء النار دون الجنة ؛ إذ قد نُسب إلى السلف وهم في الحقيقة منه براء .

أدلة القائلين بفناء النار والجواب عنها :

وقد استدل أصحاب هذه المقولة بأدلة : نقلية وعقلية ، وبيان ذلك فيما يلي :

أولاً – الأدلة النقلية :

ومن الأدلة النقلية التي احتجوا بها :

الدليل الأول : قوله ﷻ : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ۝ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [(١)] .

ووجه الدلالة عندهم : أن في الآية تعليق بقاء الأشقياء في النار على الدوام ، والاستثناء بالمشيئة [(٢)] .

أمّا قوله تعالى : ﴿ مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ ﴾ [(٣)] ؛ فيجاب عنه بأمرين [(٤)] :

١– أن السماوات والأرض المذكورة المقصود بها : سماوات الآخرة وأرضها ؛ وهي أبدية باقية على الدوام .

٢– أن هذا جارٍ على أسلوب العرب إذا أرادوا الإخبار عن شيء ودوامه ، قالوا –

---

(١) سورة هود ، الآيات : ١٠٦– ١٠٧ .

(٢) انظر : رفع الأستار (ص ١٢) .

(٣) سورة هود ، من الآية : ١٠٧ .

(٤) انظر : جامع البيان (١٢ / ١١٧) . وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢ / ٤٦١) .

على سبيل المثال – : لا آتيك ما دامت السماوات والأرض ، أو ما اختلف الليل والنهار ، ونحو ذلك .

وأمّا الاستثناء المذكور في قوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ (١) ؛ فالجواب عنه من عدة أوجه :

الوجه الأول : أن هذا الاستثناء حقيقي وواقع على طبقة من طبقات جهنم ، وهي طبقة العصاة من الموحدين (٢) .

الوجه الثاني : أن هذا الاستثناء واقع على المدة التي يكون فيها الخلق في الموقف ، أو في البرزخ ، ونحو ذلك (٣) .

الوجه الثالث : أن هذا الاستثناء إعلام لهم : بأن خلودهم بمشيئة الله ﷻ ؛ لا أنهم أصبحوا قابلين للخلود ، أو أن ذلك واجب على الله تعالى ، وهذا نظير قوله سبحانه : ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴾ (٤) .

فالنبوة : فضل وعطاء من الله تعالى ؛ ولو شاء لسلبها ولكنه لم يشأ (٥) .

الوجه الرابع : أن هذا الاستثناء جاء أيضاً في حق أصحاب الجنة ؛ ومع ذلك فلم يقل أحد من أهل السنة : أن الجنة تفنى ؛ وإنما حملوا المتشابه على المحكم ؛ فمثل ذلك يقال في أصحاب النار (٦) .

والوجه الأول هو أولى الأوجه بالصحة ؛ والسبب في ذلك كما يقول الإمام ابن جرير الطّبري – رحمه الله – : " لأن الله جل ثناؤه أوعد أهل الشرك به الخلود في النار ؛ وتظاهرت بذلك الأخبار عن رسول الله ﷺ ؛ فغير جائز أن يكون استثناء في أهل الشرك " (٧) .

---

(١) سورة هود ، من الآية : ١٠٧ .
(٢) انظر : جامع البيان (١٢ / ١١٧) . وزاد المسير (٤ / ١٦٠) .
(٣) انظر : شرح العقيدة الطحاوية (٢ / ٦٤٨) .
(٤) سورة الإسراء ، الآية : ٨٦ .
(٥) انظر : شرح العقيدة الطحاوية (٢ / ٦٤٨) .
(٦) انظر : رفع الأستار (ص ٩٨) .
(٧) جامع البيان (١٢ / ١١٩) .

الدليل الثاني : قوله تعالى : ﴿ لَّبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابًا ﴾ (١) .

ووجه الاستدلال من الآية:أن الأحقاب أوقات معدودة محصورة لا بد لها من نهاية (٢) .

والجواب عن هذه الآية من وجهين (٣) :

الوجه الأول: أنهم لابثين فيها أحقاباً ومدداً لا حصر لها ؛وحذفت نهاية المدة للعلم به .

الوجه الثاني : أنهم يلبثون أحقاباً ومدداً طويلة على نوع من العذاب ؛ ثم يحدث الله تعالى لهم أنواعاً أخرى منه .

وكلا المعنيين يدل على التأبيد والخلود ؛ فلا انقضاء لعذابهم .

الدليل الثالث: قول عمر بن الخطاب ﷺ في الأثر الوارد عنه :" لو لبث أهل النار في النار كقدر رمل عالج (٤) ؛ لكان لهم على ذلك وقت يخرجون فيه " (٥) .

وهذا الأثر يجاب عنه من وجهين (٦) :

الوجه الأول :أن هذا الأثر وغيره من الآثار المروية عن الصحابة- رضوان الله عليهم – في هذا المعنى لا تصحّ سنداً .

الوجه الثاني : أنها لو صحّت لم يفهم منها القول بفناء النار .

قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله – معلّقاً على الأثر السابق : " وهذا الأثر عن عمر لو ثبت حُمل على الموحدين " (٧) .

ثانياً – الأدلة العقلية :

وتتضح في قولهم : " إن الجنة من موجب رحمته ورضاه ؛ والنار من غضبه وسخطه ؛ ورحمته سبحانه تغلب غضبه وتسبقه ، كما جاء في حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : " لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ ؛ كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ : إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي " (٨) .

---

(١) سورة النبأ ، الآية : ٢٣ .

(٢) انظر : رفع الأستار (ص ٨٧) .

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن (١٩ / ١٧٨) .

(٤) العالج : هو ما تراكم من الرمل . انظر : النهاية في غريب الحديث ، مادة (علج) ، (٣ / ٢٨٧) . ولسان العرب ، مادة (علج) ، (٢ / ٣٢٧) .

(٥) أخرجه عبد بن حميد في تفسيره كما عزاه إليه ابن حجر في فتح الباري (١١ / ٤٢٢) .

(٦) انظر : رفع الأستار (٦٥ – ٦٧) .

(٧) فتح الباري (١١ / ٤٢٢) .

(٨) تقدم تخريجه ص ٢٢١ .

وإذا كان رضاه قد سبق غضبه وهو يغلبه ؛ كان التسوية بين ما هو من موجب رضاه وما هو من موجب غضبه ممتنعاً "[١] .

وبطلان هذا الاستدلال يتبيّن بما يلي [٢] :

١- لو كفر كافر بالله تعالى طول عمره؛وعندما أدركه الموت تاب وأناب في الغرغرة ؛ فحكمنا عليه بالكفر إجماعاً لأن التوبة لا تقبل حينئذ ؛ فكيف بمن مات مصراً على كفره وعناده ؟ لاشك أنه أسوأ منه؛فهل يعقل أن تفنى ناره ويدخل الجنة ؟!لاشك أن هذا محال .

٢- أن الرحمة المذكورة في الآيات والأحاديث ؛ إنما هي خاصة للمؤمنين لا يستحقها غيرهم .

وهذا المذهب – أعني : القول بفناء النار – مذهب رديء .

قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله – : " وهذا القول مذهب رديء مردود على قائله "[٣] .

والحق :

أن الفريق القائل بفناء النار؛توهموا أدلةً في الكتاب العزيز وتأولوها على غير ما جاءت ، كما أنهم اعتمدوا على آثار واهية يقوّونها ببعض الأحاديث الصحيحة ؛ وهي في غير ما أشاروا إليه .

---

(١) حادي الأرواح (ص ٢٥٨) .

(٢) انظر : رفع الأستار (٢٣ – ٢٥) .

(٣) فتح الباري (١١ / ٤٢٢) .

الباب الثالث

الباب الثالث

المباحث المتعلّقة ببقية مسائل الإيمان

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : دلالة الحديثين على الإيمان وحقيقته

الفصل الثاني : دلالة الحديثين على فضل النبي ﷺ وأمته

الفصل الثالث: دلالة الحديثين على حكم مرتكب الكبيرة



الفصل الأول

الفصل الأول

دلالة الحديثين على الإيمان وحقيقته

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تعريف الإيمان

المبحث الثاني : دخول الأعمال في مسمّى الإيمان والرد على المرجئة

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : دخول الأعمال في مسمّى الإيمان

المطلب الثاني : الرد على المرجئة

المبحث الثالث : زيادة الإيمان ونقصانه وتفاضل أهله فيه

المبحث الأول

تعريف الإيمان

الإيمان في اللغة :

قال الجوهري [١] : " الإيمان : التصديق ، والله تعالى المؤمن ؛ لأنه آمن عباده من أن يظلمهم ، وأصل آمن : أأمن بهمزتين ، لينت الثانية ، والأمن : ضد الخوف " [٢] .

وقال ابن فارس : " أمن : الهمزة ، والميم ، والنون أصلان متقاربان :

أحدهما : الأمانة التي هي ضد الخيانة ، ومعناها : سكون القلب .

والآخر : التصديق " [٣] .

وقال الرّاغب الأصفهاني – رحمه الله – : " وآمن : إنما يقال على وجهين :

أحدهما : متعدياً بنفسه ، يقال : آمنته ، أي جعلت له الأمن ، ومنه قيل لله :مؤمن .

والثاني : غير متعدٍ ومعناه : صار ذا أمن ، قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴾ [٤] ، قيل معناه : بمصدّق لنا ؛ إلا أن الإيمان : هو التصديق الذي معه أمن " [٥] .

وقال ابن منظور : " والإيمان : ضد الكفر ، والإيمان بمعنى : التصديق ضده التكذيب ، يقال : آمن به قوم وكذّب به قوم " [٦] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في اشتقاق الإيمان : " فإن اشتقاقه من الأمن الذي هو القرار والطمأنينة ؛وذلك إنما يحصل إذا استقر في القلب التصديق

---

(١) هو : إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي ، أبو نصر ، إمام في النحو ، واللغة ، والصرف ، وكان يضرب به المثل في حسن الكتابة وجمال الخط ، اعتراه اختلاط ووسواس في آخر عمره ، من مؤلفاته : (الصحاح) ، و(المقدمة في النحو) ، توفي سنة ٣٩٣هـ . انظر : معجم الأدباء (٢ / ٢٠٥ – ٢١١) . وتاريخ الإسلام (٢٧ / ٢٨١ – ٢٨٣) .

(٢) الصحاح ، مادة (أمن) ، (٥ / ٢٠٧١) .

(٣) معجم مقاييس اللغة ، مادة (أمن) ، (١ / ١٣٣) .

(٤) سورة يوسف ، من الآية : ١٧ .

(٥) المفردات في غريب القرآن ، مادة (أمن) ، (ص ٢٦) .

(٦) لسان العرب ، مادة (أمن) ، (١٣ / ٢١) .

والانقياد " [١] .

ومن خلال المعاني اللغوية السابقة يتضح :

أن أصل الإيمان : التصديق المقترن بالأمن الذي هو الإقرار والطمأنينة ؛ وليس مجرّد التصديق فقط .

وقد دفع شيخ الإسلام دعوى الترادف بين الإيمان والتصديق ،وذكر بينهما فروقاً من جهة اللغة ، منها [٢] :

١- أن الإيمان ليس مرادفاً للتصديق في المعنى ؛ فإن الإيمان لا يستعمل إلا في الأمر الذي يؤتمن عليه المخبِر ، مثل : الأمور الغيبية ؛ لأنه مشتق من الأمن ؛ أمّا الأمور المشاهدة المحسوسة فهذه لا يصلح أن يقال فيها : آمن ، وإنما يقال : صدّق ؛ لأن كل مخبِر عن مشاهدة أو غيب يقال له في اللغة : صدقت ، كما يقال : كذبت .

فلفظ الإيمان لا يستعمل إلا في الخبر عن الغائب ؛ بخلاف التصديق فإنه يستعمل في كل خبر .

٢- أن لفظ الإيمان في اللغة لم يقابل بالتكذيب : كلفظ التصديق ؛ فإنه من المعلوم في اللغة أن كل مخبِر يقال له : صدقت أو كذبت ، ويقال : صدّقناه أو كذّبناه ، ولا يقال لكل مخبِر: آمنّا له أو كذّبناه ، ولا يقال : أنت مؤمن له أو مكذّب له ؛ بل المعروف في مقابلة الإيمان لفظ الكفر ، يقال : هو مؤمن أو كافر ؛ والكفر لا يختص بالتكذيب .

الإيمان في الاصطلاح :

لقد تنوعت عبارات أئمة السلف في تعريفهم للإيمان الشرعي ، إلا أن جميعها تتفق على أنه : اعتقاد بالقلب ، وقول باللسان ، وعمل بالجوارح .

وفيما يلي بعض أقوالهم في ذلك :

قال الإمام أبو بكر الآجرّي – رحمه الله – : " باب القول بأن الإيمان:تصديق بالقلب ، وإقرار باللسان ، وعمل بالجوارح ؛ لا يكون مؤمناً إلا بأن تجتمع فيه الخصال الثلاث " ، ثم قال : " اعلموا – رحمنا الله وإياكم – أن الذي عليه علماء المسلمين أن الإيمان واجب على

---

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، تحقيق : محمد عبد الله الحلواني ؛ ومحمد كبير أحمد شودري ، ط١ (بيروت : دار ابن حزم ، ١٤١٧هـ) ، (٣ / ٩٦٧) .

(٢) انظر الفرقين التاليين وغيرهما في : الإيمان (ص ٢٢٧ – ٢٣٠) .

جميع الخلق ، وهو : تصديق بالقلب ، وإقرار باللسان ، وعمل بالجوارح " [(١)] .

وقال ابن أبي زيد القيرواني [(٢)] – رحمه الله – : " الإيمان : قول باللسان ، وإخلاص بالقلب ، وعمل بالجوارح " [(٣)] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : " ومن أصول أهل السنة والجماعة ؛ أن الدين والإيمان قول وعمل : قول القلب واللسان ،وعمل القلب ،واللسان، والجوارح " [(٤)] .

وقال الإمام ابن القيّم – رحمه الله – : " وهاهنا أصل آخر : وهو أن حقيقة الإيمان مركّبة من قول وعمل ، والقول قسمان : قول القلب وهو الاعتقاد ، وقول اللسان وهو التكلم بكلمة الإسلام ، والعمل قسمان : عمل القلب وهو نيته وإخلاصه ، وعمل الجوارح" [(٥)] .

ومن هذه التعاريف يتبيّن :

أن الإيمان ليس شيئاً واحداً ؛ بل هو مركّب من ثلاثة أمور لازمة وواجبة لتحقيق الإيمان : وهي اعتقاد القلب ، وإقرار اللسان ، وعمل الجوارح .



(١) الشريعة (٢ / ٦١١) .

(٢) هو : عبد الله بن أبي زيد النفزي القيرواني ، أبو محمد ، إمام المالكية في وقته وقدوتهم ، وجامع مذهب الإمام مالك وشارح أقواله ، إليه انتهت رئاسة المذهب ، وكان على طريقة السلف في الأصول لا يدري الكلام ولا يتأول ، من مصنفاته: (إعجاز القرآن) ، و (النوادر والزيادات) ، توفي سنة ٣٨٦هـ . انظر : ترتيب المدارك (٢ / ١٤١- ١٤٥) . وسير أعلام النبلاء (١٧ / ١٠- ١٣) .

(٣) رسالة ابن أبي زيد القيرواني ، عبد الله بن أبي زيد القيرواني ، د.ط (بيروت : دار الفكر ، د.ت) ، (ص ٨) .

(٤) شرح العقيدة الواسطية (ص ٥٩٠ - ٥٩١) .

(٥) الصلاة وحكم تاركها وسياق صلاة النبي من حين كـن يكبر إلى أن يفرغ منها ، محمد بن أبي بكر الزرعي (ابن القيم) ، تحقيق : بسام عبد الوهاب الجابي ، ط١ (قبرص : الجفان والجابي ، ١٤١٦هـ = ١٩٩٦م) ، (ص ٧٠ - ٧١) .

المبحث الثاني

دخول الأعمال في مسمّى الإيمان والرد على المرجئة

المطلب الأول : دخول الأعمال في مسمّى الإيمان

دل حديثا أبي هريرة وأبي سعيد الخدري – رضي الله عنهما – على دخول الأعمال تحت مسمّى الإيمان ، وذلك في قوله ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه كما عند النسائي : "فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مِنَ النَّارِ مَنْ شَاءَ؛أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مَنْ كَانَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً ، مِمَّنْ يَقُولُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، مِمَّنْ أَرَادَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَرْحَمَهُ ، فَيَعْرِفُونَهُمْ فِي النَّارِ بِآثَارِ السُّجُودِ ؛ فَيُخْرِجُونَهُمْ بِآثَارِ السُّجُودِ ؛ حَرَّمَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى النَّارَ عَلَى ابْنِ آدَمَ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ " .

وفي قوله ﷺ من حديث أبي سعيد رضي الله عنه كما عند أحمد : " إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَمِنُوا ، فَمَا مُجَادَلَةُ أَحَدِكُمْ لِصَاحِبِهِ فِي الْحَقِّ يَكُونُ لَهُ فِي الدُّنْيَا بِأَشَدَّ مُجَادَلَةً لَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِرَبِّهِمْ فِي إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ أُدْخِلُوا النَّارَ " ، قال : " يَقُولُونَ : رَبَّنَا ، إِخْوَانُنَا كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا ، وَيَصُومُونَ مَعَنَا ، وَيَحُجُّونَ مَعَنَا ، فَأَدْخَلْتَهُمُ النَّارَ " قال : " فيقول : اذْهَبُوا فَأَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ " .

ودخول الأعمال في مسمّى الإيمان من أصول أهل السنة والجماعة التي قرّروها في كثير من مصنّفاهم العقدية ، وقد استدلوا على مذهبهم هذا بأنواع من الأدلة ، وبيانها فيما يلي :

أ – دلالة الكتاب :

ومن أدلة الكتاب :

قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ﴾ (١) .

ووجه الدلالة من الآية : أن الله جل وعلا أطلق الإيمان على الصلاة – وهي عمل- فدل بذلك على أن العمل جزء من الإيمان .

قال الإمام ابن عبد البرّ – رحمه الله – : " لم يختلف المفسّرون أنه أراد : صلاتكم إلى بيت المقدس ؛ فسمّى الصلاة : إيماناً " (٢) .

---

(١) سورة البقرة ، من الآية : ١٤٣ .

(٢) التمهيد (٩ / ٢٤٥) .

وقد بوّب الإمام البخاري – رحمه الله – في كتاب الإيمان من صحيحه باباً ، فقال : "باب الصلاة من الإيمان ، وقول الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ ﴾ (١) يعني : صلاتكم عند البيت " (٢) .

وقوله ﷻ : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾ (٣) .

قال الإمام ابن حزم – رحمه الله – : " فسمّى الله تعالى تحكيم النبي ﷺ : إيماناً ، وأخبر الله تعالى : أنه لا إيمان إلا ذلك ، مع أن لا يوجد في الصدر حرج مما قضى ؛ فصحّ يقيناً أن الإيمان : عمل ، وعقد ، وقول ؛ لأن التحكيم عمل ، ولا يكون إلا مع القول ، ومع عدم الحرج من الصدر وهو عقد ، وهذا نص قولنا ولله الحمد " (٤) .

وقوله سبحانه : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾ (٥) .

وقد استدل بهذه الآية الإمام ابن بطّة العُكبَري – رحمه الله – على دخول الأعمال في مسمّى الإيمان ، حيث قال : " فإن هذه الآية جمعت : القول ، والعمل ، والنية ؛ فإن عبادة الله لا تكون إلا من بعد الإقرار به ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة لا يكون إلا بالعمل ، والإخلاص لا يكون إلا بعزم القلب والنية " (٦) .

ب – دلالة السنة :

ومن أدلة السنة – زيادةً على ما سبق – :

ما رواه أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ سُئل : أي العمل أفضل ؟ فقال : " إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ " ، قيل : ثم ماذا ؟ قال : " الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ " ، قيل : ثم ماذا ؟ قال : " حَجٌّ

(١) سورة البقرة ، من الآية : ١٤٣ .
(٢) صحيح البخاري (١ / ٢٣) .
(٣) سورة النساء ، الآية : ٦٥ .
(٤) الدرة فيما يجب اعتقاده (ص ٣٣٨) .
(٥) سورة البينة ، الآية : ٥ .
(٦) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية (٢ / ٨١٤) .

مَبْرُورٌ " (١) .

وهذا الحديث استند عليه الإمام البخاري – رحمه الله – في التدليل على دخول الأعمال تحت مسمّى الإيمان ؛ حين عقد باباً في كتاب الإيمان من صحيحه بعنوان : " باب من قال : إن الإيمان هو العمل " (٢) .

وعن ابن عباس – رضي الله عنهما – في حديث وفد عبد القيس ، وفيه : أن النبي ﷺ أمرهم بالإيمان بالله تعالى وحده ، فقال : " أَتَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ ؟ " ، قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : " شَهَادَةُ : أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ ، وَأَنْ تُعْطُوا مِنْ الْمَغْنَمِ الْخُمُسَ " (٣) .

ووجه الدلالة من الحديث:أن النبي ﷺ فسّر الإيمان للوفد بالأعمال :وهي إقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصيام رمضان ، وغيرها ؛ فأثبتّ بذلك أن الأعمال من الإيمان .

يقول الإمام الخطّابي – رحمه الله – : " قد أعلم ﷺ في هذا الحديث : أن الصلاة والزكاة من الإيمان ، وكذلك صوم رمضان وإعطاء خمس الغنيمة ؛ وكان هذا جواباً عن مسألة صدرت من جهالة بالإيمان وشرائطه ، فأخبرهم عمّا سألوه وعلّمهم ما جهلوه ، وجعل هذه الأمور من الإيمان " (٤) .

ج – دلالة الإجماع :

أمّا ما ورد عن إجماع السلف الصالح في هذا الباب ؛ فهو على ضربين :

الضرب الأول :إجماعهم بأن العمل من الإيمان ، كما نقل ذلك جمع من أهل العلم ، منهم :

الإمام الشافعي – رحمه الله – حين صرّح بذلك قائلاً : " وكان الإجماع من الصحابة

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب من قال : إن الإيمان هو العمل (١ / ١٨ ، رقم ٢٦) ، واللفظ له . ومسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال (١ / ٨٨ ، رقم ٨٣) .

(٢) صحيح البخاري (١ / ١٨) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب أداء الخمس من الإيمان (١ / ٢٩ ، رقم ٥٣) ،واللفظ له . ومسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب الأمر بالإيمان بالله تعالى (١ / ٤٧ ، رقم ١٧) .

(٤) معالم السنن في شرح سنن الإمام أبي داود ،حمد بن محمد الخطابي ، تحقيق : محمد راغب الطباخ ، ط١ (حلب : المطبعة العلمية ، ١٣٥٢هـ = ١٩٣٤م) ، (٤ / ٣١٣) .

والتابعين من بعدهم ممن أدركناهم ؛أن الإيمان : قول ، وعمل ، ونية ؛ لا يجزئ واحد من الثلاثة بالآخر " (١) .

وقال الإمام البخاري – رحمه الله – : " كتبت عن ألف نفر من العلماء وزيادة ، و لم أكتب إلا عن من قال : الإيمان قول وعمل ؛ و لم أكتب عن من قال : الإيمان قول " (٢) .

وقال الإمام ابن عبد البرّ – رحمه الله –: " أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان : قول وعمل ، ولا عمل إلا بنية " (٣) .

وقال الإمام البغوي – رحمه الله – : " اتفقت الصحابة ، والتابعون ، فمن بعدهم من علماء السنة على أن الأعمال من الإيمان ،وقالوا : إن الإيمان قول ،وعمل ،وعقيدة " (٤) .

الضرب الثاني : إجماعهم بأن من فقد العمل بالكلّية ؛ فقد انتقض إيمانه وكفر وخرج من دين الإسلام ، كما نقل ذلك غير واحد من سلف الأمة وأئمتها ، وفيما يلي مقولات بعضهم :

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في معرض الاستدلال على تكفير تارك الصلاة ومناقشة أدلة المخالفين : " فإن الإيمان عند أهل السنة والجماعة : قول وعمل ؛ كما دل عليه الكتاب ، والسنة ، وأجمع عليه السلف ، وعلى ما هو مقرّر في موضعه .

فالقول تصديق الرسول ، والعمل تصديق القول ؛ فإذا خلا العبد عن العمل بالكلّية لم يكن مؤمناً " (٥) .

د – دلالة العقل :

دل العقل على فساد إخراج الأعمال من الإيمان ؛ وأنه لا يتصور أن رجلاً يؤمن قلبه بأمر ما ، ثم تتهيأ له أسباب فعله ، مع قدرته التامة على الفعل يعيش دهره ولا يفعله ؛ فهذا لا يتصور عقلاً إلا مع عدم إيمان وكذب في الدعوى .

وقد أقرّ شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – بهذا ، حيث قال : " بل كل من تأمل ما

---

(١) انظر : شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٥ / ٨٨٦ – ٨٨٧) .
(٢) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٥ / ٨٨٩ ، رقم ١٥٩٧) .
(٣) التمهيد (٩ / ٢٣٨) .
(٤) شرح السنة (١ / ٣٨ – ٣٩) .
(٥) شرح العمدة في الفقه ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، تحقيق : د. سعود صالح العطيشان ، ط١ (الرياض : مكتبة العبيكان ، ١٤١٣هـ) ، (٤ / ٨٦) .

تقوله المرجئة في معنى الإيمان ؛ علم بالاضطرار أنه مخالف للرسول ؛ ويعلم بالاضطرار أن طاعة الله ورسوله من تمام الإيمان ، ويعلم أنه لو قدّر أن قوماً قالوا للنبي ﷺ : نحن نؤمن بما جئتنا به بقلوبنا من غير شك ، ونقرّ بألسنتنا بالشهادتين ؛ إلا أنا لا نطيعك في شيء مما أمرت به ونهيت عنه : فلا نصلي ، ولا نحج ، ولا نصدق الحديث ، ولا نؤدي الأمانة ، ولا نفي بالعهد ، ولا نصل الرّحم ، ولا نفعل شيئاً من الخير الذي أمرت به ؛ هل كان يتوهم عاقل أن النبي ﷺ يقول لهم : أنتم مؤمنون كاملو الإيمان ؟!وأنتم أهل شفاعتي يوم القيامة ؟! ويرجى لكم أن لا يدخل أحد منكم النار ؟! بل كل مسلم يعلم بالاضطرار أنه يقول لهم : أنتم أكفر الناس بما جئت به ؛ ويضرب رقابهم إن لم يتوبوا من ذلك " [(١)] .

ومما تقدم من الأدلة يتضح :

أن الإيمان والعمل قرينان لا ينفك أحدهما عن الآخر ؛ ولا يصحّ أحدهما إلا بالآخر .

---

(١) مجموع الفتاوى (٧ / ٢٨٧) .

المطلب الثاني

الرد على المرجئة

سلكت المرجئة في حديث أبي سعيد الخدري ﷺ سبلاً شتّى وطرائق قدداً ؛ حيث استدلت بما ورد فيه مما يفهم منه حصول النجاة في الآخرة لمن لم يعمل خيراً قط من أعمال الجوارح على خروج الأعمال من مسمّى الإيمان ، وكان عمدتهم في ذلك قوله ﷺ عن الجهنميين كما عند مسلم : " فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ : شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ ؛ فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْماً لَمْ يَعْمَلُوا خَيْراً قَطُّ ، قَدْ عَادُوا حُمَماً ؛ فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ ، يُقَالُ لَهُ :نَهَرُ الْحَيَاةِ ؛ فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، أَلَا تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَى الْحَجَرِ أَوْ إِلَى الشَّجَرِ ، مَا يَكُونُ إِلَى الشَّمْسِ أُصَيْفِرُ وَأُخَيْضِرُ ، وَمَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ يَكُونُ أَبْيَضَ ؟ "، فقالوا : يا رسول الله ، كأنك كنت ترعى بالبادية ، قال : " فَيَخْرُجُونَ : كَاللُّؤْلُؤِ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِمُ ، يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ ، هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ " [(١)] .

والرد عليهم من جهتين :

الجهة الأولى : الرد المجمل .

الجهة الثانية : الرد المفصّل .

وبيان ذلك فيما يلي :

الجهة الأولى : الرد المجمل :

إن المستدّل بأي دليل من الشريعة ؛ لابد وأن يكون استدلاله وفق الضوابط الشرعية والقواعد الأصولية التي قعّدها أهل العلم واتفقوا عليها ، وهي [(٢)] :

١- الوقوف مع إجماع السلف ، وعدم تجاوزه ، أو قبول الخلاف فيه بأي حال ؛ لأن مخالفة إجماعهم يقتضي بالضرورة تخطئتهم ؛ وهم إنما أجمعوا على الأصول التي أجمعوا عليها

(١) انظر : إحياء علوم الدين (١ / ١١٧ – ١١٨) . وفتح الباري (١١ / ٤٣٠) .

(٢) انظر : ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة ، عبد الله بن محمد القرني ، ط٢ (مكة المكرمة : دار عالم الفوائد ، ١٤٢٠هـ) ، (ص ٩ – ١١) .

بناءً على نصوص كثيرة فلا يمكن أن يكون إجماعهم خطأً ؛ بل إن من يخالفهم لا بد أن يكون هو الذي أخطأ وأحدث في الدين ما ليس منه .

ومثاله :

إجماع أهل السنة على أن الإيمان : قول وعمل ؛ وهذا يقتضى عندهم أن الكفر يكون بالعمل ؛ فلا يصحّ تقييد الكفر : بمجرّد الاعتقاد ، أو الجحود ، أو الاستحلال ،ونحو ذلك .

كما يقتضي هذا الأصل : تكفير التارك للعمل بالكلّية ؛ وأن النجاة من عذاب الكفار لا تكون إلا بالعمل .

٢- النظر في جميع النصوص الواردة في المسألة المراد بيانها وفق القواعد الأصولية : بحيث يميّز العام من الخاص ، والمطلق من المقيّد ؛ مع الجزم بأن ما ذهب إليه السلف في فهم تلك النصوص والجمع بينها هو الحق .

وتطبيقاً لهذه القاعدة :

فلا يصحّ – مثلاً – الحكم بأن الحديث الوارد في الجهنميين نص في أن العمل كمالي للإيمان ؛ لما ورد فيه : من أنهم دخلوا الجنة مع أنهم لم يعملوا خيراً قط ؛ مع أن السلف قد أجمعوا على أن العمل من الإيمان ، وأن النجاة من عذاب الكفار لا تتم إلا بالإتيان به ؛ ولم يشكل هذا الحديث على ما ذهبوا إليه بل فهموه بما يتفق مع ذلك الأصل .

الجهة الثانية : الرد المفصّل :

ويتبيّن من خلال الأوجه التالية (١) :

الوجه الأول : أن تارك العمل بالكلّية ليس من أهل الإيمان بالإجماع .

الوجه الثاني : أن حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قد دل بنفسه كما دلت النصوص الأخرى على أن هؤلاء القوم من أهل الصلاة ؛ وبيان ذلك بأمور :

١- أن حديث أبي سعيد رضي الله عنه دل على أنه لا نجاة إلا لأهل السجود والصلاة .

٢- أنه قد جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه : أن الجهنميين – وهم آخر فئة تخرج من النار – بعد أن يفرغ الله تعالى من القضاء بين العباد ، تعرفهم الملائكة بآثار السجود ؛ مما يدل على أنهم من أهل الصلاة .

(١) انظر الأوجه التالية وغيرها في : الإيمان عند السلف وعلاقته بالعمل وكشف شبهات المعاصرين ، محمد بن محمود آل خضير ، ط٣ (الرياض : مكتبة الرشد ، ١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩م) ، (٢ / ١٣١ – ١٦٢) .

الوجه الثالث: أن قوله ﷺ : " لَمْ يَعْمَلُوا خَيْراً قَطُّ " ليس المراد منه :نفي جميع العمل ؛ بل إنه ورد إطلاق هذه العبارة في بعض النصوص على أناس ثبت لهم العمل .

مثال ذلك :

ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : " إِنَّ رَجُلاً لَمْ يَعْمَلْ خَيْراً قَطُّ ، وَكَانَ يُدَايِنُ النَّاسَ ، فَيَقُولُ لِرَسُولِهِ : خُذْ مَا تَيَسَّرَ ؛ وَاتْرُكْ مَا عَسُرَ ، وَتَجَاوَزْ ؛ لَعَلَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا ، فَلَمَّا هَلَكَ ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ : هَلْ عَمِلْتَ خَيْراً قَطُّ ؟ قَالَ : لَا ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ لِي غُلَامٌ ، وَكُنْتُ أُدَايِنُ النَّاسَ ؛ فَإِذَا بَعَثْتُهُ لِيَتَقَاضَى، قُلْتُ لَهُ : خُذْ مَا تَيَسَّرَ ؛ وَاتْرُكْ مَا عَسُرَ ، وَتَجَاوَزْ ؛ لَعَلَّ اللَّهَ يَتَجَاوَزُ عَنَّا ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : قَدْ تَجَاوَزْتُ عَنْكَ " (١) .

فقد أخبر النبي ﷺ أولاً : بأن ذلك الرجل لم يعمل خيراً قط ، ثم أثبت له عملاً صالحاً ، وهو تجاوزه عن المعسرين ، وأمره لغلامه بذلك ؛ فعلم بهذا أنه قد يقال عن رجل : لم يعمل خيراً قط مع تلبّسه ببعض الأعمال الصالحة .

الوجه الرابع : أنه يمكن حمل لفظة : " لَمْ يَعْمَلُوا خَيْراً قَطُّ " على الكمال والتمام ، أي لم يعملوا خيراً قط على وجه التمام والكمال ؛لا على ما أوجبه الله تعالى عليهم وأمرهم به ، ويشهد لهذا التوجيه ما قاله الإمام ابن خزيمة – رحمه الله – : " هذه اللفظة : " لَمْ يَعْمَلُوا خَيْراً قَطُّ " من الجنس الذي تقول العرب : ينفى الاسم عن الشيء ؛ لنقصه عن الكمال والتمام ؛ فمعنى هذه اللفظة على هذا الأصل : لم يعملوا خيراً قط على التمام والكمال ؛ لا على ما أوجب عليه وأمر به " (٢) .

وهذا كلام واضح بيّن يزيل الإشكال حول هذه اللفظة .

الوجه الخامس : أنه يمكن حمل هذا على أناس من المؤمنين ذهبت سيئاتهم بالمقاصّة ؛ فلم يبق لهم حسنات ؛ ووضعت عليهم سيئات من ظلموهم مع سيئاتهم فأُدخلوا النار ؛ وقد بقيت كلمة التوحيد لا يقتسمها الغرماء .

قال ابن رجب – رحمه الله – في كلام له في نحو مسألتنا هذه : " كلمة التوحيد

---

(١) أخرجه النسائي في سننه الصغرى ، كتاب البيوع ، باب حسن المعاملة والرفق في المطالبة (٧ / ٣١٨ ، رقم ٤٦٩٤) ، واللفظ له . وأحمد في مسنده – ط ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م – (١٤ / ٣٤٤ – ٣٤٥ ، رقم ٨٧٣٠) . والحاكم في المستدرك (٢ / ٣٣ ، رقم ٢٢٢٣) ، وقال : " هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه " . وقال الألباني في صحيح سنن النسائي (٣ / ٢٦٢ ، رقم ٤٧٠٨) : " حسن صحيح " .

(٢) كتاب التوحيد (٢ / ٧٣٢) .

والإيمان القلبي وهو التصديق ؛ لا تقتسمه الغرماء بمظالمهم بل يبقى على صاحبه ؛ لأن الغرماء لو اقتسموا ذلك لخلّد بعض أهل التوحيد ، وصار مسلوباً ما في قلبه من التصديق ، وما قاله بلسانه من الشهادة ؛وإنما يخرج عصاة الموحدين من النار بهذين الشيئين " (١) .

الوجه السادس : أن أقل ما يمكن أن يقال فيه : إنه من المتشابه الذي يتعيّن رده إلى المحكم ؛ كما هو سبيل أهل السنة والجماعة .

وبما سبق يتبيّن :

أنه لا حجة للمرجئة في استشهادهم بحديث أبي سعيد رضي الله عنه على نجاة تارك العمل بالكلّية ؛ وأنه ينبغي أن تفهم هذه اللفظة : " لَمْ يَعْمَلُوا خَيْراً قَطٌّ " في ضوء الروايات الأخرى وما أجمع عليه السلف .



(١) فتح الباري (١ / ٨٨) .

المبحث الثالث

زيادة الإيمان ونقصانه وتفاضل أهله فيه

دل حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه على أن الإيمان يزيد وينقص ؛ وعلى أن أهله يتفاضلون فيه ، وذلك في قوله ﷺ كما عند البخاري :"فَمَا أَنْتُمْ بِأَشَدَّ لِي مُنَاشَدَةً فِي الحَقِّ ، قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِ يَوْمَئِذٍ لِلْجَبَّارِ ،وَإِذَا رَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ نَجَوْا فِي إِخْوَانِهِمْ ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا ، إِخْوَانُنَا كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا ، وَيَصُومُونَ مَعَنَا ، وَيَعْمَلُونَ مَعَنَا ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ ، وَيُحَرِّمُ اللَّهُ صُوَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ، فَيَأْتُونَهُمْ ، وَبَعْضُهُمْ قَدْ غَابَ فِي النَّارِ إِلَى قَدَمِهِ ، وَإِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ ؛ فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا ، ثُمَّ يَعُودُونَ ، فَيَقُولُ : اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ فَأَخْرِجُوهُ ؛ فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا ، ثُمَّ يَعُودُونَ ، فَيَقُولُ : اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ ؛ فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا " .

وتظهر هذه المسألة في الحديث من خلال التدرج الوارد فيه : دينار، ثم نصف دينار، ثم ذرّة .

وزيادة الإيمان ونقصانه من الأصول المقرّرة لأهل السنة والجماعة ؛ فالإيمان عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ؛ والأدلة على ذلك متضافرة :من الكتاب ،والسنة ، والإجماع .

أ – دلالة الكتاب :

ومن أدلة الكتاب :

قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (١) .

وقوله سبحانه : ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ (٢) .

والآيتان – كما هو ظاهر – فيهما : تصريح بزيادة الإيمان .

---

(١) سورة الأنفال ، الآية : ٢ .

(٢) سورة التوبة ، الآية : ١٢٤ .

وقوله ﷻ : ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ [1] .

وهنا إخبار من الله تعالى بزيادة الهدى مما يدل على زيادة الإيمان ؛ ولهذا استدل أهل العلم بهذه الآية على زيادة الإيمان ونقصانه .

قال الحافظ ابن كثير–رحمه الله – عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ [2] : " استدل بهذه الآية وأمثالها غير واحد من الأئمة : كالبخاري وغيره ؛ ممن ذهب إلى زيادة الإيمان وتفاضله ، وأنه يزيد وينقص " [3] .

ب – دلالة السنة :

ومن أدلة السنة – فضلاً عمّا سبق – :

ما رواه أبو هريرة ﵁ عن النبي ﷺ أنه قال : " الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً ، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ؛ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الْإِيمَانِ " [4] .

وهذا الحديث يبيّن أن الإيمان شعب متعددة ومتفاوتة في الفضل ؛ وبحسب أنواع هذه الشعب ، وكثرة ما يتحلّى المؤمن منها ، وقوة تمثله بها يزيد إيمانه ؛ وبنقص ذلك يكون نقصه .

قال الإمام ابن منده – رحمه الله – : " والعباد يتفاضلون في الإيمان على قدر تعظيم الله في القلوب ، والإجلال له ، والمراقبة لله في السر والعلانية ، وترك اعتقاد المعاصي ، فمنها قيل : يزيد وينقص " [5] .

وعن أبي سعيد الخدري ﵁ أن رسول الله ﷺ قال : " مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَراً ؛ فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ ؛ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ " [6] .

---

(١) سورة الكهف ، الآية : ١٣ .

(٢) سورة الكهف ، من الآية : ١٣ .

(٣) تفسير القرآن العظيم (٣ / ٧٥) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب أمور الإيمان (١ / ١٢ ، رقم ٩) . ومسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب بيان عدد شعب الإيمان (١ / ٦٣ ، رقم ٣٥) ، واللفظ له .

(٥) الإيمان (١ / ٣٠٠) .

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص (١ / ٦٩ ، رقم ٤٩) .

وفي الحديث بيان مراتب تغيير المنكر وكونها من الإيمان ، وأن أدنى مرتبة من مراتب التغيير : مرتبة تغيير المنكر بالقلب ؛ وهي أضعف الإيمان ؛ فدل على أن ما سبقها من المراتب أقوى إيماناً .

وقد بوّب الإمام النووي – رحمه الله – هذا الحديث عند شرحه لصحيح مسلم في كتاب الإيمان بقوله : " باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان ، وأن الإيمان يزيد وينقص " (١) .

إلى غير ذلك من الأدلة التي هي مستند أهل السنة في اعتقادهم بأن الإيمان يزيد وينقص .

ومما يجدر التنبيه إليه :

أن كل دليل دل على زيادة الإيمان ؛ فهو يدل على نقصانه وكذا العكس ؛ وذلك لأن الزيادة تستلزم النقص ، ولأن ما جازت عليه الزيادة جاز عليه النقص .

وصنيع أهل العلم يدل على ذلك ؛ حيث إنهم يستشهدون بأدلة زيادة الإيمان على نقصانه ، كما صرّح بهذا المعنى الإمام أحمد – رحمه الله – حين قال : " إن كان قبل زيادته تاماً ؛ فكما يزيد كذا ينقص " (٢) .

ومن ذلك أيضاً : فعل الإمام البخاري – رحمه الله – في صحيحه ، حيث قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله – عند شرحه لكتاب الإيمان : " ثم شرع المصنّف يستدل لذلك بآيات من القرآن مصرّحة بالزيادة ؛ وبثبوتها يثبت المقابل ؛ فإن كل قابل للزيادة قابل للنقصان ضرورة " (٣) .

ج – دلالة الإجماع :

لقد حكى غير واحد من أئمة السلف الصالح الإجماع على زيادة الإيمان ونقصانه ، ومن أقوالهم في ذلك :

قال أبو الحسن الأشعري – رحمه الله – : " وأجمعوا على أن الإيمان يزيد بالطاعة

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٢ / ٢١) .

(٢) أخرجه أحمد بن محمد الخلال في السنة ، تحقيق : د.عطية الزهراني ، ط١ (الرياض : دار الراية ، ١٤١٠هـ = ١٩٨٩م) ، (٣ / ٥٨٨ ، رقم ١٠٣٠) . وقال محققه : " إسناده صحيح " .

(٣) فتح الباري (١ / ٤٧) .

وينقص بالمعصية "[١] .

ونقل ابن بطّال – رحمه الله – إجماعهم ، فقال : " مذهب جماعة أهل السنة من سلف الأمة وخلفها ؛ أن الإيمان : قول وعمل ، ويزيد وينقص "[٢] .

وقال الإمام ابن عبد البرّ – رحمه الله – : " أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان : قول وعمل ، ولا عمل إلا بنية ، والإيمان عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية "[٣] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : " وأجمع السلف أن الإيمان :قول وعمل ، يزيد وينقص "[٤] .

وقال الإمام ابن القيّم – رحمه الله – عن الإيمان : " فإنه بإجماع السلف يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية "[٥].

وبهذه النقول يتضح :

أن إجماع أهل السنة والجماعة قائم على زيادة الإيمان ونقصانه ؛ وأنهم متضافرون على قول واحد فيه .

وللزيادة والنقصان في الإيمان عدة أوجه ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – وسأقتصر على ذكر أهم هذه الأوجه من كلامه[٦] :

الوجه الأول : أن نفس التصديق والعلم في القلب يتفاضل باعتبار الإجمال والتفصيل ؛ فليس تصديق من صدّق الرسول مجملاً من غير معرفة منه بتفاصيل أخباره : كمن عرف ما أخبر به عن الله تعالى ، وأسمائه ، وصفاته ، والجنة ، والنار ، والأمم ،وصدّقه في ذلك كله .

وليس من التزم طاعته مجملاً ومات قبل أن يعرف تفصيل ما أمره به : كمن عاش حتى عرف ذلك مفصّلاً وأطاعه فيه .

الوجه الثاني : أن نفس العلم والتصديق يتفاضل ويتفاوت ، كما يتفاضل سائر صفات الحي : من القدرة ، والإرادة ، والسمع ، والبصر ، والكلام .

---

(١) رسالة إلى أهل الثغر (ص ٢٧٢) .

(٢) شرح صحيح البخاري (١ / ٥٦) .

(٣) التمهيد (٩ / ٢٣٨) .

(٤) مجموع الفتاوى (٧ / ٦٧٢) .

(٥) مدارج السالكين (١ / ٤٢١) .

(٦) انظر الأوجه التالية وغيرها في : مجموع الفتاوى (٧ / ٥٦٢ – ٥٧٤) .

ومن المعلوم أن الهلال المرئي يتفاضل الناس في رؤيته ، وكذلك سماع الصوت الواحد يتفاضلون في إدراكه .

فما من صفة من صفات الحي ، وأنواع إدراكاته وحركاته ، بل وغير صفات الحي إلا وهي تقبل التفاضل .

الوجه الثالث : زيادة أعمال القلوب ونقصها ؛ فإنه من المعلوم بالذوق الذي يجده كل مؤمن أن الناس يتفاضلون في حب الله تعالى ، ورسوله ،وخشية الله سبحانه ، والإنابة إليه ، والتوكل عليه ، والإخلاص له ، وفي سلامة القلوب من الرياء ، والكبر ، والعجب ، ونحو ذلك من الأخلاق الإيمانية ، وهذا أمر يجده الإنسان في نفسه ؛ فإنه قد يكون الشيء الواحد يحبه تارةً أكثر مما يحبه تارةً ، ويخافه تارةً أكثر مما يخافه تارةً ؛ ولهذا كان أهل المعرفة من أعظم الناس قولاً بدخول الزيادة والنقصان فيه لما يجدون من ذلك في أنفسهم .

الوجه الرابع : أن التفاضل يحصل من هذه الأمور من جهة الأسباب المقتضية لها ؛ فمن كان مستند تصديقه ومحبته أدلة توجب اليقين لم يكن بمترلة من كان تصديقه لأسباب دون ذلك .

الوجه الخامس : أن التفاضل يحصل في هذه الأمور من جهة دوام ذلك ، وثباته ، وذكره ، واستحضاره ؛ كما يحصل النقص من جهة الغفلة عنه والإعراض .

وخلاصة الأمر :

أن هذه الأوجه الخمسة من أظهر الدلائل التي تثبت زيادة الإيمان ونقصانه وتفاضل أهله فيه على حسب ما تقرّر بيانه .




الفصل الثاني

الفصل الثاني

دلالة الحديثين على فضل النبي ﷺ وأمته

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تعريف النبي وأمة محمد ﷺ

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : تعريف النبي

المطلب الثاني : تعريف أمة محمد ﷺ

المبحث الثاني : فضل النبي ﷺ ومكانته

المبحث الثالث: فضل أمة محمد ﷺ على سائر الأمم

المبحث الأول

تعريف النبي وأمة محمد ﷺ

المطلب الأول : تعريف النبي

النبي في اللغة :

اختلف اللغويون في اشتقاق لفظ النبي ، وظهرت نتيجة اختلافهم عدة أقوال :

القول الأول : أنه مشتق من " النبأ ، وهو الخبر ، تقول : نبأ ونبّأ ، أي أخبر ، ومنه : أخذ النبيء ؛ لأنه أنبأ عن الله تعالى " (١) .

القول الثاني: أنه مشتق من " النبوة والنباوة ، وهي الارتفاع عن الأرض ، يقال : نبا ، أي ارتفع ؛ لارتفاع قدره ، ولأنه شرف على سائر الخلق " (٢) .

القول الثالث : أنه مشتق من " النبي – بدون همز – وهو الطريق الواضح ، والأنبياء : طرق الهدى " (٣) .

وعند النظر إلى المعاني اللغوية السابقة يتضح :

أن لفظة النبي تشتمل عليها جميعاً ؛ إذ إن النبي مخبِر عن الله ﷻ ، وهو مرتفع القدر والمكانة ؛ لما في النبوة من التشريف والتكريم ، وكذا فهو الطريق الموصل إليه سبحانه .

النبي في الاصطلاح :

اختلف العلماء في تعريف النبي اصطلاحاً ؛ وذلك تبعاً لاختلافهم في التفريق بين النبي والرسول ، وأشهر هذه التعريفات ما يلي :

١– أن النبي : هو من أوحى الله تعالى إليه بشرع ؛ ليعمل به ولم يؤمر بتبليغه (٤) .

٢– أن النبي : هو من أوحى الله تعالى إليه أن يدعو الناس إلى شريعة رسول قبله(٥) .

٣– أن النبي : هو من أوحى الله تعالى إليه وأخبره : بأمره ، ونهيه ، وخبره ؛ وأن يعمل

---

(١) الصحاح ، مادة (نبأ) ، (١ / ٧٤) .

(٢) تهذيب اللغة ، مادة (نبا) ، (١٥ / ٣٤٨ – ٣٤٩) .

(٣) تاج العروس ، مادة (نبو) ، (٤٠ / ١٠) .

(٤) انظر : شعب الإيمان (١ / ١٥٠) .

(٥) انظر : أضواء البيان (٥ / ٢٩٠) .

بشريعة رسول قبله بين قوم مؤمنين ،وهـــذا ما اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية [1]رحمه الله .

والراجح – والله تعالى أعلم – :

أن النبي : هو من أوحى الله تعالى إليه ؛ لتقرير شرع سابق وأُمر بتبليغه لقوم مؤمنين به ، كما هو رأي شيخ الإسلام .



(١) انظر : كتاب النبوات (٢ / ٧١٤ ، ٧١٦ – ٧١٧) .

المطلب الثاني

تعريف أمة محمد ﷺ

الأمة في اللغة :

تطلق الأمة في أصل اللغة على عدة معانٍ ، منها :

المعنى الأول : " الحين ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ ﴾ [(١)] ، أي بعد حين من الدهر " [(٢)] .

المعنى الثاني : " الجيل والجنس ؛ فكل جيل من الناس هم أمة على حدة ، والجنس من كل حيوان غير بني آدم أمة على حدة " [(٣)] .

المعنى الثالث : " الطريقة والدين ، يقال : فلان لا أمة له ، أي لا دين له ولا نِحلة له ، ومنه قوله تعالى : ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ ﴾ [(٤)] ، أي خير أهل دين " [(٥)] .

المعنى الرابع : " الإمام الذي يقتدى به ، ومنه قوله عز وجل : ﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾ [(٦)] " [(٧)] .

المعنى الخامس : " الجماعة الذين أُرسل إليهم رسول : سواء آمنوا به أو كفروا ؛ وكل قوم نسبوا إلى نبي فأضيفوا إليه ، فهم أمته " [(٨)] .

والمعنى اللغوي الأخير للأمة هو المتعيّن والمراد .

أمة محمد ﷺ في الاصطلاح :

تطلق الأمة عند إضافتها إلى نبينا محمد ﷺ على ثلاثة معانٍ ، أحدها أخص من الآخر ،

---

(١) سورة يوسف ، من الآية : ٤٥ .

(٢) تهذيب اللغة ، مادة (أم) ، (١٥ / ٤٥٤) .

(٣) تاج العروس ، مادة (أمم) ، (٣١ / ٢٢٩) .

(٤) سورة آل عمران ، من الآية : ١١٠ .

(٥) لسان العرب ، مادة (أمم) ، (١٢ / ٢٤) .

(٦) سورة النحل ، من الآية : ١٢٠ .

(٧) لسان العرب ، مادة (أمم) ، (١٢ / ٢٥ ، ٢٧) .

(٨) تاج العروس ، مادة (أمم) ، (٣١ / ٢٢٩) .

وهي كالتالي :

المعنى الأول : أمة الاتّباع : وهم أهل العمل الصالح الذين ساروا على هدي النبي ﷺ وسنته (١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : " إذا قيل : المسلمون وأمة محمد لم يكن فيهم – من هذه الجهة – لا اتحاد ، ولا رفض ، ولا تكذيب بالقدر ، ولا غير ذلك من البدع ؛ وإن كان بعض الداخلين في الأمة قد ابتدع هذه البدع " (٢) .

المعنى الثاني : أمة الإجابة : وهم الذين آمنوا بالنبي ﷺ وصدّقوه وأذعنوا له ؛ ويدخل في الأمة بهذا المعنى مطلق المسلمين (٣) .

المعنى الثالث: أمة الدعوة :وهم جميع الذين بعث إليهم الرسول ﷺ : سواء آمنوا به أم لم يؤمنوا ؛ ويدخل في الأمة بهذا المعنى جميع أرباب الملل والنّحل الذين ليسوا على قبلتنا (٤) .

وبناءً على ما سبق يتبيّن :

أن المعنى الأول لأمة محمد ﷺ أخص من المعنى الثاني ؛ وأن المعنى الثاني أخص من المعنى الثالث .

---

(١) انظر : فتح الباري لابن حجر (١١ / ٤١١) .
(٢) مجموع الفتاوى (١٤ / ٩٢) .
(٣) انظر : فتح الباري لابن حجر (١١ / ٤١١) . وفيض القدير (٢ / ١٨٥) .
(٤) انظر : فتح الباري لابن حجر (١١ / ٤١١) . والتيسير بشرح الجامع الصغير ، محمد بن عبد الرؤوف المناوي ، ط٣ (الرياض : مكتبة الإمام الشافعي ، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م) ، (٢ / ٣١٦) .

المبحث الثاني

فضل النبي ﷺ ومكانته

لقد أكرم الله تعالى نبيه محمداً ﷺ بفضائل جمّة وخصائص كثيرة ميّزه بها عن غيره ؛ فضلاً عن مكانة النبوة التي شرفه الله ﷻ بها ؛ مما يشير إلى عظم قدر النبي ﷺ عند ربه جل وعلا .

ولقد دل حديث أبي هريرة رضي الله عنه على فضل النبي ﷺ ومكانته التي خصه الله تعالى بها من بين سائر الأنبياء والرسل – عليهم السلام – في الآخرة ؛ حيث إنه يكون أول من يجوز الصراط يوم القيامة ، وذلك في قوله ﷺ كما عند البخاري : " فَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ جَهَنَّمَ ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنَ الرُّسُلِ " .

ومن الأمور التي تبيّن فضل النبي ﷺ ومكانته [(١)] – زيادةً على ما سبق – :

١– أنه ﷺ سيد ولد آدم :

فقد ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : أتي رسول الله ﷺ يوماً بلحم ، فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه ؛ فنهس [(٢)] منها نهسة ، فقال : " أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " [(٣)] .

ومعنى السيد: الذي يفوق قومه في الخير ، وقيل:الذي يفزع إليه في النوائب والشدائد ؛ فيقوم بأمر قومه ويتحمل عنهم مكارههم ويدفعها عنهم [(٤)] .

وفي هذا الحديث إخبار من النبي ﷺ عمّا أكرمه الله تعالى به من الفضل ، والشرف ، والسؤدد ؛ وإعلام لأمته وأهل دعوته بمكانه الرفيع عند ربه ومحلّه من خصوصيته [(٥)] .

---

(١) انظر الفضائل التالية وغيرها في : خصائص المصطفى بين الغلو والجفاء ، الصادق بن محمد بن إبراهيم ، ط١ (الرياض : مكتبة الرشد ، ١٤٢١هـ) ، (ص ٥٩ – ٦٦) .

(٢) فنهس : أي أخذ بمقدم الأسنان ، يقال : نهست اللحم وانتهست . انظر : الصحاح ، مادة (نهس) ، (٣ / ٩٨٧) . ولسان العرب ، مادة (نهس) ، (٦ / ٢٤٤) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، باب : ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ [سورة الإسراء ، الآية : ٣] (٤ / ١٧٤٥ ، رقم ٤٤٣٥) . ومسلم في صحيحه،كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلةً فيها (١ / ١٨٤ ، رقم ١٩٤) ، واللفظ له .

(٤) انظر : شرح النووي على صحيح مسلم (١٥ / ٣٧) .

(٥) انظر : دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق : د. عبد المعطي قلعجي ، ط١ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م) ، (٥ / ٤٩٦) .

قال الإمام النووي – رحمه الله – : "وهذا الحديث دليل لتفضيله ﷺ على الخلق كلهم ؛ لأن مذهب أهل السنة أن الآدميين أفضل من الملائكة ؛ وهو ﷺ أفضل الآدميين وغيرهم " [(١)] .

٢– أنه ﷺ إمام النبيين – عليهم السلام – وخطيبهم :

فقد جاء في حديث أُبيّ بن كعب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : " إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ؛ كُنْتُ إِمَامَ النَّبِيِّينَ وَخَطِيبَهُمْ ، وَصَاحِبَ شَفَاعَتِهِمْ غَيْرُ فَخْرٍ" [(٢)] .

وتظهر إمامة النبي ﷺ للرسل – عليهم السلام – في الآخرة ؛ حين يتدافع أولو العزم للشفاعة ثم تصير إليه ؛ كما ثبت من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الشفاعة العظمى [(٣)] .

٣– اختصاصه ﷺ بالشفاعة العظمى :

الشفاعة العظمى من أعلى المقامات التي فضّل بها النبي ﷺ على سائر الخلق ؛ وهي المقام المحمود الذي يشفع فيه لأمته في بدء الحساب من هول مطلع يوم القيامة ، ومن الكرب والهم الذي يصيب الناس في المحشر .

ففي حديث عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – مرفوعاً : " إِنَّ النَّاسَ يَصِيرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جُثاً [(٤)] ؛ كُلُّ أُمَّةٍ تَتْبَعُ نَبِيَّهَا ، يَقُولُونَ : يَا فُلَانُ اشْفَعْ ، يَا فُلَانُ اشْفَعْ ؛ حَتَّى تَنْتَهِيَ الشَّفَاعَةُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ؛ فَذَلِكَ يَوْمَ يَبْعَثُهُ اللَّهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ " [(٥)] .

٤– أنه ﷺ أول من ينشق عنه القبر :

فالرسول ﷺ أول من يبعث من الخلائق يوم القيامة ،كما جاء في حديث أبي هريرة

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٥ / ٣٧) .

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه ، كتاب المناقب ، باب في فضل النبي ﷺ (٥ / ٥٨٦ ، رقم ٣٦١٣) ، وقال : "هذا حديث حسن " .وابن ماجه في سننه ، كتاب الزهد ، باب ذكر الشفاعة (٢ / ١٤٤٣ ، رقم ٤٣١٤) . وأحمد في مسنده – ط١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م – (٣٥ / ١٦٩ ، رقم ٢١٢٤٥) . والحاكم في المستدرك (٤ / ٨٨ ، رقم ٦٩٦٩) ، وقال : " هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه " . وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣ / ٤٨٥ ، رقم ٣٦١٣) ، وصحيح سنن ابن ماجه (٣ / ٤٠٥ ، رقم ٣٥٠٠) .

(٣) تقدم تخريجه ص ٣٠٩–٣١٠ .

(٤) الجث : الجماعة ، وقيل : جمع جاث ، وهو الذي يجلس على ركبتيه . انظر : النهاية في غريب الحديث ، مادة (جثا) ، (١ / ٢٣٩) . ولسان العرب ، مادة (جثا) ، (١٤ / ١٣٢) .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، باب قوله : ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [سورة الإسراء ، من الآية : ٧٩] (٤ / ١٧٤٨ ، رقم ٤٤٤١) .

ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : " أَنَا سَيِّـدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ،وَأَوَّلُ مَـنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ " [١] .

قال المناوي – رحمه الله – في بيان معنى قوله ﷺ : " وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ " : " أي أول من يعجّل إحياؤه ؛ مبالغةً في إكرامه ، وتخصيصاً له بتعجيل جزيل إنعامه " [٢] .

كما يتبيّن فضل النبي ﷺ أيضاً : في كونه أول شافع ؛وأول من تقبل شفاعته يوم القيامة .

٥– أنه ﷺ صاحب لواء الحمد :

فقد ثبت من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أنه قال : قال رسول الله ﷺ : " أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؛ وَبِيَدِي لِوَاءُ الْحَمْدِ وَلَا فَخْرَ ؛ وَمَا مِنْ نَبِيٍّ يَوْمَئِذٍ آدَمُ فَمَنْ سِوَاهُ إِلَّا تَحْتَ لِوَائِي " [٣] .

قال الطيبي [٤]– رحمه الله – في توضيح المقصود بلواء الحمد : " لواء الحمد : عبارة عن الشهرة وانفراده بالحمد على رؤوس الخلائق ، ويحتمل أن يكون لحمده لواء يوم القيامة حقيقةً يسمّى : لواء الحمد " [٥] .

ويظهر من خلال النقل السابق :

أن لواء الحمد قد يكون حسياً أو معنوياً ؛ والراجح – والله تعالى أعلم – أنه لواء حسي حقيقي يحمله النبي ﷺ يوم القيامة ؛ ويكون الحامدون تحته كما جاء في الحديث .

٦– أنه ﷺ صاحب الدعوة المستجابة :

لقد أعطى الله تعالى لكل من الأنبياء والمرسلين – عليهم السلام – دعوة مستجابة؛

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الفضائل ، باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق (٤ / ١٧٨٢ ، رقم ٢٢٧٨) .

(٢) فيض القدير (٣ / ٤١) .

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه ، كتاب المناقب ، باب في فضل النبي ﷺ (٥ / ٥٨٧ ، رقم ٣٦١٥) ، وقال : "وهذا حديث حسن صحيح " . وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣ / ٤٨٦ ، رقم ٣٦١٥) .

(٤) هو : الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي ، من علماء : التفسير والحديث ، كان كريماً متواضعاً ، حسن المعتقد ، شديد الرد على الفلاسفة والمبتدعة ، ملازماً للجماعة ، مشتغلاً بالعلم ، من مؤلفاته : (التبيان في المعاني والبيان) ، و (الكاشف عن حقائق السنن) ، توفي سنة ٧٤٣هـ .انظر :الدرر الكامنة(٢ / ١٨٥– ١٨٦) . والبدر الطالع (١ / ٢٢٩ – ٢٣٠) .

(٥) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح (الكاشف عن حقائق السنن) ، الحسين بن محمد الطيبي ، تحقيق : د. عبد الحميد هنداوي ، ط١(مكة المكرمة : مكتبة نزار مصطفى الباز ، ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م)،(١١ / ٣٦٤٦) .

فتعجّلوا بها في الدنيا إلا رسولنا الكريم ﷺ ؛فإنه احتبأها شفاعة لأمته يوم القيامة ؛ وهذا من تمام وكمال شفقته ورحمته بالأمة .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : " لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ ؛ يَدْعُو بِهَا فَيُسْتَجَابُ لَهُ فَيُؤْتَاهَا ؛ وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ " (١) .

قال ابن بطّال – رحمه الله – عند شرحه للحديث : " وفي هذا الحديث بيان فضيلة نبينا ﷺ على سائر الأنبياء – عليهم السلام – حين آثر أمته بما خصه الله به من إجابة الدعوة بالشفاعة لهم ؛ ولم يجعل ذلك في خاصة نفسه وأهل بيته ؛ فجزاه الله عن أمته أفضل الجزاء ، وصلّى الله عليه أطيب الصلاة ؛ فهو كما وصفه الله : ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٢) " (٣) .

٧- أنه ﷺ أول من يقرع باب الجنة :

ومما ميّز به النبي ﷺ أن الجنة لا تفتح إلا على يديه ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ:" أَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ " (٤) .

٨- تفضيله ﷺ بمنزلة الوسيلة :

الوسيلة منزلة في الجنة خص الله تعالى بها نبيه محمد ﷺ ، كما جاء في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – أنه سمع النبي ﷺ يقول : " إِذَا سَمِعْتُمْ الْمُؤَذِّنَ؛ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ ؛ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْراً ، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ ؛ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ ؛ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ ؛ فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ " (٥) .

قال الشهاب الخفاجي – رحمه الله – في بيان وجه تخصيص الدعاء بالوسيلة بعد الآذان : " لمّا كان المؤذن يدعو الناس للصلاة ؛ وهي مقرّبة إلى الله ومعراج المؤمنين ؛ وهذا مما منّ الله به علينا بإرشاده وهدايته ؛ ناسب أن يجازى ذلك بالدعاء بالقرب من الله ورفعة

---

(١) تقدم تخريجه ص ٣٠٢ .

(٢) سورة التوبة ، من الآية : ١٢٨ .

(٣) شرح صحيح البخاري (١٠ / ٧٥) .

(٤) تقدم تخريجه ص ٣١٠.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الصلاة ، باب استحباب القول مثل قول المؤذن(١ / ٢٨٨ ، رقم ٣٨٤) .

المترلة ؛ فإن الجزاء من جنس العمل " [١] .

٩– إعطاؤه ﷺ الكوثر :

ومما فضّل به ربنا ﷻ حبيبه ونبيه ﷺ أن أعطاه الكوثر ، وهو نهر في الجنة .

قال تعالى : ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ﴾ [٢] .

وقال عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه أنس بن مالك ﷺ : " هَلْ تَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ ؟ "، قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال: " هُوَ نَهْرٌ أَعْطَانِيهِ رَبِّي ﷻ فِي الْجَنَّةِ ؛ عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ ، يَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، آنِيَتُهُ عَدَدُ الْكَوَاكِبِ ؛ يُخْتَلَجُ [٣] الْعَبْدُ مِنْهُمْ ، فَأَقُولُ : يَا رَبِّ ، إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي ، فَيُقَالُ لِي : إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ " [٤].

تلك بعض فضائل نبينا الكريم ورسولنا العظيم ﷺ الذي اختاره الله ﷻ ؛ ليكون رحمة للخلق أجمعين ؛ والتي فضّله بها على سائر الأنبياء والمرسلين عليهم السلام .



(١) نسيم الرياض (٣ / ٢٢٥) .

(٢) سورة الكوثر ، الآية : ١ .

(٣) يختلج : أي يجتذب ويقتطع ، وأصل الخلج : الجذب والترع . انظر : تهذيب اللغة،مادة (خلج)، (٧ / ٣٠) . والنهاية في غريب الحديث ، مادة (خلج) ، (٢ / ٥٩) .

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه ، كتاب صفة الجنة ، باب ما جاء في صفة طير الجنة (٤ / ٦٨٠ ، رقم ٢٥٤٢) ، وقال : " هذا حديث حسن غريب " . والنسائي في سننه الكبرى ، كتاب التفسير ، باب سورة الكوثر (٦ / ٥٢٣ ، رقم ١١٧٠٣) . وأحمد في مسنده – ط ١٤١٨هـ = ١٩٩٧م – (١٩ / ٥٥ ، رقم ١١٩٩٦) ، واللفظ له . والحاكم في المستدرك (٢ / ٥٨٥ ، رقم ٣٩٧٨) . وقال الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣ / ١٢ ، رقم ٢٥٤٢) : " حسن صحيح " .

المبحث الثالث

فضل أمة محمد ﷺ على سائر الأمم

لقد فضّل الله تعالى أمة محمد ﷺ وميّزها واختصها على غيرها من سائر الأمم بكرامات كثيرة ؛ لم تكن لها أن تتميّز وتتبوأ هذه المكانة وتلك الفضيلة إلا بتفضيل الله تعالى وتكريمه لنبيها ورسولها ﷺ .

ولقد دل حديثا أبي هريرة وأبي سعيد الخدري – رضي الله عنهما – على أفضلية أمة محمد ﷺ .

فقد جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه ما يبيّن فضلها من كونها أولى الأمم إجازةً على الصراط ودخولاً الجنة ، وذلك في قوله ﷺ كما عند مسلم : " وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ " .

كما جاء في حديث أبي سعيد رضي الله عنه ما يشير إلى مكانتها ؛ إذ جعل الله تعالى لها علامةً تعرفه بها يوم القيامة ، ألا وهي الساق ، وذلك في قوله ﷺ كما عند البخاري : " فَيَأْتِيهِمُ الجَبَّارُ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ، فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ ، فَيَقُولُونَ : أَنْتَ رَبُّنَا ؛ فَلاَ يُكَلِّمُهُ إِلَّا الأَنْبِيَاءُ ، فَيَقُولُ : هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ تَعْرِفُونَهُ ؟ فَيَقُولُونَ : السَّاقُ ؛ فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ " .

ومن فضائل الأمة المحمدية الواردة في الكتاب والسنة [1] – علاوةً على ما تقدم – :

١ – أنها خير الأمم وأفضلها :

قال تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [2] .

ولقد استحقت أمة محمد ﷺ تلك الخيرية ؛ لاتّباعها منهج الله عز وجل ، وقيامها بواجب النصيحة المتمثل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

قال الشيخ السّعدي – رحمه الله – في تفسير الآية السابقة : " هذا تفضيل من الله لهذه

(١) انظر الفضائل التالية وغيرها في : القول الأحمد في خصائص أمة محمد ، حاي بن سالم الحاي ، ط١ (الكويت : مكتبة دار النفائس ، ١٤١١هـ) .

(٢) سورة آل عمران ، من الآية : ١١٠ .

الأمة بهذه الأسباب التي تميّزوا بها وفاقوا بها سائر الأمم ؛ وأنهم خير الناس للناس ، نصحاً ، ومحبةً للخير ، ودعوةً ، وتعليماً ، وإرشاداً ، وأمراً بالمعروف ، ونهياً عن المنكر، وجمعاً بين تكميل الخلق والسعي في منافعهم بحسب الإمكان ، وبين تكميل النفس بالإيمان والقيام بحقوقه " [١] .

وعن معاوية بن حيدة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " نُكْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَبْعِينَ أُمَّةً ؛ نَحْنُ آخِرُهَا وَخَيْرُهَا " [٢] .

٢– أنها لا تجتمع على ضلالة :

من فضل الله تعالى ورحمته بأمة محمد ﷺ أنها لا تجتمع قط على ضلالة ؛ إذ لابد أن تظل طائفة منها قائمة على الحق ؛ وذلك كما جاء في حديث عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – أن رسول الله ﷺ قال : " إِنَّ اللَّهَ لَا يَجْمَعُ أُمَّتِي – أَوْ قَالَ : أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ – عَلَى ضَلَالَةٍ " [٣] .

قال ابن رجب – رحمه الله – : " فإن هذه الأمة لا تجتمع على ضلالة،ولا يظهر أهل باطلها على أهل حقها؛فلا يكون الحق مهجوراً غير معمول به في جميع الأمصار والأعصار " [٤] .

فلا يمكن أن يجتمع علماء الأمة كلهم على إثم ، أو خطأ ، أو معصية ، أو ضلالة ، أو بدعة ، أو انحراف أبداً ؛ ولا بد أن يوجد فيهم من يعرف الحق إلى قيام الساعة .

٣– أن الله تعالى حطّ عنها الآصار والأغلال :

من كرم الله سبحانه على أمة محمد ﷺ أن رفع عنها الحرج والعنت ؛ بوضع الآصار والأغلال التي كانت على من قبلها ؛ إذ بعث رسولها ﷺ بالحنيفية السمحة والمحجة البيضاء .

قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (١ / ٢٤٦) .

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه ، كتاب الزهد ، باب صفة أمة محمد ﷺ (٢ / ١٤٣٣ ، رقم ٤٢٨٧) . وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٣ / ٣٩٥ ، رقم ٣٤٧٩) .

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه ، كتاب الفتن ، باب ما جاء في لزوم الجماعة (٤ / ٤٦٦ ، رقم ٢١٦٧) ، وقال : " هذا حديث غريب من هذا الوجه " ، واللفظ له . والحاكم في المستدرك (١ / ٢٠١ ، رقم ٣٩٧) . وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢ / ٤٥٨ ، رقم ٢١٦٧) .

(٤) جامع العلوم والحكم (ص ٦٩) .

عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ [(١)].

قال القرطبي – رحمه الله – في تفسير الآصار والأغلال التي كانت على من قبلنا : " فإن بني إسرائيل قد كان أخذ عليهم عهد أن يقوموا بأعمال ثقال ؛ فوضع عنهم بمحمد ﷺ ذلك العهد وثقل تلك الأعمال : كغسل البول ، وتحليل الغنائم ، ومجالسة الحائض ومؤاكلتها ومضاجعتها ؛ فإنهم كانوا إذا أصاب ثوب أحدهم بول قرضه ،وإذا جمعوا الغنائم نزلت نار من السماء فأكلتها ، وإذا حاضت المرأة لم يقربوها .

ومن الأثقال : ترك الاشتغال يوم السبت ، و لم يكن فيهم الدية وإنما كان القصاص ، وأمروا بقتل أنفسهم علامة لتوبتهم ، إلى غير ذلك " [(٢)] .

٤– أنها مرحومة :

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ مَرْحُومَةٌ ، عَذَابُهَا بِأَيْدِيهَا؛فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ دُفِعَ إِلَى كُلِّ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ،فَيُقَالُ : هَذَا فِدَاؤُكَ مِنْ النَّارِ " [(٣)] .

٥– أنها تشهد على باقي الأمم :

من إكرام الله تعالى لأمة محمد ﷺ أن جعلها شاهدةً على الأمم السابقة ، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " يُجَاءُ بِنُوحٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيُقَالُ لَهُ : هَلْ بَلَّغْتَ ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ ، يَا رَبِّ ، فَتُسْأَلُ أُمَّتُهُ هَلْ بَلَّغَكُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : مَا جَاءَنَا مِنْ نَذِيرٍ ، فَيَقُولُ : مَنْ شُهُودُكَ ؟ فَيَقُولُ : مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ ؛ فَيُجَاءُ بِكُمْ فَتَشْهَدُونَ " ، ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [(٤)]، قال : " عَدْلاً " ﴿ لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ

(١) سورة الأعراف ، من الآية : ١٥٧ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٧ / ٣٠٠) بتصرف .

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه ، كتاب الزهد ، باب صفة أمة محمد ﷺ (٢ / ١٤٣٤ ، رقم ٤٢٩٢) . وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٣ / ٣٩٦ ، رقم ٣٤٨٣) .

(٤) سورة البقرة ، من الآية : ١٤٣ .

وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [(١)] [(٢)] .

فهذه الأمة تكون شاهدةً على الناس بما جاءها عن ربها سبحانه على لسان نبيها ﷺ ؛ فتشهد على تبليغ الرسل – عليهم السلام – رسالات الله تعالى لأممهم ونصحهم لها .

قال عبد العزيز بن عبد السلام [(٣)] – رحمه الله – وهو يعدّد خصائص الرسول ﷺ على غيره من الرسل – عليهم السلام – : " ومنها : أن الله تعالى نزّل أمته مترل العدول من الحكام ؛ فإن الله تعالى إذا حكم بين العباد فجحدت الأمم بتبليغ الرسالة أحضر أمة محمد ﷺ ؛ فيشهدون على الناس بأن رسلهم أبلغتهم ؛وهذه الخصيصة لم تثبت لأحد من الأنبياء" [(٤)] .

٦– أنها أولى الأمم حساباً ودخولاً الجنة يوم القيامة :

فعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال:" نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، بَيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا ؛ثُمَّ هَذَا يَوْمُهُمْ الَّذِي فُرِضَ عَلَيْهِمْ فَاخْتَلَفُوا فِيهِ فَهَدَانَا اللَّهُ ؛ فَالنَّاسُ لَنَا فِيهِ تَبَعٌ ، الْيَهُودُ غَدًا وَالنَّصَارَى بَعْدَ غَدٍ " [(٥)] .

قال ابن بطّال – رحمه الله – في معنى قوله ﷺ : " السَّابِقُونَ " : " يعني : أن أمته يسبقون سائر الأمم بالدخول في الجنة ؛ وهو الشافع ليقضى بين الخلائق يوم القيامة إذا اشتد بالناس العرق وطال بهم الوقوف ، فيمشى حتى يأخذ حلقة الباب ؛ فيومئذ يبعثه الله مقاماً محموداً يحمده أهل الجمع كلهم " [(٦)] .

فمع أن أمة محمد ﷺ آخر الأمم وجوداً ،ونبيها ﷺ هو خاتم الأنبياء – عليهم السلام –

---

(١) سورة البقرة ، من الآية : ١٤٣ .

(٢) تقدم تخريجه ص ٢٧٧ .

(٣) هو : عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم السلمي ، سلطان العلماء ، قرأ الأصول والعربية ، ودرس وأفتى وبرع في المذهب الشافعي ؛ حتى بلغ رتبة الاجتهاد ، كان ناسكاً ورعاً ، لا يخاف في الله تعالى لومة لائم ، ولي الخطابة والإمامة بالجامع الأموي ، من مؤلفاته : (القواعد الكبرى) ، و (مجاز القرآن)،توفي سنة ٦٦٠هـ . انظر : فوات الوفيات (١ / ٦٨٢ – ٦٨٣) . وطبقات الشافعية الكبرى (٨ / ٢٠٩ – ٢٥٤) .

(٤) بداية السول في تفضيل الرسول ، عبد العزيز بن عبد السلام السلمي ، تحقيق : محمد بن ناصر الدين الألباني ، ط٤ (بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤٠٦هـ) ، (ص ٦٩) .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الجمعة ، باب فرض الجمعة (١ / ٢٩٩ ، رقم ٨٣٦) ، واللفظ له . ومسلم في صحيحه ، كتاب الجمعة ، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة (٢ / ٥٨٦ ، رقم ٨٥٥) .

(٦) شرح صحيح البخاري (٢ / ٤٧٥) .

إلا أنهم هم السابقون يوم القيامة : يسبقون إلى الجنة وإلى الثواب .

٧- أنها أكثر أهل الجنة :

فعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال:كنا مع النبي ﷺ في قبّة ، فقال : " أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؟ " ، قلنا : نعم ، قال : " أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؟ " ، قلنا : نعم ، قال : " أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؟ " ، قلنا : نعم ، قال : " وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ " (١) .

قال الإمام النووي – رحمه الله – مبيّناً الفائدة من بدء النبي ﷺ أولاً بالربع،ثم الثلث ، ثم الشطر :" إن ذلك أوقع في نفوسهم وأبلغ في إكرامهم ؛ فإن إعطاء الإنسان مرة بعد أخرى دليل على الاعتناء به ودوام ملاحظته .

وفيه فائدة أخرى : هي تكريره البشارة مرة بعد أخرى .

وفيه أيضاً : حملهم على تجديد شكر الله تعالى ،وتكبيره ،وحمده على كثرة نعمه " (٢) .

إلى غير ذلك من الفضائل التي تبيّن ما لأمة محمد ﷺ من مكانة ، ومترلة ، وخصوصية من بين سائر الأمم .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الرقاق ، باب كيف الحشر (٥ / ٢٣٩٢ ، رقم ٦١٦٣) ، واللفظ له .
ومسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب كون هذه الأمة نصف أهل الجنة (١ / ٢٠٠ ، رقم ٢٢١) .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٣ / ٩٥) .



الفصل الثالث

الفصل الثالث

دلالة الحديثين على حكم مرتكب الكبيرة

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : تعريف الكبيرة

المبحث الثاني : حكم مرتكب الكبيرة

وفيه تمهيد وثلاثة مطالب :

المطلب الأول : حكم مرتكب الكبيرة عند أهل السنة

المطلب الثاني : حكم مرتكب الكبيرة عند الفرق المخالفة

المطلب الثالث : شبه الخوارج على معتقدهم في مرتكب الكبيرة والرد عليها

المبحث الأول

تعريف الكبيرة

الكبيرة في اللغة :

قال ابن فارس : " الكاف، والباء، والراء أصل صحيح يدل على خلاف الصغر ، يقال : هو كبير ، وكُبار ، وكُبّار، قال الله تعالى : ﴿ وَمَكَرُوا۟ مَكۡرًا كُبَّارًا ﴾ [١] " [٢] .

" والجمع : كِبار وكُبّارون " [٣] .

والكِبْر يطلق على معانٍ ، منها :

المعنى الأول : " العظمة ، يقال : أكبرت الشيء إذا استعظمته " [٤] .

المعنى الثاني :" الإثم الكبير وما وعد الله تعالى عليه النار ، وفي التنزيل العزيز : ﴿ ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ ﴾[٥] " [٦] .

الكبيرة في الاصطلاح :

اختلف العلماء في تعريف الكبيرة اصطلاحاً على أقوال كثيرة ؛ إلا أن اختلافهم كما بيّن الإمام ابن القيّم –رحمه الله– لا يرجع إلى تباين أو تضاد ، بل إن أقوالهم متقاربة [٧] .

وكان للعلماء في ذلك طرق كثيرة : فمنهم من عدّها بعدد ، ومنهم من وصفها بوصف ، ومنهم من لم يصفها .

أمّا من عدّها بعدد ، فقال : هي سبع ، وهذا القول مروي عن علي بن أبي طالب [٨] رضي الله عنه .

---

(١) سورة نوح ، الآية : ٢٢ .

(٢) معجم مقاييس اللغة ، مادة (كبر) ، (٥ / ١٥٣) .

(٣) لسان العرب ، مادة (كبر) ، (٥ / ١٢٦) .

(٤) معجم مقاييس اللغة ، مادة (كبر) ، (٥ / ١٥٤) .

(٥) سورة النجم ، من الآية : ٣٢ .

(٦) لسان العرب ، مادة (كبر) ، (٥ / ١٢٩) .

(٧) انظر : مدارج السالكين (١ / ٣٢٠) .

(٨) أخرجه الطبري في جامع البيان (٥ / ٣٧) .

وقيل : هي تسع ، وهذا مروي عن عبد الله بن عمر[١] رضي الله عنهما .

وقيل : هي أقرب إلى السبعين ، وهذا مروي عن ابن عباس [٢] رضي الله عنهما .

وأمّا من لم يصفها ، فقال : إنها مبهمة لا تعلم أصلاً ، بل أخفيت كليلة القدر ، وهذا القول منقول عن أبي الحسن الواحدي [٣] [٤] رحمه الله .

وأمّا من وصفها فذكر في ذلك أقوالاً ، من أشهرها ما يلي :

١– قال ابن عباس – رضي الله عنهما – الكبيرة هي : " كل ما نهى الله عنه " [٥] .

٢– وقال أيضاً في تعريفها : " كل ذنب ختمه الله بنار ، أو غضب ، أو لعنة ، أو عذاب " [٦].

٣– وعرّفها القرطبي – رحمه الله – بأنها : " كل ذنب عظّم الشارع التوعد عليه بالعقاب وشدّده ، أو عظم ضرره في الوجود " [٧].

ولعل التعريف الثاني الوارد في وصف الكبيرة أرجح التعريفات وأقربها للصواب ؛ لعدة اعتبارات ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – ومن أهمها [٨] :

١– أنه التعريف المأثور عن السلف بخلاف غيره .

٢– أن الله تعالى قال : ﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾ [٩] .

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان (٥ / ٣٩) .

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان (٥ / ٤١) .

(٣) هو : علي بن أحمد بن محمد الواحدي ، أبو الحسن ، كان واحد عصره في التفسير ،فقيهاً إماماً في النحو واللغة ، تصدر للإفادة وللتدريس مدة ، وله شعر حسن ، من مؤلفاته : (أسباب النزول) ، و (الوجيز) ، توفي سنة ٤٦٨هـ . انظر : طبقات الشافعية (١ / ٢٥٦ – ٢٥٨) . وطبقات المفسرين للسيوطي (ص ٧٨ – ٧٩) .

(٤) انظر : شرح النووي على صحيح مسلم (٢ / ٨٦) .

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان (٥ / ٤٠) . والطبراني في المعجم الكبير (١٨ / ١٤٠ ، رقم ٢٩٣) . والبيهقي في شعب الإيمان (١ / ٢٧٣ ، رقم ٢٩٢) . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ١٠٣) : " رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات " .

(٦) أخرجه الطبري في جامع البيان (٥ / ٤١) ، واللفظ له.والبيهقي في شعب الإيمان (١ / ٢٧١ ، رقم ٢٩٠) .

(٧) الجامع لأحكام القرآن (٥ / ١٦٠– ١٦١) .

(٨) انظر : مجموع الفتاوى (١١ / ٦٥١ ، ٦٥٤ – ٦٥٥) .

(٩) سورة النساء ، الآية : ٣١ .

فلا يستحق هذا الوعد الكريم من أوعد بغضب الله تعالى ، أو لعنته ، أو ناره ، وكذلك من استحق أن يقام عليه الحد ؛ ما لم تكن سيئاته مكفّرة عنه باجتناب الكبائر .

٣- أن هذا الحد متلقى من خطاب الشارع ؛ فمردّه إلى ما ذكره الله تعالى ورسوله ﷺ من الذنوب .

٤- أن هذا الضابط يمكن التفريق به بين الكبائر والصغائر بخلاف غيره .

٥- أن هذا الضابط يسلم من القوادح الواردة على غيره ؛ فإنه يدخل فيه كل ما ثبت بالنص أنه كبيرة : كالشرك ، والقتل ، والزنا ، والسحر ، ونحو ذلك مما فيه حد في الدنيا . وما ترتّب عليه وعيد في الآخرة : كالفرار من الزحف ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا ، وعقوق الوالدين ، وشهادة الزور ، وغير ذلك .

وهذا التعريف هو ما اختاره أيضاً ابن أبي العز – رحمه الله – إذ قال عنه بعد أن نقل الاختلاف في ضابط الكبيرة : " وهذا أمثل الأقوال " [1] .

وكذا الحافظ ابن حجر – رحمه الله – حيث قال : " كل ما توعد عليه باللعن أو العذاب ، أو شرع فيه حد فهو كبيرة ؛ وهو المعتمد " [2] .

(١) شرح العقيدة الطحاوية (٢ / ٥٦٣) .

(٢) فتح الباري (١٢ / ١٨١) .

المبحث الثاني
حكم مرتكب الكبيرة

تمهيد :

دل حديثا أبي هريرة وأبي سعيد الخدري – رضي الله عنهما – على حكم مرتكب الكبيرة ، وذلك في قوله ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه كما عند البخاري : " حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللَّهُ مِنَ القَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِهِ ، وَأَرَادَ أَنْ يُخرِجَ مِنَ النَّارِ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ ، مِمَّنْ كَانَ يَشْهَدُ : أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ؛ أَمَرَ المَلائِكَةَ أَنْ يُخرِجُوهُمْ ، فَيَعْرِفُونَهُمْ بِعَلامَةِ آثَارِ السُّجُودِ ؛ وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ مِنَ ابْنِ آدَمَ أَثَرَ السُّجُودِ ؛ فَيُخْرِجُونَهُمْ قَدْ امْتُحِشُوا؛ فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءٌ ، يُقَالُ لَهُ : مَاءُ الحَيَاةِ ؛ فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الحِبَّةِ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ " .

وفي قوله ﷺ من حديث أبي سعيد رضي الله عنه كما عند مسلم :" يُدْخِلُ اللَّهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ ؛ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ بِرَحْمَتِهِ ، وَيُدْخِلُ أَهْلَ النَّارِ النَّارَ ، ثُمَّ يَقُولُ : انْظُرُوا مَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ ؛ فَيُخْرَجُونَ مِنْهَا حُمَماً قَدْ امْتَحَشُوا ؛ فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرِ الْحَيَاةِ أَوِ الْحَيَا ؛ فَيَنْبُتُونَ فِيهِ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ إِلَى جَانِبِ السَّيْلِ ، أَلَمْ تَرَوْهَا كَيْفَ تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً ؟ " .

ففي هذين الحديثين دلالة واضحة على أن الكبائر لا يكفر فاعلها ولا يخلّد في النار ؛ كما هو مذهب أهل السنة والذي سيأتي تفصيله فيما بعد .

والحكم على مرتكب الكبيرة من عصاة الموحدين من المسائل التي وقع فيها النزاع بين أهل السنة وغيرهم من الطوائف المبتدعة ؛ حيث كان سبب أول خلاف حدث في الملة كما ذكر ذلك المصنّفون في أبواب الاعتقاد .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : " كان الناس في قديم الزمان قد اختلفوا في الفاسق الملي ؛ وهو أول اختلاف حدث في الملة : هل هو كافر أو مؤمن ؟

فقالت الخوارج : إنه كافر .

وقالت الجماعة : إنه مؤمن .

وقالت طائفة : نقول : هو فاسق لا مؤمن ولا كافر ؛ نترله مترلة بين المترلتين ،

وخلّدوه في النار ؛ واعتزلـوا حلقة الحسن البصري – رحمه الله – وأصحـابه فسمّـوا : معتزلة " (١) .

ويقول ابن رجب – رحمه الله – : " وهذه المسائل – أعني:مسائل الإسلام ، والإيمان ، والكفر ، والنفاق – مسائل عظيمة جداً ؛ فإن الله ﷻ علّق بهذه الأسماء السعادة،والشقاوة ، واستحقاق الجنة والنار .

والاختلاف في مسمّياتها أول اختلاف وقع في هذه الأمة ، وهو خلاف الخوارج للصحابة ؛ حيث أخرجوا عصاة الموحدين من الإسلام بالكلّية وأدخلوهم في دائرة الكفر ، وعاملوهم معاملة الكفار ؛ واستحلّوا بذلك دماء المسلمين وأموالهم ، ثم حدث بعدهم خلاف المعتزلة ، وقولهم بالمترلة بين المترلتين ، ثم حدث خلاف المرجئة ، وقولهم : إن الفاسق مؤمن كامل الإيمان " (٢) .

فالحاصل :

أن الخلاف في حكم مرتكب الكبيرة – أو الفاسق الملي – من أعظم الخلافـات الـتي نجمت عنها البدع وافترقت بسببها الأمة .

هذا ولمرتكب الكبيرة عند أهل السنة ومخالفيهم من أهل البدع والضلالة أحكام تتعلّق به : منها ما يكون في الدنيا ، ومنها ما يكون في الآخرة ، وتفصيل ذلك في المطالب التالية :

---

(١) مجموع الفتاوى (٣ / ١٨٢- ١٨٣) .

(٢) جامع العلوم والحكم (ص ٣٠) .

المطلب الأول

حكم مرتكب الكبيرة عند أهل السنة

لقد بنى أهل السنة والجماعة مذهبهم في حكم مرتكب الكبيرة في الدنيا والآخرة على أصل عظيم : وهو إثبات التبعيض في مسمّى الإيمان وحكمه .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : " وأمّا أئمة السنة والجماعة فعلى إثبات التبعيض في الاسم والحكم ؛ فيكون مع الرجل بعض الإيمان لا كله ، ويثبت له من حكم أهل الإيمان وثوابهم بحسب ما معه ؛ كما يثبت له من العقاب بحسب ما عليه " [١] .

ويتمثل معتقد أهل السنة في مرتكب الكبيرة من خلال المسائل التالية :

المسألة الأولى : مسمّى مرتكب الكبيرة في الدنيا :

ذهب أهل السنة والجماعة إلى أن مرتكب الكبيرة من حيث الاسم : مؤمن ناقص الإيمان ، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ؛ ولهذا كانوا ينصّون في كتب العقائد بأنهم لا يكفّرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر ؛ وذلك ما لم يستحلّوها .

قال الإمام أبو حنيفة – رحمه الله – : " ولا نكفّر مسلماً بذنب من الذنوب وإن كانت كبيرة ؛ إذا لم يستحلّها " [٢] .

وقال الإمام القاسم بن سلّام – رحمه الله – : " إن المعاصي والذنوب لا تزيل إيماناً ولا توجب كفراً ؛ ولكنها إنما تنفي من الإيمان حقيقته وإخلاصه الذي نعت الله به أهله ، واشترط عليهم في مواضع من كتابه " [٣] .

وقد عقد الإمام البخاري – رحمه الله – باباً في كتاب الإيمان من صحيحه ؛ قطع فيه بأن المعاصي لا يكفر مرتكبها ، حيث قال : " باب المعاصي من أمر الجاهلية ؛ ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك " [٤] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في أثناء الحديث عن أصول اعتقاد أهل

---

(١) شرح العقيدة الأصفهانية (ص ١٨٣) .

(٢) الشرح الميسر على الفقهين الأبسط والأكبر (ص ٤٣) .

(٣) كتاب الإيمان ومعالمه وسننه واستكماله ودرجاته ، القاسم بن سلام الهروي ، تحقيق : محمد بن ناصر الدين الألباني ، ط١ (الرياض : مكتبة المعارف ، ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م) ، (ص ٧٨) .

(٤) صحيح البخاري (١ / ٢٠) .

السنة والجماعة : " لا يكفّرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر كما يفعله الخوارج ؛ بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي ؛ كما قال سبحانه في آية القصاص : ﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ (١) .

ولا يسلبون الفاسق الملي الإسلام بالكلّية ولا يخلّدونه في النار كما تقوله المعتزلة ؛ بل الفاسق يدخل في اسم :الإيمان المطلق؛كما في قوله تعالى: ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾ (٢) ، وقد لا يدخل في اسم : الإيمان المطلق ؛ كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (٣) .

ونقول : هو مؤمن ناقص الإيمان ، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ؛ فلا يعطى الاسم المطلق ، ولا يسلب مطلق الاسم (٤) بكبيرته " (٥) .

ويتبيّن من خلال النقول السابقة وغيرها مما يصعب حصره من كلام أئمة أهل السنة: اتفاقهم على أن مرتكب الكبيرة لا يكفر بمعصيته ؛ وأنه لا يبلغ درجة الإيمان المطلق كما لا يسلب مطلق الإيمان .

المسألة الثانية : مصير مرتكب الكبيرة في الآخرة :

ذهب أهل السنة إلى أن مرتكب الكبيرة من الموحدين ؛ إذا مات بدون توبة فهو تحت مشيئة الله تعالى : إن شاء غفر له برحمته وفضله وأدخله الجنة ، وإن شاء عذّبه بعدله دون أن يخلّده في النار .

قال الإمام أحمد – رحمه الله – : " ويخرج الرجل من الإيمان إلى الإسلام ؛ ولا يخرجه

(١) سورة البقرة ، من الآية : ١٧٨ .

(٢) سورة النساء ، من الآية : ٩٢ .

(٣) سورة الأنفال ، الآية : ٢ .

(٤) الفرق بين الإيمان المطلق ومطلق الإيمان كما ذكر ابن القيم في بدائع الفوائد (٤ / ٨٢١ – ٨٢٢) :

١– أن الإيمان المطلق لا يطلق إلا على الإيمان الكامل الكمال المأمور به ؛ أما مطلق الإيمان فيطلق على الكامل والناقص .

٢– أن الإيمان المطلق يمنع دخول النار ؛ أما مطلق الإيمان فيمنع الخلود فيها .

(٥) شرح العقيدة الواسطية (ص ٥٩٧ – ٦٠٦) .

من الإسلام شيء إلا الشرك بالله العظيم ، أو بردّ فريضة من فرائض الله تعالى جاحداً بها ؛ فإن تركها كسلاً أو تهاوناً كان في مشيئة الله : إن شاء عذّبه ، وإن شاء عفا عنه " (١) .

ونقل شيخ الإسلام أبو عثمان الصابوني – رحمه الله – اعتقاد أهل السنة والجماعة ، فقال : " ويعتقد أهل السنة أن المؤمن وإن أذنب ذنوباً كثيرةً صغائر وكبائر ؛ فإنه لا يكفر بها ، وإن خرج عن الدنيا غير تائب منها ومات على التوحيد والإخلاص ؛ فإن أمره إلى الله عَزَّ وَجَلَّ : إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة يوم القيامة سالماً غانماً غير مبتلىً بالنار ؛ ولا معاقباً على ما ارتكبه واكتسبه ثم استصحبه – إلى يوم القيامة – من الآثام والأوزار ، وإن شاء عاقبه وعذّبه مدة بعذاب النار ؛وإذا عذّبه لم يخلّده فيها بل أعتقه وأخرجه منها إلى نعيم دار القرار " (٢) .

وقال الإمام ابن عبد البرّ – رحمه الله – : " فإن مات صاحب الكبيرة فمصيره إلى الله : إن شاء غفر له ، وإن شاء عذّبه ؛ فإن عذّبه فبجرمه ؛ وإن عفا عنه فهو أهل العفو وأهل المغفرة ، وان تاب قبل الموت وقبل حضوره ومعاينته ، وندم واعتقد أن لا يعود واستغفر ووجل ؛ كان كمن لم يذنب ؛ وبهذا كله الآثار الصحاح عن السلف قد جاءت ؛ وعليه جماعة علماء المسلمين " (٣) .

وقال الإمام البغوي – رحمه الله – : " اتفق أهل السنة على أن المؤمن لا يخرج عن الإيمان بارتكاب شيء من الكبائر ؛ إذا لم يعتقد إباحتها ؛ وإذا عمل شيئاً منها فمات قبل التوبة لا يخلّد في النار بل هو إلى الله : إن شاء عفا عنه ، وإن شاء عاقبه بقدر ذنوبه ثم أدخله الجنة برحمته " (٤) .

وهكذا يتقرّر مذهب أهل السنة ؛ فالمذنب الموحد إن تاب فتوبته مقبولة ؛ وإن مات ولم يتب فأمره عائد إلى الله تعالى : إن شاء عفا عنه ابتداءً وأدخله الجنة ، وإن شاء عذّبه على قدر ذنوبه لكن مآله في آخر الأمر إلى الجنة .

المسألة الثالثة : أدلة أهل السنة والجماعة على معتقدهم في مرتكب الكبيرة :

لقد استدل أهل السنة على قولهم في مرتكب الكبيرة بأنواع من الأدلة ، وبيانها على

(١) انظر : طبقات الحنابلة (١ / ٣٤٣) .
(٢) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص ٢٧٦) .
(٣) التمهيد (٤ / ٤٩) .
(٤) شرح السنة (١ / ١٠٣) .

النحو التالي :

أ – دلالة الكتاب :

ومن أدلة الكتاب :

قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَـٰنٍ ۗ ﴾ (١) .

قال الإمام البغوي – رحمه الله – عند تفسيره لهذه الآية : " وفي الآية دليل على أن القاتل لا يصير كافراً بالقتل ؛ لأن الله تعالى خاطبه بعد القتل بخطاب الإيمان ، فقال : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ ﴾ (٢)،وقال في آخر الآية: ﴿ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ ﴾ (٣) وأراد به : أخوة الإيمان ؛ فلم يقطع الأخوة بينهما بالقتل " (٤) .

وقوله سبحانه : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ۖ ﴾ (٥) .

وقد بوّب الإمام البخاري – رحمه الله – بهذه الآية في كتاب الإيمان من صحيحه ؛ واستدل بها على أن المؤمن إذا ارتكب معصية لا يكفر ؛ لأن الله تعالى أبقى عليه اسم : الإيمان مع ارتكابه لكبيرة القتل (٦) .

إلى غير ذلك من الآيات التي تخاطب أهل الذنوب والكبائر بلفظ الإيمان .

وقوله ﷻ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ ﴾ (٧) .

قال الإمام ابن جرير الطّبري – رحمه الله – : " وقد أبانت هذه الآية أن كل صاحب كبيرة ففي مشيئة الله : إن شاء عفا عنه ،وإن شاء عاقبه عليه ما لم تكن كبيرة شركاً

---

(١) سورة البقرة ، من الآية : ١٧٨ .
(٢) سورة البقرة ، من الآية : ١٧٨ .
(٣) سورة البقرة ، من الآية : ١٧٨ .
(٤) تفسير البغوي (١ / ١٤٦) .
(٥) سورة الحجرات ، من الآية : ٩ .
(٦) انظر : صحيح البخاري (١ / ٢٠) .
(٧) سورة النساء ، من الآية : ٤٨ .

بالله " [(١)] .

ب – دلالة السنة :

ومن أدلة السنة – إضافةً إلى ما سبق – :

ما رواه عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : كنا مع رسول الله ﷺ في مجلس ، فقال : "تُبَايِعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئاً،وَلَا تَزْنُوا ،وَلَا تَسْرِقُوا ،وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ؛ فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ؛ وَمَنْ أَصَابَ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ فَعُوقِبَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ ؛ وَمَنْ أَصَابَ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ فَسَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ فَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ : إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ " [(٢)] .

يقول الإمام المروزي [(٣)] – رحمه الله – معلّقاً على هذا الحديث : " فيه : دلالتان على أن السارق ، والزاني ، ومن ذكر في هذا الحديث غير خارجين من الإيمان بأسره :

إحداهما: قوله ﷺ : " وَمَنْ أَصَابَ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ فَعُوقِبَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ " ؛ والحدود لا تكون كفارات إلا للمؤمنين .

والثانية: قوله ﷺ : " إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ " هو نظير قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [(٤)] ؛ وهو يدل على أن الله تعالى لا يغفر الشرك لمن مات عليه وهو غير تائب منه ، وأنه يغفر ما دونه لمن يشاء ممن مات وهو غير تائب منه ؛ ولا يجوز أن يغفر له الله تعالى ويدخله الجنة إلا وهو مؤمن " [(٥)] .

وعن أبي ذر الغِفاري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " أَتَانِي آتٍ مِنْ رَبِّي ؛ فَأَخْبَرَنِي –

---

(١) جامع البيان (٥ / ١٢٦) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأحكام ، باب بيعة النساء (٦ / ٢٦٣٧ ، رقم ٦٧٨٧) . ومسلم في صحيحه ، كتاب الحدود ، باب الحدود كفارات لأهلها (٣ / ١٣٣٣ ، رقم ١٧٠٩) ، واللفظ له .

(٣) هو : محمد بن نصر المروزي ، أبو عبد الله ، أحد الأئمة الأعلام ، تفقه على أصحاب الإمام الشافعي بمصر ، وكان أعلم أهل زمانه بالاختلاف ، وأكثرهم صيانةً للعلم ،من مؤلفاته :(تعظيم قدر الصلاة)،و(قيام الليل) ، توفي سنة ٢٩٤ هـ . انظر : الثقات (٩ / ١٥٣– ١٥٤) . وطبقات الشافعية (١ / ٨٤ – ٨٥) .

(٤) سورة النساء ، من الآية : ٤٨ .

(٥) تعظيم قدر الصلاة ، محمد بن نصر المروزي ، تحقيق : د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي ، ط١(المدينة المنورة : مكتبة الدار ، ١٤٠٦هـ) ، (٢ / ٦١٦ – ٦١٧) بتصرف .

أو قال : بَشَّرَنِي – : أَنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً دَخَلَ الْجَنَّةَ " ،قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : " وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ " [١] .

قال الإمام النووي – رحمه الله – : " وأمّا قوله ﷺ : " وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ " فهو حجة لمذهب أهل السنة أن أصحاب الكبائر لا يقطع لهم بالنار ؛ وأنهم إن دخلوها أخرجوا منها وختم لهم بالخلود في الجنة " [٢] .

إلى غير ذلك من الأحاديث التي هي في هذا الباب أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تشهر .

ج – دلالة الإجماع :

لقد أجمع السلف الصالح على أن صاحب الكبيرة مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ؛ وأنه تحت مشيئة الله تعالى في الآخرة .

قال الإمام ابن بطّة العُكبَري – رحمه الله – : " وقد أجمعت العلماء – لا خلاف بينهم– أنه لا يكفّر أحد من أهل القبلة بذنب ، ولا نخرجه من الإسلام بمعصية ؛ نرجو للمحسن ، ونخاف على المسيء " [٣] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – مبيّناً أقوال الخوارج والمعتزلة في الفاسق الملي : " وهؤلاء يقولون : إن أهل الكبائر يخلّدون في النار وإن أحداً منهم لا يخرج منها ؛ وهذا من مقالات أهل البدع التي دل الكتاب ، والسنة ، وإجماع الصحابة والتابعين لهم بإحسان على خلافها " [٤] .



(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الجنائز ، باب في الجنائز (١ / ٤١٧ ، رقم ١١٨٠) ، واللفظ له . ومسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة (١ / ٩٤ ، رقم ٩٤) .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٢ / ٩٧) .

(٣) الشرح والإبانة على أصول السنة (ص ٢٩٢) .

(٤) مجموع الفتاوى (٧ / ٦٧٠) .

المطلب الثاني
حكم مرتكب الكبيرة عند الفرق المخالفة

إن الحكم على مرتكب الكبيرة من المسائل التي كانت سبباً في ضلال بعض الفرق ؛ وذلك إمّا للجهل بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، أو للاعتماد على العقل وتحكيمه في النصوص الشرعية ، أو لاتّباع الأهواء والشبهات .

ومن أبرز من خالف أهل السنة والجماعة في حكم مرتكب الكبيرة ثلاث فرق ، وهي :

الفرقة الأولى : الخوارج .

الفرقة الثانية : المعتزلة .

الفرقة الثالثة : المرجئة .

وهذا الاختلاف بين أهل السنة والفرق الضالة ؛ إنما هو ناشئ عن طبيعة الخلاف بينهم في الإيمان ومسائله ؛ حيث ظنت تلك الفرق أن الإيمان شيء واحد لا يتجزأ ولا يتبعض إذا ذهب بعضه ذهب كله .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : " وأصل نزاع هذه الفرق في الإيمان : من الخوارج ، والمرجئة ، والمعتزلة ، والجهمية ، وغيرهم : أنهم جعلوا الإيمان شيئاً واحداً إذا زال بعضه زال جميعه ؛ وإذا ثبت بعضه ثبت جميعه ؛ فلم يقولوا بذهاب بعضه وبقاء بعضه " [(١)] .

وفيما يلي خلاصة لمقالات الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة في مرتكب الكبيرة ، كما قرّروها بأنفسهم ، وكما نقلها عنهم مؤرخو الفرق ومحرّرو العقيدة من العلماء .

أولاً – الخوارج :

ويتمثل معتقدهم في مرتكب الكبيرة من خلال المسائل التالية :

المسألة الأولى : مسمّى مرتكب الكبيرة في الدنيا :

ذهب الخوارج إلى أن مرتكب الكبيرة كافر خارج من دائرة الإسلام ، وقد أجمعت على ذلك سائر فرقهم إلا النجدات [(٢)] والإباضية ؛ حيث ذهبت هاتان الفرقتان إلى أن

---

(١) مجموع الفتاوى (٧ / ٥١٠) .

(٢) النجدات : فرقة من فرق الخوارج ، وهم أتباع نجدة بن عامر النخعي .

ومن معتقداتهم : وجوب قتل من خالفهم ، وعدم الحاجة إلى الإمام وجواز نصبه ، وأن التقية جائزة في القول والعمل كله . انظر : الملل والنحل (١ / ١٢٢- ١٢٥) . واعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص ٤٧) .

مرتكب الكبيرة كافر كفر نعمة لا كفر ملة ، كما نصت بذلك كتب المقالات والفرق .

قال الشهرستاني – رحمه الله – في حكاية مذهب الخوارج : " ويكفّرون أصحاب الكبائر " (١) .

ويقول الرازي – رحمه الله – في وصف معتقدهم في مرتكب الكبيرة : " سائر فرقهم متفقون على أن العبد يصير كافراً بالذنب " (٢) .

أمّا عن النجدات فيقول عبد القاهر البغدادي – رحمه الله – : " وقد قالت النجدات : إن صاحب الكبيرة من موافقتهم كافر نعمة وليس فيه كفر دين " (٣) .

وعن معتقد الإباضية يقول الإيجي (٤) – رحمه الله – : " ومرتكب الكبيرة كافر كفر نعمة لا ملة " (٥) .

وبناءً على ذلك ؛ فقد أجرى الخوارج أحكام الكفار على أهل المعاصي من حيث استباحة دمائهم وأموالهم .

يقول أبو الحسن الأشعري – رحمه الله – : " وأمّا السيف؛فإن الخوارج تقول به وتراه ، إلا أن الإباضية لا ترى اعتراض الناس بالسيف ؛ ولكنهم يرون إزالة أئمة الجور ومنعهم من أن يكونوا أئمة بأي شيء قدروا عليه بالسيف أو بغير السيف " (٦) .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في وصف الخوارج : " وهم أول من كفّر أهل القبلة بالذنوب بل بما يرونه هم من الذنوب ؛ واستحلّوا دماء أهل القبلة بذلك " (٧) .

المسألة الثانية : مصير مرتكب الكبيرة في الآخرة :

ذهب الخوارج – عدا النجدات منهم – إلى أن مرتكب الكبيرة إذا مات على كبيرته

(١) الملل والنحل (١ / ١١٥) .

(٢) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص ٤٦) .

(٣) الفرق بين الفرق (ص ٥٦) .

(٤) هو : عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار الإيجي ، كان إماماً في المعقولات ، والنحو ، والأصول،والمعاني والبيان ، مشاركاً في الفقه ، ولي قضاء المماليك ، وكانت له كلمة نافذة ، من مؤلفاته : (القواعد الغياثية) ، و(كتاب المواقف)، توفي سنة ٧٥٦هـ .انظر : السلوك لمعرفة دول الملوك ، أحمد بن علي المقريزي ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، ط١ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٨هـ = ١٩٩٧م) ، (٤ / ٢١٧) . وطبقات الشافعية (٣ / ٢٧ – ٢٩) .

(٥) كتاب المواقف (٣ / ٧٠٠) .

(٦) مقالات الإسلاميين (ص ١٢٥) .

(٧) مجموع الفتاوى (٧ / ٤٨١) .

من غير توبة ؛ فهو في النار خالداً مخلّداً فيها مع سائر الكفار .

قال أبو الحسن الأشعري – رحمه الله – في وصف مذهبهم : " وأجمعوا على أن الله سبحانه يعذّب أصحاب الكبائر عذاباً دائماً إلا النجدات " (١) .

وقال الإسفراييني (٢) – رحمه الله – عن الخوارج : " إنهم يزعمون أن كل من أذنب ذنباً من أمة محمد ﷺ فهو كافر ؛ ويكون في النار خالداً مخلّداً إلا النجدات منهم " (٣) .

وقال عبد الله السالمي الإباضي عند تعداده لمذاهب الناس في الخلود في الجنة والنار : "المذهب الخامس: أن أهل الكبائر من معاصي الله : كانوا مشركين أو فاسقين مخلّدون في النار دائماً ، وهو مذهب أهل الاستقامة " (٤) .

وأمّا النجدات فقالوا كما نقل عنهم أبو الحسن الأشعري – رحمه الله – : " لا ندري لعل الله يعذّب المؤمنين بذنوبهم ؛ فإن فعل فإنما يعذّبهم في غير النار بقدر ذنوبهم ؛ ولا يخلّدهم في العذاب ثم يدخلهم الجنة " (٥) .

ثانياً – المعتزلة :

ويتمثل معتقدهم في مرتكب الكبيرة من خلال المسائل التالية :

المسألة الأولى : مسمّى مرتكب الكبيرة في الدنيا :

ذهبت المعتزلة إلى أن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر ؛ ولكنه في مترلة بين المترلتين .

يقول القاضي عبد الجبّار المعتزلي مبيّناً معنى المترلة بين المترلتين :" والأصل في ذلك : أن هذه العبارة إنما تستعمل في شيء بين شيئين ؛ ينجذب إلى كل واحد منهما بشبه ، هذا في أصل اللغة .

وأمّا في اصطلاح المتكلمين: فهو العلم بأن لصاحب الكبيرة اسماً بين الاسمين ، وحكماً

---

(١) مقالات الإسلاميين (ص ٨٦) .

(٢) هو : شهفور بن طاهر بن محمد الإسفراييني ، أبو المظفر ، العالم الفاضل ، الحافظ المدقق ، الإمام الأصولي ، الفقيه المفسر ، سافر في طلب العلم ، من مصنفاته : (التبصير في الدين) ، و (التفسير الكبير) ، توفي سنة ٤٧١هـ . انظر : طبقات الشافعية الكبرى (٥ / ١١) . وطبقات المفسرين للداودي (ص ١٣٠) .

(٣) التبصير في الدين (ص ٤٥) .

(٤) مشارق أنوار العقول (٢ / ١٤٣) .

(٥) مقالات الإسلاميين (ص ٩١) .

بين الحكمين " [١] .

ثم تعرّض لشرح هذا التعريف ، فقال : " صاحب الكبيرة له اسم بين الاسمين ، وحكم بين الحكمين : لا يكون اسمه اسم : الكافر ، ولا اسمه اسم : المؤمن ؛ وإنما يسمّى : فاسقاً .

وكذلك فلا يكون حكمه : حكم الكافر ، ولا حكم المؤمن ؛بل يفرد له حكم ثالث ؛ فإن صاحب الكبيرة له مترلة تتجاذبها هاتان المترلتان ، فليست مترلته مترلة الكافر ولا مترلة المؤمن بل له مترلة بينهما " [٢] .

وهذا المذهب في مرتكب الكبيرة – أعني : المترلة بين المترلتين – تذكره كتب الفرق على أنه أحد الأصول التي قام عليها الاعتزال ؛ والذي على أساسه أطلق عليهم اسم : المعتزلة .

يقول عبد القاهر البغدادي – رحمه الله – : " خرج واصل بن عطاء [٣] عن قول جميع الفرق المتقدمة ؛ وزعم أن الفاسق من هذه الأمة لا مؤمن ولا كافر ؛ وجعل الفسق مترلة بين مترلتي الكفر والإيمان ؛ فلمّا سمع الحسن البصري من واصل بدعته هذه التي خالف بها أقوال الفرق قبله طرده عن مجلسه ؛ فاعتزل عند سارية وانضم إليه قرينه في الضلالة عمرو بن عبيد[٤] ؛ فقال الناس يومئذ فيهما : إنهما قد اعتزلا قول الأمة ؛ وسمّي أتباعها من يومئذ : معتزلة " [٥] .

وقد أجازت المعتزلة معاملة أصحاب الكبائر في الأحكام الدنيوية : كمعاملة بقية المسلمين .

---

(١) شرح الأصول الخمسة (ص ١٣٧) .

(٢) المرجع السابق (ص ٦٩٧) .

(٣) هو : واصل بن عطاء المخزومي البصري ، أبو حذيفة ، رأس المعتزلة وشيخها ، وهو أول من أظهر القول بالمترلة بين المترلتين ، له من التصانيف : (التوبة) ، و (معاني القرآن) ، توفي سنة ١٣١هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (٥ / ٤٦٤- ٤٦٥) . ولسان الميزان (٦ / ٢١٤) .

(٤) هو : عمرو بن عبيد بن باب البصري ، أبو عثمان ، من رؤوس المعتزلة ، جالس الحسن البصري ، ثم أزاله واصل بن عطاء عن مذهب أهل السنة ؛ فقال بالقدر ودعا إليه ، من مؤلفاته : (التفسير عن الحسن البصري) ، و(الرد على القدرية) ،توفي سنة ١٤٤هـ . انظر : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ، ط١ (بيروت : دار صادر ، ١٣٥٨هـ) ، (٨ / ٥٨ – ٦٢) . وطبقات المفسرين للداودي (ص ١٦- ١٧) .

(٥) الفرق بين الفرق (ص ٩٨) .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : " فالمعتزلة وافقوا الخوارج على حكمهم في الآخرة دون الدنيا ؛ فلم يستحلّوا من دمائهم وأموالهم ما استحلّته الخوارج " (١) .

المسألة الثانية : مصير مرتكب الكبيرة في الآخرة :

لقد وافقت المعتزلة الخوارج في الحكم على مرتكب الكبيرة بالخلود في النار لمن لم يتب ، غير أنهم قالوا : إن عذابه أخف من عذاب الكفار .

قال أبو الحسن الأشعري – رحمه الله – في معرض الحديث عن معتقدهم : " وأمّا الوعيد فقول المعتزلة فيه وقول الخوارج قول واحد ؛ لأنهم يقولون : إن أهل الكبائر الذين يموتون على كبائرهم في النار خالدون فيها مخلّدون ، غير أن الخوارج يقولون : إن مرتكبي الكبائر ممن ينتحل الإسلام يعذّبون عذاب الكافرين ، والمعتزلة يقولون : إن عذابهم ليس : كعذاب الكافرين " (٢) .

وقال القاضي عبد الجبّار في تقرير المذهب المعتزلي : " إن الفاسق يخلّد في النار ؛ ويعذّب فيها أبد الآبدين ودهر الداهرين " (٣) .

وقال الشهرستاني – رحمه لله – في وصف مذهبهم : " واتفقوا على أن المؤمن إذا خرج من الدنيا على طاعة وتوبة ؛ استحق الثواب ، والعوض،والتفضل– معنى آخر وراء الثواب – وإذا خرج من غير توبة عن كبيرة ارتكبها ؛ استحق الخلود في النار لكن يكون عقابه أخف من عقاب الكفار " (٤) .

ثالثاً – المرجئة :

ويتمثل معتقدهم في مرتكب الكبيرة من خلال المسائل التالية :

المسألة الأولى : مسمّى مرتكب الكبيرة في الدنيا :

ذهبت المرجئة إلى أن مرتكب الكبيرة مؤمن كامل الإيمان ؛ بناءً على معتقدهم أنه لا يضر مع الإيمان معصية ، كما لا ينفع مع الكفر طاعة ، وممن ذكر عنهم ذلك :

---

(١) مجموع الفتاوى (١٣ / ٣٨) .
(٢) مقالات الإسلاميين (ص ١٢٤) .
(٣) شرح الأصول الخمسة (ص ٦٦٦) .
(٤) الملل والنحل (١ / ٤٥) .

الإمام أبو بكر الآجرّي – رحمه الله – حيث نقل عنهم قولهم : " إن من قال : لا إلـــه إلا الله ؛ لم تضره الكبائر أن يعملها ، ولا الفواحش أن يركبها ؛ وأن البار التقي الـــذي لا يباشر من ذلك شيئاً والفاجر يكونان سواء " [1].

وقال الإمام ابن حزم – رحمه الله – : " اختلف الناس في تسمية المذنب من أهل ملتنا : فقالت المرجئة : هو مؤمن كامل الإيمان؛وإن لم يعمل خيراً قط ولا كف عن شر قط " [2] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية– رحمه الله –في سياق ذكر مذاهب الناس فـــي العاصي : " فقالت المرجئة جهميتهم وغير جهميتهم : هو مؤمن كامل الإيمان " [3] .

وقال الإيجي – رحمه الله – : " وذهبت المرجئة إلى أن الإيمان يحبط الزلات ؛ فلا عقاب على زلة مع الإيمان ، كما لا ثواب لطاعة مع الكفر " [4] .

المسألة الثانية : مصير مرتكب الكبيرة في الآخرة :

ذهبت المرجئة إلى أن مرتكب الكبيرة من أهل الجنة ابتداءً ؛ دون أن تلحقـــه ســـابقة عذاب .

قال أبو الحسن الأشعري – رحمه الله – عن صنف منهم : " وزعم هؤلاء أنه كما لا ينفع مع الشرك عمل ؛ كذلك لا يضر مع الإيمان عمل ؛ ولا يدخل النار أحد مـــن أهـــل القبلة " [5] .

ونقل الملطي [6] – رحمه الله – عن بعض المرجئة قولهم : " زعموا أن من شهد شهادة الحق دخل الجنة وإن عمل أي عمل ؛ كما لا ينفع مع الشرك حسنة ، كذلك لا يضر مـــع التوحيد سيئة ؛ وزعموا أنه لا يدخل النار أبداً وإن ركب العظائم ، وترك الفرائض ، وعمل الكبائر " [7] .

---

(١) الشريعة (٢ / ٦٨٩) .
(٢) الفصل في الملل (٣ / ١٢٧) .
(٣) مجموع الفتاوى (٧ / ٣٥٤) .
(٤) كتاب المواقف (٣ / ٥٠٣) .
(٥) مقالات الإسلاميين (ص ١٤٧) .
(٦) هو : محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي ، أبو الحسن ، المقرىء الفقيه ، مشهور بالثقة والإتقان ، كان كـــثير العلم والتصنيف في الفقه ، جيد الشعر ، من مؤلفاته : (التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع) ، توفي ســـنة ٣٧٧هـــ . انظر : معرفة القراء الكبار (ص ٣٤٣ – ٣٤٤) . وطبقات الشافعية الكبرى (٣ / ٧٧ – ٧٨) .
(٧) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع (ص ١٤٦) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – عن غلاقم [١] : " وغالية المرجئة أنكرت عقاب أحد من أهل القبلة " [٢] .

وقال حكايةً عن بعض غلاهم : "وقد حكي عن بعض غلاة المرجئة : أن أحداً من أهل التوحيد لا يدخل النار " [٣] .

أمّا مرجئة الفقهاء [٤] منهم ؛ فقد وافقوا أهل السنة والجماعة في حكم مرتكب الكبيرة في الآخرة .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : " ثم تقول فقهاؤهم ما تقوله الجماعة في أهل الكبائر : فيهم من يدخل النار ، وفيهم من لا يدخل ؛ كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة ؛ واتفق عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان ، فهؤلاء لا ينازعون أهل السنة والحديث في حكمه في الآخرة " [٥] .

ويتبيّن من خلال ما سبق :

أن نزاع مرجئة الفقهاء مع أهل السنة والجماعة في مرتكب الكبيرة ؛ إنما هو نزاع في الاسم لا الحكم .



(١) يقصد بغلاة المرجئة : الجهمية .

(٢) مجموع الفتاوى (١٦ / ٢٤٢) .

(٣) منهاج السنة النبوية (٥ / ٢٨٦) .

(٤) مرجئة الفقهاء ويقصد بهم : من نسب إليه الإرجاء من الفقهاء : كالإمام أبي حنيفة وأصحابه .
وهؤلاء ذهبوا إلى أن الإيمان : تصديق بالقلب وقول باللسان،وجعلوا العمل شرطاً في الإيمان ولازماً من لوازمه .
انظر : مقالات الإسلاميين (ص ١٣٨– ١٣٩) . وشرح العقيدة الطحاوية (٢ / ٥٠٥) .

(٥) منهاج السنة النبوية (٥ / ٢٨٤) .

المطلب الثالث

شبه الخوارج على معتقدهم في مرتكب الكبيرة والرد عليها

نظراً لخطورة موضوع التكفير ، وما جرّه من ويلات ونكبات على الأمة الإسلامية ؛ فسيتم الاكتفاء بإيراد شبه الخوارج التي استدلوا عليها في حكمهم على مرتكب الكبيرة ، مع مناقشتها والجواب عليها .

ولقد تمسك الخوارج في قولهم بهذه البدعة بشبهات ، وبيانها في المسائل التالية :

المسألة الأولى : تكفير مرتكب الكبيرة :

لقد استدل الخوارج على تكفير مرتكب الكبيرة بالأدلة الناطقة بكفر العصاة ، ومن ذلك :

الدليل الأول : قوله تعالى:﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [١] .

ووجه استدلالهم بهذه الآية : أن كل مرتكب للذنوب قد حكم لنفسه بغير ما أنزل الله تعالى ؛ فيكون كافراً [٢] .

والجواب : أن لأهل العلم في معنى هذه الآية عدة أقوال :

القول الأول: أن المراد بها : كفار أهل الكتاب من اليهود والنصارى ؛ حيث إن سياق الآية قد ورد فيهم ، وهذا ما رجّحه الإمام ابن جرير الطّبري [٣] رحمه الله .

القول الثاني : أن المقصود بها : من جحد وجوب الحكم بما أنزل الله تعالى ، وهذا القول مروي عن ابن عباس [٤] رضي الله عنهما .

القول الثالث : أن المقصود بالكفر في الآية : الكفر الأصغر الذي لا ينقل عن الملة ، وهذا القول مروي أيضاً عن ابن عباس [٥] رضي الله عنهما .

---

(١) سورة المائدة ، من الآية : ٤٤ .

(٢) انظر : أحكام القرآن ، أحمد بن علي الجصاص ، تحقيق : محمد الصادق قمحاوي ، د.ط (بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٤٠٥هـ) ، (٤ / ٩٣ – ٩٤) .

(٣) انظر : جامع البيان (٦ / ٢٥٧) .

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان (٦ / ٢٥٧) .

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان (٦ / ٢٥٦) .

الدليل الثاني : قول النبي ﷺ في الحديث الذي رواه عبد الله بن مسعود ﷺ : " سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ " (١) .

ووجه الدلالة عندهم : أن فيه إطلاق اسم : الكفر على مرتكبي الذنوب .

والجـــواب :كمـــا قـــال الحافظ ابن حجر – رحمه الله – في شـــرح الحديث: " ولا متمسك للخوارج فيه لأن ظاهره غير مراد ؛ لكن لّما كـــان القتال أشد من السباب لأنـــه مفضٍ إلى إزهاق الروح عبّر عنه بلفظ أشد من لفظ الفسق وهو الكفر ؛ ولم يرد : حقيقـــة الكفر التي هي الخروج عن الملة ؛ بـــل أطلق عليه الكفر مبالغةً في التحذير معتمداً على مـــا تقرّر من القواعد أن مثل ذلك لا يخرج عن الملة ، مثـــل قولـــه تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ (٢) .

أو أطلق عليه الكفر لشبهه به ؛ لأن قتال المؤمن من شأن الكافر " (٣) .

الدليل الثالث :قول النبي ﷺ فيما رواه عنه أبو هريرة ﷺ : " لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُـــهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ " (٤) .

ووجه استدلالهم بهذا الحديث : أن ظاهره يدل على نفي الإيمان عمن أتى شيئاً من هذه الكبائر ؛ ومن نفي عنه الإيمان فهو كافر .

والجواب :كما قال الإمام ابن عبد البرّ –رحمه الله –عند تعليقه على النفي الـــوارد في الحديث : " يريد : مستكمل الإيمان ، ولم يرد به : نفي جميع الإيمان عن فاعل ذلك ؛ بدليل الإجماع على توريث الزاني ، والسارق ، وشارب الخمر إذا صلّوا للقبلة ، وانتحلوا دعـــوة الإسلام ؛ وفي إجماعهم على ذلك مع إجماعهم على أن الكافر لا يرث المسلم أوضح الدلائل

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الفتن ، باب قول النبي ﷺ : " لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْـضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ " (٦ / ٢٥٩٢ ، رقم ٦٦٦٥) . ومسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان، باب بيان قول النبي ﷺ : "سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ " (١ / ٨١ ، رقم ٦٤) .

(٢) سورة النساء ، من الآية : ١١٦ .

(٣) فتح الباري (١ / ١١٢) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المحاربين من أهل الكفر والـــردة ، بـــاب إثـــم الزنـــاة (٦ / ٢٤٩٧ ، رقم ٦٤٢٥) . ومسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي(١/ ٧٦ ، رقم ٥٧) ، واللفظ له .

على صحة قولنا : إن مرتكب الذنوب ناقص الإيمان بفعله ذلك ؛ وليس بكافر كما زعمت الخوارج " [١] .

وقال الإمام النووي – رحمه الله – : " فالقول الصحيح الذي قاله المحققون : أن معناه : لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الإيمان ؛ وهذا من الألفاظ التي تطلق على نفي الشيء ويراد : نفي كماله ومختاره ، كما يقال : لا علم إلا ما نفع ، ولا مال إلا الإبل ، ولا عيش إلا عيش الآخرة " [٢] .

ويفهم من النقلين المتقدمين :

أن نفي الإيمان الوارد في هذا النص وغيره يتعلّق بكمال الإيمان الواجب لا بأصل الإيمان .

ومما ورد أيضاً في توجيه الحديث السابق وما تضمنه من نفي الإيمان عن أهل المعاصي :

ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – بقوله : " الجمهور : من السلف والخلف يقولون : الإسلام أوسع من الإيمان ؛ فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمناً .

ويقولون في قول النبي : " لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ " [٣] : إنه يخرج من الإيمان إلى الإسلام ، ودوروا للإسلام دارة،ودوروا للإيمان دارة أصغر منها في جوفها ، وقالوا : إذا زنى خرج من الإيمان إلى الإسلام ؛ ولا يخرجه من الإسلام إلى الكفر ؛ فدل البيان على أن نفي هذا الإيمان لا يقتضي ثبوت الكفر الذي يخلّد صاحبه في النار " [٤] .

المسألة الثانية : تخليد مرتكب الكبيرة في النار :

لقد تمسك الخوارج ومن وافقهم في القول بخلود مرتكب الكبيرة في النار بعدة أدلة ، منها [٥] :

الدليل الأول : قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [٦] .

---

(١) التمهيد (٩ / ٢٤٣- ٢٤٤) .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٢ / ٤١) .

(٣) تقدم تخريجه ص ٤٢٣ .

(٤) مجموع الفتاوى (٧ / ٤٧٦ - ٤٧٨) بتصرف .

(٥) انظر الأدلة التالية وغيرها في : شرح الأصول الخمسة (ص ٦٧٣) . ومشارق أنوار العقول (٢ / ١٤٣) .

(٦) سورة المائدة ، من الآية : ٢٧ .

ووجه الدلالة من هذه الآية : كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : " وقد احتجت الخوارج والمعتزلة بقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [(١)] .

قالوا : فصاحب الكبيرة ليس من المتقين ؛ فلا يتقبّل الله منه عملاً؛فلا يكون له حسنة ، وأعظم الحسنات الإيمان ؛ فلا يكون معه إيمان ؛ فيستحق الخلود في النار " [(٢)] .

وفي كلام شيخ الإسلام الرد الكافي عليهم ، إذ يقول : " والجواب الصحيح أن المراد : من اتقى الله في ذلك العمل ؛لا يجوز أن يراد بالآية : إن الله لا يقبل العمل إلا ممن يتقي الذنوب كلها ؛لأن الكافر والفاسق حين يريد أن يتوب ليس متقياً ؛ فإن كان قبول العمل مشروطاً بكون الفاعل حين فعله لا ذنب له امتنع قبول التوبة ؛ بخلاف ما إذا اشترط التقوى في العمل .

أيضاً : فلو أتى الإنسان بأعمال البرّ وهو مصّر على كبيرة ثم تاب ؛ لوجب أن تسقط سيئاته بالتوبة وتقبل منه تلك الحسنات وهو حين أتى بها كان فاسقاً .

وأيضاً : فالكافر إذا أسلم وعليه للناس مظالم ، وكذلك الذمي إذا أسلم قبل إسلامه مع بقاء مظالم العباد عليه ؛ فلو كان العمل لا يقبل إلا ممن لا كبيرة عليه لم يصحّ إسلام الذمي حتى يتوب من الفواحش والمظالم ؛ بل يكون مع إسلامه مخلّداً " [(٣)] .

الدليل الثاني : قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [(٤)] .

الدليل الثالث : قوله ﷺ في الحديث الذي رواه أبو هريرة ﷺ : " مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ ؛ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَتَوَجَّأُ [(٥)] بهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِداً مُخَلَّداً فِيهَا أَبَداً ، وَمَنْ شَرِبَ سَمّاً فَقَتَلَ نَفْسَهُ ؛ فَهُوَ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِداً مُخَلَّداً فِيهَا أَبَداً ، وَمَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ ؛ فَهُوَ يَتَرَدَّى فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِداً مُخَلَّداً فِيهَا أَبَداً " [(٦)] .

---

(١) سورة المائدة ، من الآية : ٢٧ .

(٢) مجموع الفتاوى (٧ / ٤٩٤– ٤٩٥) .

(٣) المرجع السابق (٧ / ٤٩٥ – ٤٩٧) بتصرف .

(٤) سورة النساء ، الآية : ٩٣ .

(٥) يتوجأ : يقال : وجأته بالسكين وغيرها إذا ضربته بها . انظر : النهاية في غريب الحديث (٥ / ١٥١) ، مادة (وجأ) . ولسان العرب (١ / ١٩١) ، مادة (وجأ) .

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الطب ، باب شرب السم والدواء به (٥ / ٢١٧٩ ، رقم ٥٤٤٢) . ومسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه (١ / ١٠٣ ، رقم ١٠٩)،واللفظ له .

ووجه الاستدلال من الآية والحديث : أن فيهما وعيداً بالتخليد في النار لأصحاب الكبائر .

ولأهل السنة أجوبة عديدة على استدلالات الخوارج بنصوص الوعيد ،ومن ذلك :

الجواب الأول : أنها تحمل على المستحلّ لتلك الذنوب ؛ والمستحلّ كافر إجماعاً ؛ والكافر مخلّد في النار [١] .

الجواب الثاني :أن إخلاف الوعيد يجوز على الله تعالى :فإن أوقعه فهو حق له سبحانه ، وإن لم يوقعه فهو كرم وإحسان هو أهله ؛ أمّا الوعد فقد أوجبه تعالى على نفسه ؛ والله ﷻ لا يخلف الميعاد .

وقد استدل أهل العلم على أن إخلاف الوعيد ليس فيه ذم بقولهم :

وإني متى أوعدته أو وعدته لمخلف إيعادي ومنجز موعدي [٢]

الجواب الثالث: أن نصوص الوعيد مخصصة بالنصوص الدالة على العفو بمشيئة الله تعالى أو التوبة ؛ وهذا هو الأظهر .

يقول القرطبي – رحمه الله – بعد أن ذكر قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا ... ﴾ [٣] :" هذه الآية مخصوصة ؛ ودليل التخصيص : آيات وأخبار ؛ ثم ليس الأخذ بظاهر الآية بأولى من الأخذ بظاهر قوله :﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ﴾ [٤] ، وقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ ﴾ [٥] ، وقوله :﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ ﴾ [٦] ؛ والأخذ بالظاهرين تناقض فلا بد من التخصيص .

وأمّا الأخبار فكثيرة : كحديث عبادة بن الصامت الذي قال فيه : " تُبَايِعُوني عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئاً ، وَلَا تَزْنُوا ، وَلَا تَسْرِقُوا ، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ؛

(١) انظر : تفسير السمرقندي (بحر العلوم) ، نصر بن محمد السمرقندي ، تحقيق : د.محمود مطرجي ، د.ط (بيروت : دار الفكر ، د.ت) ، (١ / ٣٥٣) . والكشف والبيان (٣ / ٣٦٥) .

(٢) انظر : تفسير البغوي (١ / ٤٦٥) . والجامع لأحكام القرآن (٥ / ٣٣٤) .

(٣) سورة النساء ، الآية : ٩٣ .

(٤) سورة هود ، من الآية : ١١٤ .

(٥) سورة الشورى ، من الآية : ٢٥ .

(٦) سورة النساء ، من الآية : ٤٨ .

فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ؛ وَمَنْ أَصَابَ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ فَعُوقِبَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ؛ وَمَنْ أَصَابَ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ فَسَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ فَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ : إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ " (١) .

إلى غير ذلك من الأخبار الثابتة .

ثم إنهم أي – الخوارج ومن وافقهم – قد أجمعوا معنا في الرجل يشهد عليه بالقتل ، ويقرّ بأنه قتل عمداً فيقام عليه الحد ؛ فهذا غير متّبع في الآخرة والوعيد غير نافذ عليه إجماعاً على مقتضى حديث عبادة ؛ فقد انكسر عليهم ما تعلّقوا به من عموم قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ ﴾ (٢) ودخله التخصيص بما ذكرنا " (٣) .

وبذلك يظهر بالدليل القاطع والبرهان الساطع :

بطلان أدلة الخوارج التي استدلوا بعمومها على تكفير مرتكب الكبيرة وتخليده في النار ؛ ولله الحمد والمنّة .

وهذا هو مقتضى عدل الرب سبحانه ؛ فلا يسوّي بين من آمن به وبرسله – عليهم السلام – مع ارتكابه لبعض الذنوب ، وبين من كفر به وبرسله – عليهم السلام – فالله تعالى لا يسوّي بين هؤلاء وهؤلاء ، كما لا يسوّي بين العاصي ، الفاسق ، المجترئ على حرماته ، وبين المتقي الحريص على مرضاته ، قال سبحانه : ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴾ (٤) .

---

(١) تقدم تخريجه ص ٤١٣ .

(٢) سورة النساء ، من الآية : ٩٣ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٥ / ٣٣٣ – ٣٣٤) بتصرف .

(٤) سورة ص ، الآية : ٢٨ .

الخاتمة

الحمد لله تعالى الذي بنعمته تتم الصالحات ، وبتوفيقه تقضى الحاجات ، أحمده سبحانه على أن يسّر لي إنجاز هذا البحث وإتمامه بتوفيق منه وعون .

هذا ومع قصر باعي ، وقلة بضاعتي ، ونضوب علمي إلا أنني أتمنى أن أكون قد ساهمت – ولو بجهد المقِل – في توضيح المباحث العقدية التي اشتمل عليها حديثا أبي هريرة وأبي سعيد الخدري – رضي الله عنهما – في الرؤية .

وفي نهاية هذا البحث لا بد لي من وقفة ؛ أستجمع فيها بعض حصاده ، وأعرض ما توصلت إليه من نتائج ، مذيلةً ما بدا لي من توصيات ، وذلك في النقاط التالية :

١- أن حديثي أبي هريرة وأبي سعيد الخدري – رضي الله عنهما – الواردين عن النبي ﷺ في الرؤية من أعظم الأحاديث المشتملة على أمهات المسائل العقدية .

٢- أن حديثي أبي هريرة وأبي سعيد الخدري – رضي الله عنهما – من الأحاديث الصحيحة التي رواها جمع كثير من أئمة السنة في كثير من دواوين الإسلام ، وقد جاءا عنهم من طرق متعددة ، وبألفاظ متقاربة ومختلفة .

٣- أن حقيقة التوحيد : إفراد الله تعالى بأنواع التوحيد الثلاثة : الربوبية ، والألوهية ، والأسماء والصفات .

٤- عدم جواز إطلاق لفظ (رب) بالألف واللام إلا على الله تعالى .

٥- أن الملك ، والخلق ، والتدبير ، والعطاء ، وغيرها من خصائص الربوبية تدل على أن الله تبارك وتعالى هو الرب المستحق للعبادة وحده لا شريك له .

٦- أن العبادة بجميع أنواعها : القلبية ، والقولية ، والبدنية ، والمالية حق لله تعالى وحده لا شريك له ، ولا يجوز صرف شيء منها لغير الله ﷻ كائناً من كان .

٧- أن حقيقة الشرك : اتخاذ الندّ مع الله تعالى : سواء أكان هذا الندّ في الربوبية أم الألوهية .

٨- أن الشرك الأكبر أظلم الظلم ، وأقبح الجهل ، وأكبر الكبائر ؛ ولذلك رتّب الله تعالى عليه من العقوبات ما لم يرتّبه على ذنب سواه .

٩- وجوب الإيمان بأن الله تعالى في السماء ، عالٍ على عرشه المجيد ، وفوق جميع

المخلوقات .

١٠- أن لفظ الصورة : كسائر ما ورد من الأسماء والصفات التي قد يسمّى المخلوق بها على وجه التقييد ، وإذا أطلقت على الله تعالى اختصت به .

١١- أن الساق هي الصفة الوحيدة التي اختلف فيها الصحابة – رضوان الله عليهم – والقول الراجح الوارد فيها : أنها صفة ثابتة لله تعالى على ما يليق به .

١٢- أن أسماء الله تعالى وصفاته ليست من المتشابه من جهة معرفة معناها وظاهر مدلولها ؛ أمّا من جهة العلم بحقيقتها والكشف عن كيفيتها ؛ فهي من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى .

١٣- أن أعظم نعيم الآخرة ولذاتها : النظر إلى وجه الرب جل جلاله ، وسماع كلامه منه ، والقرب منه ؛ كما ثبت في حديثي الرؤية .

١٤- أن رؤية المؤمنين لله تعالى في الآخرة من مسائل الاعتقاد التي تضافرت على إثباتها دلائل : الكتاب ، والسنة ، والإجماع ، والعقل .

١٥- أن الاحتجاج بخبر الآحاد في العقائد ؛ أحد الأصول الكبار التي ميّزت أهل السنة والجماعة عن غيرهم من الطوائف .

١٦- أن تقسيم الإرادة إلى : إرادة كونية ، وإرادة شرعية ؛ هو الحق الذي دلت عليه النصوص الشرعية .

١٧- إثبات صفة الكلام والنداء لله تعالى ، وأن كلامه سبحانه بحروف وأصوات يُسمعها من يشاء من مخلوقاته ، وهو قديم النوع حادث الأفراد .

١٨- أن النسيان الذي بمعنى : الترك عن علم وقصد ؛ جزاءً ومقابلةً للمتروك ؛ صفة كمال ثابتة لله تعالى بالكتاب والسنة .

١٩- أن الإقرار بالملائكة والجن عام في بني آدم ، ولم ينكر ذلك إلا شواذ من بعض الأمم .

٢٠- أن الحشر يقصد به : جمع الخلائق يوم القيامة إلى الموقف ؛ بقصد حسابهم والفصل بينهم .

٢١- أن كل أمة في يوم الحشر تتبع الإله الذي كانت تعبده في الدنيا .

٢٢- أن الصحة والعافية هي أول نعمة يُسأل عنها العبد يوم القيامة .

٢٣- أن محاسبة الله سبحانه لعباده على نوعين : محاسبة تقرير وتوبيخ ، ومحاسبة الموازنة بين السيئات والحسنات .

٢٤- أن من أنواع الشهود يوم الحساب : شهادة جوارح الإنسان التي تشهد على العبد – في حال جحوده ونكرانه – بما قدّم .

٢٥- أن النبي ﷺ وأمته هم أول من يجوز الصراط يوم القيامة .

٢٦- أن الصراط ينصب لأتباع الرسل – عليهم السلام – من الموحدين : طائعهم وعاصيهم ؛ أمّا أهل الكفر والشرك فيلقون في النار ابتداءً .

٢٧- أن مسألة التكذيب بالشفاعة لأهل الكبائر مسألة قديمة ، تصدّى لها الصحابة – رضوان الله عليهم – وبيّنوا زيفها وبطلانها .

٢٨- أن الشفاعة ثابتة لأهل الكبائر من عصاة الموحدين ، وأنه ليس مع من أنكرها من الخوارج والمعتزلة أي دليل : نقلي أو عقلي صحيح .

٢٩- أن من أصناف الشفعاء الذين تفضّل الله تعالى بقبول شفاعهم : الملائكة ، والأنبياء – عليهم السلام – وعلى رأسهم سيدنا محمد ﷺ ، والمؤمنون ، وأرحم الراحمين .

٣٠- أن الجنة والنار أبديتان ، لا تفنيان ولا تبيدان ، وأن ما يُذكر عن فنائهما ؛ إنما يُذكر عن أهل البدع .

٣١- أن القول بفناء النار دون الجنة قول لم يثبت عن أحد من السلف ؛ بل هم في الحقيقة منه براء .

٣٢- أن الإيمان مركّب من ثلاثة أمور لازمة لتحقيقه : وهي اعتقاد القلب ، وإقرار اللسان ، وعمل الجوارح .

٣٣- أن دخول الأعمال في مسمّى الإيمان من أصول أهل السنة والجماعة التي قرّروها في كثير من مصنّفاتهم العقدية .

٣٤- أن الحكم على مرتكب الكبيرة من عصاة الموحدين كان سبب أول خلاف حدث في الملة ، كما ذكر ذلك المصنّفون في أبواب الاعتقاد .

٣٥- بطلان أدلة الخوارج التي استدلوا بعمومها على تكفير مرتكب الكبيرة وتخليده في النار .

وفي هذا المقام أوصي إخواني وأخواتي الباحثين والباحثات : بتوجيه الأنظار إلى دراسة أحاديث السنة النبوية ؛ فإن ذلك من أفضل ما صرفت فيه الأوقات ، واستخراج ما حوته

من مباحث ومسائل عقدية ؛ لا سيّما وأن الأمة بحاجة ماسة إلى ذلك في هذا العصر ؛ لتوثّق صلتها بالمصدر الثاني من مصادر عقيدة أهل السنة والجماعة ، وليكون ذلك معيناً لها على السير إلى الله تعالى على بصيرة ، مع ضرورة الاستفادة أثناء البحث من الكتب المؤلفة في جمع أحاديث العقائد .

تلك أهم النتائج والتوصيات التي ظهرت لي في هذا الموضع .

وفي الختام أسأل الله تعالى أن يتقبّل مني وأن يثيبني فيما أصبت الحق فيه ، وأن يغفر ويتجاوز عني فيما أخطأت ، وأن ينفع بهذه الدراسة ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .



الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

(حرف النون)

(حرف الهاء)

(حرف الواو)

(حرف الياء)

فهرس الآثار

فهرس الأعلام المترجم لهم

العلم	رقم الصفحة
(حرف الألف)	
إبراهيم بن محمد بن أحمد البيجوري	٢٢٥
إبراهيم بن محمد بن سهل الزجاج	٦٧
أحمد بن الحسين بن علي البيهقي	٥٨
أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية	٤٩
أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي	٤٩
أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (ابن حجر)	٤٧
أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الشيباني	٢١٤
أحمد بن فارس بن زكريا الرازي	٤٢
أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي	٢٥٩
أحمد بن محمد بن سالم البصري	٢٠٤
أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي	١٣٩
أحمد بن محمد بن عبد الله الطلمنكي	١٧٩
أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي	٣٠٧
أحمد بن محمد بن منصور الجذامي (ابن المنير)	٣١٦
أحمد بن يحيى بن يسار الشيباني (ثعلب)	٢٩٥
إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي (ابن راهويه)	١٣٦
إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي	٣٦٩
إسماعيل بن عبد الرحمن بن إسماعيل الصابوني	١٥٠
إسماعيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهري (أبو سلمة)	٣١
إسماعيل بن عمر بن كثير البصروي	٤٣
إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهاني	١٨٧
إسماعيل بن مسلم العبدي البصري	٣٥
الأسود بن قيس العبدي	٣٥
(حرف الباء)	
بشار بن برد بن يرجوخ العقيلي	٤٢

العلم	رقم الصفحة

(حرف الميم)

العلم	رقم الصفحة

فهرس الفرق والطوائف

فهرس المصطلحات العلمية والكلمات الغريبة المعرّف بها

المصطلح العلمي أو الكلمة الغريبة	رقم الصفحة
فزيلنا	٢٦٣
فساخ	١٩٠
فل	١٩
الفلاسفة	١٤٠
فنهس	٣٩٢
(حرف القاف)	
القاصعاء	١٢٦
قشبني	١٧
قط	٢٨
(حرف الكاف)	
الكفل	٢٩٥
كلاليب	١٧
الكير	١١١
(حرف اللام)	
اللهى	٧٠
(حرف الميم)	
المارج	٢٤١
المتكلمون	١٤٥
المجاز	١٧٢-١٧٣
مجدوح	٣٤
مجذوذ	٦٨
مخدوج	٣٣
مزلة	٢٢
مفلطحة	٢٨٢
مكدوس	٢٢
مكين	٢٤٢
ملبب	٢٨

المصطلح العلمي أو الكلمة الغريبة	رقم الصفحة
(حرف النون)	
النقيض	٢٤٨
النواضح	٣٣١
(حرف الهاء)	
الهوام	٢٤٩
(حرف الياء)	
يتكفؤها	١٦١
يتوجأ	٤٢٥
يختلج	٣٩٦
يترغنك	٩٨
ينكتها	١٤٨

فهرس البلدان والأماكن المعرّف بها

فهرس الأبيات الشعرية

قائمة المصادر والمراجع

(حرف الألف)

– **الآداب الشرعية والمنح المرعية** ، محمد بن مفلح المقدسي (ت ٧٦٣هـ) ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ؛ وعمر القيام ، ط٢ ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤١٧هـ = ١٩٩٦م .

– **الإبانة عن أصول الديانة** ، علي بن إسماعيل الأشعري (ت ٣٢٤هـ) ، تحقيق : د. فوقية حسين محمود ، ط١ ، القاهرة : دار الأنصار ، ١٣٩٧هـ .

– **الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة** ، عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري (ت ٣٨٧هـ) ، تحقيق : عثمان عبد الله آدم ، ط٢ ، الرياض : دار الراية ، ١٤١٨هـ .

– **إبطال التأويلات لأخبار الصفات**، محمد بن الحسين بن خلف الشهير بابن الفراء (ت ٤٥٨هـ) ، تحقيق : محمد بن حمد الحمود ، د.ط ، الكويت : دار إيلاف الدولية ، د.ت .

– **اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية** ، محمد بن أبي بكر الزرعي الشهير بابن القيم (ت ٧٥١هـ) ، ط١ ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م .

– **أحداث مثيرة في حياة الشيخ العلامة الألباني – رحمه الله – مع آخر ما نشر عن مرض الشيخ ووفاته** ، محمد صالح المنجد ، ط١ ، الإسكندرية : دار الإيمان ، د.ت .

– **الأحكام السلطانية والولايات الدينية** ، علي بن محمد الماوردي (ت ٤٥٠هـ)، د.ط ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م .

– **الإحكام في أصول الأحكام** ، علي بن أحمد بن حزم (ت ٤٥٦هـ) ، ط١ ، القاهرة : دار الحديث ، ١٤٠٤هـ .

– **أحكام القرآن** ، أحمد بن علي الجصاص (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق : محمد الصادق قمحاوي، د.ط ، بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٤٠٥هـ .

– **أحكام القرآن** ، محمد بن عبد الله المعافري الشهير بابن العربي (ت ٥٤٣هـ) ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، د.ط ، بيروت : دار الفكر ، د.ت .

– **إحياء علوم الدين** ، محمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) ، د.ط ، بيروت : دار المعرفة ، د.ت .

– **إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (معجم الأدباء)** ، ياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦هـ) ، ط١ ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١١هـ = ١٩٩١م .

– **الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار** ، يوسف بن عبد الله بن عبد البر (ت ٤٦٣هـ) ، تحقيق : سالم محمد عطا ؛ ومحمد علي معوض ، ط١ ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٠م .

– **أسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب والسنة** ، محمود عبد الرازق الرضواني ، ط١ ، القاهرة : مكتبة

سلسبيل ، ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م .

– **أسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة** ، عمر بن سليمان الأشقر ، ط٦ ، عمان : دار النفائس ، ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م .

– **الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى** ، محمد بن أحمد القرطبي (ت ٦٧١هـ) ، تحقيق : أ.د محمد حسن جبل ؛ وطارق أحمد محمد ، ط١ ، طنطا : دار الصحابة للتراث ، ١٤١٦هـ= ١٩٩٥م .

– **الاشتقاق** ، محمد بن الحسن بن دريد (ت ٣٢١هـ) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، ط٣ ، القاهرة : مكتبة الخانجي ، د.ت .

– **أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة** ، نخبة من العلماء ، ط١ ، المدينة المنورة : مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، ١٤٢١هـ .

– **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن** ، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ) ، تحقيق : مكتب البحوث والدراسات ، د.ط ، بيروت : دار الفكر ، ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م .

– **الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث** ، أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ) ، تحقيق : أحمد عصام الكاتب ، ط١ ، بيروت : دار الآفاق الجديدة ، ١٤٠١هـ .

– **اعتقادات فرق المسلمين والمشركين** ، محمد بن عمر الرازي (ت ٦٠٦هـ) ، تحقيق : علي سامي النشار ، د.ط ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٢هـ .

– **أعلام السنة المنشورة** ، حافظ بن أحمد حكمي (ت ١٣٧٧هـ) ، تحقيق : حلمي بن إسماعيل الرشيدي ، د.ط ، الإسكندرية : دار العقيدة ، د.ت .

– **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين** ، خير الدين الزركلي (ت ١٣٩٦ هـ) ، ط١٥ ، بيروت : دار العلم للملايين ، ٢٠٠٢م .

– **إعلام الموقعين عن رب العالمين** ، محمد بن أبي بكر الزرعي الشهير بابن القيم (ت ٧٥١هـ) ، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد ، د.ط ، بيروت : دار الجيل ، ١٩٧٣م .

– **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان** ، محمد بن أبي بكر الزرعي الشهير بابن القيم (ت ٧٥١هـ) ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، ط٢ ، بيروت : دار المعرفة ، ١٣٩٥هـ = ١٩٧٥م .

– **أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات** ، مرعي بن يوسف الكرمي (ت ١٠٣٣هـ) ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، ط١ ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٦هـ .

– **الإمام محمد بن عبد الوهاب دعوته وسيرته** ، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (ت ١٤٢٠هـ) ،

ط٢ ، السعودية : الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، ١٤١١هـ .

– **إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ** ، أحمد بن علي العسقلاني الشهير بابن حجر (ت ٨٥٢هـ) ، تحقيق : د.محمد عبد المعيد خان ، ط٢ ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م .

– **الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين** ، عبد الرحمن بن محمد الأنباري (ت ٥٧٧هـ) ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، د.ط ، بيروت : دار الفكر ، د.ت .

– **الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به** ، محمد بن الطيب الباقلاني (ت ٤٠٣هـ) ، تحقيق : عماد الدين أحمد حيدر ، ط١ ، بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٦م .

– **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير** ، أبو بكر جابر الجزائري ، ط٣ ،جدة :راسم للدعاية والإعلان ، ١٤١٠هـ = ١٩٩٠م .

– **الإيمان** ، محمد بن إسحاق بن منده (ت ٣٩٥هـ) ، تحقيق : د. علي بن محمد الفقيهي ، ط٢ ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٦هـ .

– **الإيمان** ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت ٧٢٨هـ) ، تحقيق : محمد بن ناصر الدين الألباني ، ط٥ ، بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤١٦هـ = ١٩٩٦م .

– **الإيمان عند السلف وعلاقته بالعمل وكشف شبهات المعاصرين** ، محمد بن محمود آل خضير ، ط٣ ، الرياض : مكتبة الرشد ، ١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩م .

(حرف الباء)

– **البحور الزاخرة في علوم الآخرة** ، محمد بن أحمد السفاريني (ت ١١٨٨هـ) ، تحقيق : محمد إبراهيم شومان ، ط١ ، الكويت : دار غراس ، ١٢٤٨هـ = ٢٠٠٧م .

– **بدائع الفوائد** ، محمد بن أبي بكر الزرعي الشهير بابن القيم (ت ٧٥١هـ) ، تحقيق : هشام عبد العزيز عطا ؛ وعادل عبد الحميد العدوي ؛ وأشرف أحمد الج ، ط١ ، مكة المكرمة : مكتبة نزار مصطفى الباز ، ١٤١٦هـ = ١٩٩٦م .

– **بداية السول في تفضيل الرسول** ، عبد العزيز بن عبد السلام السلمي (ت ٦٦٠هـ) ، تحقيق : محمد بن ناصر الدين الألباني ، ط٤ ، بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤٠٦هـ .

– **البداية والنهاية** ، إسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤هـ) ، د.ط ، بيروت : مكتبة المعارف ، د.ت .

– **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع** ، محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) ، د.ط ، بيروت : دار المعرفة ، د.ت .

– **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة** ، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ) ،

تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، د.ط ، صيدا : المكتبة العصرية ، د.ت .

– **بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية** ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية(ت ٧٢٨هـ) ، تحقيق : محمد بن عبد الرحمن بن قاسم ، ط١ ، مكة المكرمة : مطبعة الحكومة ، ١٣٩٢هـ .

(حرف التاء)

– **تاج العروس من جواهر القاموس** ، محمد مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ) ، تحقيق : مجموعة من المحققين ، د.ط ، مصر : دار الهداية ، د.ت .

– **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام** ، محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ، تحقيق : د. عمر عبد السلام تدمرى ، ط١ ، بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م .

– **تاريخ بغداد** ، أحمد بن علي البغدادي (ت ٤٦٣هـ) ، د.ط ، بيروت : دار الكتب العلمية ، د.ت .

– **التاريخ الكبير** ، محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ) ، تحقيق : السيد هاشم الندوي،د.ط ، بيروت : دار الفكر ، د.ت .

– **تأويل مختلف الحديث**، عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) ، تحقيق : محمد زهري النجار ، د.ط ، بيروت : دار الجيل ، ١٣٩٣هـ = ١٩٧٢م .

– **تأويل مشكل القرآن** ، عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) ، تحقيق : إبراهيم شمس الدين ، ط٢ ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م .

– **التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين** ، شهفور بن طاهر الإسفراييني (ت ٤٧١هـ) ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، ط١ ، بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م .

– **التبيان في تفسير غريب القرآن** ، أحمد بن محمد الهائم (ت ٨١٥) ،تحقيق :فتحي أنور الدابلوي ، ط١ ، طنطا : دار الصحابة للتراث ، ١٤١٢هـ = ١٩٩٢م .

– **تجريد التوحيد المفيد** ، أحمد بن علي المقريزي(ت ٨٤٥هـ) ، تحقيق : ياسين بن علي الحوشبي ، ط١ ، اليمن : مكتبة الإمام الوادعي ، ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م .

– **التحرير والتنوير** ، محمد الطاهر بن محمد بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ) ، د.ط ، تونس : دار سحنون ، ١٩٩٧م .

– **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي** ، محمد بن عبد الرحيم المباركفوري (ت ١٣٥٣هـ) ، د.ط ، بيروت : دار الكتب العلمية ، د.ت .

– **تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين** ، محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) ، ط١ ، بيروت : دار القلم ، ١٩٨٤م .

– **التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار** ، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب (ت ٧٩٥هـ) ، ط١ ، دمشق : مكتبة دار البيان ، ١٣٩٩هـ .

– **تذكرة الأريب في تفسير الغريب** ، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) ، تحقيق : طارق فتحي السيد ، ط١ ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٤م .

– **تذكرة الحفاظ** ، محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ، ط١ ، بيروت : دار الكتب العلمية ، د.ت .

– **التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة** ، محمد بن أحمد القرطبي (ت ٦٧١هـ) ، ط٢ ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م .

– **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك** ، عياض بن موسى اليحصبي (ت ٥٤٤هـ) ، تحقيق : محمد سالم هاشم ، ط١ ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٨هـ = ١٩٩٨م .

– **ترجمة موجزة لفضيلة المحدث الشيخ محمد بن ناصر الدين الألباني وأضواء على حياته العلمية** ، د. عاصم عبد الله القريوتي ، د.ط ، جدة : دار المدني ، د.ت .

– **تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد** ، محمد بن إسماعيل الصنعاني (ت ١١٨٢هـ) ، ط١ ، مصر : مطبعة المنار ، ١٣٤٨هـ .

– **التعريفات** ، علي بن محمد الجرجاني الشهير بالشريف (ت ٨١٦هـ) ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، ط١ ، بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٤٠٥هـ .

– **تعظيم قدر الصلاة** ، محمد بن نصر المروزي (ت ٢٩٤ هـ) ، تحقيق : د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي ، ط١ ، المدينة المنورة : مكتبة الدار ، ١٤٠٦هـ .

– **تفسير أسماء الله الحسنى** ، إبراهيم بن محمد الزجاج (ت ٣١١هـ)، تحقيق :أحمد يوسف الدقاق ، د.ط ، دمشق : دار الثقافة العربية ، د.ت .

– **تفسير البغوي** ، الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦هـ) ، تحقيق : خالد عبد الرحمن العك ، د.ط ، بيروت : دار المعرفة ، د.ت .

– **تفسير الثعلبي** (**الكشف والبيان**) ، أحمد بن محمد الثعلبي (ت ٤٢٧هـ) ، تحقيق : أبو محمد بن عاشور ، ط١ ، بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٤٢٢هـ = ٢٠٠٢م .

– **تفسير السمرقندي** (**بحر العلوم**) ، نصر بن محمد السمرقندي (ت ٣٦٧هـ) ، تحقيق : د.محمود مطرجي ، د.ط ، بيروت : دار الفكر ، د.ت .

– **تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان** ، الحسن بن محمد القمي (ت ٧٢٨هـ) ، تحقيق : زكريا عميران ، ط١ ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٦هـ = ١٩٩٦م .

– **تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم** ، محمد بن فتوح الحميدي (ت ٤٨٨هـ) ، تحقيق : د. زبيدة محمد عبد العزيز ، ط١ ، القاهرة : مكتبة السنة ، ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م .

– **تفسير القرآن العظيم** ، إسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤هـ) ، د.ط ، بيروت : دار الفكر ، ١٤٠١هـ .

– **تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين** ، عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧هـ) ، تحقيق : أسعد محمد الطيب ، ط١ ، مكة المكرمة : مكتبة نزار مصطفى الباز ، ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م .

– **التفسير الكبير** (**مفاتيح الغيب**) ، محمد بن عمر الرازي (ت ٦٠٦هـ) ، ط١ ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م .

– **تفسير الماوردي** (**النكت والعيون**) ، علي بن محمد الماوردي (ت٤٥٠هـ) ، تحقيق : السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، د.ط ، بيروت : دار الكتب العلمية ، د.ت .

– **تفسير مجاهد** ، مجاهد بن جبر المخزومي (ت ١٠٤هـ) ، تحقيق : عبد الرحمن الطاهر محمد السورتي ، د.ط ، بيروت : المنشورات العلمية ، د.ت .

– **تقريب التهذيب** ، أحمد بن علي العسقلاني الشهير بابن حجر (ت ٨٥٢هـ) ، تحقيق : محمد عوامة ، ط١ ، سوريا : دار الرشيد ، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م .

– **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد** ، يوسف بن عبد الله بن عبد البر (ت ٤٦٣هـ) ، تحقيق : مصطفى بن أحمد العلوي ؛ ومحمد عبد الكبير البكري ، د.ط ، المغرب : وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية ، ١٣٨٧هـ .

– **تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي** (**مصرع التصوف**) ، برهان الدين البقاعي (ت ٨٨٥هـ) ، تحقيق : عبد الرحمن الوكيل ، مكة المكرمة : مكتبة عباس أحمد الباز ، ١٤٠٠هـ =١٩٨٠م .

– **التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع** ، محمد بن أحمد الملطي (ت ٣٧٧هـ) ، تحقيق : محمد زاهد الكوثري ، د.ط ، القاهرة : المكتبة الأزهرية للتراث ، ١٤١٨هـ = ١٩٩٧م .

– **تهذيب التهذيب** ، أحمد بن علي العسقلاني الشهير بابن حجر (ت ٨٥٢هـ) ، ط١ ، بيروت : دار الفكر ، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م .

– **تهذيب الكمال** ، يوسف بن عبد الرحمن المزي (ت ٧٤٢هـ) ، تحقيق : د. بشار عواد معروف ، ط١ ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م .

– **تهذيب اللغة** ، محمد بن أحمد الأزهري (ت ٣٧٠هـ) ، تحقيق : محمد عوض مرعب ، ط١ ، بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ٢٠٠١م .

– **توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم** ، أحمد بن إبراهيم بن عيسى

(ت ١٣٢٩هـ) ، تحقيق : زهير الشاويش ، ط٣ ، بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤٠٦هـ .

– **التوقيف على مهمات التعاريف** ، محمد عبد الرؤوف المناوي (ت ١٠٣١هـ) ، تحقيق : د. محمد رضوان الداية ، ط١ ، بيروت : دار الفكر ، ١٤١٠هـ .

– **التيسير بشرح الجامع الصغير التيسير بشرح الجامع الصغير** ، محمد بن عبد الرؤوف المناوي (ت ١٠٣١هـ) ، ط٣ ، الرياض : مكتبة الإمام الشافعي ، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م .

– **تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد** ، سليمان بن عبد الله آل الشيخ (ت ١٢٣٣هـ) ، تحقيق : محمد أيمن الشبراوي ، ط١ ، بيروت : عالم الكتب ، ١٩٩٩م .

– **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** ، عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت ١٣٧٦هـ) ، تحقيق : محمد زهري النجار ، ط١ ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م .

(حرف الثاء)

– **الثقات** ، محمد بن حبان البستي (ت ٣٥٤هـ) ، تحقيق : السيد شرف الدين أحمد ، ط١ ، بيروت : دار الفكر ، ١٣٩٥هـ = ١٩٧٥م .

(حرف الجيم)

– **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** ، محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) ، د.ط ، بيروت : دار الفكر ، ١٤٠٥هـ .

– **الجامع الصحيح (سنن الترمذي)** ، محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩هـ) ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، د.ط ، بيروت : دار إحياء التراث العربي ، د.ت .

– **الجامع الصحيح المختصر (صحيح البخاري)** ، محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ) ، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا ، ط٣ ، اليمامة : دار ابن كثير ، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م .

– **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم** ، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب (ت ٧٩٥هـ) ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ؛ وإبراهيم باجس ، ط٧ ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م .

– **الجامع لأحكام القرآن** ، محمد بن أحمد القرطبي (ت ٦٧١هـ) ، د.ط ، القاهرة : دار الشعب ، د.ت .

– **الجرح والتعديل** ، عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧هـ) ، ط١ ، بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٢٧١هـ = ١٩٥٢م .

– **جمهرة اللغة** ، محمد بن الحسن بن دريد (ت ٣٢١هـ) ، تحقيق : د. رمزي منير بعلبكي ، ط١ ، بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٧م .

– **الجنة والنار** ، عمر بن سليمان الأشقر ، ط٧ ، عمان : دار النفائس ، ١٤١٨هـ = ١٩٩٨م .

– **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء)** ، محمد بن أبي بكر الزرعي الشهير بابن القيم (ت ٧٥١هـ) ، د.ط ، بيروت : دار الكتب العلمية ، د.ت .

– **الجواهر الحسان في تفسير القرآن** ، عبد الرحمن بن محمد الثعالبي (ت ٨٧٥هـ)، د.ط،بيروت : مؤسسة الأعلمي ، د.ت .

– **الجواهر المضية في طبقات الحنفية** ، عبد القادر بن محمد بن أبي الوفاء (ت ٧٧٥هـ) ، د.ط ، كراتشي : مير محمد كتب خانه ، د.ت .

(حرف الحاء)

– **حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح** ، محمد بن أبي بكر الزرعي الشهير بابن القيم (ت ٧٥١هـ) ، د.ط ، بيروت : دار الكتب العلمية ، د.ت .

– **حاشية الإمام البيجوري على جوهرة التوحيد (تحفة المريد على جوهرة التوحيد)** ، إبراهيم بن محمد البيجوري (ت ١٢٧٧هـ) ، تحقيق : أ.د علي جمعة الشافعي ، ط١ ، القاهرة : دار السلام ، ١٤٢٢هـ = ٢٠٠٢م .

– **حاشية ابن القيم على سنن أبي داود** ، محمد بن أبي بكر الزرعي الشهير بابن القيم (ت ٧٥١هـ) ، ط٢ ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م .

– **الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة** ، إسماعيل بن محمد الأصبهاني (ت ٥٣٥هـ) ، تحقيق : محمد بن ربيع المدخلي ، ط٢ ، الرياض : دار الراية ، ١٤١٩هـ = ١٩٩٩م .

– **الحسنة والسيئة** ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية(ت ٧٢٨هـ) ، تحقيق : د. محمد جميل غازي ، د.ط ، القاهرة : مطبعة المدني ، د.ت .

– **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء** ، أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ) ، ط٤ ، بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٤٠٥هـ .

(حرف الخاء)

– **خصائص المصطفى بين الغلو والجفاء** ، الصادق بن محمد بن إبراهيم ، ط١ ، الرياض : مكتبة الرشد ، ١٤٢١هـ .

– **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر** ، محمد أمين بن فضل الله المحبي (ت ١١١١هـ) ، د.ط ، بيروت : دار صادر ، د.ت .

– **خلق أفعال العباد** ، محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ) ، تحقيق : د. عبد الرحمن عميرة ، د.ط ، الرياض : مكتبة المعارف ، ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م .

(حرف الدال)

– **درء تعارض العقل والنقل** ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت ٧٢٨هـ) ، تحقيق : عبد

اللطيف عبد الرحمن ، د.ط ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م .

– **الدرة فيما يجب اعتقاده** ، علي بن أحمد بن حزم (ت ٤٥٦هـ) ، تحقيق : د. أحمد بن ناصر الحمد ؛ وسعيد بن عبد الرحمن القزقي ، ط١ ، مكة المكرمة : مكتبة التراث ، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م .

– **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة** ، أحمد بن علي العسقلاني الشهير بابن حجر(ت ٨٥٢هـ) ، تحقيق : محمد عبد المعيد ضان ، ط٢ ، حيدر آباد : مجلس دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م .

– **الدعاء** ، سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠هـ) ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، ط١ ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٣هـ .

– **دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية** ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت ٧٢٨هـ) ، تحقيق : د. محمد السيد الجليند ، ط٢ ، دمشق : مؤسسة علوم القرآن ، ١٤٠٤هـ .

– **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة** ، أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق : د. عبد المعطي قلعجي ، ط١ ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م .

– **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب** ، إبراهيم بن علي بن فرحون (ت ٧٩٩هـ) ، د.ط ، بيروت : دار الكتب العلمية ، د.ت .

– **ديوان بشار بن برد** ، بشار بن برد العقيلي (ت ١٦٧هـ) ، تحقيق : محمد الطاهر بن عاشور ، د.ط ، القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، ١٣٨٦هـ = ١٩٦٦م .

– **ديوان جرير بن عطية** ، جرير بن عطية الخطفي (ت ١١١هـ) ، تحقيق : د. نعمان محمد طه ، ط٣ ، القاهرة : دار المعارف ، د.ت .

– **ديوان زهير بن أبي سلمى** ، زهير بن أبي سلمى ، تحقيق : علي حسن فاعور ، ط١ ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م .

– **ديوان لبيد بن ربيعة** ، لبيد بن ربيعة العامري (ت ٤١هـ) ، تحقيق : د. حنا نصر الحتي ، ط١ ، بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م .

(حرف الذال)

– **ذم التأويل** ، عبد الله بن أحمد بن قدامة (ت ٦٢٠هـ) ، تحقيق : بدر بن عبد الله البدر ، ط١ ، الكويت : الدار السلفية ، ١٤٠٦هـ .

– **ذيل طبقات الحفاظ** ، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ) ، د.ط ، بيروت : دار الكتب العلمية ، د.ت .

– **الذيل على طبقات الحنابلة** ، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب (ت ٧٩٥هـ) ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، د.ط ، القاهرة : مطبعة السنة المحمدية ، ١٣٧٢هـ = ١٩٥٢م .

(حرف الراء)

– **الرد على الجهمية** ، عثمان بن سعيد الدارمي (ت ٢٨٠هـ) ، تحقيق : بدر بن عبد الله البدر ، ط١ ، الكويت : الدار السلفية ، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م .

– **الرد على الزنادقة والجهمية** ، أحمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ) ، تحقيق : محمد حسن راشد ، د.ط ، القاهرة : المطبعة السلفية ، ١٣٩٣هـ .

– **الرد على القائلين بوحدة الوجود** ، علي بن محمد الهروي الشهير بالقاري (ت ١٠١٤هـ)، تحقيق : علي رضا بن عبد الله ، ط١ ، دمشق : دار المأمون للتراث ، ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م .

– **رسائل في العقيدة** ، محمد بن صالح العثيمين (ت ١٤٢١هـ) ، ط٢ ، الرياض : مكتبة المعارف ، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٣م .

– **رسائل في العقيدة** ، محمد بن إبراهيم الحمد ، ط١ ، الرياض : دار ابن خزيمة ، ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م .

– **رسالة إلى أهل الثغر** ، علي بن إسماعيل الأشعري (ت ٣٢٤هـ) ، تحقيق : عبد الله شاكر المصري ، ط١ ، المدينة المنورة : مكتبة العلوم والحكم ، ١٤٠٩هـ = ١٩٨٨م .

– **رسالة ابن أبي زيد القيرواني** ، عبد الله بن أبي زيد القيرواني (ت ٣٨٦هـ) ، د.ط ، بيروت : دار الفكر ، د.ت .

– **الرسالة في اعتقاد أهل السنة وأصحاب الحديث والأئمة (عقيدة السلف وأصحاب الحديث)** ، إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني (ت ٤٤٩هـ) ، تحقيق : د. ناصر بن عبد الرحمن الجديع ، ط٢ ، الرياض : دار العاصمة ، ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م .

– **الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المصنفة** ، محمد بن جعفر الكتاني(ت ١٣٤٥هـ) ، تحقيق : محمد المنتصر محمد الزمزمي ، ط٤ ، بيروت : دار البشائر الإسلامية ، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م .

– **رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار** ، محمد بن إسماعيل الصنعاني (ت ١١٨٢هـ) ، تحقيق : محمد بن ناصر الدين الألباني ، ط١ ، بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٤م .

– **الروض المعطار في خبر الأقطار** ، محمد بن عبد الله الحميري (ت بعد ٨٦٦هـ) ، تحقيق : إ. لافي بروفنصال ، ط٢ ، بيروت : دار الجيل ، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م .

(حرف الزاي)

– **زاد المسير في علم التفسير** ، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) ، ط٣ ، بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤٠٤هـ .

– **زاد المعاد في هدي خير العباد** ، محمد بن أبي بكر الزرعي الشهير بابن القيم (ت ٧٥١هـ) ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ؛ وعبد القادر الأرنؤوط ، ط١٤ ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٦م .

– **الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي** ، محمد بن أحمد الهروي (ت ٣٧٩هـ) ، تحقيق : د. محمد جبر الألفي ، ط١ ، الكويت : وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، ١٣٩٩هـ .

– **الزاهر في معاني كلمات الناس** ، محمد بن القاسم الأنباري (ت ٣٢٨هـ) ، تحقيق : د. حاتم صالح الضامن ، ط١ ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤١٢هـ = ١٩٩٢م .

(حرف السين)

– **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها** ، محمد بن ناصر الدين الألباني (ت١٤٢٠هـ) ، د.ط (الرياض : مكتبة المعارف ، ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م .

– **السلوك لمعرفة دول الملوك** ، أحمد بن علي المقريزي (ت ٨٤٥هـ) ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، ط١ ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٨هـ = ١٩٩٧م .

– **السنة** ، أحمد بن عمرو بن أبي عاصم (ت ٢٨٧هـ) ، تحقيق : محمد بن ناصر الدين الألباني ، ط١ ، بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤٠٠هـ .

– **السنة** ، عبد الله بن أحمد بن حنبل (ت ٢٩٠هـ) ، تحقيق : د. محمد سعيد القحطاني ، ط١ ، الدمام : دار ابن القيم ، ١٤٠٦هـ .

– **السنة** ، أحمد بن محمد الخلال (ت ٣١١هـ) ، تحقيق : د.عطية الزهراني ، ط١ ، الرياض : دار الراية ، ١٤١٠هـ = ١٩٨٩م .

– **سنن أبي داود** ، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ) ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، د.ط ، بيروت : دار الفكر ، د.ت .

– **السنن الكبرى** ، أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ) ، تحقيق : د.عبد الغفار سليمان البنداري ؛ وسيد كسروي حسن ، ط١ ، بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ= ١٩٩١م .

– **سنن ابن ماجه** ، محمد بن ماجه القزويني (ت ٢٧٥هـ) ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، د.ط ، بيروت : دار الفكر ، د.ت .

– **سير أعلام النبلاء** ، محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ؛ ومحمد نعيم عرقسوسي ، ط٩ ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤١٣هـ .

(حرف الشين)

– **شأن الدعاء** ، حمد بن محمد الخطابي (ت ٣٨٨هـ) ، تحقيق : أحمد يوسف الدقاق ، ط٣ ، دمشق : دار الثقافة العربية ، ١٤١٢هـ = ١٩٩٢م .

– **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** ، عبد الحي بن أحمد العكري (ت ١٠٨٩هـ) ، تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط ؛ ومحمود الأرنؤوط ، ط١ ، دمشق : دار ابن كثير ، ١٤٠٦هـ .

– **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم** ، هبة الله بن الحسن اللالكائي (ت ٤١٨هـ) ، تحقيق : د. أحمد بن سعد حمدان،د.ط ، الرياض : دار طيبة ، ١٤٠٢هـ .

– **شرح الأصول الخمسة** ، عبد الجبار بن أحمد الهمداني(ت ٤١٥هـ) ، تحقيق : د. عبد الكريم عثمان ، ط٣ ، القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٤١٦هـ = ١٩٩٦م .

– **شرح ثلاثة الأصول** ، محمد بن صالح العثيمين (ت ١٤٢١هـ) ، ط٢ ، الرياض : دار الثريا ، ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م .

– **شرح السنة** ، الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦هـ) ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ؛ ومحمد زهير الشاويش ، ط٢ ، بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م .

– **شرح صحيح البخاري** ، علي بن خلف بن بطال (ت ٤٤٩هـ)، تحقيق : ياسر بن إبراهيم ، ط٢ ، الرياض : مكتبة الرشد ، ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٣م .

– **شرح الطيبي على مشكاة المصابيح (الكاشف عن حقائق السنن)** ، الحسين بن محمد الطيبي (ت ٧٤٣هـ) ، تحقيق : د. عبد الحميد هنداوي ، ط١ ، مكة المكرمة : مكتبة نزار مصطفى الباز ، ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م .

– **شرح العقيدة الأصفهانية** ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية(ت ٧٢٨هـ) ، تحقيق : إبراهيم سعيداي ، ط١ ، الرياض : مكتبة الرشد ، ١٤١٥هـ .

– **شرح العقيدة الطحاوية** ، علي بن علي بن أبي العز (ت ٧٩٢هـ) ، تحقيق : د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ؛ وشعيب الأرنؤوط ، ط٢ ، بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م .

– **شرح العقيدة الواسطية** ، جمع من العلماء ، د.ط ، القاهرة : دار ابن الجوزي ، د.ت .

– **شرح العمدة في الفقه** ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت ٧٢٨هـ) ، تحقيق : د. سعود صالح العطيشان ، ط١ ، الرياض : مكتبة العبيكان ، ١٤١٣هـ .

– **شرح الكافية الشافية** ، محمد بن عبد الله بن مالك (ت ٦٧٢هـ) ، تحقيق : د. عبد المنعم أحمد هريدي ، ط١ ، دمشق : دار المأمون للتراث ، ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م .

– **شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري** ، عبد الله بن محمد الغنيمان ، ط١ ، المدينة المنورة : مكتبة الدار ، ١٤٠٥هـ .

– **شرح الكوكب المنير (المختبر المبتكر شرح المختصر في أصول الفقه)** ، محمد بن أحمد الفتوحي الشهير بابن النجار (ت ٩٧٢هـ) ، تحقيق : د. محمد الزحيلي ؛ ود. نزيه حماد ، ط٢ ، مكة

المكرمة : مطابع جامعة أم القرى ، ١٤١٣هـ .

– **شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد** ، محمد بن صالح العثيمين (ت ١٤٢١هـ) ، تحقيق : أشرف بن عبد المقصود ، ط٣ ، الرياض : مكتبة أضواء السلف ، ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م .

– **شرح المقاصد في علم الكلام** ، مسعود بن عمر التفتازاني (ت ٧٩٢هـ) ، ط١ ، باكستان : دار المعارف النعمانية ، ١٤٠١هـ = ١٩٨١م .

– **شرح منتهى الإرادات (دقائق أولي النهى لشرح المنتهى)** ، منصور بن يونس البهوتي (ت ١٠٥١هـ) ، ط٢ ، بيروت : عالم الكتب ، ١٩٩٦م .

– **الشرح الميسر على الفقهين الأبسط والأكبر المنسوبين لأبي حنيفة** ،محمد بن عبد الرحمن الخميس ، ط١ ، الإمارات العربية : مكتبة الفرقان ، ١٤١٩هـ = ١٩٩٩م .

– **الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة** ، عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري (ت ٣٨٧هـ) ، تحقيق : د. رضا بن نعسان معطي ، ط١ ، المدينة المنورة : مكتبة العلوم والحكم ، ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م .

– **الشريعة** ، محمد بن الحسين الآجري (ت ٣٦٠ هـ) ، تحقيق : د. عبد الله بن عمر الدميجي ، ط٢ ، الرياض : دار الوطن ، ١٤٢٠ هـ = ١٩٩٩م .

– **شعب الإيمان** ، أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ) ، تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول ، ط١ ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٠هـ .

– **الشعر والشعراء** ، عبد الله بن مسلم بن قتيبة(ت ٢٧٦هـ) ، تحقيق : أحمد محمد شاكر، د.ط ، القاهرة : دار المعارف ، د.ت .

– **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل** ، محمد بن أبي بكر الزرعي الشهير بابن القيم (ت ٧٥١هـ) ، تحقيق : محمد بدر الدين النعساني ، د.ط ، بيروت : دار الفكر ، ١٣٩٨هـ .

(حرف الصاد)

– **الصارم المسلول على شاتم الرسول** ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت ٧٢٨هـ) ، تحقيق : محمد عبد الله الحلواني ؛ ومحمد كبير أحمد شودري ، ط١ ، بيروت : دار ابن حزم ، ١٤١٧هـ .

– **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية** ، إسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٣هـ) ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، ط٤ ، بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٩٠م .

– **صحيح الترغيب والترهيب** ، محمد بن ناصر الدين الألباني (ت١٤٢٠هـ) ، ط١ ، الرياض : مكتبة المعارف ، ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م .

– **صحيح سنن الترمذي** ، محمد بن ناصر الدين الألباني(ت١٤٢٠هـ) ، ط١ ، الرياض : مكتبة

المعارف ، ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م .

– **صحيح سنن أبي داود** ، محمد بن ناصر الدين الألباني (ت١٤٢٠هـ) ، ط١ ، الرياض : مكتبة المعارف ، ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م .

– **صحيح سنن ابن ماجه**، محمد بن ناصر الدين الألباني(ت١٤٢٠هـ) ، ط١ ، الرياض : مكتبة المعارف ، ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م .

– **صحيح سنن النسائي** ، محمد بن ناصر الدين الألباني(ت١٤٢٠هـ) ، ط١ ، الرياض : مكتبة المعارف ، ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م .

– **صحيح مسلم** ، مسلم بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١هـ) ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، د.ط ، بيروت : دار إحياء التراث العربي ، د.ت .

– **الصلاة وحكم تاركها وسياق صلاة النبي من حين كان يكبر إلى أن يفرغ منها** ، محمد بن أبي بكر الزرعي الشهير بابن القيم (ت ٧٥١هـ) ، تحقيق : بسام عبد الوهاب الجابي ، ط١ ، قبرص : الجفان والجابي ، ١٤١٦هـ = ١٩٩٦م .

– **الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة** ، محمد بن أبي بكر الزرعي الشهير بابن القيم (ت ٧٥١هـ) ، تحقيق : د. علي بن محمد الدخيل الله ، ط٣ ، الرياض : دار العاصمة ، ١٤١٨هـ = ١٩٩٨م .

(حرف الضاد)

– **الضعفاء الكبير** ، محمد بن عمر العقيلي (ت ٣٢٢هـ) ، تحقيق : عبد المعطي أمين قلعجي،ط١ ، بيروت : دار المكتبة العلمية ، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م .

– **الضعفاء والمتروكين** ، أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ) ، تحقيق : محمود إبراهيم زايد ، ط١ ، حلب : دار الوعي ، ١٣٩٦هـ .

– **ضعيف سنن الترمذي** ، محمد بن ناصر الدين الألباني(ت١٤٢٠هـ) ، ط١ ، الرياض : مكتبة المعارف ، ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م .

– **ضعيف سنن ابن ماجه** ، محمد بن ناصر الدين الألباني (ت١٤٢٠هـ) ، ط١ ، الرياض : مكتبة المعارف ، ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م .

– **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع** ، محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢هـ) ، د.ط ، بيروت : دار مكتبة الحياة ، د.ت .

– **ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة** ، عبد الله بن محمد القرني ، ط٢ ، مكة المكرمة : دار عالم الفوائد ، ١٤٢٠هـ .

(حرف الطاء)

– **طبقات الحفاظ** ، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ) ، ط١ ، بيروت : دار الكتب

العلمية ، ١٤٠٣هـ .

– **طبقات الحنابلة** ، محمد بن أبي يعلى بن الحسين (ت ٥٢١هـ) ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، د.ط ، بيروت : دار المعرفة ، د.ت .

– **طبقات الشافعية** ، أبو بكر بن أحمد بن قاضي شهبة (ت ٨٥١هـ) ، تحقيق : د. الحافظ عبد العليم خان ، ط١ ، بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٧هـ .

– **طبقات الشافعية الكبرى** ، تاج الدين بن علي السبكي (ت ٧٧١هـ) ، تحقيق : د. محمود محمد الطناحي ؛ ود.عبد الفتاح محمد الحلو ، ط٢ ، القاهرة : دار هجر ، ١٤١٣هـ .

– **طبقات الصوفية** ، محمد بن الحسين الأزدي (ت ٤١٢هـ) ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، ط١ ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م .

– **طبقات فحول الشعراء** ، محمد بن سلام الجمحي (ت ٢٣١هـ) ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، د.ط ، جدة : دار المدني ، د.ت .

– **طبقات الفقهاء** ، إبراهيم بن علي الشيرازي (ت ٤٧٦هـ) ، تحقيق : خليل الميس ، د.ط ، بيروت : دار القلم ، د.ت .

– **الطبقات الكبرى** ، محمد بن سعد الزهري (ت ٢٣٠هـ) ، د.ط ، بيروت : دار صادر،د.ت .

– **طبقات المدلسين** ، أحمد بن علي العسقلاني الشهير بابن حجر (ت ٨٥٢هـ) ، تحقيق : د. عاصم بن عبد الله القريوتي ، ط١ ، عمان : مكتبة المنار ، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م .

– **طبقات المفسرين** ، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١هـ) ، تحقيق : علي محمد عمر ، ط١ ، القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٣٩٦هـ .

– **طبقات المفسرين** ، أحمد بن محمد الداودي (ت ٩٤٥هـ) ، تحقيق : سليمان بن صالح الخزي ، ط١ ، المدينة المنورة : مكتبة العلوم والحكم ، ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م .

(حرف العين)

– **العبر في خبر من غبر** ، محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ، تحقيق : د. صلاح الدين المنجد ، ط٢ ، الكويت : مطبعة حكومة الكويت ، ١٩٨٤م .

– **العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها** ، محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ، تحقيق : أشرف بن عبد المقصود ، ط١ ،الرياض :مكتبة أضواء السلف، ١٤١٦هـ = ١٩٩٥م .

(حرف الغين)

– **غاية النهاية في طبقات القراء** ، محمد بن محمد بن الجزري (ت ٨٣٣هـ) ، تحقيق : ج. برجستراسر ، ط١، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م .

– **غريب الحديث** ، القاسم بن سلام الهروي (ت ٢٢٤هـ) ، تحقيق : د. محمد عبد المعيد خان ،

ط١ ، بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٣٩٦هـ .

– **غريب الحديث** ، عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) ، تحقيق : د. عبد الله الجبوري ، ط١ ، بغداد : مطبعة العاني ، ١٣٩٧هـ .

– **غريب الحديث** ، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) ، تحقيق : د. عبد المعطي أمين القلعجي ، ط١ ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م .

(حرف الفاء)

– **فتاوى العقيدة** ، جمع من العلماء ، ط١ ، القاهرة : دار ابن الجوزي ، ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م .

– **الفتاوى الكبرى** ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت ٧٢٨هـ)، تحقيق : حسنين محمد مخلوف ، د.ط ، بيروت : دار المعرفة ، د.ت .

– **فتح الباري شرح صحيح البخاري** ، أحمد بن علي العسقلاني الشهير بابن حجر(ت ٨٥٢هـ) ، تحقيق : محب الدين الخطيب ، د.ط ، بيروت : دار المعرفة ، د.ت .

– **فتح الباري في شرح صحيح البخاري** ، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب (ت ٧٩٥هـ)،تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد ، ط٢ ، الدمام : دار ابن الجوزي ، ١٤٢٢هـ .

– **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير** ، محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) ، د.ط ، بيروت : دار الفكر ، د.ت .

– **الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية** ، عبد القاهر بن طاهر البغدادي (ت ٤٢٩هـ) ، ط٢ ، بيروت : دار الآفاق الجديدة ، ١٩٧٧م .

– **الفصل في الملل والأهواء والنحل** ، علي بن أحمد بن حزم (ت ٤٥٦هـ) ، د.ط ، القاهرة : مكتبة الخانجي ، د.ت .

– **الفهرست** ، محمد بن إسحاق النديم (ت ٣٨٥هـ) ، د.ط ، بيروت : دار المعرفة ، ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م .

– **الفوائد** ، محمد بن أبي بكر الزرعي الشهير بابن القيم (ت ٧٥١هـ) ، ط٢ ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٣٩٣هـ = ١٩٧٣م .

– **فوات الوفيات** ، محمد بن شاكر الكتبي (ت ٧٦٤هـ) ، تحقيق : علي محمد بن يعوض الله ؛ وعادل أحمد عبد الموجود ، ط١ ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٠م .

– **فيض القدير شرح الجامع الصغير** ، محمد بن عبد الرؤوف المناوي (ت ١٠٣١هـ)، ط١ ، القاهرة : المكتبة التجارية الكبرى ، ١٣٥٦هـ .

(حرف القاف)

– **قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة** ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت ٧٢٨هـ) ، تحقيق : زهير

الشاويش ، د.ط ،(بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٣٩٠هـ = ١٩٧٠م .

– **القاموس المحيط** ، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ) ، د.ط ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، د.ت .

– **القواعد الحسان لتفسير القرآن** ، عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت ١٣٧٦هـ) ، د.ط ، الإسكندرية : دار البصيرة ، د.ت .

– **القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى** ، محمد بن صالح العثيمين (ت ١٤٢١هـ) ، ط٣ ، المدينة المنورة : مطابع الجامعة الإسلامية ، ١٤٠٩هـ .

– **القول الأحمد في خصائص أمة محمد** ، حاي بن سالم الحاي ، ط١ ، الكويت : مكتبة دار النفائس ، ١٤١١هـ .

– **القول السديد شرح كتاب التوحيد** ، عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت ١٣٧٦هـ) ، تحقيق : صبري بن سلامة شاهين ، ط١ ، الرياض : دار الثبات ، ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٤م .

– **القول المفيد على كتاب التوحيد** ، محمد بن صالح العثيمين (ت ١٤٢١هـ) ، ط٢ ، الدمام : دار ابن الجوزي ، ١٤٢٤هـ .

– **القيامة الكبرى** ، عمر بن سليمان الأشقر ، ط٦ ، عمان : دار النفائس ، ١٤١٥هـ= ١٩٩٥م .

(حرف الكاف)

– **الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة** ، محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ)،تحقيق : محمد عوامة ، ط١ ، جدة : دار القبلة للثقافة الإسلامية ، ١٤١٣هـ = ١٩٩٢م .

– **الكامل في التاريخ** ، علي بن محمد الشيباني (ت ٦٣٠هـ) ، تحقيق : عبد الله القاضي ، ط٢ ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٥هـ .

– **كتاب الأسماء والصفات** ، أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ) ، تحقيق : عبد الله بن محمد الحاشدي ، د.ط ، جدة : مكتبة السوادي ، د.ت .

– **كتاب الإيمان من إكمال المعلم بفوائد صحيح مسلم** ، عياض بن موسى اليحصبي (ت ٥٤٤هـ) ، تحقيق : د. الحسين بن محمد شواط ، ط١،الرياض :دار الوطن ، ١٤١٧هـ .

– **كتاب الإيمان ومعالمه وسننه واستكماله ودرجاته** ، القاسم بن سلام الهروي (ت ٢٢٤هـ) ، تحقيق : محمد بن ناصر الدين الألباني ، ط١ ،الرياض :مكتبة المعارف ، ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م .

– **كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب ﷻ** ، محمد بن إسحاق بن خزيمة (ت ٣١١هـ)، تحقيق : عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان ، ط١ ، الرياض : مكتبة الرشد ، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م .

– **كتاب التوحيد ومعرفة أسماء الله ﷻ وصفاته على الاتفاق والتفرد** ،محمد بن إسحاق بن منده (ت ٣٩٥هـ) ، تحقيق : د. علي بن محمد الفقيهي ، ط١ ، المدينة المنورة : مطابع الجامعة

الإسلامية ، ١٤٠٩هـ .
– **كتاب شرح السنة** ، الحسن بن علي البربهاري (ت ٣٢٩هـ) ، تحقيق : د. محمد سعيد القحطاني ، ط١ ، الدمام : دار ابن القيم ، ١٤٠٨هـ .
– **كتاب الصفدية** ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت ٧٢٨هـ) ، تحقيق : محمد رشاد سالم ، د.ط ، الرياض : دار الفضيلة ، ١٤٢١ هـ =٢٠٠٠م ، د.ت .
– **كتاب العين** ، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) ، تحقيق : د. مهدي المخزومي ؛ ود. إبراهيم السامرائي ، د.ط ، القاهرة : دار ومكتبة الهلال ، د.ت .
– **كتاب غريب القرآن** ، محمد بن عزيز السجستاني (ت ٣٣٠هـ) ، تحقيق : محمد أديب جمران ، د.ط ، دمشق : دار قتيبة ، ١٤١٦هـ = ١٩٩٥م .
– **كتاب القدر** ، جعفر بن محمد الفريابي (ت ٣٠١هـ) ، تحقيق : عمرو عبد المنعم سليم ، ط١ ، بيروت : دار ابن حزم ، ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م .
– **كتاب المواقف** ، عبد الرحمن بن أحمد الإيجي (ت ٧٥٦هـ) ، تحقيق : عبد الرحمن عميرة ،ط١ ، بيروت : دار الجيل ، ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م .
– **كتاب النبوات** ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت ٧٢٨هـ) ، ط١ ، الرياض : مكتبة أضواء السلف ، ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م .
– **كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (مجموع الفتاوى)** ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت ٧٢٨هـ) ، تحقيق : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، ط٢ ، القاهرة : مكتبة ابن تيمية ، د.ت .
– **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل ومعه الانتصاف لابن المنير (الكشاف بحاشية ابن المنير)** ، محمود بن عمر الزمخشرى (ت ٥٣٨هـ) ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود ؛ وعلي محمد معوض ، ط١ ، الرياض : مكتبة العبيكان ، ١٤١٨هـ = ١٩٩٨م .
– **كلمة الإخلاص وتحقيق معناها** ، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب (ت ٧٩٥هـ) ، تحقيق : زهير الشاويش ، ط٤ ، بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٣٩٧هـ .

(حرف اللام)

– **اللباب في علوم الكتاب** ، عمر بن علي الدمشقي (ت بعد ٨٨٠هـ) ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود ؛ وعلي محمد معوض ، ط١ ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٩ هـ = ١٩٩٨م .
– **لسان العرب** ، محمد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١هـ) ، ط١ ، بيروت : دار صادر ، د.ت .
– **لسان الميزان** ، أحمد بن علي العسقلاني الشهير بابن حجر (ت ٨٥٢هـ) ، تحقيق : دائرة المعارف النظامية ، ط٣ ، بيروت : مؤسسة الأعلمي ، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م .

– **لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية** ، محمد بن أحمد السفاريني (ت ١١٨٨هـ) ، ط٢ ، دمشق : مؤسسة الخافقين ومكتبتها ، ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م .

(حرف الميم)

– **المبدع في شرح المقنع** ، إبراهيم بن محمد بن مفلح (ت ٨٨٤هـ) ، د.ط ، بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤٠٠هـ .

– **متشابه القرآن** ، عبد الجبار بن أحمد الهمداني (ت ٤١٥هـ) ، تحقيق : عدنان محمد زرزور ، د.ط ، القاهرة : دار التراث ، ١٩٦٩م .

– **المجتبى من السنن (السنن الصغرى)** ، أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ) ، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة ، ط٢ ، حلب : مكتب المطبوعات الإسلامية ، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م .

– **المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين** ، محمد بن حيان البستي (ت ٣٥٤هـ) ، تحقيق : محمود إبراهيم زايد ، ط١ ، حلب : دار الوعي ، ١٣٩٦هـ .

– **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد** ، علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧هـ) ، د.ط ، القاهرة : دار الريان للتراث ، ١٤٠٧هـ .

– **مجموعة رسائل في التوحيد والإيمان** ، محمد بن عبد الوهاب التميمي (ت ١٢٠٦هـ) ، تحقيق : إسماعيل بن محمد الأنصاري ، ط١ ، الرياض : مطابع الرياض ، د.ت .

– **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** ، عبد الحق بن غالب بن عطية (ت ٥٤١هـ) ، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد ، ط١ ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٣هـ = ١٩٩٣م .

– **مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة** ، محمد بن محمد بن الموصلي (ت ٧٧٤هـ) ، تحقيق : د. الحسن بن عبد الرحمن العلوي ، ط١ ، الرياض : مكتبة أضواء السلف ، ١٤٢٥هـ ، ٢٠٠٤م .

– **مختصر الفتاوى المصرية** ، محمد بن علي البعلي (ت ٧٧٧هـ) ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، ط٢ ، الدمام : دار ابن القيم ، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م .

– **مختصر منهاج القاصدين** ، أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة (ت ٦٨٩هـ) ، تحقيق : عبد الله الليثي الأنصاري ، ط٢ ، بيروت : دار المعرفة ، ١٤١٦هـ = ١٩٩٥م .

– **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين** ، محمد بن أبي بكر الزرعي الشهير بابن القيم (ت ٧٥١هـ) ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، ط٢ ، بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٣٩٣هـ = ١٩٧٣م .

– **المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية على مذهب أهل السنة والجماعة** ،إبراهيم بن محمد البريكان

(ت ١٤٢٩هـ) ، ط٣ ، الخبر : دار السنة ، ١٤١٥هـ = ١٩٩٤م .

– **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح** ، علي بن محمد الهروي الشهير بالقاري (ت ١٠١٤هـ)، تحقيق : جمال عيتاني ، ط١ ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م .

– **المستدرك على الصحيحين** ، محمد بن عبد الله الحاكم (ت ٤٠٥هـ) ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، ط١ ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١١هـ = ١٩٩٠م .

– **مسند الإمام أحمد بن حنبل** ، أحمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ) ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ؛ ومحمد نعيم عرقسوسي ؛ وعادل مرشد ؛ وإبراهيم الزيبق ؛ ومحمد رضوان العرقسوسي ؛ وكامل الخراط ، ط١ ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، من ١٤١٦هـ إلى ١٤٢١هـ = من ١٩٩٥م إلى ٢٠٠١م .

– **مسند الدارمي** (**سنن الدارمي**) ، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (ت ٢٥٥هـ) ، تحقيق : حسين سليم أسد ، ط١ ، الرياض : دار المغني ، ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م .

– **مسند أبي يعلى الموصلي** ، أحمد بن علي بن المثنى (ت ٣٠٧هـ) ، تحقيق : حسين سليم أسد ، ط١ ، دمشق : دار المأمون للتراث ، ١٤٠٩هـ = ١٩٨٨م .

– **المسودة في أصول الفقه** ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت ٧٢٨هـ) ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، د.ط ، القاهرة : مطبعة المدني ، د.ت .

– **مشارق أنوار العقول** ، عبد الله بن حميد السالمي (ت ١٢٩٦هـ) ، تحقيق : عبد الرحمن عميرة ، ط١ ، بيروت : دار الجيل ، ١٩٨٩م .

– **مشاهير علماء الأمصار** ، محمد بن حبان البستي (ت ٣٥٤هـ) ، تحقيق : م. فلايشهمر ، د.ط ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٥٩م .

– **مشكل الحديث وبيانه** ، محمد بن الحسن بن فورك (ت ٤٠٦هـ) ، تحقيق : موسى محمد علي ، ط٢ ، بيروت : عالم الكتب ، ١٩٨٥م .

– **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير** ، أحمد بن محمد الفيومي (ت ٧٧٠هـ)، د.ط، بيروت : المكتبة العلمية ، د.ت .

– **المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية**،أحمد بن علي العسقلاني الشهير بابن حجر (ت ٨٥٢هـ) ، تحقيق : عبد القادر بن عبد الكريم جوندل، ط١ ، الرياض : دار العاصمة ، ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م .

– **المطلع على أبواب المقنع** ، محمد بن أبي الفتح البعلي(ت ٧٠٩هـ)،تحقيق :محمد بشير الأدلبي ، د.ط ، بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤٠١هـ = ١٩٨١م .

– **معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول** ،حافظ بن أحمد حكمي(ت ١٣٧٧هـ) ،

تحقيق : عمر بن محمود ، ط٣ ، الدمام : دار ابن القيم ، ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م .

– **معالم السنن في شرح سنن الإمام أبي داود** ، حمد بن محمد الخطابي (ت ٣٨٨هـ) ، تحقيق : محمد راغب الطباخ ، ط١ ، حلب : المطبعة العلمية ، ١٣٥٢هـ = ١٩٣٤م .

– **معاني القرآن وإعرابه** ، إبراهيم بن محمد الزجاج (ت ٣١١هـ) ، تحقيق : د. عبد الجليل عبده شلبي ، ط١ ، بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م .

– **معجم ألفاظ العقيدة** ، عامر بن عبد الله فالح ، ط١ ، الرياض : مكتبة العبيكان ، ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م .

– **المعجم الكبير** ، سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠هـ) ، تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي ، ط٢ ، القاهرة : مكتبة ابن تيمية ، د.ت .

– **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع** ، عبد الله بن عبد العزيز البكري (ت ٤٨٧هـ) ، تحقيق : مصطفى السقا ، ط٣ ، بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٣هـ .

– **المعجم المختص بالمحدثين** ، محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ، تحقيق :د. محمد الحبيب الهيلة ، ط١ ، الطائف : مكتبة الصديق ، ١٤٠٨هـ .

– **معجم مقاييس اللغة** ، أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، ط٢ ، بيروت : دار الجيل ، ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م .

– **معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية** ، عاتق بن غيث البلادي ، ط١ ، مكة المكرمة : دار مكة ، ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م .

– **معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية** ، عمر رضا كحالة (ت ١٤٠٨هـ) ، د.ط ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، د.ت .

– **المعجم الوسيط** ، مجمع اللغة العربية ، ط٣ ، القاهرة : دار عمران ، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م .

– **معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم** ، أحمد بن عبد الله العجلي (ت ٢٦١هـ) ، تحقيق : عبد العليم عبد العظيم البستوي، ط١،المدينة المنورة : مكتبة الدار ، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م .

– **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار** ، محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ، تحقيق : بشار عواد معروف ؛ وشعيب الأرنؤوط ، صالح مهدي عباس ، ط١ ، بيروت :مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٤هـ .

– **المعين في طبقات المحدثين** ، محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ، تحقيق : د. همام عبد الرحيم سعيد ، ط١ ، عمان : دار الفرقان ، ١٤٠٤هـ .

– **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة** ،محمد بن أبي بكر الزرعي الشهير بابن القيم

(ت ٧٥١هـ) ، د.ط ، بيروت : دار الكتب العلمية .

– **المفردات في غريب القرآن** ، الحسين بن محمد الأصفهاني الشهير بالراغب(ت ٥٠٢هـ)، تحقيق : محمد سيد كيلاني ، د.ط (بيروت : دار المعرفة ، د.ت) .

– **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين** ، علي بن إسماعيل الأشعري (ت ٣٢٤هـ) ، تحقيق : هلموت ريتر ، ط٣ ، بيروت : دار إحياء التراث العربي ، د.ت .

– **مقدمة ابن خلدون** ، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت ٨٠٨هـ) ، ط٥ ،بيروت :دار القلم ، ١٩٨٤م .

– **المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد** ، إبراهيم بن محمد بن مفلح (ت ٨٨٤هـ) ، تحقيق : د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ، ط١ ، الرياض : مكتبة الرشد ،١٤١٠هـ = ١٩٩٠م .

– **المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى** ، محمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) ،تحقيق : بسام عبد الوهاب الجابي ، ط١ ، قبرص : الجفان والجابي ، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م .

– **الملل والنحل** ، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ) ، تحقيق : محمد سيد كيلاني ، د.ط ، بيروت : دار المعرفة ، ١٤٠٤هـ .

– **من ذيول العبر** ، محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ، تحقيق : د.صلاح الدين المنجد ، د.ط ، الكويت : مطبعة حكومة الكويت ، د.ت .

– **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم** ، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، ط١ ،بيروت : دار صادر ، ١٣٥٨هـ .

– **منهاج السنة النبوية** ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت ٧٢٨هـ) ، تحقيق : د. محمد رشاد سالم ، ط١ ، القاهرة : مؤسسة قرطبة ، ١٤٠٦هـ .

– **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (شرح النووي على صحيح مسلم)** ، يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ) ، ط٢ ، بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٣٩٢هـ .

– **منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات** ،محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ) ، ط٤ ، الكويت : الدار السلفية ، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م .

– **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة** ، مانع بن حماد الجهني ، ط٤،الرياض : دار الندوة العالمية ، ١٤٢٠هـ .

– **ميزان الاعتدال في نقد الرجال** ، محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ، تحقيق : علي محمد معوض ؛ وعادل أحمد عبد الموجود ، ط١ ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٩٥م .

(حرف النون)

– **نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض** ، أحمد بن محمد الخفاجي(ت ١٠٦٩هـ)،تحقيق :

محمد عبد القادر عطا ، ط١ ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢١هـ = ٢٠٠١م .

– **نظم المتناثر من الحديث المتواتر** ، محمد بن جعفر الكتاني (ت ١٣٤٥هـ) ، تحقيق : شرف حجازي ، د.ط ، القاهرة : دار الكتب السلفية ، د.ت .

– **نقض أساس التقديس** ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت ٧٢٨هـ) ، العقيدة وأصول الدين ، نسخ متقن ، ١٣٤٦هـ ، الرياض : جامعة الملك سعود ٢٥٩٠ ، نسخة خطية منقولة عن نسخة مؤرخة .

– **نقض الإمام عثمان بن سعيد الدارمي على المريسي الجهمي العنيد**،عثمان بن سعيد الدارمي (ت ٢٨٠هـ) ، تحقيق : رشيد بن حسن الألمعي ، ط١ ، الرياض : مكتبة الرشد ، ١٤١٨هـ = ١٩٩٨م .

– **نهاية الإقدام في علم الكلام** ، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ) ، تحقيق : أحمد فريد المزيدي ، ط١ ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٤م .

– **النهاية في غريب الحديث والأثر** ، المبارك بن محمد الجزري الشهير بابن الأثير (ت ٦٠٦هـ) ، تحقيق : طاهر أحمد الزاوى ؛ ومحمود محمد الطناحي ، د.ط ، بيروت : المكتبة العلمية ، ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م .

– **النهاية في الفتن والملاحم** ، إسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤هـ) ، تحقيق : عبد الشافعي ، ط١ ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م .

– **نور التوحيد وظلمات الشرك في ضوء الكتاب والسنة** ، سعيد بن علي القحطاني،ط٣ ، الرياض : مؤسسة الجريسي ، ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م .

(حرف الهاء)

– **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين** ، إسماعيل باشا البغدادي ، د.ط ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٣هـ = ١٩٩٢م .

(حرف الواو)

– **الوافي بالوفيات** ، خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ) ، تحقيق : أحمد الأرنؤوط ؛ وتركي مصطفى ، د.ط ، بيروت : دار إحياء التراث ، ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م .

– **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** ، أحمد بن محمد بن خلكان (ت ٦٨١هـ) ، تحقيق : احسان عباس ، د.ط ، لبنان : دار الثقافة ، د.ت .



The Abstract

The Creedal Themes entailed by the Hadeeth of Abu Hurairah and Abu Sa'eed Al-Khudry (may Allah be pleased with them) regarding Sighting Allah on the Day of Judgment
(Compilation and Study)

By : Kholood Bint Fouad Katu'ah

I began this research by putting forth a suitable preamble in which I meticulously vetted and scrutinized the wordings of the two Hadeeth of Abu Hurairah and Abu Sa'eed Al-Khudry (may Allah be pleased with them) regarding Sighting Allah on the Day of Judgment in the two most authentic books of prophetic Hadeeth and the other books that compose the nine canonical books of prophetic Hadeeth .

Subsequently, I categorized the research into three chapters.

Chapter one entitles "The Creedal Themes relating to Belief in Allah the most High" and it embodied the following subchapters:

Sub-chapter One: Belief in Allah's Exclusive Right to Lordship as indicated by both Hadeeth. Herein, I gave an elaborate definition of Tawhid Ar-Rububiyyah (Belief in Allah's Exclusive Right to Lordship) and thereafter I discussed some special characteristics of Lordship as embraced by these Hadeeth .

Sub-chapter Two: Belief in Allah's Exclusive Right to Divinity as indicated by both Hadeeth. Herein, I expatiated on the implication of Tawhid Al-Uluhiyyah (Belief in Allah's Exclusive Right to Divinity) paying special attention to defining the term "Tawhid", its importance and virtues. This I followed by stating the kinds of worship and nullifications of Tawhid as entailed by these two Hadeeth.

Sub-chapter Three: Belief in Allah's Exclusive Right to the Most Beautiful Names and Attributes as indicated by both Hadeeth. In this chapter, I give a clear definition of this kind of belief stating the methodology of the Ahlus-Sunnah and Jama'ah in dealing with the names and attributes of Allah the most High. At the end of the chapter, I mentioned some of the outstanding attributes of Allah contained by these two Hadeeth .

Chapter Two is entitled: Themes relating to belief in the Angels and the Day of Reckoning and it embodied five sub-chapters as follow:

Sub-chapter One: Belief in the Angels as indicated by both Hadeeth. Here, I defined whom the Angels and thereafter gave guidelines on how to believe in them.

Sub-chapter Two: Resurrection and Reckoning as indicated by both Hadeeth. I defined what is meant by the terms " Resurrection" and "Reckoning". Following this, I stated some issues relating to them as entailed by the Hadeeth like when every community would be resurrected

amidst those gods they used to idolize, accountability of creatures on the Day of Resurrection and witnesses on the Day of Reckoning.

Sub-chapter Three: As-Sirat (pathway) as indicated by both Hadeeth. In this chapter, I defined As-Sirat and elaborated on some relevant issues like its description, the first and last persons to traverse it, invocations of the prophets (peace be on them) and the believers and how people would traverse it on that day.

Sub-chapter Four: As-Shafa'ah (Intercession) as indicated by both Hadeeth. I have defined what is meant by intercession, stated its conditions, kinds and those that went astray in its regard. Thereafter, I enumerated the categories of intercessors that Allah will, out of His infinite favor, accept their intercession on that day.

Sub-chapter Five: Paradise and Hell as indicated by both Hadeeth. I gave a clear definition of Paradise and Hell discussing and describing how the bliss in the Paradise would be as well as the chastisement of the hellfire. However, I concluded the chapter by affirming the eternal existence of the Paradise and Hell.

Chapter Three is entitled: Themes relating to other issues of belief and it embodied three sub-chapters as follow:

Sub-chapter One: (Eiman) Belief and its Reality. I defined Eiman as indicated by both Hadeeth. I further confirmed some of the issues of belief like its embodiment of actions in rejoining to the Murje'ah who hold an opposite view and issues relating to the improvement and deterioration of faith and that in its regard people rival for superiority.

Sub-chapter Two: The superiority of Prophet Muhammad and his nation as indicated by both Hadeeth. Here, I elaborated on who is meant by the prophet and the followers of prophet Muhammad (blessings and peace of Allah be on him). Then I displayed some indications of the virtues and status of prophet Muhammad and the supremacy of his followers over other nations.

Sub-chapter Three: The Legal Ruling regarding one who perpetrates a major sin as indicated by both Hadeeth. I gave the definition of major sin and the ruling regarding his perpetrator according to the scholarly opinions held by the Ahlus-Sunnah and Jama'ah and other defiant religious sects.

The most prominent finding of this research is that both Hadeeth of Abu Hurairah and Abu Sa'eed Al-Khudry (may Allah be pleased with them) regarding Sighting Allah on the Day of Judgment constitute part of the most vital prophetic Hadeeth that embrace many basic and fundamental creedal issues and that sighting Allah the most High by Muslim believers on the Day of Judgment is one of the issues treated by the Islamic creed and substantially purported by evidences from: the Holy Qur'an, the prophetic Hadeeth, scholarly consensus and reason. Moreover, the issue of denying the intercession on behalf of the perpetrators of major sins is very

ancient because the noble companions of the prophet (may Allah be pleased with them) treated it, explained its dogmatism and falsehood. Furthermore, the opinion that the Paradise and Hell are not eternal is something that was never propounded nor held by the rightly guided predecessors. They are free from this fallacy.

It is based on these findings that I set forth the following recommendations: to persuade both male and female researchers to study the books of prophetic Hadeeth in order to extract the creedal themes and issues therein and the necessity of making effective utilization of the books written on the compilation of the prophetic Hadeeth on Islamic creed in this regard.

In conclusion, I have provided the research with various indices to facilitate it for those who may care to read or benefit from it.



Kingdom of Saudi Arabia
Ministry of Higher Education
Taibah University
College of Arts and Humanities
Department of Islamic Studies



The Creedal Themes entailed by the Hadeeth of Abu Hurairah and Abu Sa'eed Al-Khudry (may Allah be pleased with them) regarding Sighting Allah on the Day of Judgment
(Compilation and Study)

A Dissertation presented in partial fulfillment of the requirements of obtaining an MA in Islamic Creed and Contemporary Doctrines

By
Kholood Bint Fouad Bin Jamil Katu'ah

Supervised by
Dr. Sami Bin Ali Al-Qulaity
Associate Prof. in the Dept. of Islamic Studies
College of Arts and Humanities
Taibah University

1432AH/ 2011AD